

إتحاف أعلام الناس بجمال أخبار حاضرة مكناس

تأليف

ابن زيدان: عبد الرحمن بن محمد السجلماسي

(١٢٩٠ - ١٣٦٥هـ)

تحقيق

الدكتور على عمر

بقسم التاريخ والحضارة الإسلامية

بجامعة المنيا والإمام بالرياض

ومن الباحثين بمركز تحقيق التراث (سابقا)

الجزء الرابع

الناشر

مكتبة الثقافة الدينية

الطبعة الاولى
١٤٢٩هـ - ٢٠٠٨
حقوق الطبع محفوظة للناشر
الناشر
مكتبة الثقافة الدينية
٥٢٦ شارع بورسعيد - القاهرة
٢٥٩٣٦٢٧٧ / فاكس: ٢٥٩٣٨٤١١ / ٢٥٩٢٢٦٢٠
E-mail: alsakafa_aldinay@hotmail.com

بطاقة الفهرسة
إعداد الهيئة المصرية العامة لدار الكتب والوثائق القومية
إدارة الشؤون الفنية

اتحاف اعلام الناس بجمال اخبار حاضرة مكناس ج ٤
تأليف: ابن زيدان عبد الرحمن بن محمد المكناسي ، تحقيق: علي عمر
- ط ١ - القاهرة : مكتبة الثقافة الدينية ٢٠٠٨
٥ مج : ٢٤ سم
تتمك : ٦ ٣٩٢ ٣٤١ ٩٧٧
١- الفقهاء - معاجم
٢- عمر ، علي (محقق)
ب- العنوان

ديوى : ٩٢٢،٥٨

رقم الابداع : ٧٦٦٩ / ٢٠٠٨

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ



إتحاف أعلام الناس
بجمال أخبار حاضرة مكناس
لابن زيجان



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وَصَلَّى اللَّهُ عَلَيَّ سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ وَأَلِهِ وَصَلَّى بِهِ وَسَلَّمَ تَسْلِيمًا

٢٠٦- محمد بن أحمد بن محمد بن محمد بن علي بن غازي العثماني

الأصل.

نسبة إلى أبي عثمان، وهو من قبيلة كتامة حسبما ذكر ابن خلدون، كذا قال عن نفسه، والذي في ترجمة الشيخ عبد الله بن عبد الرزاق العثماني من نشر المثاني أن نسبتهم إلى العثامنة بطن من مختار حوز مكناسة الزيتون والله أعلم، المكناسي النشأة والدار، الفاسي الرحلة والإقبار.

حاله: عالم العصر، وبركة القطر، المتفنن الذي لم يسمح الزمان له بمثيل، بحر زخار تتلاطم أمواج تحقيقه، حافظ حجة، فرضي حيسوبي عروضي خطيب، جامع شتات الفضائل، مقرئ مجود صدر في القراءات متقن لها عارف بوجوهها وعللها، طيب النغمة، عذب المنطق، حسن الإيراد والتقرير، فصيح اللسان، عارف بصنعة التدريس، ممتع المجالسة، جميل الصحبة، سرى الهمة نقى الشيبة، حسن الأخلاق والهيئة، عذب الفكاهة، معظم عند الخاصة والعامة، نصوح، قائم بعلم التفسير والفقه والعربية والحديث حافظ له واقف على أحوال رجاله وطبقاتهم ضابط لذلك كله معتن به ذاكر للسير والمغازي والتاريخ والآداب.

رحل لفاس في طلب العلم قال عن نفسه: وأظن رحلتى سنة ثمان وخمسين وثمانمائة فأقمت بها ما شاء الله تعالى، ولقيت من الأشياخ بالمدينتين جماعة ذكرت مشاهيرهم في الفهرسة التي سميتها بالتعلل برسوم الإسناد، بعد

٢٠٦ - من مصادر ترجمته: جذوة الاقتباس ١/ ٣٢٠، دوحه الناشر في موسوعة أعلام

المغرب ٢/ ٨٣١.

انتقال أهل المنزل والناد، ثم عدت إلى مدينة مكناسة فأقامت بها بين أهلى وعشيرتى زمانا انتهى .

ولقد أنفق عمره فى طلب العلم والعكوف على نشره وتقييد شوارده .

ولى خطابة مكناسة الزيتون وتصدر للتدريس بجامعة الأعظم، ثم خطبة فاس الجديد لما نفى من بلده مكناسة على عهد محمد بن أبى زكرياء الوطاسى، قال فى درة الحجال فى ترجمة محمد بن يوسف التلافى: حدثنى أن ابن غازى لما نفى من مكناسة نفاه محمد بن أبى زكرياء بن يحيى بن عمر الوطاسى الملقب بالحلو لقيه بباب مكناسة وهو خارج منها قاصدا المشرق، أعنى كان فى ظنه ذلك، ثم حبسه أهل فاس عندهم فقال له يوصيه: يا محمد عليك بالقراءة فمن بركتها بلغت هذا المنصب، وهذه الخطة - يعنى خطة الجلوس لحراسة الأبواب - فكان ابن غازى يسلى نفسه بعد ذلك بقوله، وكان أمير فاس يومئذ محمد بن أبى زكرياء^(١) انتهى .

ثم لما انتقل لفاس واستوطنها رشح لخطبة فاس الجديد، ثم للخطابة والإمامة بجامعة القرويين والتدريس، ولم يكن فى عصره أخطب منه، وكان يسمع فى كل رمضان صحيح الإمام البخارى، رحل الناس للأخذ عنه وتنافسوا فيه، وتخرج عليه عامة طلبة فاس وغيرها، وكان شيخ الجماعة بها، وبالجملة فقد فاق أهل زمانه وتبرز عليهم فى سائر الفنون، وهو آخر المقرئين وخاتمة المحدثين .

جاهد بنفسه وحضر فيه مواقف عديدة، ورابط فيه مرات كثيرة، وخرج فى آخر عمره لقصر كتامة للحراسة فمرض ورجع لفاس فاستمر به إلى أن توفى .

وفى بذل المناصحة، فى فعل المصافحة، لأبى العباس أحمد بن على البوسعيدى أن المترجم كان متخذاً من يبحث له عن الأخبار الرائجة ويأتيه بها

(١) درة الحجال ٢/١٨٢ .

مكتوبة فى كرارىس كل يوم الأربعاء فى تصفحها يوم الخمىس يوم تعطىل الدروس انتهى .

مشىخته: منهم أبو عبد الله محمد بن قاسم القورى المكناسى لازم مجلس درسه فى المدونة أعواما، وسمع علىه كثرىا من الموطأ رواية يحيى بن يحيى اللبى، وسمع علىه السىر لابن إسحاق رواية عبد الملك بن هشام وتهذىبه بحثا وتفقهها، وسمع علىه بعض مدارك القاضى عىاض وبعض مختصر الجوزقى وبعض وثائق أبى القاسم الجزىرى، وبعض المختصر الخلىلى، وبعض المدونة زائدا على ما فى مجلس درسه العام، وسمع علىه أيضا تبجرا وتوسعا بعض التفسىر وبعض رسالة الشىخ ابن أبى زىد، وبعض المرادى على الألفية وغير ذلك .

ومنهم الشىخ النظار أبو العباس أحمد بن عمر المزجلى المتوفى بفاس عام أربعة وستىن وثمانائة قال: ما أدركنا بفاس أعلم منه بالمدونة، كانت نصب عىنيه يستظهر نصوصها ويسردها عند الحاجة سردا، وإذا قعد لإقراءتها تسمع منه السحر الحلال، ينقل علىها كلام شارحىها بالفاظهم بلا تكلف، ثم يكر على أبحاثهم فىبىن من أين أخذوها منها، ويقول: إنهم فهموها ففسروا بعضها وضربوا أولها بآخرها وآخرها بأولها، قال: ولم يكن يقرر فى مجلسه إلا الفقه الساذج، ولازمت مجلسه بمدرسة مصباح مدة، سمعت منه فىها بعض رزمة البىوع .

ومنهم الحافظ المكتر الخطىب أبو على الحسن ابن مندىل المغىلى المتوفى بفاس عام ثلاث وستىن وثمانائة، لازم مجلسه بجامع القروىىن مدة، سمع علىه فىها رسالة أبى محمد، قال: وسألته واستفدت منه .

ومنهم الولى الصالح أبو زىد عبد الرحمن بن أحمد بن أبى القاسم القرمونى القىسى المتوفى عام أربعة وستىن، قال: جالسته كثرىا واستفدت منه، وحضرت مجلسه بجامع القروىىن فى الرسالة .

ومنهم أبو زيد عبد الرحمن المجدولى المشهور بالتونسى، كان ربما حضر مجلسه واستفاد منه بعض الشيء، وكان مبرزا فى علم المعقول وعنه كان يؤخذ بفاس.

ومنهم أبو زيد عبد الرحمن الكاوانى دفين مكناسة، قرأ عليه الرسالة وختمتين فى فرائض التلقين تفقها وعملا، وبعض الألفية، وسمع عليه بعض المدونة وبعض تفريع ابن الجلاب، قال: وكان إماما فى أصول الدين فتح بصائرنا فيها وفى أصول الفقه.

ومنهم أبو الحسن بن منون الحسنى المكناسى ختم عليه ختمات كثيرة من القرآن العزيز، وتمرن عليه فى الفرائض والوثائق وإعراب القرآن العزيز وأوقافه، واستفاد منه كثيرا.

ومنهم أبو العباس أحمد بن سعيد الحباك المكناسى، قرأ عليه نحو ثلث شرح ابن عقيل تحقيقا وتدقيقا لا سيما شواهد الشعرية، وقرأ عليه نظمه لبيوع ابن جماعة قراءة تحقيق وتدقيق وبحث وتغلغل، كانت سببا فى رجوعه عن بعض أبيات الرجز المذكور تبديلها بغيرها، ولازم مجالسته واستفاد منه كثيرا.

ومنهم أبو عبد الله محمد بن الشيخ أبى عبد الله محمد بن جابر الغسانى الآتى قريبا المكناسى، جالسه بمكناسة واستفاد منه كثيرا، ومن أغبط ما أخذ عنه المصافحة المروية عن الخضر، قال: صافحنى بالمسجد الأعظم من مكناسة الزيتون، وقال: صافحنى والدى الأستاذ أبو عبد الله محمد بن يحيى بن محمد بن يحيى ابن جابر، وقال: صافحنى الشيخ الفقيه العالم الصالح الزاهد الأكمل أبو عبد الله محمد بن على المراكشى المعروف بابن عليوات بيده المباركة، وأمرنى أن أشد على يده، وقال لى: إن معنى ذلك الاشتداد فى الدين فشددت وذلك بالجامع الأعظم من مدينة مكناسة حرسها الله تعالى فى أوائل عام اثنين وثمانائة، وأخبر أنه

صافحه كذلك أبو عبد الإله الصدفى، وصافح أبا عبد الإله الصدفى أبو العباس ابن البناء، وصافح أبا العباس ولى الله تعالى أبو عبد الله الهزميرى أخو ابن أبى زيد الهزميرى وشيخه، وصافح الهزميرى أبو العباس الخضر. وصافح الخضر سيدنا ونبينا محمد ﷺ وشرف وكرم ومجد وعظم.

وكذلك صافحنى الشيخ العدل المبارك أبو خالد يحيى بن خالد بن أبى بكر ابن يحيى بن خالد، قال: صافحنى والدى المذكور، والشيخ الفقيه المفتى أبو محمد عبد الله بن محمد بن موسى بن معطى العيدروسى، قال: صافحنى الأستاذ أبو عبد الله بن جابر المذكور بمثل السند المذكور انتهى من خطه.

ومنهم العلامة أبو عبد الله محمد بن الحسين بن محمد بن حمامة الأوربى النيجى الشهير بالصغير، المولود بالحر من بلاد نيجة بطن من أوربة عام ثلاثة وثمانمئة، المتوفى بفاس ليلة سادس شعبان عام سبعة وثمانين وثمانمئة، وكان متبحرا فى القراءات وأحكامها، وبلغ فى النحو مبلغا لم يصل إليه أحد من أتراه ولا من أشياخه، لازمه كثيرا وقرأ عليه القرآن ثلاث ختمات آخرها للقراءة السبعة على طريقة الدانى، وحدثه بذلك عن شيخه أبى العباس أحمد بن عبد الله بن محمد بن أبى موسى الشهير بالفلالى، وأبى الحسن على بن أحمد الورتناجى الشهير بالوهرى، وأخذ عنه بحثا وتدقيقا لامية الأفعال وبعض كتاب سيبويه، وإيضاح أبى على، والتسهيل، والمغنى، والبداية والهداية للغزالي وغيرها، وروى عنه بعض المصنفات فى القراءات والفقه والحديث بأسانيده إلى أربابها.

ومنهم أبو الحسن الأنفاسى، وأبو سالم إبراهيم المعروف بالحاج من شيوخ فاس المهرة، وكانا من شيوخ شيخه الصغير المذكور، قال: وقد شاركته فى لقاء هذين الأخيرين - يعنيهما - وحضرت مجلسيهما.

ومنهم القاضي أبو محمد عبد الله بن عبد الواحد الورياجلي قال: جالسته وذاكرته كثيرا واستفدت منه كثيرا في الفقه وأصوله وأصول الدين، وأجازني متلفظا وخاطا جميع ما حملة عن شيوخه، وكان ذلك في ربيع الثاني عام ستة وثمانين وثمانمائة.

ومنهم الفقيه الصالح الورع أبو عبد الله محمد بن يحيى البادسي، قال: جالسته كثيرا وصاحبته في السفر مرارا، واجتمعت معه ومع غيره على قراءة جمع الجوامع لابن السبكي تفقها وبحثا، وعلى المذاكرة في العلم، ثم ذكر أنه أجازته فيما يرويه عن شيخه الصالح المؤلف عبد الرحمن بن مخلوف الثعالبي، وهو يروي عن أبي زرعة بن الحافظ العراقي.

ومنهم الأستاذ المحقق أبو الفرج محمد بن محمد بن موسى بن أحمد الطنجي قال: جالسته كثيرا للمذاكرة واجتمعنا بجامع القرويين عمره الله تعالى على قراءة صحيح البخاري حتى ختمناه تحقيقًا وبحثًا، ومطالعة لما نحتاج إليه من الغريب ونحوه، وذكر أنه قرأ عليه بعضه وبعض مسلم وأجازته في سائرهما، وقرأ عليه فهرسة أبي شامل الشهنوي، وفرغ من ذلك كله بفاس في محرم عام ستة وسبعين وثمانمائة.

ومنهم الفقيه أبو عبد الله بن العلامة الراوية أبي سعيد بن أبي محمد عبد الله بن أبي سعيد السلوي شيخه الطنجي المذكور قال: أدركته وجالسته ولكن ما كتب لي أن أروي عنه إلا بواسطة هذا الشيخ، وبواسطة شيخنا أبي عبد الله الصغير.

ومنهم الشيخ المبارك أبو عبد الله محمد بن أبي القاسم محمد بن يحيى بن أحمد بن محمد النفزي الحميري الشهير بالسراج، يروي عنه بالإجازة العامة عام ستة وسبعين وثمانمائة عن أبيه عن جده مسند فاس أبي زكريا المذكور.

ومنهم المحدث الرحال أبو محمد عبد القادر زين الدين بن عبد الوهاب بن أحمد البكرى المقدسى الشامى المولد المتوفى ببلاد مزاورة البربر، كان قدم المغرب سنة ثمانين وثمانمائة، قال: فجالسته وذاكرته فى الفقه وغيره وربما كنت أذكر مذهب مالك فى الفرع ويذكر فيه مذهب الشافعى، وربما يملى فى ذلك نص المنهاج، وكان مستحضرا له واستفاد بعضنا من بعض فوائده، وكان له نظر فى الحساب فاستجازنى فى الرجز الذى لفقته فيه المسمى بمنية الحساب فأجزتها له، وحمل منها نسخة بخطى واستجزته فيما حمله عن لقى بالعراق والحجاز والشام ومصر فأجاز لى جميع ذلك إجازة عامة.

ومنهم الحافظان المصريان: أبو عمرو عثمان الديمى، وأبو عبد الله محمد ابن عبد الرحمن السخاوى، حصل على إجازتيهما عام خمسة وثمانين وثمانمائة بواسطة الشيخ زروق الذى استدعى الإجازة منهما لصاحب الترجمة ولولده أحمد، وللشاه: عيسى الماوسى، وأحمد بن يحيى الونشريشى، وموسى العقدى، وقاضى الجماعة محمد بن محمد بن عيسى بن علال المصمودى.

ومنهم الراوية المحدث المتفنن أبو عبد الله محمد بن شيخ الإسلام أبى عبد الله محمد بن أحمد بن محمد بن محمد بن أبى بكر بن مرزوق العجيسى، يروى عنه هو وولده أحمد بطريق الإجازة العامة التى بعثها إليهما متلفظا بذلك وأمرأ لتعذر بصره بكتابه.

الأخذون عنه: ممن أخذ عنه العباس الصغير، ومحمد بن على الحسنى التلمسانى شارح الشفا، أخذ عنه سنة ثلاثة عشر وتسعمائة كما صرح بذلك صدر شرحه للشفا، وأحمد الدقون، والمفتى على بن هارون، وأحمد باب التنبكتى،

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ مُحَمَّدٌ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سَيِّدَنَا مُحَمَّدٌ الرَّحِيمُ
يُفَسِّرُ الْعَبْدَ الْفَقِيرَ الْوَرَجَةَ مُحَمَّدَ الْفَتَى بِهِ
عَنْ مُحَمَّدٍ مُحَمَّدٍ مُحَمَّدٍ مُحَمَّدٍ مُحَمَّدٍ مُحَمَّدٍ مُحَمَّدٍ مُحَمَّدٍ مُحَمَّدٍ مُحَمَّدٍ
الْعَمَلُ فِي الْمَكْتَابِ نَزَلَ بِإِذْنِ اللَّهِ تَعَالَى رَسْمًا لَهُ
الْحَوْلُ سَعْيَانَهُ حَوْزًا وَالضَّلَاةُ وَالصَّلَامُ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ زَيْدٍ
رَعِيدًا وَعَلَى اللَّهِ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ وَالْمُفْتَنِينَ بِهِ مِنْ بَعْدِهِ أَمَّا بَعْدُ فَغَدَا
الْبَيْتُ مِنْ مَدِينَةِ تَلَمَّسَ أَيْتِمًا اللَّهُ تَعَالَى أَرْبَعَةَ كَتَبَ فِي الْمَكْتَابِ
فِي أَوَّلِ مَنْ تَلَمَّسَ الْفَقِيرَ الْمُتَعَبِّزَ الْمَشَارِكِ الْحِجَّةَ الْجَامِعِ الْفَتَى
النَّاشِرَ النَّاسِخَ الْبَلِيغَ الْمَلُومَ الْمَلُومَ فِي الْأَكْبَادِ جَعَلَ اللَّهُ فِي عَمَلِهِ
بِرَّ الْجَمِيلَ فِي أَوَّلِ الْبَلَوِ أَيْضًا اللَّهُ تَعَالَى بِرُكْنِهِ وَفَضْلِهِ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَا يُرَادُ
الْحَدِيثُ وَرَبِّهِ دَرَجَاتُ حَمَلَةَ السَّنَةِ مِنْ رِبَاةِ الْحَدِيثِ وَجَعَلَ اللَّهُ
اجْتِمَاعَهُ عَلَى الْفَرِيدِ لِلذَّبِّ عَنْ حَوَازَةِ الْأَنْزِيمِ وَجَعَلَ اللَّهُ فِي عَمَلِهِ
مَلُومًا لِكَيْ لَا تَحْتَمِلَهُ الرُّسُومُ وَالْعَمَلُ الْوَجُودُ بِالْمَعْرِفَةِ وَالْمَعْلُومِ
بِالْمَعْرُومِ وَالْمَلَامَتَانِ الْعَلِيْبِ مِنَ الْحَدِيثِ وَلَا الْعُرُودَةَ الْوَقْفِيَّةَ مِنَ الْعَمَلِ
الْوَاهِبِ الرَّثِيْبِ وَعَلَى مَنْ تَحَطَّرَ وَتَطَاوَرَتْ بِسُلْخَةِ الْتَلَفِ عَنْهُ بِاللَّحْظِ
مِنْ ذَلِكَ وَقَطَعَ عِزَّ الْعَطْلِ لِمَنْ لَيْسَ لَهُ الْبَيْتُ وَتَلَقَّتْ كَلَامَهُمَا

إجازة الشيخ ابن غازي لأولاده وغيرهم بخطه

وعبد الواحد الونشريسي، ومحمد بن شقرون بن أبي جمعة المغراوي ثم الوهراني المتوفى في حدود تسع وعشرين وتسعمائة، وأبو عبد الله محمد بن عدة الأندلسي المتوفى سنة خمس وسبعين وتسعمائة على ما في لقط الفرائد في خلق لا يحصون.

وقد وقفت على إجازته لولديه أحمد ومحمد والونشريسي وابن هارون والإخوة محمد وعبد الرحمن، وأحمد أولاد محمد بن إبراهيم الدكالي ومحمد ابن عبد الواحد الغزال بخطه على ظهر فهرسته التي بخطه.

مؤلفاته: منها شفاء الغليل، في حل مقفل خليل، في جزء أوضح فيه هفوات وقعت لبهرام ومواقع مشكلة من المختصر أجاد فيها ما شاء من أحسن الموضوعات عليه، وتكميل التقييد وتحليل التعقيد، على المدونة كمل به تقييد أبي الحسن الزرويلي، وحل مشكل كلام ابن عرفة في مختصره في ثلاثة أسفار كبار. وحاشية لطيفة على الألفية مفيدة نبه فيها على مواضع من كلام المرادى مع نقل زوائد الإمام الشاطبي وتحقيقاته العجيبة وهي بخزانتى، ومنية الحساب وشرحها المسمى بغية الطلاب في مجلد مطبوع متداول، وذيل الخزرجية في العروض وشرحه المسمى بإمداد أبحر القصيد ببحرى أهل التوليد، وإيناس الإقعاد والتجريد بجنسهما من الشريد، ونظم مشكلات الرسالة، وحاشية لطيفة على البخارى في نحو أربعة كراريس، وإنشاد الشريد في ضوال القصيد، تكلم فيه على الشاطبية، والمطلب الكلى، في محادثة الإمام القلى، والجامع المستوفى، بجداول الخوفى، والمسائل الحسان، المرفوعة إلى حبر فاس والجزائر وتلمسان، ونظم مراحل الحجاز، وشرحه. ومؤلف صغير في ماحيا^(١) سماه مذاكرة ابن إسحاق بن يحيى. وإسعاف

(١) في هامش المطبوع: يعنى الخمر المقطر من التين غالبا كان اليهود يتجرون فى ذلك بكثرة، أما اليوم فقد قل ذلك جدا لمقاومة الحكومة لهم ولاتفاق الأطباء على ضرر ذلك بالصحة العامة.

السائل فى تحرير المقاتل والدلائل، ونظم فواصل المقال وشرحه، واستنبط من حديث أبى عمير ما فعل النغير مائتى فائدة وترجمها، قال فى نيل الابتهاج: وقد وقفت على التراجم، والروض الهمتون، فى أخبار مكناسة الزيتون، وفهرسة شيوخه المسماة بالتعلل برسوم الإسناد، بعد انتقال أهل المنزل والناد، وذيلها الذى ذكر فيه إجازة ابن مرزوق له والثلاثة توجد بخطه فى خزانتنا فى مجلد فرغ من الفهرسة أواسط شعبان عام ستة وتسعين وثمانمائة وفرغ من ذيلها عام خمسة وتسعمائة وكان يكتب التسعمائة والثمانمائة مفسولتين.

ومن مؤلفاته كليات فقهية على مذهب المالكية مرتبة على الأبواب قال أولها: وكان سبب جمعنا لها إقامتنا فى بعض الأيام بطريق تامسنا حين توجهنا للقاء مع الشاوية حين طلبوا على ذلك فى أوائل عام ثلاثة وتسعين وثمانمائة وهى مطبوعة.

شعره: له مقطعات منتشرة ضمنها فوائد فقهية وفرائد تاريخية من ذلك قوله لما نفى من مكناسة:

طلقت مكناسة ثلاثا	والشرع يأبى الرجوع فيه
ليست بدار سوى لقاض	أو عامل الجور أو سفية

وقوله:

السمن والزبد والأجبان مع أقط	لا تبتعن بعضها بالبعض إذ منعنا
والجبن إن بعته بالمثل من أقط	فلا يراه أبو إسحاق ممتعا

وله أيضا فى حل الأعداد التى أيمتها التى تركب منها:

إذا عدد قد حل سفر بعده	فعشر له والخمس والنصف فى الطبع
------------------------	--------------------------------

بتسع فذو ثلث وسدس وذو تسع
أخو الثلث مع سدس وإلا فبالشفع
وإن أربع تبقى فليس سوى الربع
فنصف له فى الزوج أولى فذو سبع
أخو الثلث مع تسع ولا وجه للمنع
فثلث وإلا السبع إن يفن بالسبع
من الصم لا يخلو من الأصل أو فرع
وأزكى صلاة تأتي بالخير والنفع
وعترته والتابعين ذوى الرفع

وإن خمسة فالخمس والزوج إن يفد
وإن تبقى ست أو ثلاث فإنه
ثمان فإن أفنت بثمن وضعفه
وإن غيرها فاطرح بسبع فإن أبى
وفرداً إذا يفنى بتسع فإنه
وإن تبقى منه ستة أو ثلاثة
وإلا أصم خالص أو مركب
وقد كملت والحمد لله وحده
على المصطفى المبعوث من آل هاشم
ومما ينسب إليه :

أعلم أبناءها ما الكلام
على به بخلوا والسلام

أقمت بمكناسة مدة
فلما توهمه بعضهم

ولادته: ولد بمكناسة الزيتون عام ثمانية وخمسين وثمانمائة وهو خلاف ما
قال الشيخ المنجور على ما فى كفاية المحتاج من أنها عام واحد وأربعين وثمانمائة.
وفاته: توفى بفاس إثر صلاة الظهر يوم الأربعاء تاسع جمادى الأولى سنة
تسع عشرة وتسعمائة، ودفن من غده الذى هو يوم الخميس كما بكناشة الوزير
اليحمدي، واحتفل بجنائزته احتفالا عظيما، وحضر السلطان ورجوه دولته فمن
دونه، وتبعه ثناء حسن جميل ودفن فى عدوة الأندلس من فاس برد الله ثراه
ورضى عنه.

٢٠٧ - محمد فتحا بن عيسى الفهّدى - بفتح الفاء وسكون الهاء وبعدها
دال مهملة - السفينانى الأصل ثم المختارى النشأة المكناسى الدار
والإقبار.

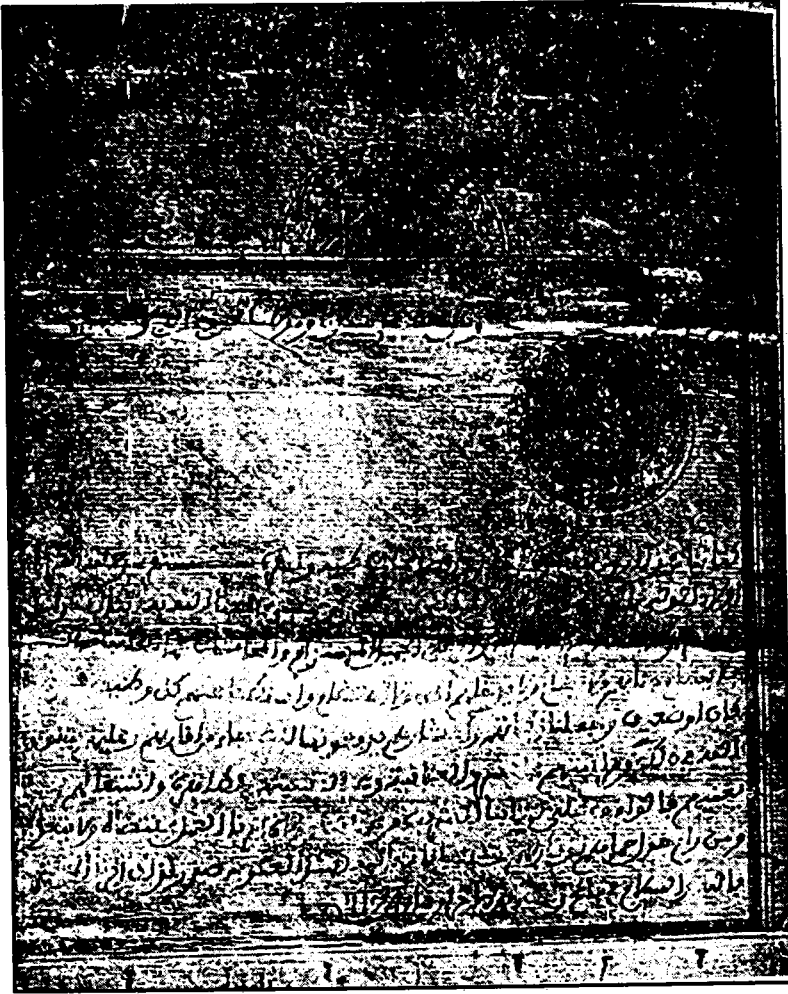
حاله: من فحول المشايخ الدالين على الله، من أجل من يهتدى بهديهم
ويقتدى بأقوالهم وأفعالهم، مرب عارف بالله تعالى، مورد المريدين، ومفيد
المسترشدين، جليل المقدار، صاحب أذواق ربانية، وإفادات عرفانية، طريقه تتبع
العمل بالعلم، ومقامه فى مشاهدة الوسطة مشهد الروح، واقف فى مقام هبة
الجلال، مفارق سره عالم الخلق، مستوطن عالم الأمر تبعاً لمشهوده، وهو روحه
ﷺ فليس له مع غير الله قرار، ولا عما سوى الله أخبار.

نقل عنه أنه كان يقول: كيف تشرق ذات بأنوار النبى ﷺ ولم تفعل ما
كانت تفعله الذات الشريفة، وأنه كثيراً ما كان يقول: السنة تجمعنا والبدعة تفرقنا،
وأن من الشروط عنده على المرید فى تلقين ورده امتثال المأمورات، واجتناب
المنهيات، والمحافظة على الصلوات، ومراقبة الله تعالى فى جميع الأوقات،
والصمت والمحبة والصبر والعزلة والحنانة والرافة، وأن يرى جميع معاملة الإخوان
معه من الله.

ويقول فى حق المبطلين: يريدون الياقوت بالضرب فى الحديد، ويريدون
مقام الرجال، بأعمال الجهال، ويريدون أحوال الأبرار، بأعمال الفجار، وما أفلح
من أفلح إلا بمجالسة من أفلح، ومخالطة الخواص تكسب ثلاث خصال: العلم
وصفاء القلب، وسلامة الصدر والعكس بالعكس.

والصدق مع الله نور والمعرفة برهان، والالتفات إلى غيره بهتان، وإضاعة
حقوقه كفران، والغفلة عن ذكره خسران، إلى غير هذا.

٢٧٠ - من مصادر ترجمته: دوحة الناشر فى الموسوعة ٨٤٨/٢.



ظهیر السلطان سیدی محمد بن عبد الله لأولاد الشيخ الكامل سیدی

محمد بن عیسی

ولد ونشأ في مختار فرقة من قبيلة بنى حسن الشهيرة، ثم دخل فاسا فقراً ما تيسر من القرآن، ورجع إلى قبيلة سفيان، ثم رحل لمكناسة الزيتون آخر عمره واستوطنها، وقد وقفت على ظهير سلطاني أصدره السلطان أبو عبد الله محمد بن عبد الله العلوي لأولاد المترجم صرح فيه بثبوت شرفهم، وإليك لفظه بعد الحمدلة والصلاة والطابع:

«كتابنا هذا أيد الله أمره، وخلد في الصالحات طيه ونشره، يستقر بيد حملته الشرفاء أولاد الولي الصالح، والبرهان الواضح، سيدى محمد بن عيسى نفعنا الله به أننا أسدكنا عليهم أودية التوقير والاحترام، والرعى الجميل المستدام، والمحاشات عما تطالب به العوام، فلا يسام جنابهم ولا يضام، ولا يدخلهم أذى ولا اهتضام، وأسقطنا عنهم كل وظيف، قوى كان أو ضعيف، وجعلنا زكاتهم وأعشارهم يدفعونها للضعفاء من أقاربهم وعليهم بتقوى الله فى ذلك ومراقبته فى السر والعلانية رعيًا لنسبتهم الطاهرة، واشتغالهم بما يعينهم، فالواقف على كتابنا الشريف من عمالنا وولادة أمرنا العمل بمقتضاه ولا يتعداه، ومن رام حول حماهم أو قاربهم بشيء فإننا نعاقبه أشد العقوبة، صدر بذلك أمرنا المعتز بالله والسلام فى فاتح رجب الفرد الحرام عام ١١٧٤».

ولم أر من تعرض لرفع نسب الشيخ المترجم غير صاحب سلوك الطريق الوارية والوُلف المنسوب للغزال.

هذا وقد قال فى ابتهاج القلوب نقلًا عن ابن عسكر فى دوحته ما لفظه: سمعت بالتواتر من أهل مكناسة أيام سكنائى بها كرامات كثيرة يتحدثون بها عن الشيخ وكان تلميذه شيخنا أبو الحجاج بن مهدى يقول: سيدى ابن عيسى هو الإكسير الذى لا نظير له، ولقد حضرت عنده يوماً وقد جاءه تلميذه الشيخ أبو الرواين وقال له يا سيدى: إنى جعلت زمام نفسى بيدك وقد شغفت بحب النساء، فإن لم تكن لك عناية ربانية فصاحبك يعصى الله تعالى فى هذه الليلة يعنى

نفسه، ووالله حتى أفعل فقال الشيخ: اذهب وافعل ما شئت فإن الله قادر على أن لا تفعل، ولن تستطيع ولو أردت بعناية الله سبحانه. قال فلما كان من الغد جاء أبو الرواين وهو فى غاية الضعف ووجهه مصفر فقلنا له: مالك هكذا؟ فقال شاهدت العجب البارحة، فقلنا له: وما ذاك؟ قال: ذهبت إلى امرأة عربية وتكلمت معها أن تبيت عندى لما سبق من يمينى بالأمس فأنت. فما كان إلا أن وصلتها^(١) وهممت بمواقعتها، فإذا أنا كالمفلوج لا أستطيع تحريك عضو من أعضائى فبقيت مستلقيا على ظهري كالميت لا أقدر على نطق ولا حركة، حتى طلع الفجر فسمعت صوت الشيخ وهو يقول: أتتوب إلى الله يا أبا الرواين؟ فقلت: بصوت خفى: أنا تائب لله، فقال: قم إلى صلاة الصبح، فنهضت فإذا أنا قائم كأنما نشطت من عقال، فلما دخلت على الشيخ قال: يا أبا الرواين ما فعلت؟ فقلت: يا سيدى من يكون فى رعاية مثلك لا يخشى على نفسه غواية، فقال: الحمد لله على تأييده ورحمته. ثم قال لنا أبو الرواين: من لم يوكل على نفسه مثل هذا الشيخ فهو فى غرر، فقضينا من الأمر العجب وسمعت الشيخ بصرى يقول: ثلاثة مشايخ لم يكن لهم نظير بالمغرب: السيد ابن عيسى، والسيد أبو محمد الغزوانى، والسيد أبو محمد الهبلى^(٢).

قال: وكثيرا ما ينتسب إلى الشيخ ابن عيسى أقوام يهتكون أسرار الشريعة، ويحلون المحرمات ويظهرون أفعالا لا تشبه خرق العادات، ويدعون أن ذلك مما خصهم به من البركات، وحاشاهم من ذلك إنما هم زنادقة أو مبتدعة، وكثير منهم يمر بالأسواق يخطفون الصابون وغيره، فيأكله ولا يرى تضررا بذلك، ويدخلون بيوت النار ولا يتضررون، ويشيرون بالهتك والبعج وغير ذلك.

(١) فى المطبوع: «وصلت إلى» والمثبت من دوحة الناشر التى ينقل عنها المصنف.

(٢) الخبر بطوله فى دوحة الناشر ٨٤٨/٢ من الموسوعة.

والحق أن ذلك من الخيل كما شاهدناه من بعضهم، وصدقنا في أصل فعله، وذلك أنهم يأخذون الشرناك وهى شجرة معروفة فيسمونها البللع، وإذا أكلتها البقر ماتت من ساعتها، ولا يضر غيرها من الحيوان، وإذا قطعت عروقتها يخرج منها ماء أحمر كالدّم فيتبعون عروقتها بالحفر احترازا من تجريحها ولا يحسونها باليد لكن بخرقه كتان نقيه، ويجعلونها في العسل سبعة أيام حول مستوقد النار، ثم يفظرون عليه أو يضعونه تحت لسانهم، ثم يقع لهم شبه السكر فيشبون من المواضع العالية، ويشيرون بالبعج ويدخلون الأفران إلى غير ذلك.

وغاية هذا، التحريم لإدخاله الضرر على العقل، فضلا عما بينون عليه من ادعاء خرق العادة والتصرف في أموال الناس ويتحاشى جانب الأولياء عن هذا ومثله. انتهى.

قلت: جل من يتمى لهذا الشيخ وأمثاله في كل بلد رعا ع لا همة لهم في تحل ولا تخل، ولا رغبة لهم في حق ولا حقيقة، بل لا يهتدون إلى ذلك سبيلا، ولا يطلبون عليه دليلا، وحسبهم تقليد اللاحق منهم للسابق، فيما هو عليه من ذميم الأفعال والطرائق، وهذا النوع هو الغالب في الوجود في كل زمان ومكان، ولذلك انتشرت بدعهم وتكاثرت أتباعهم وهم مع كونهم عميت عليهم الأنبياء، إن أرشدتهم طعنوا فيك وقابلوا نصحك بالإباء، وما أحسن قول مخلص ودنا الفقيه أبي العباس أحمد الزياتي:

عجبا للعيساويين وما قد	نسبوه إلى ابن عيسى الولي
نسبوه إلى الضلال وظنوا	أن ذاك الضلال هدى النبي
زعمهم يحسنون صنعا وهم من	أخسر الناس صفقة يا أخي
جلبوا كل بدعة وذميم	وتساموا لكل شر وغي

شأن كل معاند أو غوى	تركوا الدين والصلاة جهارا
عمروه بكل فحش جلى	عطلوا كل مسجد عن صلاة
عانقوا كل خودة وصبي	وبه رقصوا بدون حياء
فرسوها افتراس كلب ضرى	أكلوا الميت والدماء وهى رجس
أن يضاف إليك كل دنى	سودوا وجهك ابن عيسى وحاشا
ما أشرت بذات الضلال الجلى	إيه والله ما أمرت ولا يو
تخجل الميت لو رآها كحى	بل ولو كنت قد رأيت فعلا
واقنيت بقول عيسى الصفى (١)	لتبرات منهم دون رب

ولعراقتهم فى الجهل والغباوة لم يعلموا أن المشايخ الصوفية أهل الحنيفة السمحة بنوا نحلتهم على أصول أصيلة فى نظر الشارع، منها متابعة النبى ﷺ فى الأقوال والأفعال، ومراقبة الله تعالى فى سائر الأحوال، وأكل الحلال والقيام بواجب الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر، وأن مقصودهم من تأسيس الطرق يدور على أمور جاءت الشريعة بتأييدها والحض عليها، منها بث روح الاتحاد فى نفوس الأمة وجمع كلمتها صونا لها عن الوقوع فى مهواة التفريق، ومنها السير بالأمة على المنهج السوى والصرراط القويم القوى.

ومنها الاجتماع على ذكر الله تعالى على الكيفية الواردة على لسان الشارع. ومنها الاجتماع على مدارس القرآن والمذاكرة فى معانيه والخوض فى عباب معارفه وعوارفه، ولطائفه وطرائفه، والنظر فى شئون الإصلاح الظاهرى والباطنى

(١) فى هامش المطبوع: «يشير لقوله تعالى حكاية عن ابن مريم سبحانه ما يكون لى أن أقول ما ليس لى بحق الآية.

العامه الهامة وملافاة ما أصاب القلوب من الرعونات والأدواء خوفا من أن يتشتر
الداء، ويعز الدواء، نظر الناقد البصير فإن وجدوا خيرا حمدوا الله وحضوا على
ملازمته واعتناقه بكلتى اليدين، وإن وجدوا شرا سعوا فى علاجه خوفا من أن
تتشتر العدوى، وتعم البلوى، ولا تنفع الشكوى، ولا تسمع الدعوى.

ومنها الاجتماع لما فيه صلاح وتقوية للرابطة الإسلامية وتصفية القلوب
بالأدوية النافعة الناجحة المنورة للسرائر والضمائر، المخلصة من الوقوع فى شبكة
النفس والشيطان والهوى، المنجية من تليس إبليس، وتحبب العمل وحمل النفوس
عليه حتى تكون دائبة على العمل صابرة عليه ولا تألف الكسل، ولا تميل للراحة
فتخلد إلى أرض البطالة والتوانى فتخور عزائمها وتسفل هممها وتهلك مع
الهالكين.

ولكن بالأسى والأسف أبى زاعمو أتباع أولئك المشايخ المصلحين إلا أن
يخرجوا عن الخطة المثلى التى رسموها لهم، ويحيدوا عن سننهم القويم، ولسنا
نشك ولا يشك كل مؤمن صحيح الإيمان أنه لو قدر ظهور أولئك الشيوخ
المتبوعين اليوم، ورأوا ما عليه هؤلاء الذين يزعمون أنهم من أتباعهم من اختلاط
النساء بالرجال، والتلطىخ بالدم المسفوح والشطح والردح وضرب الرؤوس،
بالمعاول والفتوس، وتضييع الصلوات، واعتقاد ذلك دينا من أعظم القربات،
وتشويه وجه الإسلام والمسلمين بذلك، لتبرءوا منهم براءة الذئب من دم يوسف
عليه السلام، ولفوقوا إليهم سهام المؤاخذة والملام.

فإن قلت: فيها نحن بين ظهرانينا علماء الإسلام وهم مقرون لذلك ونجد
بعضهم أكثرين لسوادهم فى مجتمعاتهم ومواسمهم متبركين بهم ملتسبين لصالح
دعواتهم، قلنا: أما السكوت المضاف لمن هو من أهل العلم الحقيقى فعنه جوابان:
أحدهما أنهم إن سكتوا فلعلمهم بأن كون تلك الأفعال الشنيعة من المناكر المباينة

لخصال الإسلام صار ضروريا في الدين بمنزلة الزنى والسرقه وشرب الخمر. وكتب الإسلام، ودواوينه الفخام، أتت من بيان ذلك على غاية ما يرام، حتى اشترك في معرفته الخاص والعام، وسأوى العلماء في معرفة حرمة وقبحه الغوغاء والعوام، ومثل ذلك يستغنى عن تكرار التنبيه عليه في كل مقام، ولا سيما عند مشاهدة امتلاء الوجود بالشح المطاع والهوى المتبع، وإعجاب كل ذى رأى برأيه فإن هذا إذا وقع ولسنا نشك في وقوعه منذ زمن طويل، قد رخص لنا الشارع عنده أن يكون كل واحد منا مقتصرًا على النظر في صلاح خويصة نفسه كما جاء به الحديث الشريف، ولذلك طالما حض الراسخون من متأخري علمائنا على ترك التعرض للإنكار في العموم.

ثانيهما: أنا لا نسلم سكوتهم وكيف يصح أن يضاف السكوت لهم عن ذلك جملة وهم في كل زمن وفي كل بلاد عاكفون على دروس دواوين الإسلام وإيضاح ما فيها من خاص أو عام في مجالسهم العمومية، وفي خطب مواسمهم وأعيادهم، فيقرعون بإيضاح ما فيها آذان العموم، ومن جملة ما فيها بيان كل محرم مذموم، وكل فعل صاحبه ملوم، ومنه مناولة الدم المسفوح، وتعريض النفس للتهلكة، وتضييع الصلوات، وتحريم التلبيس والغش والخديعة وغير ذلك مما استوعبته الشريعة.

فالذام لأهل العلم العلم الحقيقي بإضافة مثل ذلك السكوت إليهم هو المذموم، أوقعه في ذلك شدة غباوته وجهالته وفساد تصوره وذهوله عما يقرع آذانه في كل جمعة وعيد وموسم، وعما يلقي إلى العموم دائما في الدروس الدينية ولكن.

لقد أسمعت لو ناديت حيا ولكن لا حياة لمن تنادي

وأما من يكثر سواد أولئك الجهلة الضلال، أو يلتمس بركتهم ممن ينسب نفسه إلى علم، فذاك من شواهد عدم علمه، وكيف ومن العلم الحقيقي معرفة أن البركة إنما تلمس من المهتدين والتنفير من تكثير سواد الضالين، وقد بين النبي ﷺ ما أنزل من الذكر الحكيم إليه، وشرح لنا فيه طريق الرشد وطريق الضلال، وتركنا على محجة بيضاء ليلها كنهارها لا يزيغ عنها إلا هالك، وقام بإيضاح ذلك علماء الملة وأعلامها بعده حتى بلغ الأمر من ذلك غايته وحده، فعمل من يتعود الجريان على ما يخالف مقتضى العلم ولا يرعوى عن ذلك، هو جهل في الحقيقة لأنه إن كان يعتقد الحرام ومع ذلك يفعله ولا يقلع عنه فقد قال غير واحد من الراسخين في العلم يهتف العلم بالعمل، فإن أجاز وإلا ارتحل.

وقد جزم القسطلاني في مقدمة إرشاده بأن ما يحمله الفساق ليس بعلم على الحقيقة، ولذلك علل المولى سعد الدين قول التخليص وقد ينزل العالم منزلة الجاهل به بقوله لعدم جريانه على موجب العلم نعم القادح في العلم هو الذي تعود مناقبة مقتضاه من غير إقلاع ولا توبة، أما صدور ذلك من عالم على سبيل الزلة والفلتة ثم إقلاعه عن ذلك وندمه عليه فهذا غير قادح في علمه، لأنه غير معصوم.

وقد قيل للجنييد: أيزنى العارف؟ فقال: وكان أمر الله قدراً مقدوراً، وشاهده أن بعض الصحابة لما لعن بحضرة النبي ﷺ شخصاً ارتكب موجب حد وأقامه عليه السلام عليه نهاه النبي ﷺ عن ذلك وقال له: لا تلعه فإنه يحب الله ورسوله انتهى.

فأثبت ﷺ لهذا العاصي محبة الله ورسوله مع عصيانه لهما في بعض ما نهياه عنه، وكيف تكون زلة العالم قاذحة وهو بالعلم عرف قبح ما وقع فيه

وبجريانه على مقتضاه بادر إلى الإقلاع والإصلاح لما فسد فكان بذلك من العلماء الذين عملوا بعلمهم.

ثم اعلم أن وقوع المعاصي في الوجود لا يعد وصمة في علم العلماء وفضلاء الفضلاء إلا أخرج عريق الجهالة، فإن الله سبحانه من غناه عن العالمين وأعمالهم قدر المعاصي كما قدر الحسنات، وخلق الدارين دار الإكرام ودار الانتقام، وخلق لكل بنين يعمرونها، وقال لخلقهم: اعملوا فكل ميسر لما خلق له، فلا بد من وقوع الأمرين، وامتلاء الوجود بالفعلين، ولذلك كانت تقع المخالفات والمعاصي قيد حياته ﷺ المتعارفة ومن صحبه الكرام.

فكان منهم من سرق فقطعت يده، ومن زنى فرجم، ومن شرب الخمر فحد ومن غل ومن خان إلى غير ذلك مما تكفلت بنقله كتب السنة والسير.

وقد علم أنه هو ﷺ وصحبه الكرام وزمنهم هو الطبقة العليا في الكمال، ولم يمنع ذلك من صدور المعاصي وقتئذ كما لم يقدح ذلك في علم الصحابة ولا في عملهم، إذا هم أهل العلم والعمل بالإجماع، وسر ذلك ما تقدم من أن المعاصي سبق القضاء بوجودها، فليس في طوق أحد محو ما سبق به القضاء، ثم المضر هو الإصرار عليها وعدم التوبة منها، وهم رضى الله عنهم ما كانوا يصرون على ما يقعون فيه من ذلك بل كانوا يسرعون إلى الإنابة، ولو أتت على نفوسهم.

ولا شك أن التوبة وعدم الإصرار هو من جملة العمل بالعلم، والعصمة لا تشترط قطعاً فقد قال الله تعالى: ﴿... إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ... ﴾ [البقرة: ٢٢٢]، وهل تكون التوبة إلا من ذنب! وفي الحديث لو لم تذبوا لذهب الله بكم ولجاء بقوم يذنبون فيستغفرون فيغفر لهم، أخرجهم مسلم عن أبي هريرة، فمن يجعل مجرد جريان المعاصي في الوجود أو وقوعها فلتة من بعض العلماء مع قيامهم بالشرح والبيان في كل موطن قد حافى علم العلماء وفضل الفضلاء فهو

ضال، حقيق بكل نكال، وقد بالغ أئمة التحقيق من المتأخرين فى رد قول الحكم العلم إن قارنته الخشية فلك وإلا فعليك، وقالوا: إنه من تخليط مقام البداية بالنهاية، وذلك أقرب إلى الضلال من الهداية.

ومن قرر ذلك وحرره المواق فى سنن المهتدين، وابن زكرى، والشيخ جوس فى شرح الحكم، فهذا وفقك الله هو القسطاس الذى يزن به من وقع فى الإنكار على العلماء لا ما تسوله النفوس وتوحيه شياطين الجن إلى شياطين الإنس.

وأما ما سبق عن ابتهاج القلوب من قوة هؤلاء الضالين على الأفعال التى سبق وصفه إياها هى بحيلة عمل الشرّ ذاك، فهو لا يطرد فى عموم المتظاهرين بذلك، ومن أبعد البعيد أن تقوم على اطراده فى كل زمن ومكان حجة، وإنما غالب ذلك من آثار سلطة الروح على الجسم حين الخروج عما هو الأعم الأغلب من الأحوال الاعتيادية بأسباب شيطانية أو ربانية، وقد قرر ذلك وبسطه ابن تيمية فى رسائله الكبرى، وابن خلدون أواخر مقدمته.

مشيخته: أخذ عن أبى العباس الحارثى السفينانى المترجم قبل وصحبه إلى وفاته، ثم عن سيدى عبد العزيز التابع بعهد من الأول له وعلى يده تم له الفتح، ثم عن سيدى الصغير السهل، والثلاثة عن الإمام الجزولى رضى الله عنه وعن أهل الله فطريق المترجم جزولية.

الآخذون عنه: منهم أبو الحجاج بن مهدى، ومنهم أبو الرواين المحجوب المترجم بعد.

ولادته: ولد سنة اثنين وسبعين بتقديم السين على الموحدة من التاسعة بمختار فرقة من قبيلة بنى حسن الشهيرة.

وفاته: توفى بمكناسة الزيتون سنة ثلاث وثلاثين^(١) وتسعمائة، ودفن بمقبرة شيخه الحارثي خارج باب السبية أحد أبواب المدينة الآن، وقبره ثم مزاراة شهيرة عليه بناء حافل أنيق.

٢٠٨- محمد بن مخلوف الضريسي المكناسي.

حاله: كثير التنسك والانقطاع إلى الله أحد الزهاد والعباد، وأهل المحبة في الله، مستغرق الأوقات في الذكر والعبادة، ورده ختم القرآن العظيم كل ليلة بين العشاءين في ركعتين، يفتح القراءة في أول ركعة بعد صلاة المغرب ويختمها في الثانية، فإذا سلم علم الناس بدخول وقت العشاء الأخيرة فيسمعون الأذان في الحين، وذلك كل ليلة لا يزيد ولا ينقص.

وكان فصيح اللسان يرتل القرآن ترتيلا دون عجلة، وتلك خصوصية ربانية، وكان يزور الشيخ أبا يعزى في كل سنة يمشى حافيا من مكناسة الزيتون إلى قبره بتاغيا، وكان يقول: من زار هذا الشيخ وسأل الله تعالى عند قبره حاجة واحدة في كل زورة فإنها تقضى له بإذن الله تعالى.

مشيخته: منهم أبو اليمن مبارك الحصيني.

وفاته: توفى بمكناسة الزيتون عام اثنين وأربعين وتسعمائة.

٢٠٩- محمد بن قاسم بن عبد الواحد الكتاني النسب الفاسي الأصل

المكناسي النشأة الحسنى الإدريسي.

حاله: بركة صالح، سالك سبيل السنة في أقواله وأفعاله وحركاته وسكناته، معظم وقور، خطير القدر، فاضل جليل، ماجد أصيل، وهو أول من انتقل من مكناسة لفاس من هذه الشعبة الكتانية أواسط المائة العاشرة، وكان انتقال هذه الشعبة الكريمة من فاس إلى مكناسة أواسط العشرة الثانية من القرن الرابع.

(١) في دوحة الناشر سنة ٩٣١ هـ.

وسبب ذلك أن موسى ابن أبي العافية المكناسي لما استولى على فاس والمغرب شمر لطرده الأدارسة عنه، وأخرجهم من ديارهم وأجلاهم عن بلادهم إلى آخر ما هو معلوم، وصار من قدر منهم على الفرار يفر طالبا للنجاة، وكان من جملة من فر إذ ذاك جد هذا القبيل، وهو الشريف الجليل الماجد الأصيل المتبرك به أبو زكرياء يحيى الملقب بأمير الناس ابن عمران بن عبد الجليل بن يحيى بن يحيى ابن محمد بن إدريس، وكان فراره إلى زاوارة، ثم إلى بني حسن من عمل شالة أى المدينة الخربة الآن بإزاء رباط الفتح، ومنها لمكناسة الزيتون، وكان لهم فيها الصيت الشهير بصراحة النسب وعلو المكانة وعظيم الخطوة عند ملوك بني مرين، ومنها انتقلوا إلى فاس.

وقال فى الدرّة الفائقة: ثم انتقل الكتانيون من زاوارة إلى مدينة شالة، وذلك أيام السلطان عبد المؤمن بن على الموحدي واستوطنوها إلى آخر دولة الموحدين، ثم انتقلوا إلى مكناسة الزيتون وذلك فى أوائل دولة بني مرين، والإمام إذ ذاك هو أبو بكر بن عبد الحق المريني، وذلك سنة نيف وستين وستمائة، وقيل أربع وستين وستمائة، ثم من مكناسة إلى فاس القرويين هـ ملخصا من النبذة اليسيرة النافعة، التى هى لأستار بعض أحوال الشعبة الكتانية رافعة، لشيخنا أبى عبد الله محمد ابن جعفر الكتانى.

وقد يجمع بين قول من قال: إن القدوم من زاوارة كان لبني حسن، ومن قال إلى شالة، بأن منهم من استوطن شالة، ومنهم من استوطن بني حسن والله أعلم.

٢١٠- محمد بن أبى القاسم بن على بن عبد الرحمن بن أبى العافية

المكناسي.

٢١٠ - من مصادر ترجمته: جذوة الاقتباس ١/٢٧٢، درة الحجال ٢/٢٠٣، لقط الفرائد

فى الموسوعة ٢/٨٩٣، وهو فيها: «محمد بن قاسم بن على».

بسم الله الرحمن الرحيم من الله على محمد وآله وصحبه وسلم
 في هذه الأثر في حق العلماء لا يباع الشبهه كوجوه الاستعظيم مما الأحكام في الأثر
 والملوك والسلامة بتدوينها في الذي بين أيدينا على شأنه الزمير والشهاده
 في حقهم من أنه وصيبه الذين في أمة الله محمد في يوم الحساب في رؤسنا
 من ذلك من رددوا في الدنيا في الأمامين والعالمين الأجددين
 في اثنين الأجددين في الرواسين أجدوا في عبد الله محمد في الشيخ الفقيه العلامة
 الذي أبو عبد الله محمد غازي الكنايتي في الفاسي أوتبع الأجدد في أمة الله
 في أمة الله فاقول من عبقري القادر الوهاب قد أخرج في الدنيا في
 المذكورين في جميع ما في رزقي وعيني وأنته من أمة الله في الأجدد في أمة الله
 واقربها في أمة الله من بلوذيرها في أصل بلد هرات في جميع التمر في أمة الله
 في ذلك من المسلمين في حاله وكتبه في المفضل في أمة الله في عبد العزيم
 في محمد بن محمد في هذا الهاشمي الذي في أمة الله في أمة الله في أمة الله
 في أمة الله في أمة الله في أمة الله في أمة الله في أمة الله في أمة الله
 من ديار النماذج حضور ما في أمة الله في أمة الله في أمة الله في أمة الله
 في أمة الله في أمة الله في أمة الله في أمة الله في أمة الله في أمة الله

إجازة الحافظ ابن فهد لولدي الشيخ ابن غازي بخطه

حاله: فقيه أستاذ نحوى، كان يستظهر مختصر ابن الحاجب ويقوم عليه وعلى الرسالة قياما تاما.

مشيخته: أخذ عن أبي الحسن بن هارون المطغرى، وعن أبي مالك عبد الواحد بن أحمد الونشريسى.

وفاته: توفى بفاس عام اثنين وستين وتسعمائة.

٢١١- محمد بن الإمام أبى عبد الله محمد بن أحمد بن محمد بن محمد ابن على بن غازى العثمانى المكناسى الملقب غازى، نجل الإمام ابن غازى السابق الترجمة، وشقيق أبى العباس المتقدم الذكر فى الأحمدين.

حاله: علامة نابغة، ومحقق واعية، قال فى الجذوة: كان نحويا بارعا فيه أستاذا، أم بجامع القرويين أزيد من عشرين سنة، لم يحفظ عنه فيها سهو فى الصلاة، وكان الخطيب بالمسجد المذكور.

مشيخته: أخذ عن والده وأجازه عامة كما تقدم نص إجازة والده له فى ترجمة أخيه فى الأحمدين نقلا عن خط المجيز، ووقفت على إجازة العز بن فهد له ولأخيه، ودونك نص الإجازة نقلا عن خطه المرقوم على آخر ورقة من فهرسة ابن غازى التى وقفت عليها بخطه:

«بسم الله الرحمن الرحيم، صلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم تسليمًا، الحمد لله الذى وفق العلماء لاتباع السنة، وجعل للمستتبطين منها الأحكام فضلا ومنة، والصلاة والسلام على سيدنا ونبينا محمد الذى بين الله لنا على لسانه الفرض والسنة، ورضى الله عن آله وأصحابه الذين كانوا له أعظم جنة.

٢١١ - من مصادر ترجمته: جذوة الاقتباس ١/٣٢١.

وبعد: فقد سألتني من لا أستطيع رده الإجازة لسيدنا الشيخين الإمامين العلمين الأوحدين، العلامةين الأمجدين، أبي العباس أحمد وأبي عبد الله محمد ابني الشيخ الفقيه العلامة المقرئ أبي عبد الله محمد بن غازي المكناسي ثم الفاسي أمتع الله بحياتهما ونفعنا ببركاتهما، فبادرت لإجابته فأقول مستعينا بالقادر الوهاب: قد أجزت سيدنا الشيخين المذكورين جميع ما يجوز لي وعنى روايته متلفظا بذلك، وكذا لأولادهما وإخوانهما وأقربائهما وخدمتهما ومن يلوذ بهما، ولجميع أهل بلدهما، بل ولجميع المسلمين على مذهب من يرى ذلك من المسلمين، قاله وكتبه المفتقر إلى لطف الله وعونه، محمد عبد العزيز بن عمر بن محمد بن فهد الهاشمي المكي الشافعي خادم الحديث النبوي بالحرم الشريف المطهر النيف هو وأسلافه، وهو يسأل الشيخين المذكورين نفع الله بهما أن لا ينسياه من دعائهما الصالح، خصوصا بخاتمة الخير وقضاء الدين، وكفاية مهمات الدنيا والآخرة والحمد لله وصلى على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم تسليما كثيرا حسبا الله ونعم الوكيل» انتهى من خطه.

وفاته: توفي سنة ثلاث وأربعين وتسعمائة.

٢١٢ - محمد بن حسين العبدلي السهلي، وقيل اسمه أحمد، شهر بأبي الرواين.

حاله: مجذوب سالك ملامتي، أحد عجائب الدهر، ذو أحوال خارقة للعادة جليل القدر، شهير الذكر، جمالي الحال، واسع النظر، عالي الهمة، حسن السميت، رفيع اللباس، يمسي غنيا ويصبح فقيرا، يدفع كل موجود له للضعفاء والمساكين، وكان أعجوبة الدهر في التوكل والثقة بالله.

قال صاحب ابتهاج القلوب: حدثنا الشيخ الوالد رضي الله عنه، قال: مر

٢١٢ - من مصادر ترجمته: دوحة الناشر في الموسوعة ٨٨٧/٢.

الشيخ المجذوب عليه - يعنى المترجم - يوما بباب داره فقال ايت فاكنس ما تحت هذه الدابة لدابة كانت له بالاروى، فدخل أبو الرواين يخرج له ما يحمل فيه الزبل، وقد كان على الشيخ المجذوب برنس جيد فطرحه فى الأرض وأخذ يحمل فيه الزبل، فما خرج أبو الرواين حتى وجده قد فعل، فقال متعجبا منه: ما رأيت مثل هذا قط ! وقد غلبنى لأنه أراد أن يختبر مكانه من النظر إلى نفسه والرضا عنها، فوجده فوق ما يظن من خفض النفس وعدم المبالاة بها.

وشأن المشائخ أن يحملوا المريدين على إذلالها وما يوجب إخمادها وقضاياهم فى ذلك مشهورة، لأنه كلما خمدت النفس وانخفضت قوى معناه وتنور باطنه، إذ لا حجاب له إلا رؤيتها، وقد ورد فى الأحاديث الربانية عاد نفسك فليس لى فى المملكة عدو غيرها، وورد أيضا فى مناجاة موسى أنه قال: كيف أجذك يا رب؟ قال له عاد نفسك وتعال. قال وقد أخبر الشيخ المجذوب أن ذلك البرنس الذى حمل فيه الزبل لم تزل رائحة المسك تفوح منه من ذلك الوقت، وكان عند أهله فى الصندوق مع الثياب يتبركون به انتهى.

ومعلوم أن العز فى مخالفة النفس والذل فى طاعتها واتباع هواها ولله در

القاتل:

إذا شئت إتيان المحامد كلها ونيل الذى ترجوه من رحمت الرب

فخالف هوى النفس الخبيثة إنها لأعدى وأردى صفقة من هوى الحب

ولقد أجاد من قال:

إذا شئت أن تحظى وأن تبلغ المنى فلا تسعد النفس المطيعة للهوى

وخالف بها عن مقتضى شهواتها وإياك لا تحفل لمن ضل أو غوى

ودعها وما تدعو إليه فإنها لأمارة بالسوء من هم أو نوى

لعلك أن تنجو من النار إنها لقطاعة الأمعاء نزاعة الشوى

وقد تحدث عن المترجم بكرامات، وخوارق عادات، من ذلك ما حكاه فى ابتهاج القلوب قائلا: حدثنى شيخنا الإمام محمد بن الشيخ أبى العباس الفاسى، عن الشيخ المعمر سيدى أحمد السفاج، أن الشيخ أبى الرواين، مرّ يوما مع الشيخ المجذوب على حلة، فقال: لا أذهب حتى أعمار هذه الخيمة أو أخليها، وكانت خيمة جلييلة لذى مال من تلك الحلة، فصاح بربها فطلب منه فرسه فقال: يا سيدى عندى من أشاوره فى ذلك، فذهب إلى زوجته فقال لها: إن أبى الرواين والمجذوب هنا، وقد قال كذا وكذا، فقالت: وما يكون منك إذا بقيت بلا فرس، فجاء واعتذر بذلك، فقال أبو الرواين: من يشتري منى الخيمة وصاحبته؟ فلم يجبه إلا خماس كان هنالك، قال له: إن عندى عجلا إن قبلته فخذ، فقبله وسار، ثم إن صاحب الخيمة كان له أندر مجوف فدخله يوما ففقد حتى قيل بعد مدة إن آخر العهد به مكان الأندر، ففتش فوجد ميتا هنالك واعتدت المرأة بعده فأخذها الخماس وركب الفرس وأحاط بالخيمة وما فيها.

قال: ومما يحكى عن أبى الرواين أيضا أن بعض أهل مكناسة لما راوه على ما هو عليه من الثياب الرفيعة النقية من الدنس وكان عليه كساء مصبوغ الأطراف بالللك^(١)، وصادف أن كان فى الطريق طين مطر فأخذ ذلك الرجل يقدم له الله أن يتمرغ فى ذلك الطين هزوا ولعبا وسخرية منه، فأخذ أبو الرواين يتمرغ فيه لما سأله بالله، فلما قام قال: اليوم أنا وغدا أنت، فمن الغد قتل هنالك.

وأظن الحكاية مع ولد الفقيه أبى على حرزور، فإنه كان أخبر بما وقع له وقد سمى لى صاحبها من أخبرنى، إلا أنه طال عهدي هل هو المذكور أو غيره.

(١) فى هامش المطبوع: «عروق نبات تستعمل للصبغة».

قال: ولما تغلب السلطان أبو عبد الله محمد الشيخ على مكناسة الح بالمطالبة لأخذ فاس فجاء الشيخ أبو الروين وقال له: اشتر مني فاسا بخمسمائة دينار، فقال السلطان: ما أنزل الله بهذا من سلطان، هذا شيء لم تأت به الشريعة فقال: والله لا دخلتها هذه السنة، فبقى شهراً والأمر لا يزداد عنيه إلا تصعباً^(١)، فقال الأمير أبو محمد عبد القادر لأبيه السلطان المذكور، يا أبت، افعل ما قال لك الشيخ أبو الروين، فإنه رجل مبارك من أولياء الله، وما زال به كذلك حتى أذن له في الكلام معه، فكلمه الأمير عبد القادر فقال: ادفع المال! فدفعه له، فقال: عند تمام السنة إن شاء الله يقضى الله الحاجة وأمرى بأمره سبحانه، ثم إن الشيخ فرق المال من يومه ولم يمسك منه لنفسه حبة واحدة، ومن ذلك اليوم والسلطان المذكور في ظهور إلى أن تمت السنة فدخل فاسا كما قال^(٢) انتهى.

قلت: قول السلطان محمد الشيخ السابق: إن الشريعة لم تأت بمثل هذه الأفعال التي كان يتظاهر بها المترجم وأمثاله، لعله يعنى من حيث كون الإقدام على أمثال ذلك لم تأذن فيه الشريعة للعموم ومدعى التخصيص عليه البيان، وإقامة البرهان، وإلا فقد ثبت في الصحيح أن النبي ﷺ قضى على الربيع بأن تكسر ثنيتها قصاصاً لها على ما فعلته بغيرها من مثل ذلك، فقال له سيدنا النضر: والذي بعثك بالحق لا تكسر ثنيتها فأجابه ﷺ بأن كتاب الله القصاص، وإثر هذا بادر المجنى عليهم إلى العفو عن الربيع، فحيتئذ قال ﷺ: إن لله^(٣) رجالاً لو أقسموا على الله لأبرههم أو كما قال.

(١) في دوحة الناشر: «تعصبا».

(٢) الخبر بنصه في دوحة الناشر من الموسوعة ٢/٨٨٧.

(٣) في هامش المطبوع: «لفظ الصحاح إلا الترمذى: إن من عباد الله من لو أقسم على الله لأبره».

ولأهل الخصوصية من الشواهد فى كتب السنة ما هو كثير ويكفى من ذلك ما قصه الله عن الخضر لما صاحبه موسى عليهما السلام، وذلك كله من شواهد أصحاب الأحوال مثل المترجم، ولكن مثل ذلك خاص لخاص، فلا ملام على المتمسك عند حدوث شىء من ذلك بمقتضى ظاهر الشرع وعموماته، حتى يتحقق أن فاعل ذلك من أهل الخصوصية فيسلم له ولا يقتدى به والله أعلم. انظر ابتهاج القلوب.

مشيخته: أخذ عن المترجم قبل وهو الشيخ الكامل.

الآخذون عنه: منهم أبو عبد الله محمد بن صالح المعروف بعريان الرأس دفين تسابت إحدى عمالة توات كذا لبعضهم.

وفاته: توفى سنة ثلاث وستين - بتقديم السين على المثناة فوق - وتسعمائة عن نحو ستين سنة، ودفن قريبا من شيخه ابن عيسى وضريحه مزار مشهورة إلى الآن.

٢١٣ - محمد بن قاسم بن على بن أبى العافية المكناسى الشهير بابن القاضى.

حاله: كان فقيها أستاذا نحويا جلس مجلس أبيه فى الرسالة بجامع القرويين.

وفاته: توفى سنة خمس وستين وتسعمائة.

٢١٤ - محمد بن محمد بن أحمد بن على بن عبد الرحمن بن أبى العافية المكناسى الشهير بابن القاضى.

٢١٣ - من مصادر ترجمته: جذوة الاقتباس ١/٢١٨، لقط الفرائد فى الموسوعة ٢/٩٠٠.

٢١٤ - من مصادر ترجمته: جذوة الاقتباس ١/٢٤٩، لقط الفرائد فى الموسوعة ٢/٩٢٦.

والد أبى العباس صاحب الجذوة والدرة وغيرهما .

حاله : فقيه نوازلى فرضى حيسوبى ، علامة نبيه ، فاضل وجيه ، من بيت علم وفضل ودين متين .

مشيخته : أخذ الحساب والفرائض عن أبى محمد عبد الحق المصمودى السكتانى ، وعن أبى الحسن على بن هارون المختصر الخليلى ، وعن أبى عبد الله اليسينى تلخيص المفتاح .

الآخذون عنه : منهم ولده أخذ عنه الفرائض والحساب وشيئا من المنية لابن غازى .

وفاته : توفى بفاس سنة إحدى وثمانين وتسعمائة ، ودفن بمطرح الحلة (١) .

٢١٥- محمد بن عبد الرحمن بن بصرى الولهاصى المكناسى المعروف بسيدى بصرى .

حاله : عالم عامل ذو أنفاس صادقة ، وأحوال رائقة ، أستاذ مجود فقيه ، ولى صالح ، عارف صوفى ، نزيه مرشد ناصح ، خطيب مصقع ، تولى الخطابة بجامع مكناسة كما فى درة الحجال .

قلت : ولا زالت الخطبة بيد حفدته إلى الآن ، ونقل فى المنحة عن بعض أتقياء مكناسة وطلبتها أن الشيخ استمر على الإمامة بالمسجد الأعظم إلى أن توفى ، وأنه رد جميع ما كان أخذه من أوقاف المسجد ، وأنه كانت له زوجة اسمها آمنة بنت الولى الصالح سيدى أبى على منصور الهروى دفين مدينة سلا ، ولا زال أهل الفضل من مكناسة يتحدثون عنه بأنواع الكرامات . قال ابن عسكر : غير أنه يزعم أنه أخذ طريقة التصوف عن امرأة هنالك ويدعى لها أسراراً ومناقب ونحوه فى ابتهاج القلوب .

(١) فى لقط الفرائد : «بمطرح الجنة» .

شيوخه: قال أبو عبد الله محمد العربي بن محمد البصرى فى الباب الرابع من كتابه منحة الجبار، ونزهة الأبرار، وبهجة الأسرار، فى ذكر الأقطاب والأولياء والأشراف والعلماء الأخيار، إنه تلا بالسبع على الإمام أبى العباس الحباك المتوفى سنة ست وثلاثين وتسعمائة، واستجازه فأجازه فيها وفيما يتعلق بها من كتب القراءات مع الألفية والرسالة والبردة كما هو دأب أهل الإجازات، ونص ذلك:

«يقول العبد الفقير إلى رحمة مولاه، الغنى به عن سواه، أبو العباس أحمد بن الشيخ المكرم الوثائقى الملحوظ المبارك الأسعد أبى عبد الله محمد بن الشيخ المكرم المرحوم أبى عبد الله محمد الأنصارى عرف بالحباك سمح الله له، وسدد قوله وعمله، إن الشاب الطالب النجيب، الكيس الحاذق اللبيب، أبى عبد الله محمد بن الشيخ الأجل، الأفضل الأكمل، أبى زيد عبد الرحمن بن عبد الله ابن عمر الولهاسى الكناسى الدار المدعو بابن بصرى شرح الله صدره، ورفع بالعلم والعمل الصالح قدره، وقواه وأرشدته، ووفقه وسدده، كان ممن تردد إلى، وتوخى المشول بين يدي، واعتمد فى قصده على ما لدى، فقرأ على القرآن العظيم، المنزل على سيدنا محمد المصطفى الكريم، من فاتحته إلى خاتمته ختمة واحدة، جمع فيها بين قراءة الأئمة السبعة المشهورين، رسوان الله عليهم أجمعين، وأدرج فى ذلك الإدغام الكبير لأبى عمرو بن العلاء وكل ذلك بطريق التيسير للحافظ أبى عمرو الدانى، وملخصه حرز الأمانى، ووجه التهانى؛ للإمام أبى القاسم الشاطبى رحمه الله تعالى.

ولما كمل له ذلك على على نحو ما ذكر من التعيين والتفصيل، وكان من أهل التجويد للقراءات مع الضبط لأحكامها والتحصيل، سأل منى وفقه الله تعالى أن أجزى له ذلك وأشهد له به فى كتاب، ليرتفع به عنه تخالجات الظنون وخطرات الارتباب وليكون بيده حجة ساطعة، وبنبله وثبات نقله بينة قاطعة، كما جرت بذلك عادة الأئمة، ومعتمدى هذه الأمة، فأجبتة إلى ما سأل، وأسعفته فيما رغب

وأمل، وحدثه بالقراءات السبع تلاوة عن الشيخ الفقيه الأستاذ الخطيب الشهير أبي عبد الله محمد بن أحمد بن غازي العثماني، عن الشيخ الفقيه الأستاذ الخطيب الشهير أبي عبد الله الشهير بالصغير ابن الحسن النيجي إلى آخر السند.

ثم قال أبو العباس المجيز: وقد عرض على المجاز أبو عبد الله محمد المذكور هداه الله تعالى قصيد أبي القاسم الموسوم بحرر الأمانى ووجه التهاني عرضا جيدا من صدره، واستفهمته عنه وعن فصوله، وحدثه به عن شيخنا الفقيه المقرئ الصالح أبي عبد الله محمد بن غازي، عن شيخه الفقيه الخطيب المقرئ محمد بن الحسن النيجي الشهير بالصغير، عن شيخه الأستاذ المقرئ المحقق أبي الحسن على الوهري إلى آخر السند.

قال: وعرض على أيضا المجاز المذكور قصيد أبي الحسن بن برى المرسوم بالدرر اللوامع عرضا جيدا من صدره كله بالتفهم، وحدثه به عن شيخنا الفقيه أبي عبد الله بن غازي المذكور، عن شيخه الفقيه أبي عبد الله محمد الصغير إلى آخر السند.

قال: وعرض على أيضا الرجز الموسوم بمورد الظمان، فى رسم أحرف القرآن، مع الذيل الملحق به فى النقط للإمام العالم العلامة أبي عبد الله محمد بن إبراهيم الشهير بالخراز، وعرض على أيضا المجاز المذكور صدرا من رسالة الإمام العالم أبي محمد عبد الله بن أبي زيد القيروانى، وحدثه بها عن الشيخ الفقيه أبي عبد الله محمد بن غازي المذكور، عن شيخه أبي عبد الله محمد الصغير المذكور إلى آخر السند المرسوم فى الإجازة، وفيما كتب به ابن غازي لمن استجاره من أهل تلمسان.

قال: وعرض على أيضا صدرا من كتاب التيسير، وحدثته به قراءة لبعضه،
وسماعا لسائره عن الشيخ أبي عبد الله بن غازي، عن الشيخ أبي عبد الله الصغير
المذكور إلى آخر السند المذكور في الإجازة أيضا.

قال: وعرض علىّ أيضا جميع القصيدة المباركة المسماة بالبردة من نظم
الإمام شرف الدين أبي عبد الله محمد بن سعيد البوصيري، وحدثته بها عن
شيخنا أبي عبد الله بن غازي، قال: أخبرنا بها الشيخ الإمام العالم العلامة أبو
عمرو عثمان بن محمد بن عثمان الديلمي المصري، عن ابن فهد، أخبرنا بها أبو
بكر المراغي، قال: أخبرنا بها أبو الفتح الميذومي، عن ناظمها أبي عبد الله
البوصيري رحمهم الله تعالى أجمعين.

قال: وعرض علىّ أيضا جميع ألفية ابن مالك عرضا جيدا من صدره،
وحدثته بها عن شيخنا أبي عبد الله بن غازي، عن الشيخ الإمام العلامة تاج
المحدثين وإمام المسنين فخر الدين أبي عمرو عثمان بن محمد بن عثمان الديلمي
المصري المذكور، أخبرنا بها عن هاجر بنت محمد بن محمد المقدسي، عن أبي
إسحاق التنوخي، عن أحمد بن محمد بن غانم عن المصنف رحمهم الله.

قال أبو العباس المذكور: وقد أجزت للطالب المكرم أبي عبد الله محمد بن
عبد الرحمن بصري المذكور جميع ما قرأه على من القراءات السبع المذكورة،
وجميع ما عرضه على وسمعت منه مما ذكر في هذا الكتاب إجازة عامة على أكمل
شرطها وأوثق ربوطها، وأذنت له في أن يروي عنى، وعن الشيوخ الذين في هذا
الكتاب مما تضمنه من الأسانيد المذكورة، والقراءات المسطورة، وكذلك ما روته
عن شيخى المذكور من تأليف الشيخ أبي وكيل ميمون المذكور كالمورد الروى في
نقط المصاحف، وتحفة الإعراب، والدرة الجليلة، في نقط المصاحف العلية، وجميع
ما قيده تلاوة وسماعا، وأوصيه ونفسى بتقوى الله تعالى ومراقبة أمره في جميع

أحواله، وتحرى الصدق والصواب فى جميع أقواله، والله يعصمنا وإياه من الخطأ والزلل، ويرشد كلاً منا لصالح القول والعمل، بمنه وكرمه.

شهد على الفقيه المجيز أبى العباس أحمد المذكور بما فيه عنه وهو بحال كمال الإسهاد وعرفه وعرف تصدده لذلك وعلى المجاز المذكور بطلبه الإجازة المذكورة، وهو بحال صحة وطوع وجواز، وعرفه فى أواسط رمضان المعظم عام خمسة وعشرين وتسعمائة عبد الله بن محمد بن على الحسنى الجوطى لطف الله به، وأبو عبد الله محمد المعروف بالعربى الحسنى الجوطى لطف الله به، وعبد الله وأقل عبيده عبد القادر بن محمد الحسنى خار الله تعالى، والواضع خط يده الفانية الشريف أحمد بن محمد بن على بن محمد بن محمد بن عمران الحسنى الجوطى لمن طلب التبرك بالجناب الطاهر النبوى بلغ الله قصده وأمله بمنه، وشهد بذلك أحمد بن أبى القاسم عراقى الحسنى لطف الله به، ومحمد بن على بن طاهر الحسنى وبعد ذلك إشكال أعيان أهل الوقت وقاضيه على المتعارف الآن فى عصرنا رحم الله الجميع».

وقال: هذا ما وقفت عليه من أمر الشيخ أبى عبد الله فى شأن القراءات السبع، ولم أقف إلى الآن على شيخه الذى أخذ عنه الروايات السبع على التدرىج إلى أن بلغ أن يجاز، نعم يمكن أن يكون الشيخ أبو العباس هو الذى رقاها من البداية إلى النهاية كما كان يصنع شيخنا أبو عبد الله الأصغر مع بعض طلبته.

وأما شيوخه فى العلم فلم أقف له الآن على شيخ مع إدراكه لجملة من مشايخ نحارير، وأئمة مشاهير، ورأيت الجزء الأول من التوضيح، وشرح الصغرى للإمام السنوسى بخطه.

ووصفه جماعة من الأئمة بالفقه والتدريس منهم الفقيه الحيسوبى الموقت الشريف الطاهرى الجوطى سيدى أحمد بن عبد القادر، ونص ما رأيت بخطه ومنه

نقلت: توفي الإمام الخطيب العالم العامل به قطب زمانه المدرس المحقق الزاهد سيدي محمد بن سيدي عبد الرحمن المكناسي يدعى ببصرى يوم الأربعاء موفى عشرين من ذى الحجة الحرام إلخ إلى أن قال: ورأيت بخط غير واحد من عدول مكناسة الذين انقرض عصرهم وصف الشيخ بالعلم والتدريس والمعرفة بالله تعالى ونص المرثي: الفقيه الأجل المدرس المحقق الأتقى الأرفع الأنزه الأسرى الأحفل الأزكى الأعدل الأكمل الخطيب البليغ الحسيب الولي الكامل، القطب العامل، الشيخ الإمام الأوحد الهمام إلخ.

وأما المرأة التي أخذ عنها التصوف حسبما تقدم في كلام ابن عسكر فقال في المنحة: إنها هي السيدة الجليلة ذات الأحوال الباهرة، والخوارق الظاهرة، مريم بنت عبود الأندلسية دفينة رأس التاج خارج باب عيسى أحد أبواب مكناسة الزيتون لها روضة هنالك مشهورة بها مقصودة للزائرين، وأصل الروضة لسيدي عبد الرحمن والد الشيخ أبي عبد الله.

وأخبرني بعض الأندلسيين من أهل القورجة أنها السيدة فتحون البزازية، وأن السيدة مريم هي التلميذة، وللسيدة فتحون أيضا روضة برأس التاج مشهورة هنالك».

فائدة: ذكر في منحة الجبار أن جميع من بمكناسة من البصريين منحسرون في بنى محمد صاحب الترجمة وبنى عبد الواحد قال: ومنهم شيخنا أبو عبد الله، وبنى عبد السلام، وبنى عبد الرحمن لا غير وكلهم من ذرية ولي الله تعالى أبي موسى عمران، يعنى دفين روضة رأس التاج بمكناسة.

قلت: وينحصر عقب المترجم الآن في أولاد قاسم بن الطيب، وأولاد أخيه المهدي بن الطيب بن الصغير بن مسعود بن محمد فتحا بن المترجم.

وعقب بنى عبد الواحد ينحصر فى أولاد محمد بن الطيب بن عبد الرحمن.

وعقب بنى عبد السلام ينحصر فى أولاد محمد فتحا بن عبد الرحمن بن عبد السلام بحمام الجديد.

وأولاد ابن عبد الرحمن بقى منهم محمد بن الطيب بن محمد بن عبو المدعو ابن دحمان، ويجمعون كلهم فى عمران المذكور، هكذا وجدت هذا التفصيل فى بعض التقايد بخط بعض عدول بلدنا المبرزين الأثبات قائلًا: وهذا فى أوائل العشرة الثانية من المائة الثانية بعد الألف انتهى.

وفاته: توفى بمكناسة آخر ذى الحجة سنة إحدى وتسعين وتسعمائة ودفن بداره من القرسطون إحدى حومات مكناس الشهيرة وقبره إلى الآن مزارة شهيرة.

٢١٦- محمد فتحا بن الشيخ أبى المحاسن يوسف الفاسى وأكبر أولاده.

حاله: فقيه علامة وجيه نبيه، نشأ فى حجر أبيه المذكور بالقصر نشأة حسنة، وقرأ القرآن وطلب العلم هنالك، وحضر مجالس أبيه، ثم رحل إلى مكناسة وفاس وقرأ على مشيختها فاستفاد وحصل وأفاد وعلم، وانتفع به جماعة من الطلبة، وكان الغالب عليه علم القرآن والفقه، وكان خيراً ديناً فاضلاً رقيق القلب كثير الخشوع سريع العبرة، سمحاً جواداً كريم النفس، مستطاب الحديث، حسن التلاوة، شجى الصوت، لا يكاد يسمع أحد تلاوته إلا بكى ورق قلبه. قال فى المرأة: سكن بفاس إلى أن توفى بها فى حياة أبيه.

مشيخته: منهم والده، وجماعة من أئمة فاس ومكناس وغيرهما.

ولادته: ولد بالقصر سنة تسع وخمسين وتسعمائة.

وفاته: توفى سنة ثمان وتسعين وتسعمائة، ودفن بالكفادين في مقبرة الشرفاء الطاهرين كما بعناية أولى المجد.

٢١٧- محمد فتحا بن محمد بن موسى المكناسي المدعو العشير.

دفن روضة سيدى عمرو بوعودة من حومة حمام الحرة بالحضرة المكناسية.

حاله: شيخ صالح فالح، صوفى فاضل، ولى معتقد متبرك به من أعظم صلحاء مكناسة الزيتون.

مشيخته: وجد منقوشا بلوح خشب فى الجدار الجنوبي عند قبر المترجم ما لفظه: أخذ الطريقة عن سيدى محمد بن التقي الخلوتى، عن سيدى محمد بن عبد الله المدعو بالشيخ دمرداش المحمدى، عن سيدى عمر الرقاشى، عن سيدى يحيى عن صدر الدين، عن عز الدين، عن السيد أنحى هرمز، عن سيدى عمر الخلوتى، عن سيدى أنحى محمد، عن إبراهيم الزاهد، عن سيدى جمال الدين، عن السيد شهاب الدين الغزى، عن سيدى زين الدين محمد السجاسى، عن قطب الدين الأبهري، عن سيدى أبى نجيب السهروردى، عن القاضى عمر البكرى، عن سيدى محمد البكرى، عن الشيخ محمد، عن سيدى مسماد الدينورى، عن الجنيد البغدادي، عن سيدى سرى السقطى، عن سيدى معروف الكرخى، عن سيدى داود الطائى، عن حبيب العجمى، عن الحسن البصرى، عن على رضى الله عنه عن رسول الله ﷺ هـ بلفظه.

وفاته: توفى سنة ثمانين وتسعمائة وفى روضته دفن عمرو بوعودة على قبريهما دربور خشب.

٢١٨- محمد الوقاد المكناسي.

حاله: أحد شعراء المغرب المجيدين، وأفاضله المتقين ذو نفس أبية وهمة

٢١٨ - من مصادر ترجمته: جذوة الاقتباس ١/٣٢٤.

تطاول الجوزاء له مهارة فى علوم الأدب وغير ذلك وكان أوحد عدول مدينة فاس .
قال ابن القاضى فى الجذوة: حدثنى بخبره شيخنا ابن راشد، وذكر أنه أتى
القاضى نيابة عن الونشريسى أبا الحسن عليا الشامى ليؤدى عنده وكالة، فقصد
تحقيقه فهجاه بقصيدة مطلعها:

فآه ثم آه ثم آه على أسد تمزقه الكلاب

فاشتكى الشامى المذكور على القاضى أبى مالك عبد الواحد بن أحمد
الونشريسى بالوقاد الذى هجاه بالقصيدة المذكور مطلعها، فبعث إليه أبو مالك
وعاب عليه هجوه، فأجابه الوقاد بأن قال له وهبه هجواً كان ماذا؟ أشهد على أنى
لا أشهد [أبداً]^(١) عندى ثلاث من الإمام يغزلن وأكل حتى لا أحتاج إليه أبداً هـ.

٢١٩- محمد بن أحمد بن محمد التلمسانى أبو محمد قاضيهما يعرف بابن

الوقاد.

حاله: إمام له مشاركة ومهارة فى التفسير والحديث والفقه، المرجوع إليه فى
الأصول والفروع والعلوم العربية بسائر أنواعها، وإليه المرجع فى الإفتاء، وعليه
التعويل فى النوازل والأحكام، ومعرفة الخلافات المذهبية، خطيب مصقع بليغ،
أصله من تلمسان، وبها نشأ ثم انتقل بعد التحصيل لسوس الأقصى، ونزول مدينة
ترودانت، وتولى خطة القضاء بأعمالها وخطابة جامعها الأعظم، ثم ولى قضاء
الجماعة بها نحو ستة أشهر، فأعفى لكون أهلها برابر لا يعرف لسانهم.

ثم وجهه أمير وقته قاضياً لسجلماسة وخطيباً، فبقى بها مدة، ولقى بها
الولى الصالح سيدى عبد الرحمن وغيره من أعلامها، ثم نقل لمكناسة الزيتون
وتولى القضاء بها والخطبة بجامعها، ثم خطب بجامع الأندلس بفاس المحروسة،

(١) من جذوة الاقتباس.

ثم رد لتارودانت قاعدة السوس وولى الإمامة والخطبة بجامعها الأكبر، وتصدر للإفتاء والتدريس بها قائماً على مختصر ابن الحاجب الفرعى، والشامل لبهرام وغيرهما، صلب فى دينه، لين الجانب متواضع، متحمل للأذى، صابر على جفاء الفدادين من الطلبة وغيرهم، حسن العشرة، حلو السمائل، كريم المائدة مبسوطها، مقصود للأرامل والأيتام، مشفق على القوى والضعيف، لا يقدر للدنيا قدرا ولا يستقر بيده شىء منها مع وفور ما ينصب إليه من الجرايات والجوائز.

وحصل له جاه ووجاهة عند الخاصة والعامة، تعظمه الملوك فمن دونها ويقدرون قدره، ويجرون عليه الجرايات التى لم ينلها من قبله، وهو أول من سن إبداء الأفراح بتارودانت فى ليلة مولد النبى ﷺ، وبذل النفقات فيها على السنن الشرعى، كان يجمع الناس فى منزله ليلة العيد النبوى على قراءة الأمداح النبوية بالأناشيد المطربة، وينفق فى ذلك نفقة عظيمة إجلالا وتعظيما ومحبة فى جانب خير الأنام صلى الله عليه وعلى آله وسلم، واهتماما بإقامة موسم ذكرى مولده.

وهو أول من قرأ بها الجامع الصحيح للإمام البخارى قراءة ضبط وإتقان، وأول من خطب بها بلسان عربى مبين وقرط الأذان، بمواعظ توقظ الوسنان، حسن العبارة، لطيف الإشارة، فصيح اللسان، ثبت الجنان، ينشئ الخطب البديعة الرائقة العذبة، الخالية عن التكلف على حسب ما تقتضيه الأزمنة وما يقع من الحوادث، قال أمير وقته الإمام المنصور فى حقه: ليس عنده فى المغرب أخطب منه إلا أن الله اختاره لمدينة ترودانت وإن لم تكن كرسى الخلافة.

مشيخته: أخذ عن الإمام أبى عبد الله محمد بن محمد بن عبد الجليل التنسى خطيب جامع تلمسان وعن مفتى تلمسان وفقهها الفقيه أبى عبد الله محمد ابن هبة الله الزناتى المعروف بشقرون المتوفى سنة ثلاث وثمانين وتسعمائة، وعن أبى عبد الله محمد بن عبد الرحمن المعروف بابن جلال التلمسانى المتوفى ثامن رمضان سنة إحدى وثمانين وتسعمائة، والعلامة المشارك أبى عبد الله اليسيتى

المتوفى فى سادس عشر محرم الحرام عام تسعة وخمسين وتسعمائة، والعلامة
الرحال أبى العباس أحمد بن محمد بن أحمد إذ قال به شهر، المتوفى ليلة الجمعة
ثامن عشر رجب سنة ثلاث وعشرين وألف وغير هؤلاء من الأعلام.

الآخذون عنه: أخذ عنه أبو زيد عبد الرحمن التمرتى بفتح المثناة فوق
بعدها ميم ثم نون فراء ساكنة فمثناة فوق بعدها ياء النسب مؤلف الفوائد الجمة،
ومنها استفدت هذه الترجمة، أخبر عن نفسه فى كتابه الفوائد الجمة المذكور أنه
أخذ عنه رسالة ابن أبى زيد القيروانى، والمختصر الخليلى من أولهما إلى آخرهما
قراءة تفهيم وتحرير، والمختصر الفرعى لابن الحاجب إلى قرب ثلثه، وسرد عليه
شامل بهرام إلى قرب نصفه، والعقائد والتفسير من تلك الرسل غاية سورة
الأعراف.

شعره: من ذلك قوله:

من الله أرجو أن يبوئنى غدا مقاما عليا فى الجنان مخلدا
ويسكننى رضوان جتته التى أعدت لأهل العلم والحلم والندا
بفضل أحاديث البخارى ووجهه له ما حبيت الدهر أقرأ سرمدا
وقوله:

لم يبق دهرك من تامن مودته ولا صديق إذا خان الزمان وفى
فحش فريدا ولا تألف إلى أحد فقد نصحتك جهدى والزمان كفى

وفاته: توفى ليلة الخميس لعشر خلون من ربيع الثانى سنة إحدى وألف،
ودفن قبلة الجامع الكبير بترودانت وهو أول مدفون فيه.

٢٢٠- محمد بن قاسم بن محمد الأنصارى الملقى الضرير الشهير بابن
قاسم نزيل مكناسة الزيتون.

حاله: فقيه أستاذ جليل، ذكره صاحب الجذوة في ترجمة أحمد بن تميم
اليفرنى.

الآخزون عنه: منهم أحمد بن عبد الرحمن بن تميم اليفرنى الشهير
بالمكناسى.

٢٢١ - محمد بن محمد الغمارى بالمعجمة الكومى المكناسى.

حاله: فقيه نحوى مشارك متفنن، مفتى مكناسة، كان يستظهر مختصر
خليل، وله مشاركة فى الحساب والفرائض والقرآن العظيم بالمقارئ السبعة.

مشيخته: أخذ عن أبى عبد الله محمد المسارى، وعن أبى زكرياء يحيى
السراج، وأبى راشد اليدرى وغيرهم.

وفاته: توفى ببلده مكناسة فى الثالث والعشرين من ربيع النبوى عام اثنين
وألف كما فى التقاط الدرر وغيره.

٢٢٢ - محمد بن مبارك الزعرى الأصل المكناسى النشأة.

حاله: من مشاهير الأولياء الكاملين، وأعيان الصالحين، كان أول أمره
بمكناسة الزيتون يتعاطى القراءة فصعب عليه الأمر وتعذر عليه الفهم، فرأى النبى
ﷺ فقال له: إنك لن تقرا، ولكنك شيخ، فظن أنه يكون من أشياخ القبائل،
فرحل للبادية فلم يزل بها حتى هبت عليه نفحة القرب، من حضرة الرب، فذهب
لمراكش ولقى بها الشيخ الكامل أبا عمرو القسطلى، ورجع إلى باديته فبنى مسجدا
بالموضع الذى عين له شيخه لسكناه، فيقال: إنه قال له: جعلت محرابه منحرفا
فأشار بيده إلى جهة مكة فترحزحت الجبال حتى شهد الحاضرون مكة واللهم على

٢٢١ - من مصادر ترجمته: التقاط الدرر - ص ٢١.

٢٢٢ - من مصادر ترجمته: التقاط الدرر - ص ٣٠.

كل شيء قدير، وهذا غير مستغرب في جانب كرامات الأولياء التي لا ينكرها إلا مبتدع مارق لثبوتها بالكتاب والسنة والإجماع، وكان يقول: أهل زماننا محسوبون علينا، فبلغ ذلك لعصريه الشيخ أبي عبد الله محمد الشرقي فقال رضى الله عنه: اشهدوا أنا من أهل زمان ابن مبارك.

مشيخته: منهم الشيخ أبو عمرو القسطلي.

الآخذون عنه: منهم العارف الكبير أبو عبد الله الشرقي.

وفاته: توفى بتاستاوت سنة ست وألف، وضريحه شهير بزار، قرب ضريح

الشيخ أبي يعزى، وهو لا يبعد عنه إلا بنحو ثلاثين كيلو متر.

وقد أخبرني بعض من وثقت بخبره أنه وقف بزواية هذا الشيخ المباركية على

نسختين من مؤلف في كرامات الشيخ المترجم لا تاريخ بهما ولا ذكر لمؤلفهما

فيهما، إحداهما من حبس الزاوية المذكورة، وثانيتها ملك للغير، بالثانية نقص

في آخرها وأوراق كل نحو الخمسين وليس بذلك المؤلف من الفوائد التاريخية ما

يهم الباحث الاطلاع عليه.

وللشيخ هناك عقب ذوو وجاهة. وله زاوية بالرباط تعرف بالزاوية المباركية.

٢٢٣- محمد السبع بن عبد الرحمن المجذوب الولي الشهير.

حاله: شيخ عابد بركة من أولياء الله الصالحين، كان أرميا والده بخدمة

الشيخ أبي المحاسن الفاسي، ذكره صاحب المطمح وغيره.

مشيخته: أخذ عن أبي المحاسن المذكور وغيره.

وفاته: توفى سنة أربع عشرة وألف.

٢٢٣ - من مصادر ترجمته: التقاط الدرر - ص ٤٥.

٢٢٤- محمد بن أبي القاسم بن محمد بن محمد بن قاسم بن أبي العافية
الشهير بابن القاضي المكناسي.

حاله: فقيه عالم علامة قدوة محصل حيسوبي فرضي مشارك رحالة كان
أوجد عصره في علم الحساب والفرائض والتوقيت والتنجيم والجدول وغير ذلك
وله مخالطة لعلم الحدثان تذكر عنه حكايات في ذلك غريبة مع الفهم الثاقب
والإدراك التام، حج ولقى جماعة كالأجهوري وأضرابه.

مشيخته: أخذ عن عمه مؤلف الجذوة وعن الحافظ أحمد المقرئ وسيدى
العربي الفاسي وغيرهم.

مؤلفاته: منها البرق الوامض، في الحساب والفرائض، وكتاب لطيف أخذ
فيه فصول الفرائض من لفظ زيد بن ثابت، وتحقيق المذهب في مسائل الجد،
ورحلة للمشرق، ومحاذي على قصيدة ابن ليون في التفسير، ومحاذي على
الروضة في التوقيت، وتحفة الخالي، على نظم سلك اللثالي في الخمس الخالي،
لسيدى العربي الفاسي وله غير ذلك.

وفاته: توفي رحمه الله قتيلا بمسجد القرويين من فاس غدرًا بعد أن قام من
مجلس تدريسه عند عشاء يوم الاثنين في واحد وعشرين من ذي الحجة سنة
أربعين وألف.

٢٢٥- محمد بن أحمد بن عزون الجزنائي أبو عبد الله المكناسي.

أورده في نشر المثنى من جملة أهل العام الثامن من العشرة السادسة.

٢٢٦- محمد بن أحمد بن عزوز المكناسي.

حاله: قال أبو محمد عبد الله بن محمد بن عبد الرحمن بن عبد القادر

٢٢٤ - من مصادر ترجمته: التقاط الدرر - ص ٩٢.

الفاسى فى كتابه الإعلام فى حقه ما نصه: فقيه أديب شديد الطلب، بارع فى الأدب.

مشيخته: منهم أبو محمد عبد القادر الفاسى حضر مجالسه المختلفة الفنون، واقتنى منها ما تقر به العيون.

وفاته: توفى بتونس سنة ست وستين وألف، قاله فى الإعلام.

٢٢٧- محمد بن أحمد الصباغ لقبا البوعقيلى نسابا.

أصله من مكناس ونشأ بفاس.

حاله: فقيه علامة مشارك حيسوبى فرضى، جليل القدر، ناقد بصير عارف بعلم الحديث والفقه، ماهر فى علم الهيئة والحساب والفرائض، سلم له أهل عصره فى ذلك، ورجعوا له فى خبايا تلك العلوم، وتصدر هو لتعليمها فانتفع به قوم.

مشيخته: أخذ عن الشيخ أبى العباس أحمد بن القاضى، وابن عمه أبى عبد الله محمد بن القاضى وغيرهما.

مؤلفاته: منها شرح على المنية لابن غازى سماه البغية فى شرح المنية، أجاد فيه ما شاء، واليواقيت، فى الحساب والفرائض والمواقيت، وكشف قناع الالتباس، عن بعض ما تضمنته من البدع مدينة فاس، وشرح الروضة، واختصار شرح المنجور على المنهاج، وغير ذلك من التأليف والتقاييد الحسنة المحررة.

ولادته: ولد سنة تسعين وتسعمائة.

وفاته: توفى سنة ست وسبعين وألف ودفن بعين أصليتين من الحضرة الفاسية بدار ضريح ابن عبد الكريم وعمره ست وثمانون سنة.

٢٢٨ - محمد فتاح ابن الحافظ الضابط أحمد بن أبي المحاسن يوسف

الفاسي.

حاله : طائر الصيت، منتشر الذكر في سائر البلاد، فقيه علامة متضلع في جميع العلوم، إمام حجة، ناقد خبير بصير، ضابط متقن مشارك متفنن، مقرئ بارع في قراءات السبع، محصل محرر، مدرس نفاع، مقيد حافظ، مستحضر للمسائل، يستظهر تسهيل ابن مالك، ومختصر ابن الحاجب الأصلي وغير ذلك، فصيح العبارة لا يجارى في سائر الفنون، قوى الفهم، حسن الأخلاق، لين الجانب بشوش، مقبل على الصغير والكبير، كريم سريع الدمعة.

استوطن مكناسة الزيتون، وتقلد قضاءها مدة، فحمدت سيرته، وتواطأت الألسن على مدحه إلى أن نقله السلطان المولى الرشيد لفاس سنة سبع وسبعين وألف، وولاه الفتيا والخطابة بالقرويين، ثم آخر عن ذلك فلازم القرآن والتقيد والإفادة للخاص والعام.

مشيخته: أخذ عن ابن عاشر، وابن أبي النعيم، وعمه سيدي العربي، وعم أبيه سيدي عبد الرحمن بن محمد، وعن أبي الحسن بن الزبير السجلماسي، وأبي الحسن البطوثي^(١).

وبالإجازة عن الشيخ القصار، وأبي زيد بن القاضي، وصاحب الترجمة مع الإمام أبي محمد سيدي عبد القادر بن علي الفاسي قرينان في طلب العلم والسن ولقاء المشايخ، وكلاهما من أجل أهل زمانهما كذا في نشر المثنى.

الآخذون عنه: أخذ عنه أبو محمد عبد السلام القادري، وسيدي محمد

٢٢٨ - من مصادر ترجمته: نشر المثنى في الموسوعة ٤/١٥٧٨.

(١) قيده في نشر المثنى من الموسوعة ٣/١٢٨٥: «بضم الطاء المشددة فواو وهمزة قبل ياء

النسب».

وعبد الرحمن ابنا شيخ الإسلام أبى محمد عبد القادر الفاسى ، والقاضى أبو عبد الله بن الحسن المجاصى ، والقاضى أبو عبد الله بردلة .

مؤلفاته: منها شرح لطيف على المختصر الخليلى ، وشرحان على نظم المراصد لعمه سيدى العربى ، وشرح لنظمه أيضا فى المنطق .

ولادته: ولد بفاس ضحى يوم الخميس تاسع محرم سنة تسع وألف وفى النشر ثمان وألف .

وفاته: توفى بفاس آخر ليلة الثلاثاء ثانى عشر ربيع الأول سنة أربع وثمانين وألف ، ودفن بروضة جده أبى المحاسن من جهة القبلة خارج القبة ، وإلى ذلك إشارة الشيخ المدرع فى منظومته بقوله :

وسيدى محمد بن أحمد سليل يوسف الإمام الأجد

بخارج القبة حوشه اشتهر من جهة القبلة بان وظهر

٢٢٩ - محمد العرائشى أبو عبد الله .

حاله: فقيه نبيه جليل ، صوفى نبيل ، كان ناظرا فى العهد الإسماعيلى على أحباس الولى المتبرك به حيا وميتا عبد الله بن حمد ، وهو الذى تولى بناء ذلك الضريح المروثق عن إذن سلطان وقته سيدنا الجد المذكور حسبما ذلك مرقوم فى نقش زليج بالحائط عند رأس قبر المترجم .

ودونك نص الغرض منه :

هذا ضريح خديم هذا الولى الصالح سيدى عبد الله بن حمد نفع الله به ، وناظر أحباسه والذى بنى هذه الروضة المباركة عن أمر مولانا إسماعيل نصره الله ، وهو الحاج محمد العرائشى رحمه الله .

وفاته: توفى عند فجر يوم الثلاثاء ثامن عشر من جمادى الأولى سنة ثمانية وتسعين وألف .

٢٣٠ - محمد الغمارى .

دفين حومة حمام الحرة جوار الولى الصالح السيد عمرو بوعودة آتى الترجمة .

حاله: لم أقف فى ترجمته على شىء زائد على ما برسم حبس دونك لفظه:

«الحمد لله وحده، نسخة رسم واحد والإعلام بالقبول عقبه وخطاب نائب من يجب سدده الله لمغيبه عقبه نصه، الحمد لله بشهادة شهيديه أمنهما الله بمنه حسبما فى غير هذا حبس الشريف الأصيل مولاي السعيدى ابن مولاي الجيلانى المنونى من داره المعروفة له فى جوار سيدى عمرو بوعودة، الأولى عن يمين الداخل للدرب الذى كان به سكنى العلامة سيدى الغازى، جميع براحها مع البيتين الصغيرين المستندين على اروى مولاي الطيب على الولى الصالح، الكوكب اللائح، سيدى محمد الغمارى نفعا الله به ليدفن بهما هو ويدفن غيره من سائر الناس، وثمان القبور يكون فى مصالح ضريح الولى بعد أن يبنى ويكون زاوية، وإن فضل على ذلك شىء اشترى به ما يوقف على روضة الولى للانتفاع به فى مصالحه من إيقاد وغيره، وأبقى الشريف المذكور من داره المذكورة مما عدا ما حبسه لنفسه، وذلك البيت المقابل للداخل للدار المذكورة المستند على روضة ولى الله سيدى عمرو بوعودة، والمقابل له ينتفع بهما بما شاء من دفن أو غيره، والباب تبقى متحدة بينه وبين الروضة، وإن شاء أخرج البيتين أو أحدهما .

وشهد به عليه بأكمله وعرفه في أواسط ذى القعدة الحرام عام خمسة وتسعين ومائة وألف محمد بن عبد الله الرجراجي لطف الله به، وعبد الرحمن ابن الحاج قاسم الفلوسى وفقه الله آمين.

وبعده: الحمد لله أعلم بقبولهما عبد الله سبحانه وتعالى محمد الطيب بن محمد بصرى وفقه الله بمنه ولطف به.

وبعده بخط نائب من يجب لمغيبه: أعملته انتهت قابلها بأصلها فمائلته وأشهده الفقيه الأجل، العالم الأفضل، نائب قاضى الجماعة لمغيبه بمدينة مكناس، وهو الكبير بن أحمد العوفى تغمده الله برحمته أعزه الله تعالى وحرسها، بأعمال المنصوص عنده الأعمال التام لأعماله لديه بواجبه، وهو حفظه الله تعالى بحيث يجب له ذلك من حيث ذكر، وفى التاسع والعشرين من رمضان المعظم عام أربعة ومائتين وألف عبد الله سبحانه وتعالى فلان بشكله ودعائه وعبد ربه سبحانه وتعالى فلان بشكله ودعائه.

وقد أخبرت على لسان أهل العدل أن كرامات المترجم تواترت لدى الخواص والعوام من قدماء أهل بلدتنا المكناسية، من ذلك ما حدثنى به بعض المبرزين الموثوق بأمانتهم وديانتهم من العدول أهل العلم والثبات عن بعض الأساتذة الطاعنين فى السن، أنه سمع بالتواتر على السنة أهل الصدق والدين أن المترجم دخل يوم عيد أضحى لدار من دور حومة حمام الحرة حيث مدفنه الآن، فوجد ربة الدار تشوى كبد أضحيتها وهى تبكى، فاستفهمها عن سبب بكائها فأخبرته بأنها تذكرت ولداً لها ذهب حاجا فى ذلك العام، وأنها لم يطب ولم يهنأ لها أكل ذلك الكبد دونه، فقال لها: ناولينى حظه فتاولته قطعاً من ذلك الكبد فى آنية، وجعلت له مع ذلك خبزة، فأخذ منها ذلك وخرج، ثم رجع لها من حينه، وقال لها: قد أعطيته ذلك فشكرته، والله أعلم بما يخامر ضميرها.

ثم إن ولدها بعد رجوعه من الحج أخبر بأنه كان ماراً في زقاق من أرقعة مكة المشرفة يوم النحر، وإذا برجل جبذه من ثيابه فلما التفت إليه قال له: خذ هذه الآنية بما فيها فأخذها ظناً منه بأنه من أهل مكة، ثم لما رجع لرفقته بمحل نزوله متأبطاً لما ذكر وأخبرهم بالواقع، وأنه بمجرد ما سلم له الرجل الآنية غاب عنه، ولم يدر أى فج سلك، وأنه جزم إذ ذاك بأن الرجل ليس من أهل مكة، وأنه ولى من أولياء الله تعالى خصه بذلك فضلاً منه سبحانه، وأن تلك الآنية بعينها تركها بداره بمكناسة عند والدته فسخروا منه وعدوا مقالته من هزل القول، وقالوا له: إنما تلك فضلة فضلت عن عيال الرجل فخرج يتصدق بها فصادفك أمامه فأعطاك إياها، فانتظر مجيئه فى طلب الآنية، فلم ير للرجل بعد أثرًا.

ثم بعد أوبته من الحج أخبرته أمه بحقيقة ذلك، وقصت عليه القصص فصدق لها الواقع بإخراج الآنية وشاعت القضية بين أهل البلد وغيرهم، وزاعت وازداد حسن اعتقاد جميع الناس فى المترجم، وأن المترجم كان يدخل لسائر دور أهل البلد من غير استئذان وبالأخص دور الحومة التى فيها مدفنه اليوم، ويقابل عند الكل بكل تكرمة وإجلال لحسن اعتقادهم فيه ورغبتهم فى نيل بركته، وأنه كان يصبح كل يوم فى حلة بيضاء ناصعة فيروح بها كأنها ثوب زيات ولم يدر من أين تصاب له بذلك ولا ما يعمل حتى تصير على ظهره كالليل الحالك إلى غير هذا من أنواع الكرامات، الخارقة للعادات.

وقد علم وتقرر أن كرامات الأولياء ثابتة كتاباً وسنة وإجماعاً، فلا يستغرب هذا وأكثر منه فى جانبهم رضوان الله عنهم.

٢٣١- محمد بن محمد بن يحيى بن محمد بن يحيى بن جابر الغساني

الأصل.

٢٣١ - من مصادر ترجمته: كفاية المحتاج ١٩٤/٢، نيل الابتهاج ٢٣٩/٢.

نسبة إلى غسان - بفتح الغين المعجمة والسين المهملة وبعد الألف نون -
وهي قبيلة كبيرة من الأزد، شربوا من ماء غسان وهو باليمن فسموا به، المكناسى
الدار.

حاله: ثبت ذكى واعية، أستاذ حافظ متضلع، مطلع نقاد.

مشيخته: أخذ عن والده، والشيخ المبارك أبى خالد يحيى بن يحيى بن خالد
وغيرهما.

الأخذون عنه: منهم الإمام ابن غازى قال: جالسته بمكناسة واستفدت منه
كثيرا، ومن أغبط ما أخذت عنه المصافحة المروية من طريق الخضر، ومنهم الإمام
سقين العاصمى رأيت فى إجازة لأبى القاسم الغسانى أجاز بها سيدى محمد
العياشى روى فيها المصافحة عن المنجور عن سقين عن المترجم عن والده بالسند
السابق فى ترجمة ابن غازى.

ولم أر من تعرض لولادة المترجم ولا وفاته، لا بمن ترجمه كسيدى أحمد
بابا فى النيل، وتلميذ المترجم ابن غازى فى الفهرسة، والذى يظهر من أحواله أنه
عمر رحمه الله رحمة واسعة.

٢٣٢ - محمد بن الحسن المجاصى.

الغيثى الأصل، المكناسى الولاية والوفاة، قاضيا أبو عبد الله.

حاله: فقيه ناقد، علامة مشارك، متبحر مدرس نفاع، مفت مطلع متضلع،
محرر محقق، حافظ متقن، خطيب مصقع، بليغ واعظ ناسك، من أهل التثبت
فى الأحكام والتحرى فيها، له عارضة فى التقييد، وباع فى النظم والنثر.

٢٣٢ - من مصادر ترجمته: نشر المثنى فى موسوعة أعلام المغرب ٥/ ١٨٢٣.

وكان فى أول أمره حامل الذكر معتزلا عن الناس فولاه السلطان المولى الرشيد بن الشريف الحسنى بإشارة من العلامة الأستاذ سيدى عبد الرحمن بن القاضى المكناسى قضاء فاس الإدريسية، بعد أن عزل حمدون المزوار على ما فى الدر المنتخب، وذلك آخر جمادى الأولى عام تسعة بمشاة وسبعين بموحدة، وخطبة جامع القرويين بها فى ثانى وعشرى رجب عام أربعة وثمانين وألف، فجمع بين قضاء فاس وخطبة مسجدتها الأعظم.

والذى فى نشر المثنى أن تولية المترجم كانت بعد عزل سيدى محمد البوعنانى^(١) فالله أعلم بالحقيقة.

قال فى الدر المنتخب: إن مولانا الرشيد لما دخل فاسا سأل أهلها عن أفضل علمائها وأسئهم، فقبل له: سيدى عبد الرحمن بن القاضى، فاستدعاه للقدم عليه فأجاب به بأنه لا قدرة له على القدم عليه لكبر سنه وملازمته بيته، فقال للرسول: إنى آتية ويخرج بمحل قريب من بيته ألتقى معه به، فخرج لعرصة درب الدرج التى حائطها موال لمصودة، ولما ورد السلطان فتحوا له نقبا فى جوار العرصة دخل على الشيخ منه واجتمع معه، وبعد التماس بركته والفراغ من سنة السلام، قال له: أتيتك لأستشيرك فىمن أوليه بفاس من حاكم وقاض ومحتسب وناظر؟ فقال له: أما الحاكم فلا أتقلده، والقاضى حمدون المزوار، والمحتسب عبد العزيز الفركلى الفيلىلى، والناظر العدل مسعود الشامى.

ولما خرج من عنده أمر أن يبنى بالمحل الذى دخل منه باب ويبقى طريقا، فهو الآن درب الدرج لم يكن قبله، ولما بلغ دار الإمارة نفذ القضاء لحمدون المزوار، والحسبة للفركلى الفيلىلى، والنظر فى الأوقاف للعدل مسعود الشامى فامتنع منها وسجن عليها سبعة أشهر، ولما ضاق عليه الأمر أجاب على شرط أن

(١) نشر المثنى فى الموسوعة ١٨٢٣/٥.

لا يتعرض له قاض ولا وال، لأن الأعباس كلها حازها للصوص والأشراف أيام الفترة حتى كادت أن تستأصل كلها، واشتغل بالبحث عنها واستظهارها ومن اتهمه بربيع أو أرض يحوز عليه كل ما عنده من الرباع، فما ظهر رسمه رده له، والذي لا يظهر رسمه علم أنه مغصوب فيحوزه للحبس حتى رد الأوقاف كلها.

قال: ولما تولى القضاء المزوار المذكور، وكان كثيرا ما يرد أحكامه المفتى سيدى عبد الوهاب الفاسى فى نوازل وأحكام تقع منه تخالف المشهور، وعلم بذلك الشيخ ابن القاضى كتب بذلك للسلطان الرشيد يقول: إن من أشرت عليك بتوليته القضاء له أصهار وأنصار، فأقلنى من عهدته أقالك الله من النار، فأمره أن ينظر للقضاء من هو غريب الدار، فأشار عليه بالترجم.

قال: وتقدم ما ذكره فى نشر المثانى فى سبب عزل المزوار وتولية صاحب الترجمة وهو ليس مخالفا لما هنا، لأن ما هنالك مجمل وما هنا مفصل هـ وكلام النشر المحال عليه هو ما سيمر بك.

ثم صرف، أعنى المترجم، عن القضاء بفاس والخطبة بجامعها فى رابع ذى القعدة عام ثمانية وثمانين، ثم بعد مضى عشرين يوماً رام من المتولى بعده وهو الشيخ أبو عبد الله العربى بردلة أن يشركه معه فى فتوى فاس أو خطبة مسجدها المذكور، فامتنع الشيخ بردلة من ذلك.

فأخذ المترجم فى التدريس بجامع القرويين فى بعض الكراسى بها من دون تولية إلى أن ولى قضاء حضرة السلطان المظفر مولانا الرشيد الحسنى بمكناسة الزيتون، وسبب تولية صاحب الترجمة قضاء فاس فيما يحكى، أن السلطان المذكور رد إلى القاضى بعض مسائل من الأحكام المتعلقة بنسبة من له الشرف بفاس فلم يتضح للقاضى المذكور ما يجيبه به عنها، فاستعجله السلطان من ذلك وعزله، وقال: لا أولى قضاء فاس إلا من كان غريبا لا أهل له رلا صهر، فاختر

الفقهاء الذين بمدارس فاس، فلم يجد أنجب من صاحب الترجمة حيثئذ فولاه قضاءها، فسلك رحمه الله سبيلا حسنا، وكفى به أن الشيخ اليوسى ارتضاه للمشورة فى الرسالة التى كتبها لسيدنا الجد السلطان مولانا إسماعيل، إذ قال له فيها: فعلى سيدنا أن يقتدى بهؤلاء الفضلاء ولا يقتدى بأهل الهوى، ويسأل من معه من الفقهاء، كسيدى محمد بن الحسن - يعنى صاحب الترجمة - وسيدى أحمد بن سعيد وغيرهما من العلماء العاملين الذين يتقون الله ولا يخافون فيه لومة لائم. انتهى.

وما أراه السلطان من اتخاذ القضاء غريبا هو من أسباب العون على العدل وتيسيره، وما زال أهل العدل يحتاطون له.

انظر ما فعل القاضى ابن محسود فإنه حكى عنه فى الشوف: أنه لما ولى قضاء فاس اتخذ رياتا بمكناسة يقضى له الضروريات لتلا يكون له مخالطة مع أحد من أهل ولايته بوجه ما، انظر لفظه فى ترجمة أبى عبد الله بن محسود.

وقد كان صاحب الترجمة من أهل الثبوت فى الأحكام والتحرى، ومما يحكى عنه فى ذلك أنه كان إذا أشكل عليه وجه الحكم قيده وضرب الأجل للخصم حتى يفرغ لتأمله، وكان مظنة وقت فراغه يوم الخميس، فيمضى إلى شيخه إمام الجماعة أبى محمد عبد القادر بن على الفاسى ويذاكره فيه بمحضر من يتفق له حضوره من العلماء حتى يتضح الأمر فيحفظه ليحكم به على الخصمين، وهذه سيرة عالية تدل على قوة الدين، والتمسك بحبله المتين.

مشيخته: أخذ عن سيدى عبد القادر الفاسى، وناهيك به وعمن فى طبقة من شيوخ عصره، وأجازه عامة: الملا إبراهيم بن حسن الكورانى الشهرزورى بواسطة صاحبه قاضى سجلماسة أبى مروان عبد الملك التجموعتى عندما رحل للحج، كما وجد ذلك بخط التجموعتى المذكور.

والملا إبراهيم هذا يروى عن العارف بالله صفى الدين أحمد المدنى وغيره .
الآخذون عنه: تخرج عليه جماعة من الفقهاء القادة الأعلام، منهم سيدى
عبد السلام بن الطيب القادرى جد صاحب النشر للأب .

مؤلفاته: منها تقييد فى الأشراف الجوطيين فى نحو نصف كراسة صغيرة قال
فى آخره: ولجلالة هذا النسب الشريف وعظيم مكانته تعلق به جماعة من أعيان
العلماء وصدور الأئمة، فقائل يقول: أمى شريفة، وآخر يقول: جدتى وآخر
يحكى أن له فى شريفة رضاعا كالشيخ السنوسى، وجلال الدين السيوطى،
والشيخ زروق. وقال صاحب الزلفى: ليت لمثلى من ذلك ولو كخيطة العنكبوت،
ثم قال: وفى الحديث إن الداخل فيهم وليس منهم يفضح بين الخلائق إذا لم يدع
باسم أبيه ويستحى، وهذا إذا لم يكن هو المتسبب فيه، وأما المدعى الكاذب الأول
فما يناله من العقوبة واللعة أشبع وأفزع من فضيحة تابعه إذا لم يعلم باعتداء
آبائه، ولعل هذا سبب من يتورع من الانتساب، ويقول: إن يكن شىء من هذا
حقا فإنما نحتاج إليه يوم تبيض وجوه وتسود وجوه، وإن كان باطلاً فنحن منه على
جناح سلامة، ويحسن هذا فى حق من وجد شيئاً بيد آبائه ولم يكن متواتراً شائعاً
ذائعاً نعم من غير أن يتبرأ منه، ولعله ينتفع انتفاعاً ما .

وفى فهرسة شيخ المشايخ، شيخ شيوخ شيوخنا العلامة سيدى أحمد المنجور
فى ترجمة شيخه العلامة المحقق أبى عبد الله محمد بن أحمد بن عبد الرحمن
اليسيتى قال: أصله من بنى يسيتين بربر من عمالة دبدو، من بطن منهم يقال لهم
بنو كلال، وهم يتمون إلى الشرف العلوى من فاطمة البتول رضى الله عنها،
ولكن لم يثبت لهم ذلك كالمشاهير بالشرف من القبائل، ولهذا لم أسمع شيخنا
المذكور قط ينتمى إليه ولا رأيت به خطه فى براءة أو كتاب علمى، ولا يزيد على
لفظ اليسيتى وإن كان أبوه الفقيه أبو العباس - وكان يقرأ فرعى ابن الحاجب من
أقران أبى العباس الزقاق - ينتمى إليه وكذلك جده الصالح التالى لكتاب الله

تعالى أبو زيد عبد الرحمن كان يقرئ الصبيان بالمكتب المقابل بانحراف لدرب
اللمطى من عدوة فاس الأندلس مشهورا بالبركة.

وقد رأيت رسم شرف لأم عبد الرحمن هذا وقال لى صاحبنا الفقيه أبو عبد
الله ولد شيخنا الإمام: إنه كان عندهم رسم شرف لجده عبد الرحمن من قبل
الأب أيضا، فلما لم يصح ذلك عند الشيخ هرب من ذلك، وأخذ بالاحتياط
والحزم فى دينه مخافة أن تلحقه لعنة رسول الله ﷺ للدخال من غير نسب.

وسمعت مولانا أمير المؤمنين أبا عبد الله محمد الشيخ المهدي يوم خروجه
لحركة مللو سنة ثمان وخمسين يسأل الشيخ كم لهم بفاس؟ فقال له: نحو مائتى
سنة، قال: ملفق هذه العجالة وقضيتنا قريبة من قضية هذا الشيخ فإنى ورى
العالم بالخفيات والمجازى يوم تبلى السرائر أدركت والذى رحمه الله وعماً لى من
حملة القرآن العظيم وهو ابن الصغير بن يعقوب المغراوى يتمون للجانب العلوى
ولا يتوقفون فى ذلك، ورأيت بعينى رسم شرف وظهائر ولا أدرى أين صارت،
وكان أبى يقول: إن أخاه سيدى محمد قدم مع والده سيدى الصغير من مغراوة
الجزائر وأنهم من ذرية ولى صالح يدعى بسيدى يعقوب أو أبى يعقوب وأنهم
يعرفون بذلك ببني مرزبة - بميم فراء ساكنة فزاي مكسورة فباء موحدة بعدها هاء
التأنيث - سموا بنبت يعرف بذلك.

أما أبى فإنما ولد بحوز فاس ببني واريش على ما حدثنا به رحمه الله،
وبأيديهم رسم الآن ثبت بشيوخ مسنين ممن أدرك الأب والعم، والله المستول أن
يجمع همتنا عليه ويحقق لنا النسبة الروحانية ويرعانا بعين رعايته فى الدارين،
وأدعو بدعاء القطب العارف بالله مولانا عبد السلام نفعنا الله به: اللهم ألحقنى
بنسبه وحققنى بحسبه، والسلام على من يقف عليه عبد الله محمد بن الحسن
المجاصى وفقه الله وكان له بتاريخ تسعة وتسعين وألف هـ.

ووجد مقيدا عقب التقييد المذكور ما نصه بعد الحمدلة والصلاة:

تصفحت الأنقال المشار إليها أثناء هذه الأوراق فالفيتها مطابقة لما تحصل من أصولها المنقولة منها، وأما ما ذكره صاحبنا الفقيه العلامة سيدى محمد بن الحسن عن سلفه فقد سمعته منه والله يثبتنا على القول الثابت فى الحياة الدنيا وفى الآخرة، ويجعلنا من أمة سيدنا المصطفى عليه الصلاة والسلام يوم فإنما هى زجرة واحدة فإذا هم بالساهرة، قال ذلك وكتبه العبد الفقير أواسط ذى القعدة الحرام سنة تسع وتسعين وألف عبد الملك بن محمد التجموعتى وفقه الله هـ.

ومن تأليفه: تقييد فى مسألة العكاكزة، ونظم فى أشراف المغرب، وأجوبة حسنة تضمنتها نوازله على ما له من العارضة فى العلوم.

شعره: من ذلك قوله ناظما عمود نسب النقيب مولاي عبد القادر بن عبد

الله الشيبهى:

حمداً لمن جعل السعادة كلها	حب النبى وصحبه والآل
ثم الصلاة على الرسول محمد	قطب البرية غوثها المتعال
وسلامه الأزكى يؤم ضريحه	طيبا على طيب المكان العال
وعلى صاحبه وعترته النهى	أهل الندى والجود والإفضال
هذا وقد أمر العلى جانبه	أمرا يذل ضئولة الرئبال
أمرا ببذل الدر من أسلافه	من أصله والى زمان الحال
فأجابه العبد العيبى لسانه	مولاي هذا موقف الإبطال
فازداد حرصا بعدها وتحتمت	طاعاته فى سائر الأحوال
أسعفته وجعلت بيت قصيدتى	مولاي عبد القادر المفضال

عجبا لطينته من الصلصال
بأبيه عبد الله في تسأل
بيت النبوة سيد الأقبال
يعلو على التفصيل والإجمال
مولاي عبد الواحد المفضال
هو الشبيه بسيد الإرسال
من الهاشمي صاحب الأحوال
يحمي حماية صاحب الأشبال
كأيك عبد الواحد الهطال
واعرف عليا كاشف الأوجال
أرقى الذي أحلى من السلسال
عبدا إلى الرحمن ذي الإكمال
من كان والده عليا عال
كل المجادة فيه في اضمحلال
للمجد يحيى بارع الأفعال
بالجوط يحيى نخبة الأبدال
نفع الموالى قاسم الأموال
بأبيه إدريس المتنام العال
حسن المثني صادق الأقوال

الفائق الأبهى البديع جماله
وسعت بين جنباه متضرعا
نجل العروف اللوذعي محمد
بأبيه عبد القادر الأسمى الذي
نجل الشريف الشامخ القدر العلا
بأبيه أحمد ذي الفضائل والحجا
بالزاهد القرشي عبد الواحد بـ
عبد إلى الرحمن فيه إضافة
فاضت أبا غالب بحار نوالكم
والفارس الحامى الذمار محمد
بأبيه عبد الواحد بن الماجد الـ
أعنى أبا عبد الإله وصل به
بالواحد الأسنى الشريف محمد
بأبيه حم نجل يحيى المنتقى
بأبيه إبراهيم للأصل المنتمى
بالفاضل الأرقى الحسيب محمد
والقاسم الأزكى الرفيع مقامه
بأبي العلا إدريس ناشئ فاسنا
بأبيه عبد الله نجل المجتبي

بالسبط والده البهى جماله
بالوالد الأدرى على المرتضى
من عرسه بنت النبي محمد
وقوله:

يا روضة كملت محاسنها التي
فى عام شمل غير حول زررت
وتزخرفت وتعطرت وتهذبت
وتشعشعت أنوارها وتكلمت
وتهذبت أخلاقها وتنسمت
من بعد أن طرب الزمان بحسنها
قطب البرية عزها وفخامها
المولوى الهاشمى المنتقى
قد صاغها النجل السرى تكرما
ابن الرضى مولوى عبد الله ذى الـ
دامت مسرته ودام سعده
ووقاه من شر الزمان وفتكه
وأناله فى الناس ظلا وافرا
وكسا بنيه الغر فضل رداة
لا زال مجدهم العلى مؤزرا
دخل الحمى يا آل بيت المصطفى

حسن بن فاطم بغية الآمال
ليث الحروب منرج الأهوال
فيه انتهاء العز والإجلال

جلب العقول بهاؤها للناظر
أزرارها وتنظمت بجواهر
أغصانها وتبسمت للزائر
أطيافها وتدفقت بكواثر
أوراقها وتفتحت بأزاهر
زفت إلى بحر البحور الزاخر
سر النبوءة فخر كل مفاخر
إدريس منقذ غربنا فى الغابر
وتفضلا مولاي عبد القادر
أصل الزكى الطيب بن الطاهر
وحسوده فى ضنك عيش خاسر
وكفاه ثورة فاجر أو جائر
يكفيه من بغى الظلوم الماكر
يتناسقونه كابرا عن كابر
ومؤيدا باسم العزيز القاهر
عبد ذليل ماله من ناصر

وفاته: توفى عصر يوم السبت رابع ربيع الأول عام ثلاثة ومائة وألف، ودفن عند الغروب من يومه بمكناسة الزيتون في روضة سيدى أحمد الحارثى، المعروفة الآن بروضة الشيخ الكامل، وعليه بناء متصدع على يمين الداخل للروضة المذكورة من الباب المعروف بباب المعراض خارج باب السبية أحد أبواب العاصمة المكناسية.

٢٣٣ - محمد بن أحمد المزطارى المكناسى الشاذلى.

ذكره فى سلك الدرر.

حاله: شيخ إمام عارف مسلك مرشد أستاذ كامل صوفى ربانى، حكى تلميذه الشهاب أحمد بن إبراهيم الحبالى الإسكندرى أنه ما غفل قط فى وقت من الأوقات الخمسة عن سبعين ألفا من لا إله إلا الله فى مدة إقامته معه، وكانت المدة المذكورة ثمانية عشر عاما، وكان جبلا من جبال المعارف منار هدى وإرشاد، وله كرامات كثيرة، وخوارق شهيرة، لا تسعها الأفهام، ولا يطيقها نطاق الأقلام، رحل من بلده مكناسة إلى دمشق الشام، وقدمها غرة جمادى الأولى سنة ست وتسعين وألف، ثم رحل من دمشق إلى مكة المشرفة واستوطنها وبها كانت منيته.

مشيخته: أخذ الطريقة الشاذلية عن شيخه الفرد الربانى سيدى قاسم بن أحمد القرشى السفينانى المدعو بابن بلوشة.

الآخذون عنه: منهم الشيخ عبد الرزاق بن عبد الرحمن السفرجلانى، والشيخ محمد بن خليل العجلونى، وكتب له بذلك إجازة مطولة، والشهاب أحمد الحبالى وخلق، ويتصل سند المترجم من طريق الشيخ محمد أمين أفندى السفرجلانى الدمشقى الشامى بالسند المذكور، فى ثبته عقود الأسانيد.

٢٣٣ - من مصادر ترجمته: سلك الدرر فى أعيان القرن الثانى عشر ٣٣/٤.

ولادته: ولد عام أربعة وأربعين وألف.

وفاته: توفى بمكة المشرفة في محرم الحرام ليلة الجمعة سنة سبع ومائة وألف عن ثلاث وستين سنة، ودفن بباب المعلى بقرب ضريح السيدة خديجة الكبرى.

٢٣٤ - محمد بن محمد العناية.

حاله: ولى صالح عارف بربه، دال عليه ناصح، يقال: إنه من ذرية مولانا عبد السلام بن مشيش رضى الله عنه وعنا به أمين، ويقال: إنه كان من المجاذيب، وإنه من أهل العصر الإسماعيلي، ولم أقف على ترجمته بعد البحث المديد. وشريح من أشهر المزارات المقصودة للمتعلقين بأذيال أهل الله العارفين بحومة باب البردعيين المسماة بجناح الأمان.

٢٣٥ - محمد بن عمر السجلماسى الأصل الزرهونى الزاووى الدار والإقبار.

حاله: فقيه علامة جليل، مشار إليه بالفضل والدين والثبات والرسوخ، كان السلطان مولانا إسماعيل منحه خطبة وإمامة مسجد الضريح الإدريسي الأكبر من زاوية زرهون، حلاه سيدى أحمد بن المبارك فى إبريزه بالشيخ الفقيه العالم العلامة، وشهد بمعرفته لمكانته، وقد كان المترجم صاهر ابن مبارك المذكور بيناته الثلاث، وكتبه لما استدعاه سيدنا الجد السلطان مولانا إسماعيل للقدوم لمكناسة الزيتون للصلاة بالناس فى جامع مدينة الرياض العنبرى، فتوجه مع من وجه للقدوم به، ثم رجع لفاس قبل أن يلتقى بالسلطان بدون إذن يحذره مخالفة السلطان قائلاً: إنك رجعت من مكناسة ولم تلتق مع السلطان نصره الله ولا فاصلت نفسك فلا تدرى ما ينزل بك بعد قدمك، فالرأى أن ترجع إلى مكناسة وتلقى مع السلطان نصره الله وتظهر له الرضا بقبول الإمامة فى المسجد المذكور

وغير هذا لا تفعله، ولعل استدعاء ابن المبارك للإمامة كان عام خمسة وثلاثين ومائة وألف، وهى السنة التى نزل فيها ضيفا على أبى القاسم بن دارا أياما بداره بمكناسة والله أعلم.

وفاته: لا أحفظ الآن تاريخ وفاته بيد أنه توفى بزواية زرهون وضريحه أعلى سقاية البيان، حذو باب المعراض عن يمين الطالع هناك لحومة تارجا.

٢٣٦ - محمد البصرى المكناسى.

حاله: طاهر السريرة، دين صالح بركة واعظ، إذا وعظ وجلت القلوب وذرفت العيون، ثلثه غفلة لا يستعمل الأدب مع الملوك، فكان يتمرغ على غمارق المنصور مستندا بين يديه والمنصور يتحمل له ذلك لما يعلم من ديانته وصفاء باطنه. ذكره القشالى فى مناهل الصفا، وقال فى الصفوة: لم أقف على سنة وفاته، وقبره داخل مكناسة شهير هـ.

قلت: لا يعرف له اليوم قبر بل ولا ذكر، وإنما المعروف أبو عبد الله محمد الخطيب بصرى المترجم فيما قبل، وهو غير صاحب الترجمة قطعا كما يعلم بالوقوف على ترجمتهما.

٢٣٧ - محمد بن عبد الرحمن بن أحمد بصرى المكناسى الشيخ المقرئ.

حاله: فقيه جليل المقدار، جامع لأشتات خصال الفضل والمجد، حامل لراية الإقراء، وخاتمة الحفاظ والقراء، صدر عالم عامل، حافظ للسبع متقن عارف بتجويد القرآن العظيم، حسن الصوت، مجتنب للمحرمات، متوق للشبهات، لا تراه سالكا طريقا إلا وعيناه فى الأرض، وإذا لقي امرأة نحى وجهه عنها، وكان ذا كرامات ظاهرة، وإشارات باهرة.

قال تلميذه أبو القاسم بن درة من أجل ما شاهدناه منها - يعنى كراماته - أن بعض الناس كان يحب أن يرومه بشيء يكرهه، فمهما أراد منه ذلك يعطيه الله ما يشغله عنه فيكف عنه إذايته، وقصده بذلك مرارا فلم يظفر به، ونجاه الله منه حتى لقي ربه. قال: ومن أعظم ما رأيت من مكاشفاته أنى جئت يوم فوجدته بداره التى بقرب الجامع من زقاق القرمونى، فقال لى: يا قاسم، ووجهه عبوس، ونظر إلى نظر مغضب، اترك أو فارق عنك كذا وكنت والله مصرا على ما نهانى عنه، فأظهرت له التجلد وتعللت له بعلى فصفح عنى ودعا لى بالهداية، وكان رحمه الله راضيا عنى ودعا لى عند موته بخير فما على إلا فضله وبركته.

سمع السلطان الأعظم مولانا إسما عيل بحسن صوته وجودة تلاوته فأمر بإحضاره ليلة سابع عشرى رمضان، فأم به تلك الليلة وختم القرآن برواية ابن كثير يكبر ويهمل عند ختم كل سورة من آخر والضحى إلى آخر والناس، وأدرج القراءة إلى المفلحون فخلع عليه السلطان دائرة سنية كانت عليه وطلب منه صالح الدعاء انتهى.

وقد حظى المترجم من لدن جناب مولانا الجد السلطان المذكور بإجلال ورعاية وتبجيل، ووصفه بأوصاف عالية فى ظهيره الشريف المطاع الأوامر الذى أصدره بالتنويه بقدر بيت المترجم، ونشر ما لسلفه من المجد المؤثى، والحض على إنزالهم منزلتهم، ومقابلتهم بكل تكرمة وإعظام، والتعريف بما له ولسلفه وبنى عمه من الخطوة لديه، والاعتبار والإكبار، وإليك نصه بعد الحمدلة والصلاة:

«عن أمر عبد الله المتوكى على الله، أمير المؤمنين، المجاهد فى سبيل رب العالمين، إسماعيل ابن الشريف الحسنى أيد الله أمره، وأعز نصره وخلد فى صحف المجد والحمد ذكره، وأشرق فى الصالحات شمسه ويدر، يستقر كتابنا هذا أسماء الله بيد حملته أولاد ولى الله تعالى العارف بربه الصالح سيدى بصرى نفع

الله به وأولاد أولاده وحفدته ومن انتمى منهم إليه، وخصوصا الفقيه الأجل السيد محمد بن أحمد بصري، وبنى عمه وأولاده وأولاد أولاده ما تناسلوا ويتعرف منه بحول الله وقوته، وشامل يمنه العميم وبركته.

إننا أسبلنا عليهم جلايب الإيثار والوقار، وكسوناهم أودية الاحترام ونمارق الإجلال والإكبار، وعاملناهم بما يجب وما يجعل بنظائرهم من السادات الأخيار، ووقرناهم وحررنا جانبهم وأكرمنا مثواهم، وحشيناهم من كل ما يغيض بقدرهم، وأسقطنا عنهم كل مغرم أو تكليف، وسلكناهم مسالك آبائهم وأجدادهم وأسلافهم من قبلهم، وأنعمنا عليهم بمزيد أثرة، وكريم حظوة على ذلك، حيث هم بحمد الله من أولاد هذا الولي العارف المذكور، ومن خيار أهل حضرتنا العلية بالله، ومن لباب اللباب بها ومن أعيانها ومن ذوى الحسب والمروءة والأصالة منها.

ولا سيما وفيهم ومنهم النشأة الطيبة والنخبة الزكية الجامع لأشتات خصال الفضل والمجد حامل راية الإقراء، وخاتمة الحفاظ والقراء، الفقيه الصدر العالم العامل السنى أبو عبد الله السيد محمد بن عبد الرحمن بصري (ابن عمه الأحظى الأجل، الأنوه الفقيه النبيه الأمثل، السيد أحمد بن محمد، فما عندنا أعز منه ومنهم، فنحن منه وهو منا وفينا وإلينا، ومحسوب على الله وعلينا، والعلم والدين والسنة معه تجمعتنا، والجهل مع البدعة لغيره يفرقنا والخلافة إخوان.

وما هو لدينا فى نفوسنا الكريمة إلا من أعيان العصر؛ وأعوان النصر؛ والقلوب تتجازى فلا يقرب أحد ساحتها وساحة أهله وبنى عمه وأقاربه بما يسوءهم أو يضرهم فى نفوسهم أو يشوشهم على أسبابهم ومعاشهم أو أمر من أمور دنياهم فى هذا الأوان، ولا فيما يأتى من الأزمان، ما تعاقب الجديدان، واختلف الملوان، وعلى الدوام، وما توالى السنون والأعوام، من غير منازع، ولا معارض ولا مدافع فيما قابلناهم به وحملناهم عليه واختصصناهم به وأردناه لهم وآثرناهم به

عن سواهم، لأننا جربنا الناس وبلوناهم فالفيناهم ليسوا كغيرهم، وكفى بشهادة الناس فيهم والناس شهداء الله في أرضه، وما علمنا في جملة أولاد سيدى بصرى إلا خيراً وصلاًحاً، ونجدة ومروءة وفلاحاً، وكيف يجهل قدرهم أو لا تراعى حرمتهم ولا تؤثرهم على من عداهم. فنعهد بمسطورنا الكريم أعزه الله لكل من وقف عليه من أولادنا أو ولاة أمرنا وقوادنا ووصفاننا أن يعتقد فيهم معتقدنا، وأن ينهج فيهم منهجنا حسب الواقع عليه العمل بمقتضاه، ولا يحيد عن كريم مذهبه ولا يتعداه، صدر به أمرنا المعتز بالله والسلام بتاريخ ربيع النبوى عام اثنى عشر ومائة وألف».

وكان المترجم مع ذلك بارعاً فى فنون العربية والتصريف كاتباً بليغاً شاعراً مجيداً فقيهاً محققاً فصيح اللسان فى الخطبة والتلاوة كثير التواضع ثاقب الذهن كريم الأخلاق حسن اللقاء أمه السيدة آمنة بنت أبى سرحان مسعود بن محمد ولى الله محمد بن عبد الرحمن بن عبد الله بصرى وأمها السيدة عائشة من حفدة سيدى على منون وأم أبية السيدة عائشة بنت الفقيه السيد العربى المرىنى من ذرية ابن الحنفية.

مشيخته: أخذ القراءات السبع على شيخى التجويد أبى زيد عبد الرحمن بن محمد بن عبد القادر الرايس وأبى الحسن على بن أحمد بن جارية القصرى وأجازاه فى القراءات وسلم له جماعة من أئمة عصره ما فى الإجازاتين، ومن شيوخه أبو عبد الله محمد بن أحمد القسطنطينى وأبو العباس أحمد بن العربى بن الحاج وأبى عبد الله محمد بن عبد القادر الفاسى وأبو مدين السوسى وبردلة وغيرهم.

الآخذون عنه: أخذ عنه من أهل مكناسة والطارئين عليها خلق كثير لا يحصى منهم عبد الوهاب ابن الشيخ وأبو عبد الله محمد العربى بصرى صاحب منحة الجبار.

مؤلفاته: له شرح على مختصر خليل بلغ فيه إلى الزكاة واحترمه المنية
ومنظومة في إمالة أبي عمرو ابن العلاء وأخرى أفرد فيها رواية ابن عامر الشامي
تسمى المنار السامي.

شعره: من ذلك قوله في منظومة الإمالة:

يقول عبد ربه محمد عرف بالبصرى ربي أحمد
ثم الصلاة والسلام السرمدي على النبي المجتبي محمد
وبعد فالقصد بذا النظام ذكر إمالة الرضى الإمام
أعنى أبا عمر والزكى بن العلا من لاح بالبصر: بدرأ كملا
وقوله في نظم رواية الشامي:

قال محمد بن بصرى وقد نوى افتتاحا باسم ربنا الصمد
مصليا على الرسول المجتبي وآله وتابعيه النجبا
وبعد فالقصد بذا النظام بيان مقراً الإمام الشامي

ولما أوقف عليه شيخه أبا مدين سماه له بيت رجز بالمنار السامي:

هذا واسميه المنار السامي لمبتغ نهج الإمام الشامي
ومن شعره قوله:

ظعنت وفي نفسى من البين لوعة ونار اشتياقى فى الضلوع كما هيا
وجئت بجسم فارغ من فؤاده وربى عليهم أين حل فؤاديا
لعمرى لقد خلفته رهن ما اشتهى بأيدى أناس يحسنون التقاضيا
وددت ولم أئس من إدراكى المنا لو أن إله العرش حل عقاليا

فجاورتهم عمرى ومتعت أعينى
 فيا أهل فاس خلصوا من نواكم
 أليس بعمار أن ينيخ بياكم
 وما شرف الضرغام إلا ببطشه
 وقولوا لمن فى أسرنا قد تنافسوا
 ألم يكفهم أن قدار أقوام دم امرئ
 ألم يغلبوا فى عالم الله كله
 سمعت بأن خافوا على حرارتى
 على أن لى فيمن قصدت كفاية
 وكيف وقد وجهت نحو محمد
 بطلعتهم فى غدوتى ومسائيا
 وأم حماكم مستهاماً وباكيا
 بأشجانه عبد فيرجع خاسيا
 ولا الهندوانى غيران كان ماضيا
 فإما يمنوا أو يحوزوا فؤاديا
 خديم الهدى دأبا ولو كان عاصيا
 سواى ولم يلفوا ضعيفا وراثيا
 بلى قصدهم منى عقوقى إلهيا
 وعهدى بهم والله أسدا ضواريا
 إمام الهدى شكوى تهد الرواسيا

وفاته: توفى فى ثامن محرم فاتح عام أربعة وعشرين ومائة وألف بعد أن
 البس البلايا دهرا كما رأيت من شعره الخ.

٢٣٨- محمد بن محمد الكاتب القيسى الأندلسى نجاراً، الفاسى منشأ
 ودارا وقرارا.

حاله: فقيه، نبيه، أمين وجيه نزيه، كان سيدنا الجد المولى إسماعيل برد الله
 ثراه، جعل له النظر العام والأمانة الكاملة فى البناءات السلطانية على اختلاف
 أنواعها وأجناسها، وله النظر العام فى كافة الأحباس الموقوفة على مساجد الحضرة
 العلية بالله المكناسية، وكانت له لديه خطوة ومكانة وثقة كاملة به بلغت به أن
 جعله أمينا على داره العلية، وناظرا على سائر أحباس إيالته الشريفة.

وقفت على تحليته فى بعض العقود بما نصه: من له النظر العام والأمانة الكاملة فى أمر البناءات كلها السلطانية على اختلاف أنواعها وأجناسها بداره العلية حرس الله رفيع أعتابها، وصان من طوارق الحدثان على أبوابها، ناصح خدمته السلطانية، فى السريرة والعلانية، وهو الطالب محمد بن الثقة الخير أهل كتاب الله المحب لآل بيت رسول الله ﷺ وفى بعضها بما لفظه: الناظر الأفلح، الأشهر الأنجح، الفقيه النزيه الأريب النبيه، أمين الدار العالية بالله وناظر سائر أحباس الإيالة الشريفة أبو عبد الله السيد محمد بن محمد الكاتب بتاريخ خمسة عشر ومائة وألف.

٢٣٩ - محمد المدعو حم بن عبد الوهاب الوزير الغسانى الأندلسى الأصل
الفاسى الدار والوفاة المكناسى الوظيف.

حاله: فقيه علامة مشارك متقن، كاتب بارع، يكتب كما يراد منه، انتهت إليه رياسة صنعة الترسيل، ولم يعزز فى عصره بتمثيل، استنكبه سيدنا الجدد السلطان مولانا إسماعيل وكانت له لديه جلاله ومكانة يوحى إليه المكاتيب العديدة فى مواضع مختلفة للعمال وغيرهم من ذوى الحيشيات، فيذهب لمنزله ويكتب جميع ما أملى عليه مخدومه، وينزل فى مخاطباته كلا منزلته من غير زيادة ولا نقصان فى أيسر وقت مع إيجاز، وحسن عبارة كادت أن تبلغ حد الإعجاز، وذلك مما زاد السلطان به إبتهاجا، وكانت له سرعة فى نسخ الكتب لم تعرف لغيره، وقد رشحه مخدومه للسفارة لبلاد الأندلس لفكك أسرى المسلمين، واستخراج ما بقى من الكتب الإسلامية بالمشاهد المهجورة هناك.

مؤلفاته: منها رحلته الموسومة برحلة الوزير، فى افتكك الأسير، شرح بها ما شاهده فى سفارته المذكورة من العجائب والغرائب.

٢٣٩ - من مصادر ترجمته: التقاط الدرر - ص ٢٩٧.

وفاته: توفي عام تسعة عشر ومائة وألف.

٢٤٠ - محمد فتحا بن مولانا الجد الأعظم أمير المؤمنين مولانا إسماعيل.

حاله: جهيد نحير، ناقد بصير، ديباجة الدنيا وبهجتها، عالم علامة، بارع مطلع، متضلع نقاد، ذو ملكة واسعة، وعارضة عريضة، وذهن وقاد، له مشاركة تامة، ومهارة كاملة في النحو والبيان والمنطق والكلام والأصول.

قال في الشجرة الزكية في حق المترجم: أدرك درجة الاجتهاد، فأداه اجتهاده إلى أن خرج عن طاعة والده انتهى.

وكان والده يحبه محبة شديدة لما رأى عليه من مخايل النجابة وتوقد الذهن والتيقظ والمقدرة في الحل والإبرام والنصح له وإخباره بما تخفيه عنه الوزراء والكتاب وأولو الأمر، حتى صار عيبة سره ومحل مشورته، دون سائر إخوته، يسارره ويعمل برأيه في المهمات، ويشئ عليه بالصدق والأمانة ورجاحة العقل، وينوه بقدره بمحضر ولاته ووزرائه وكتابه، فكرهه لذلك غير واحد من الوزراء فمن دونهم، فشمروا على ساق لإفساد ذات البين بينه وبين أبيه والسعى في التفرقة بينهما، فزينوا لوالده ولايته.

فاتفق أن وقع اختلاف بين درعة ونواحيها واحتاجوا إلى تولية واحد من أبناء السلطان يكون له عقل راجح، فاغتنم أعداؤه الساعون في ابتعاده عنهم، فأسروا للسلطان أنه لا يصلح لهذا المهم إلا ولدك المولى محمد العالم، فإنه يحسن التدبير مع القريب والبعيد والأخرق، ولا يصدر منه إلا ما فيه مصلحة وسداد، ولم يزالوا يحسنون له ويجيدون توليته إلى أن ولاه بدرعة فحصلوا أميبتهم في إبعاده عنهم من إحصائه الأنفاس عليهم.

٢٤٠ - من مصادر ترجمته: نشر المثنى في الموسوعة ٥ / ١٩١٠.

ثم إن والده لما رأى ما أظهره المترجم فى محل مأموريته درعة من العدل والإنصاف ومحبة أهلها له لفضله وهدية وسيرته فيهم سيرة حسنة، وعلاصيته وانتشر فى الآفاق نقله منها وولاه على مراكش وما والاها، فأقام سنة العدل ونشر الأمن والطمأنينة، وسار على ما نهجه الشرع الكريم، فسعد الناس بولايته وأشرب حبه فى قلوب الخاصة والعامة وزاد اشتهارا، ويعد صيت، فحسده أصداده من خاصة والده على ما آتاه الله من فضله.

فدسوا لوالده ما أوغر صدره عليه مما هو برىء منه، فعزله عن مراكش، وترك أهلها يبكون، وأهمله مدة مع الفحص والتنقير عما اختلقه الحسدة والأصقوا به حتى ثبتت لديه براءته، فولاه عام أحد عشر ومائة وألف على تارودانت ونواحيها، ورتب معه ثلاثة آلاف من الخيل وفوض له فيها التفويض التام، وقام بمأموريته فيها أحسن قيام، إلى أن صدر منه ما كان فى الكتاب مسطوراً.

وكان المترجم كثير المخالطة والمجالسة للعلماء، يقدون إليه، من كل صوب، وكانوا يقاسون معه الشدائد لذكائه وشدة فطته مخافة الافتضاح معه فى قصور فهم أو نقل كما أفاده أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عبد القادر الفاسى فى المورد الهنى.

وكان من أخص خاصته الشيخ أبو عبد الله المسناوى، فوشى به إلى السلطان، وقيل له مع شدة اتصاله به لا يعيب عليه عزمه على القيام على أبيه فهو موافق على ذلك، فبادر بعض أصحاب السلطان إلى الاعتذار عن الشيخ لأنه كان ينهاه عن إرادة القيام وأنشد للمسناوى:

مهلا فإن لكل شىء غاية والدهر يعكس حيلة المحتال^(١)

(١) نشر المثنى فى الموسوعة ١٩١٢/٥.

فالبدر ليس يلوح ساطع نوره والشمس باهرة السنن فى الحال
فإذا توارت بالحجاب فعند ذا يبدو بدو تعزز وجمال
فقبل السلطان ذلك وتحقق براءته، وكان ينفعل للشعر ويتأثر بأريحية الأدب،
استخلفه والده بفاس مدة .

وفى سنة أربع عشرة ومائة وألف بعث سيدنا الجد الأكبر السلطان الأعظم
مولانا إسماعيل ولده المولى الشريف واليا على درعة فثار المترجم ببلاد السوس
ودعا لنفسه وزحف لمراكش فحاصرها فى رمضان من السنة المذكورة، وفى
العشرين من شوال اقتحما عنوة .

ولما اتصل خبره بأبيه بعث ولده سيدنا الجد المولى زيدان فى العساكر لقتاله،
فقدم مراكش ودخلها فى أمن واطمئنان، وذلك سادس عشر ذى الحجة عام خمسة
عشر ومائة وألف، فوجد المترجم قد بارحها وعاد إلى تارودانت فدخلها غرة
المحرم عام ستة عشر على ما صححه فى الدر المنتخب المستحسن، وجمع عليه
العرب والبربر، وعظم أمره واشتدت شوكته، ولما احتل مولانا الجد مراكش عاثت
عساكره فيها، ثم تبع أخاه محمد إلى السوس فنزل على تارودانت، وكان بطلا
شهما مقداما، وشبت الحرب بينهما ودامت ثلاثة أعوام على ما قاله بعضهم .

والذى فى الدار المنتخب أن مدة الحصار ستة أشهر وستة عشر يوماً من غير
اعتبار يوم الدخول، لأنه كان غلسا قبل الإسفار، وقيل مدة الحصار سبعة أشهر
وثلاثة عشر يوماً، وقيل غير ذلك والله أعلم .

وأول يوم التقى فيه الجمعان وشب القتال رابع عشر جمادى الأولى عام
سبعة عشر ومائة وألف، وكان نزول مولانا الجد زيدان على تارودانت وحصاره
إياها لثلاث خلون من رجب أحد شهور العام المذكور، وكان فتحه إياها تاسع

عشر المحرم عام ثمانية عشر، وقيل فى سادس عشر صفر وقيل خامس عشر الشهر المذكور.

ولما علم المولى محمد بدخول البلد خرج فارا لتاحية الجبل، فاقتفى أثره فى الحين وأتى به لأخيه زيدان، فلما وقع بصره عليه حن له وقام إليه وعانقه وبكى وهون عليه الأمر، وقال له: لا ترى إن شاء الله إلا الخير، ثم سلمه لمن يذهب به لأبيه، ووكل بحفظه من وثق به وأوصى بصيانتته ورعايته والإحسان إليه والبرور به، وكتب كتابا لوالده يخبره بيوم خروجه من تارودانت قاصدا حضرته المكناسية.

ولما بلغ الخبر مولانا إسماعيل وذلك فى الحادى والعشرين من صفر عام ستة عشر ومائة وألف، خرج بجيوشه ونزل على وادى بهت لينظر فى أمره، ولم يخرج معه أحد من الوزراء والكتاب لاستعجاله الخروج، ووصل لوادى بهت يوم الثلاثاء ثالث ربيع النبوى عام ثمانية عشر، فخيم به وشاور بعض من كان فى معيته من العلماء ممن كان يبغض باطنًا صاحب الترجمة فأغراه وأظهر له المصلحة فى إقامة الحد عليه، وتلا ﴿ إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ ... ﴾ [سورة المائدة: آية ٣٣] فصدر الأمر بذلك، وعلل بعضهم ذلك بأن السلطان كان اشتد به الجوع حيث إن خروجه كان على غير أهبة ظانا أنه يلقي المترجم على مقربة من البلد، فطال به السير إلى وادى بهت فكان ذلك مما زاد فى غضبه. انتهى.

ومن الغد وهو رابع ربيع الأول وصل المولى محمد مقبوضا عليه مقيدًا إلى وادى بهت، فبعث السلطان من قطع يده ورجله من خلاف.

والذى فى كناشة اليعمدى أن المولى إسماعيل كان خروجه لوادى بهت فى الثالث من ربيع الأول. وفى هذه القضية قال بعض الأدباء:

ويوم (وى) من صفر سنة (حى)
 ودخلت بالسيف يوم الجمعة
 ويوم رابع ربيع الأول
 أعنى محمداً مكبلاً على
 وقطعت يمانه من خلاف
 رودانة لم يبق فيها العشر حى
 ولم يفد صاحبها ما جمعه
 جىء بنجل الملك المفضل
 بغلته بوادى بهت أنزلا
 ورجله بسبب الخلاف

وفى إقامة هذا السلطان الجليل المقدار الحد الشرعى على فلذة كبده وعضده
 وساعده دلالة واضحة فى وقوفه لدى حد ما حده الشرع الأقدس، لا يراعى فى
 ذلك قاصيا ولا دانيا، شأن أهل العدل والإنصاف، وبعد أن وقع ما كان فى
 الكتاب مسطوراً أمر السلطان بحمل المترجم لمكتاسة وملازمة الأطباء له فعالجوه بما
 قدروا عليه، مع قطعهم بأنه لا ينفع فيه دواء، لأنه اعتراه إسهال كبدى لانصراف
 مادة الأعضاء المقطوعة إليه، ولم يجزع المترجم لما أصابه بل كد فى غاية الثبات
 والرضا والتسليم.

أما والده فقد عظم حجابيه، وقل طلابه، وأظهر ما كان أخفاه فى باطنه من
 الحزن على قتل ولده، وأساء السيرة مع الذى أشار بذلك من قريبه وبعيده، وصار
 يطلب ما يسليه، ويطلع كتب التاريخ والأموال التى تزيل ما فى ضميره من الغم
 الذى فيه، وكتب ظهيراً لبعض أهل مكتاس نص المراد منه بعد الحمدلة والصلاة:

«كتابتنا هذا أسماه الله وأعز أمره، وأطلع فى سماء المعالى شمسه وبدره،
 بيد حامله المتمسك بالله ثم به الأمين الحسن بن محمد بوستى المتطبب والحجام،
 حرفة يتعرف بحول الله وقوته أننا وقرناه واحترمانه لثقتنا به وله علينا جميل فى
 احترامه لولدنا مولاي محمد رحمه الله حين أمرناه بقطع يده، فتنصل من ذلك
 وأبى إباية شهدت بديانته واحترامه الأشراف من آل النبى ﷺ، فلذلك جعلناه داره
 حرماً لمن يجىء إليه. هـ بتاريخ سادس عشر ربيع الأول شهر الموت كما بالدر
 المنتخب المستحسن.

وقد كان المترجم محبا في العلماء، مكرما ومعظما جانبهم، محبوبا مبجلا
لديهم، يمدحونه ويثنون عليه، فمن مديحهم فيه قول علامة شنجيط وأديبها المفوه
النحرير عبد الله بن محمد العلوى المعروف بابن رازكة بكاف معقودة كما في
الوسيط من قصيدة:

أثار الهوى سجع الحمام المغرد	وأرقنى الطيف الذى لم أطرده
ومسرى نسيم من اكيناف حائل	ويرق سقى هاميه برقة نهمد
وذكر التى بالقلب خيم حبها	وألبسنى قهرا علالة مكمد
فبت أقاسى ليلة نابغية	تعرفنى هم السليم المسهد
طويلة أذيال الدجا دب نجمها	إلى الغرب مشى الحائر المتردد
ويزعج وراذ الكرى دون مقلتى	بعوث غرام من لذن أم معبد
بنفسى عرقوبية الوعد ما نوت	وإن حلفت قط الوفاء بموعد
ترد إلى دين الصبابة والصبأ	فؤاد الحلیم الراهب المتعبد
وتقصد فى قتل الأحبة قرية	بشرعة ديان الهوى المتأكد
فتاة حكاها فرقد الجو منظرا	كما ناسبتها نظرة أم فرقد
مهفهفة الكشحين لم يدر طرفها	من الكحل الخلقى ما كحل أئمد
إذا ما تثنت واسبكر قوامها	علمت بأن البان لم يتأود
وخاطب قاضى شرعة الشكل ^(١) ردفها	إذا ما أقام العطف منها بأقعد
غضوب أرتها نخوة فى عظامها	أن الوصم وصل العاشق المتوود

(١) فى هامش المطبوع: «الشكل بالكسر والفتح غنج المرأة ودلها وغزلها».

وشحا برشف من لماها البرد
صدودا وسامتني تجرع جلمد
وأشرق من جمر الغضا المتوقد
أمام امتدح ابن الشريف (محمد)
من العلم والعليا ومن طيب محتد
بتفريج غماء الشجي المتكد
يقطع لسان الباطلي اليلندد^(١)
ولكن متى عادى فأى مشدد
وسلوت صدوق الملتقى بالمفند
وقام بحق المشرفي المهند
سجايا كريم اليوم والأمس والغد
ولا كف حاشى جوده كف مجتدى
وأمن شر المبطل المتمرد
عن الجمع بين النار والماء فى يد
من المجد سير الفائق المتفرد
تعد الثريا للفتى غير مصعد
أجوب الفيافى فدفا لعد فدفا
لأهوال أغوال طواغيت مرد

على نحوها تأبى الخليل تانفا
إذا ما ترضاه تسامت بأنفها
وأحرق صدرى ما زها فوق نحرها
سبتنى فقبلت الثرى متخلصا
هو الوارث الفضل النيئى خالصا
ثمال اليتامى والأيامى موكل
غيبور إذا ما الحق غير مولع
أديب أريب لين الجنب هين
إذا كشفت عن ساقها الحرب والتظت
سقى الرمح من نحر العدو -فديته-
أغر المحيا ظاهر البشر طاهر ال
جزيل النداء ما أف فى وجه حاجة
كلا الدين والدنيا به ازدان وازدهى
فريد العلا يقوى لرقه طبعه
حميد المساعى سار فى الرتب العلا
تساعده فى ذاك نفس نفيسة
دأبت على السير المبرح والسرى
مهامه للسايرين فيها توقع

(١) فى هامش المطبوع: «اليلندد معناه شديد الخصومة والجدال».

شعاعا فؤاد الضابط المتجدد
منيرة آلاء^(١) الهدى المتصعد
إلى شرف البيت الكريم المصمد
سوى ما نحت من كمال وسؤدد
ودجلة لا تحكيه فسحة مورد
أييه أمير المؤمنين المؤيد
ومولود صدق بالمكارم مرتدى
فأعطتهما الدنيا سلاله مقود
وبحرين لا يعدوهما قصد مجتدى
نتيجة فكر سلسل الطبع جيد
من الأدب الغض الذى روضه ندى
ويعهدن فى الحراق أطيب معهد
بأسلوب ما يسقين من خمر صرخد
ويستعذب استرسالها ذوق منشد
على معتلى برج البديع المشيد
نقى^(٣) السيراء^(٤) البضة^(٥) المتجرد

يطير لما يبسدينه من تلون
إلى حضرة سنية حسنية
حوت شرف العلم الرفيع عماده
فما تم الاثم فضل ولا استوى
وبحر ندى ما للفرات انسجامه
فأعتاد منه ما تعودت من يدى
هما والد ما توج الملك مثله
عظيمان معنيان بالدين وحده
فلا برحا بدرين عم سناهما
أمكنه من بكر شعر خريدة
عروب عروس الزى أندلسية
من اللاتى يستصيين مينحن^(٢) عنوة
ويسلبن معقول ابن زيدون غبطة
مهذبة يستملح الذهن سرها
ترقت لما فارقت وراقت تبرجا
وجانستها لفظا ومعنى كما اكتست

(١) فى هامش المطبوع: «الآلاء النعم».

(٢) فى هامش المطبوع: «بضم النون على الحكاية صالح مشهور».

(٣) فى هامش المطبوع: «بكسر الياء وعدم إظهار النصب فى مثله سائق».

(٤) فى هامش المطبوع: «يطلق على الذهب الخالص وعلى البرد».

(٥) فى هامش المطبوع: «الرخصة الجسد الرقيقة الجلد الممتلئة».

وقيدت فيها عزلة لا ينالها
واودعتها مما ابتدعت خلاصة
تمنى العذارى لو تقلدن سمطها
وزخرفتها فى معرض المدح روضة
روى أنفا زان الندى صفحاتها
أرت من رياحين الثناء أنيقها
هدية من كسرى وقيصر عنده
تخادع وإن كنت اللبيب لبهرجى
يمينا بما أولاك مولاك من علا
لطابقت وسم الفاطمى وسمته
تهنأ على رغم الحسود وذله
وأبجح وأهلك وأملك الأرض كلها
وشرق وغرب فالبلاد مشوقة
وقوله:

سوابق فكر السابق المتصيد
يأدرها بالمدح السن حسد
مكان عقود الزبرج المزبرجد
لتسقى بوبل من نداء مسرمد
قلدها أسلاك در منضد
ومن زهر الأدب ما لم يخضد
من النزر فى ذاك المقام المحمدى
ولا تتقد يا سيدى وابن سيدى
وعز حلى فاتت بنان المعدد
فأهلا وسهلا بالإمام المجدد
لذالك الكمال الصرف واسعد وأسعد
فأنت ولى العهد واغور وانجد
بما سوف تحبى واشكر الله واحمد

وسمها بحور الآل تسبحها سبحا
رعت ناصر القيصوم والشيخ والطلحا
وخف حيث يخفى الغش من يظهر النصحا
ولا تك كالقمرى^(٢) يستعذب^(٣) الصدحا^(٤)

دع العيس والبيداء تذرعها شطحا
ولا ترعها إلا الذميل فطلما
ولا تصغ للناهين فيما نويته
فكن قمرا يفرى^(١) الدجا كل ليلة

(١) فى هامش المطبوع: «يقطع».

(٢) فى هامش المطبوع: «ضرب من الحمام».

(٣) فى هامش المطبوع: «يستحلى».

(٤) فى هامش المطبوع: «رفع الصوت بالغناء».

وقارض^(١) هموم النفس بالسير والسرى
وأم بساط ابن الشريف محمد
فتى يسع الدنيا كما هي صدره
ومن هديه ساوى النهار وليله
ومن هو غيث أخضل الأرض روضه
وليث بحق الله لم يبق رعبه
هزير عدا فى شرعة الرمح والعدا
أمير ملوك الكفر أضحوا لسيفه
تزيد على الفاقات فيضات كفه
فأى منى لم ترو منها فإن تكن
فلا ترم التشبيه فيه فقد جرى
سعى فسعوا للمكرمات فأقصروا
وفلق فيهم بيضة المجد قاسم

على ثقة بالله فى نيلك الربحا
ميد العدا ذكرا ومبدي الهدى صباحا
فأمسى به صدر الديانة مندحا^(٢)
فأمسى ينير الخافقين كما أضحي
فلا يظما الأوى إليه ولا يضحى^(٣)
عواء لقلب الترهات^(٤) ولا نبحا
غدوا بقرا يستعمل النحر والذبحا
كما تبتغى الذبح فى عيدها الأضحى
فيغرق فى التيار من يأمل النضحا
فمحرومة أن تبرد الظما^(٥) البرحا
مع الظاهر المدنى إلى السكر الملحا
ولم يرض حتى استكمل الكرم القحا^(٦)
فناولهم قيضا^(٧) وناوله المحا^(٨)

(١) فى هامش المطبوع: «راوح».

(٢) فى هامش المطبوع: «متسعا».

(٣) فى هامش المطبوع: «يبرز الشمس».

(٤) فى هامش المطبوع: «الأباطيل».

(٥) فى هامش المطبوع: «الشدة».

(٦) فى هامش المطبوع: «الخالص».

(٧) فى هامش المطبوع: «أى قشر».

(٨) فى هامش المطبوع: «صفار البيض».

فتى يستقل البحر جود بنانه
مساعيه فى الخطب الجليل يرومه
صفاء كدر البحر صفوا ولجه
وآيات علم أغمد الجهل نورها
ورأى يريه اليوم ما فى حشا غد
وحزم يهز الراسيات ثباته
وكف ترى وكف الحيا كيف ينهمى
ويشر محيل علم الصبح ما السنا
وتأليفه أشتات كل فضيلة
كفانا اتخاذ الفال فى القصد يمنه
مهيب مخوف بطشه تحت حلمه
فهل كان معزوا إلى الحلم قبله
فأقدم حتى فارق الجبن صافر^(٢)
ولم تذعن الأعداء محض مودة
رأوا ضيغما يعطى الحروب حقوقها

على حالة استكثار حاتم الرشحا
كآمال من يرجوه يستصحب النجحا
حسابا فمن يأتى على مائه نزحا
وغايات جد ليس تطلابها مزحا
ويكشف عنه من دجى ليله جنحا
وعزم يحاكى الزند ماضيه^(١) قدحا
إلى خلق يرى نسيم الصبا النفحا
وقبض أرى النار التاجج واللفحا
ومكرمة غراء تعجزنا شرحا
فلسنا نخط الرمل أو نضرب القدحا
عفو يرى إلا عن انباطل الصفحا
نعم أو كريم يدعى غيره سمحا
وجاد إلى أن عاف مادرا^(٣) الشحا
إليه ولكن إنما كرهوا القرحا
وإن تضع الأوزار ييرم لها صلحا

(١) فى هامش المطبوع: «يخرج إظهار الرفع على قول جرير:

وعرق الفرزدق شر العروق خبيث الثرى كأبى الأزند».

(٢) فى هامش المطبوع: «طائر يضرب به المثل فى الجبن وقيل الجبان مطلقا».

(٣) فى هامش المطبوع: «رجل يضرب به المثل فى البخل».

ولا يهب التلعاب^(١) ما يسع للمحا
ووقفا على غزو العدا عدوها ضبحا^(٢)
وبالجنة الأخرى وبالسندس المسحا
وصمصامه أن يرفع الضرب والنطحا
إلى الفلك الأعلى فإنك لا تلحا
لا حرازك النقاط والخط والسطحا
ولكنه لولا نوالك ماصحا
ويض الظبا والنوق والخيلى والطلحا
تنغص حسناه السعائين^(٣) والفصحا
فلم تلق كدا للسؤال ولا كدحا
وللعقل نور ميز الحسن والقبحا
ومنعك تلك المعرة والقدحا
وأبدي لك الكرسي والعرش والصرحا
وأصحبك التمكين والنصر والفتحا
من الشعر لا يسطاع أركانها مسحا
وإن أثخت عنا قلوبهم جرحا

ويستغرق الأوقات فى الجد كلها
مواصلة حبل الجهاد جياته
معاديه معطى بالحياة منية
أيا ابن أمير المؤمنين وسيفه
تشابهه خلقا وخلقاً فسامه
تهندست العليا فأحررت جسمها
فكم من حديث كان يسند للندى
فأعطيتى الأعيان والعين والكسا
فلا زلت للإسلام عيداً منغصا
أبوك لحكم الشرع ولاك عهده
وأعطاكه إذ ليس غيرك أهله
كفى دره فخرا تحليك سمطه
فأهدى إليك الدهر بلقيس ملكه
وولاك رب العرش ملك بقاعها
إليك بها يا كعبة المجد كاعبا
إذا شهدت زكى الأعدى حديثها

(١) فى هامش المطبوع: «اللعاب».

(٢) فى هامش المطبوع: «نوع من العدو وهو نائب عن مصدر عدت - وفيه اقتباس من قوله تعالى: والعاديات ضبحا».

(٣) فى هامش المطبوع: «السعائين بالسين والعين. والفصح عيدان للنصارى».

أكلفها فرض المحال أداءها
لشكر ندى لا يتهى مزنه سحا
فخذها ابنة الحاء التي الحمد مبتدأ
لها وبها خلاقها كمل المدحا
هذا وأبيك الشعر.

وقول شيخه العلامة خاتمة المحققين سيدي محمد بن أحمد المسناوى حين
فتح المترجم حصن السوسى التمنارى من بلاد سوس.

فجر سعدك لاح شمس نهار
ومعاليك أنجذت وأغارت
ووفود التهاني نحوك جاءت
ورياح المنى بنصرك هبت
مؤذنات لكم بأسنى فتوح
طلما رامه سواكم فولى
وهو يسخر بالجميع ويهزا
ويدا منه إذ رآك ارتياع
شام بارق نصركم فثدلى
موقنا أن للإله اعتناء
فاهن واسلم وقر عينا بما لم
وتحس أفواق عيش هنى
واجرر الذيل فى مغانى سعود
واسق دوح النعيم منك بشكر
وفخارك ليس فيه ممارى
وتلى آى ذكرها كل قارى
مهديات عرائس الأفكار
سائقات له على أقدار
وبراعة ذلك التمنارى
آيسا منه بعد طول حصار
ويدليهم بحبل اغترار
أظلمت منه سبله فى النهار
وأتى خاضعا بحكم اضطرار
بكم بشهادة الأبصار
يؤته أحد من الأنظار
واقطف زهر روضه المعطار
واركن متن رفعة وفخار
إن سقى الرياض نبح الثمار

وأدر عنه جوائح الدهر بالصن
وأضف شرف الخلال إلى ما
واسم بالنفس لاقتفاء هداهم
دمت يا كعبة الوفود مطافا
وعليك من المحب سلام
ما تجلت بأفق مجد علاكم
وقوله أيضا في الفتح المذكور:

بشراك يا تاج الكرام فقد غدت
وغدت رياح النصر تخدم مجدكم
وشدت بزاهر روضكم طير الهنا
ورياض أشتات المنى قد أثمرت
واتتك وافدة الفتوح مجيبة
ولطالما اعتاصت على من رامها
حتى غدت كالأبلىق الفرد الذى
هذا وكم من مطلب أعيان النهى
فالسعد أنى سرت فهو مقدم
والنصر مقرون برايتك التى
فاشكر لمن أولاك ما يشجى العدا
واعرف ومثلك لا يعرف قدر ما

ع الجميل فإنه خير دارى
حزت من شرف الحدود الخيار
إنه المجد لا احتساء عقار
لبنى الدهر عالى المقدار
فرائح كنوافح الأزهار
وغدت طرز حلة الأشعار

أيام سعدك وهى فى إقبال
وتؤمكم فى الحل والترحال
بموشحات البشر والأرجال
أدواحنهم بمبتغى الآمال
لنداك طائعة على استعجال
من قبلكم من سائر الأقيال
ضربوا به مثلا من الأمثال
قد نلت به بسهولة فى الحال
واليمن صار لكم محط رحال
تكسو العدو ملابس البلبال
ويعيدهم فى أسوأ الأحوال
أوتيته من رفعة وجلال

واختر لها ما لا يشين جمالها
فطراز ديباج الخلافة مذهبها
واشرب كئوس الفخر صافية على
واسحب ذيول العز في روض الهنا
وأصخ إلى سجع القريض فإنه
لازلت في أوج الخلافة راقيا
وعليك من صافي الوداد تحية
ما غردت ورق فهاجت شجو من
من سيرة وشمائل وخلال
ومرصعا وأيك حسن معال
غيظ الحسود ورغم أنف القال
فالدهر دان لكم أخوا إذلال
يحدو الكريم إلى اقتناء معال
حتى تهنا فيه باستقلال
تغشاك بالبكرات والأصال
قد صار مثلى نازح الأطلال
وقول شيخه أبي مروان عبد الملك بن محمد التجموعتى قاضى تافيلالت
مجيباً له:

ولولاك ما راجعت عصمة طالق
أبنت بنات الفكر واخترت بعدها
إلى غير هذا مما يطول، وليس لغايته وصول.

مشيخته: أخذ عن الشيخ محمد بن أحمد بن المسناوى الدلائى المتوفى بعد
زوال يوم السبت سادس عشر شوال عام ستة وثلاثين ومائة وألف، وقاضى
سجلماسة أبى مروان عبد الملك التجموعتى المتوفى بتافيلالت عام ثمانين ومائة
وألف، والمولى عبد السلام القادرى المتوفى صبيحة يوم الجمعة ثالث عشر ربيع
الأول عام عشرة ومائة وألف، وقدر رمز لوفاته ابن عمه أبو العباس أحمد بن عبد
القادرى بقوله:

كعبد السلام القادرى المبجل (يشق) على الأقوام موت إمامهم

والرمز المشار إليه فى قوله يشق الياء عشرة، والشين ألف، والقاف مائة،
والحافظ أبى عبد الله محمد بن أحمد القسطنطينى المعروف بالكمداء المتوفى عام ستة
عشر ومائة وألف، والسيد أحمد بن العربى بن الحاج السلمى المرداسى قاضى فاس
الجديد المولود سنة اثنين وأربعين وألف، المتوفى سنة تسع ومائة وألف وأجاز له،
وأحمد الولاى وأجاز له أيضا، وأبى عثمان سعيد العميرى وغيرهم من فحول
أئمة عصره.

ونص إجازة الولاى له: حمداً لمن جعل الاستمساك بأسباب ضروب العلوم
وسيلة للمفاز، وبلغ بفتوح الرواية والدراية من تشرق بالتهمم بطلبهما إلى كنه
حقيقة المجدون المجاز، طالبا فصولها إلى فصل الخطاب فى إدراكها الإطلاق من
غير تخيل مانع يكون منه الاحتزاز، وشرف بشرف التأهل بمعانيها، من كشف له
الغطاء عن بديع مبانيها، وشرح بدقائق أفكار الحكماء صدر من نطقت بالاستجابة
وانكشف عن حانها وحوانها، ونشر أعلام المجد على رأس من انتخب شراب
زالل صفيها فى زلال عيونها، ومنازل شهودها وعيانها، والصلاة والسلام على
أصدق من أخبر عنه الرواة، وأعلم من أسند بتسلسل الأخذ عنه العلماء الهداة،
الذى من بحر نوره فاضت العلوم وتخبرت الأخبار، ومن بركة طلعت طلعت أنجم
السعود حتى سعد مقتفوه من العارفين الأبرار، سيدنا محمد أجله الله أن يدرك
العارفون حقائقه، وحكم على خلقه أن لا يكون كل منهم إلا تابعه لا لاحق، ولا
سابقه، صلى الله عليه وعلى آله وصحابه الذين هم فى الإسناد أرفع الأسانيد
وهم فى الاقتداء أكبر الأساتيد.

وبعد، فيقول العبد الكثير الذنوب أحمد بن محمد بن يعقوب إن من المن
التي تجب أن تشكر، والمواهب الربانية التي يحق لها أن لا تنسى أبداً على الدوام
تذكر، تعاطى العلوم مع من هو أهل لدرائتها، وإيصال متونها لمن هو جدير
بحفظها والقيام بروايتها، وإن من أجل من لقيناه فى هذا المعنى، وأكبر لبيب قام
بينائنا على هذا المبنى، العالم العلم، وركن المجادة المستلم، فرع الدولة الهاشمية

الأنضر وأرفع من يرى من أشرف الأوان وينظر، نجل الخليفة الإمام، وابن السلطان الهمام، مولاي محمد بن مولاي إسماعيل خلد الله تعالى مجد الأصل والفرع، ونصب على كل سرادق عز الأمر والمنع، فقد تعاطينا معه علوما سبعة وهى البديع والبيان والمعاني وأصول الفروع وأصول الدين وقواعد التصوف وعلم المنطق، والجمع عن بلوغ ما فيه ينطق.

أما الثلاث الأول فقرأنا المشتمل عليها وناهيك به وهو تلخيص المفتاح، وأما الأصلان والتصوف فقرأنا عليها كتاب السبكي الذى جمع من ذلك ما كلت عن الإحاطة به المطولات والشرح، وأما المنطق فقرأنا فيه كتاب الشيخ السنوسى وكفى به شرفا فلجربانه فى كتب المنطق مجرى الياقوتة المفردة فى عقود الملاح، قرأنا تلك الكتب من أولها إلى آخرها حرفا حرفا، قراءة تحقيق المسائل وتدقيق المعانى صنفا صنفا.

فوجدناه أدام الله توفيقه فى إدراكها بديع زمانها وفى دراستها والقيام بقياساتها وأدلتها حنيفى رأيها فى أوانها، ما عدم تثبتا فى مداركها، ولا تتبعا لنهاية حقائقها فى مسالكها، بل وسعها بفضل الله تعالى علما، وأحاط بها مدى الدهر فهما، فانشالت به من غير تربص فتلقتهما بالوسع بصيرته، وانقاد له صعبها فأخذت بقلادتها سريرته، ثم إن من تواضعه الذى له شيمة فى الأصل، وتهممه بمعالى الأمور الذى هو له طبع واستحق به كمال الوصل، أن أشار إلى بالإجازة فى تلك العلوم وفى غيرها قضاء بحق الإنصاف، وكان الحق أن يجيز لا أن يجاز، لولا ما فيه من مكارم الأخلاق وشيم الأشراف.

فلم أجد بدا من الامتثال، ولا سبيل فيما أشار إليه من الإهمال، لما ألبسنى هذا التاج، وطوقنى ما لست أهله لما فى من الاعوجاج، وبضاعتي من العلم مزجاة، ولكن لا بد من إجابة الطالب لما يترجاه، لا سيما إن كان من أهل الفضل

والشرف والعلم والصلاح والدين والجاه، ومن يحصل منهم فى غد النجاء، إذ هو من الشجرة الطيبة التى أصلها ثابت وفرعها فى السماء، ولا تزال تزيد مدى الأيام سموا ونماء فامتثال الأمر واجب، وكل واحد فى هذا الجناب العظيم راغب، وللتعلق بأذياله طالب.

فقلت مقالة صدق ووفاء، لست أهلا لأن أجاز فضلا عن أن أجزى لاسيما من حاز فى تحقيق العلوم شرفا، أجزت هذا العالم الشهير، الذى يعجز اللسان عن أوصافه المحمودة فلا يمكنه عنها تعبير، إجازة مطلقة عامة فيما قرأته، وعن الأئمة رويته، من العلوم العقلية والنقلية، وسائر العلوم القريبة والنائية، لعلمى أن الفنون كلها صارت تحت ظله، وبلغ والده أمير المؤمنين فيه ما أمله على الشرط المقرر عند أهل الأثر، ورواه غير واحد من أصحاب الخبر، من إخلاص النيات، وتنقية الطويات لمن لا تخفى عليه السرائر، ويعلم سبحانه الباطن والظاهر، وأن يتقى الله فى سره ونجواه، ويتوكل فى الأمور كلها على مولاه، واتقوا الله ويعلمكم الله، والذين جاهدوا فىنا لنهدينهم سبلنا وإن الله لمع المحسنين، قال سيد الخلق أجمعين وأفضل العالمين، من عمل بما علم ورثه الله علم ما لم يعلم، وأن يقول لا أدرى حيث يشكل عليه الأمر، ولا تأخذه أبهة العلم ولا نخوة الملك فى السر والجهر، فإن العلم مناف لذلك، واتباع السنة المحمدية طريقة المجدوب والسالك، والذى يحيد عنها يوقع نفسه فى المهالك، أدام الله عز والدك ونصره، وتوجه بتاج السعادة سره وجهه، وأمدك وإياه بتوفيق مولاه، ورزقك رضاه، والمطلوب منك أن لا تنسانا من دعواتك، فى خلواتك وجلواتك، فإن دعاء الغيب مستجاب لاسيما إن كان من أهل الفضل والدين والعلم والشرف من ذوى الألباب. هـ.

مؤلفاته: منها حاشية على التسهيل كما صرح بذلك صاحب درة السلوك.

شعره: من ذلك قوله مرجبا بصديقه الحميم السيد عبد الله بن محمد العلوى الشنجيضى صاحب القصيدتين الطنانتين فى مدحه فى إحدى قدماته على والده السلطان المولى إسماعيل:

مكناسة الزيتون فخرا أصبحت

تزهو وترفل في ملاء أخضر

فرحا بعبد الله نجل محمد

قاضى القضاة ومن ذؤابة مغفر

وقوله مخاطبا شيخه القسطينى المذكور أيام خلافته بسوس الأقصى ومتشوقا

إلى فاس كما فى اقتطاف الأزهار، من حدائق الأفكار، وغيره:

الايث شعرى هل أنزه ناظرى

وللنفس أقبال بوادى الجواهر

أمتع طرفى فى رياض أنيقة

وأقطف أزهارا بها كالزواهر

بحيث نرى أسد العرين صريعة

وقد فتكت فيها ظباء المقاصر

وحيث نرى غلب الحدائق سلسلت

حديثا صحيحا عن نسيم الأزاهر

وقد نسجت كف النسيم عشية

دروع مياه بين تلك النواعر

وأصبحت الأطيّار فوق غصونها

فصاحا تقص فوق خضر المنابر

سقى الله أدواحا بفاس عهدتها

تغازل أنواء الغيوث المواطر

ولا برحت عين تراها قريرة

وإن قذفت بالقلب جمرة حائر

لك الله من إلف بدرعة جسمه

وقلب بفاس فى قدامة طائر

تراوحه الأشواق فى كل ليلة

فما بين مزور هواه وزائر

ولو أنه يعطى على قدر قدره

لكان له ما بين بسر وباسر

فمن مبلغ عنى رسالة شيق

إلى عالم الأعلام صدر الأكابر

إلى العالم التحرير والحجة التى

روى فضلها غر السراة الجماهر

إلى شيخنا الأسمى السمى محمد

أحملها هوج الرياح العواطر

أحملها مر النسيم تحية

إلى الماجد الأرضى الكريم العناصر

وأقطعها الود الصميم وإن نأت
فله ما يشكو الفؤاد من النوى
إذا ما ذكرت العهد واشتقت للقا
فيا دوحه العلم التي عم عرفها
ويا سيداً حملته كل وارد
ويا كوكبا قد حل في أفق الهدى
ألت الذي إن عز في العلم مشكل
ألت الذي ترتاح كل عويصة
حنانيك هاض القلب سهم ابن مقله
عليك سلام الله ما هاج شيقا
فأجابه شيخه الممدوح بقوله:

خليلى عج بالركب من أمن عامر
وسل واكفات الدمع فوق محاجرى
إلى أن قال:

ديار بها روحى وروحي وراحتى
سليل أمير المؤمنين وعلقه
إلى أن قال:

ولا عيب فيه غير أنه حازم
وعالم أهل البيت فخر سراتهم

به الدار عن بحر من العلم زاخر
ولله ما تطوى بطون الدفاتر
جعلت فؤادى بين أضلع صابر
جميع البرايا بين باد وحاضر
سلامى وقد حملته كل صادر
فألقي سنه فى عيون المئاثر
تلقاه فهم منك فى زى باتر
إلى ذهنه من بين ناه وأمـر
فأدمى فهل تروى -حديث ابن جابر
بريق وما لاح الصباح لناظر

وعرج على كئبان نجد وحاجر
أثار الغضا فى القلب أم أم جابر

وقلبى وريحان الفؤاد وناظرى
محمد محمود السجايا العواطر

وحامى الذمار ماجأ للقواسر
وتاج وسيف الدين عند التشاجر

وقاعدة التحصيل أنك فاضل
وقد كانت الأيام تجمع شملنا
إلى أن قال:

عليك من الرحمن صوب تحية
مبشرة بالوصل من أم عامر
وقوله مخاطبا لأخيه جدنا مولاي زيدان أيام حروبه معه:

أبلغ الزيدان عنى آية
كم لنا يا ابن العلاء من وقعة
حصحص الحق ولاحت شمسه
ولواء النصر خفاق ولم
بسيوف العدل تشفى ذا الغلل
كان منا الفضل فيها لو عدل
وزمان الغنى ولى وانخذل
ييق إلا الجدد قولاً وعمل

وكتب له أخوه مولاي الشريف صدر كتاب بعثه إليه قول سيف الدولة ابن
حمدان يخاطب أخاه الناصر:

رضيت لك العلياً وإن كنت أهلها
أما كنت ترضى أن أكون مصلياً
وقلت لهم بينى وبين أخى فرق^(١)
إذا كنت أرضى أن يكون لك السبق

فاقترح المولى محمد على شيخه المساوى أن يجيبه فقال على لسانه:

بلى قد رضيت أن تكون مصلياً
وما لى لا أرضى لك المجد كله
ويتلو نداكم فى العلاء من له السبق
وأنت شقيق النفس إن عرف الحق
ولكن ذوو الضغن انتحوا ذات بيننا
فغادرهم إفسادهم وبهم رنق^(٢)

(١) نشر المثنى فى الموسوعة ١٩١٢/٥.

(٢) فى هامش المطبوع: «بسكون النون كدر».

نثره: من ذلك ما كتب به لوزير والده الیحمدی الطائر الصیت وقد بلغه أنه بالغ فی الثناء علیه لوالده وفند أقاویل وشاته، لفظه: حیا الله تعالی بمنه مقام رکن الدولة الإسماعیلیة وسمیرها، ومنتقى هاتیک الحضرة السامیة ووزیرها، مطلع أنوارها، ومعدن أسرارها. فوالله ما اجتبی لتلك المثابة العالیة العلویة حتی كان لها أهلا، وما قرر بذلك البساط المؤید بالله جهلا، فكم عجمت قبله من عود، فألقته وأبت إليه أن تعود، فأما الزبد فیذهب جفاء وأما ما ینفع الناس فیمکث فی الأرض، صاحب القلم العالی والقدم الذی رسخت أنامله علی هام المعالی، أبی العباس الیحمدی هذا ولا زائد سوى تأکید ود صفا مشربه، وطاب أعذبه، وعهد برز الصفاء میثاقه، وشد بحبل الوفاء وثاقه، لا یبلی منه الجدید، ولا یتألم منه الورید، وإعلامک بأن بعض محبیک کاتبنا بجمیع ما قلته فینا، وما صدر منک إلینا من الصنائع والإحسان، فقد أحسنت أبا العباس ولم یتقدم لک منا إحسان، وقمت فی نصرتنا مقاما لم یقم معک فیہ إنسان، فلا أنسی لک یوم الفقهاء تنویهک بقدرنا، وإعظامک لأمرنا، ومن قبل کنا بحقک جاهلین وعن قدرک ذاهلین.

والآن تبین الحق، وحصحص الصدق، واتضح الصارم من الحسام، والصیب من الجهام، فکم لنا هنالك من خالص وده، ومحفوظ عهده، فما قام أحد منهم مقامک، ولا أرشق سهامک، ولا دافع دفاعک، ولا نازع نزاعک، فستری إن وسع الله علینا نتیجة تلك المقالات، وثمرة تلك المدافعات، قوالله ما نطلب التوسعة إلا لمکافأة أمثالك، ومجازات أشکالك، قدم علی ذلك أدام الله سیادتک، وأبقى بمنه مجادتک، وأبقاک لنا فی ذلك المحل رکننا نستند إليه، وعمادنا نعتمد علیه. والسلام وفی الخامس والعشرین من شعبان المبارک سنة خمسة ومائة وألف، محمد ابن امیر المؤمنین إسماعیل بن الشریف لطف الله به.

وفاته: توفى بمكناسة ليلة الأحد خامس عشر وعليه اقتصر الوزير اليعمدي
فى المجلد الرابع من كناشته، وقيل ثامن عشر ربيع الأول عام ستة عشر ومائة
وآلف، وإلى ذلك أشار بعض الأدباء بقوله:

وقد قضى نجه سادس عشر من شهره ومالك قبل انتشار
من رأسه لفرجه شطرين بقدر ما تجود السطرين
والأمر لله العلى وحده يذل من شاء ويحمى جنده

وفى منحة الجبار: أنه توفى سادس عشر ربيع الأول سنة ثمان عشرة، قيل
دفن بسيدى بوزكرى، والذى ذكره الحافظ الأستاذ أبو عبد الله محمد بن عبد الله
الأغزاوى الإبراهيمى أنه مدفون بضريح سيدى عمرو الحصينى، وأن السلطان
مولاى عبد الرحمن أوقفه على قبره، وأراه إياه خارج القبة عن يسار الخارج منها.
وقال بعض الأئمة الأعيان: إنه زار السيد عمرو الحصينى، هذا مع بعض
أولاد السلطان مولانا سليمان فأوقفه على القبر الذى ذكر مولاى عبد الرحمن وأنه
مشهور عند الخاص والعام. هـ.

قال فى الدر المنتخب: وهذا هو الذى جزم به الوزير اليعمدي فى المجلد
الرابع من كناشته وبه يتفق كل ريب ووهم فإنه أدرى وأوثق وأضبط.

وكان الذى تولى الصلاة عليه بوصية من المترجم - كما أوصى بدفنه بمقبرة
عامة المسلمين وأن لا يبنى عليه فنفذت وصيته رحمه الله حسبما صرح بذلك
الوزير المذكور فى المجلد المذكور - هو القاضى أبو عبد الله، وأبو حامد العربى بن
أحمد بردلة المتوفى بفاس يوم الاثنين خامس عشر رجب سنة ثلاث وثلاثين ومائة
وآلف، فنقم عليه بعضهم وأوغر عليه قلب السلطان وقال: إنه يبغضك ولولا شدة
بغضه ما سارع إلى الصلاة على عدوك الذى قام عليك، وأراد نزع الملك منك،
فكتب السلطان إلى القاضى يهدده ويوبخه فأجابه بما نصه:

«الحمد لله الجواب: قد ورد تقييد من الجناب العالى آدم الله أيامه، ونصر
أعلامه، وسد بهيبته يأجوج الفتن، وأبقاه لإظهار واضح الهدى والسنن، يتضمن
ذلك التقييد التقييد لما صدر من أمر الصلاة الموصى بها واستعظام أمر ذلك: إذ
كان بغير إذن من الجناب العالى نصره الله، وأنه فى عداد الافتيات، وأقول معتذرا
عن نفسى ومجيبا عنها بتقرير ما كان وحكاية ما صدر أن ذلك، لم يكن من غير
إذن، وإنما كان بإذن جاءنا من قبل الدار العلية بلغ مبلغ الشهرة وخرج من طريق
الشك، وكان أمرا مقررا، وحديثا شائعا مكررا، ثم مع هذا لم أذهب لمحل إلا
بقائد يقودنى ومترجم ينسب الأمر إلى الجناب العالى ولم أفعل فعلا صلاة أو
غيرها إلا مدفوعا إليها ومجذوبا نحوها وكالمجبور عليها، وإذا كان كذلك فلا لوم
من جهة عدم الإذن لأن من تلقى ذلك وسمعه وجاءه الأمر به وكان حاله على ما
وصف لا يسمى مفتاتا ولا منزلا منزله، هذا لو فرض أن لا إذن من الجناب
العالى بالكلية.

فالواجب فى حقنا والمناسب لحالنا ولسائر رعية مولانا نصره الله، هو القيام
بذلك والسعى والمبالغة فيه إجلالا وإعظاما لجناب مولانا نصره الله، وإذا كان
المقصود تعظيم جنابه فلا ينصت إلا لما هو من قبيلة، وسالكا على سبيله، لأن ما
هو من قبيل الإجلال والتعظيم واجب أن يعامل به ولا يعذر مثلنا فى عدم القيام
به، وقد قال مولانا على كرم الله وجهه لما كتب فى قضية صلح الحديبية: هذا ما
قاضى عليه محمد رسول الله أهل مكة، فقال المشركون لو علمنا أنك رسول الله
ما صددناك ولكن كتب محمد بن عبد الله، فقال رسول الله ﷺ: والله إنى
لرسول الله وابن عبد الله، امح يا على رسول الله، فقال سيدنا على: والله لا
أمحو رسول الله أبدا تعظيما لجناب النبي وترجيحا لإجلاله وإعظامه على امتثال
أمره، لأن المقام تعارض فيه وجوب امتثال أمره بالمحو ووجوب الإجلال والتعظيم
لمقامه، فرجح جانب التعظيم والإجلال، على جانب امتثال الأمر.

وهذا شاهد جلى لمسألتنا لو فرضنا وقوع النهى وعدم الإذن، مع أنه لم يكن نهى واشتهر بدله الإذن فتعين ما فعلنا من جهة ما سمعنا من الإذن ومن جهة ما هو متعين من الإجلال والتعظيم لمولانا نصره الله، إذ كان من قيم بحقه ممن يمت إليه بل قريب القرابة، ثم من جلى الإذن ما كان منه نصره الله صبيحة وقوع الموت مما كان شائعا وسمعه من حضر، وأسمعونا إياه من أمر مولانا نصره الله له بالقيام بأمر التجهيز والتشييع، وفي الأبي شارح مسلم أن الحسن البصرى لما ليم على صلواته على الحجاج، قال: كرهت أن أستعظم ذنب الحجاج فى جانب عفوه.

وفى الخازن مختصر تفسير البغوى ما نصه على قوله تعالى: ﴿... لَهُمْ خِزْيٌ فِي الدُّنْيَا وَلَهُمْ فِي الآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ [سورة: المائدة: آية ٣٣] هذا الوعيد فى حق الكفار الذين نزلت الآية فيهم، فأما من أجرى حكم الآية على المحاربين من المسلمين فينفي العذاب العظيم عنهم فى الآخرة، لأن المسلم إذا عوقب بجنايته فى الدنيا كانت عقوبته كفارة له، وإن لم يعاقب فى الدنيا كان فى خطر المشيئة، إن شاء الله عذبه فى الآخرة بجنايته ثم يدخله الجنة، وإن شاء عفا عنه وأدخله الجنة. هذا مذهب أهل السنة بحروفه.

وفى كتاب الإيمان من البخارى ما نصه: حدثنا أبو اليمان قال: أخبرنا شعيب عن الزهري، قال: أخبرنى أبو إدريس عائذ الله بن عبد الله، عن عبادة بن الصامت، وكان شهد بدار وهو أحد النقباء ليلة العقبة أن رسول الله ﷺ قال، وحوله عصابة من أصحابه: بايعونى على أن لا تشركوا بالله شيئا ولا تسرقوا ولا تزنوا ولا تأتوا بيهتان تفترونه بين أيديكم، وأرجلكم ولا تعصوا نى معروف، فمن وفى منكم فأجره على الله ومن أصاب من ذلك شيئا فعوقب فى الدنيا فهو كفارة ومن أصاب من ذلك شيئا ثم ستره الله فهو إلى الله إن شاء عفا عنه وإن شاء عاقبه. فبايعناه على ذلك.

هذا ما تيسر من الاعتذار، والله يديم عز مولانا ويخلده، ويديم الملك فيه
وفى عقبه الأكرمين ويؤيده، والسلام من العربى بن أحمد كان الله له».

٢٤١ - محمد بن الفقيه البركة أبى القاسم عليلش الحضرمى القرشى

البكرى الصديقى التيمى.

كذا وصف فى عقد عتيق.

حاله: فقيه جليل عالم علامة، دراية فهامة، متفنن متقن مشارك، حازم
ضابط قوال للحق، جامع ما افترق فى غيره من المحامد، عدل رضى، تقى نقى،
حى أريحى، خير دين فاضل كامل، موثق ماهر، فرضى عارف، تولى النيابة عن
القاضى فى الأحكام، واختص بقلم وثائق البيطرة والقوابل النظار بالدويرية
بحومة الأسبوع بقبلة المسجد الأعظم محل سكنى شيخنا السيد محمد فتحا بن
أحمد السوسى الآن.

وقفت على رسم مشهود له فيه بنحو ما وصفناه به أنه المستحق لما رشح له
من المناصب العلية، والوظائف السنية، من جم غفير من أعيان صدور معاصريه
من أئمة العلم والدين، وفضلاء العدول المبرزين، يبلغ عدد عدوله ستين وعلماؤه
أربعين، منهم سعيد بن قاسم العميرى، وأحمد بن ناجى، وعبد الجليل بن عبد
السلام القباب، وأحمد بن محمد دادوش، ومحمد الشطيبى الزرزالى، ومحمد بن
أحمد بن سودة، ومحمد بن أحمد الكوهن، ومحمد بن محمد الحلقاوى،
ومحمد بن الحسن بن إدريس الغمارى، ومحمد بن عبد الرحمن الحريشى،
والكبير بن محمد حجيج، ومحمد بن الحاج بن إبراهيم وذلك بتاريخ ثمانية عشر
ومائة وألف.

٢٤٢ - محمد بن أبي مدين بن الحسين بن إبراهيم السوسى المنبهى.

الزىادى الأصل المكناسى الدار والإقبار، قاضيهما بل قاضى القضاة بالمغرب
أبو عبد الله شهر بأبى مدين.

حاله: محدث متفنن ناظر ناثر نحرير الزمان، ونخبة الأعيان، علامة جليل
إمام فى المعقول والمنقول، وعلم الأبدان والأديان، مرجوع إليه فى النوازل والفتيا
والأحكام، موثق بارع، موثوق بفتواه وحكمه، ملحوظ بعين الإجلال والاعتبار
بين معاصريه لفضله ومثانة دينه، مقتدر على الترسيل، فصيح بليغ سيال القلم،
خطيب مصقع بل أخطب أهل زمانه.

ومن براعته أنه خطب بسيدنا الجد السلطان مولانا إسماعيل فى موسم عيد
اجتمع فيه جمع عظيم وجم غفير من أعيان المغرب وسراة وجوهه، ولما تعرض
لذكر السلطان فى الخطبة الثانية على العادة المعروفة ورى باسمه فتال: لو رآه والده
الجليل، فى هذا الجمع الحفيل، لقال: الحمد لله الذى وهب لى على الكبر
إسماعيل، فأعجب به وخلع عليه وهو من جيد التورية التى يقل من يهتدى لها
فى مثل هذا.

وفى أواسط شوال عام ثمانية وثمانين وألف آخر عن القضاء وولى مكانه
أحمد بن سعيد المجيلدى، ثم أعيد بعد لخطبته، فقد وقفت على عدة خطابات له
بعد التأخير وتسجيلات من ذلك رسم مسجل عليه بتاريخ أواخر جمادى الأولى
عام ستة عشر ومائة وألف محلى فيه بما لفظه: الفقيه الأجل، العالم العلامة
الأكمل، المدرس البركة الحافظ الحججة الخطيب البليغ المحدث الراوية قاضى الجماعة
بمكناس ومفتى الأنام بها.

٢٤٢ - من مصادر ترجمته: التقاط الدرر - ص ٣٠٣.

مشيخته: منهم أبو على الحسن اليوسى وهو عمدته وغيره من فحول عصره.

الآخذون عنه: منهم أبو عبد الله محمد بن عبد الرحمن بن أحمد بن عبد الواحد بصرى، أخذ عنه شرحه على السلم، وقرأ عليه مختصر السنوسى والمحلّى والسعد وغير ذلك، وابن عاشر الحافى السلوى حضر مجلسه فى صحيح البخارى، وأبو نصر عبد الوهاب العراثشى، وأبو محمد عبد الوهاب بن أحمد بن محمد بصرى.

مؤلفاته: له شرح على منظومة الأخصرى فى المنطق المعنونة بالسلم المروتنى، أبدع وأودع فيه من التحقيق الدال على مهارته الكاملة ما شاء. قال فى منحة الجبار: وله فى الأصلين معا أبحاث وتحقيقات، وفوائد وتدقيقات، وله الخطب التى لم يسبق بمثلها، التى يقف فحول الأدباء عند حدها.

نظمه: من ذلك قوله مداعبا لرجل يدعى سينو من أهل تطوان كما بكناشة العلامة الأقدع أديب الثغر الرباطى السيد محمد بن التهامى بن عمرو:

تبارك الملك تحمينا وياسين من شر ما نتقيه منك يا (سين)
بالأمس يشكوك إسحاق وجيرته واليوم ها هى تشكوك المواسين
تألف اسمك من ضدين وانتقضا نعم لا وهو بمعنى قولنا (سى) (١) (نو)

نثره: من ذلك ما كتب به للسلطان المظفر سيدنا الجدد مولانا إسماعيل:
«مولانا الذى لألآت الأكوان غرر شيمه الطاهرة ومفاخره، وملأت الأذان والأذنان
درر خيمه البهية الباهرة ومآثره، واستطال نجاد الدين بملازمة حضه على إقامة

(١) فى هامش المطبوع: «يشعر بأن له معرفة باللغة الفرنجية فإن معنى (سى) عندهم نعم (نو) لا. انتهى مؤلف.

منائره الرائقة ومنابره، ظل الآنام، وكهف الإسلام، ملاذ الخاص والعام، مقيم
فخر أمة جده عليه الصلاة والسلام، أبقى الله مجد بيته العتيق، تأوى إليه الأعيان
خاضعة من كل فج عميق.

السلام التام، على شريف البساط وعلى المقام، والرحمة والبركة ما أدار رائد
فلكه، وأنام ثاقب فلكه، هذا وليعلم مولانا، المقيم لشعائر الشرائع المحمدية قواعد
وأركاننا، أن مملوك نعمك، وغريق بحر جودك وكرمك، قد والله ملئت أردان قلبه
شوقاً، وجرت به أفراس التشوق إلى مشاهدة الطلعة العلية طلقاً، فلا والذي بعث
جدك بالحق، وأقامك مقامه فى إقامة الشرائع وسياسة الخلق، ما قطعت بك
الصفائف الجياد سبباً أو وهاداً، إلا وسوابق الأرواح بين يدي جحافل مولانا
تتهادى، ولا نفحت قواصف أو لمحت هواجر، إلا والعيون من فرط الإشفاق، من
معاناة مولانا المشاق الشواق، للذيذ كراها هواجر.

لكن إذا ارتاد المشفق فكره، وبصر بأن الله سبحانه قد ضاعف لخلفاء العدل
مثوبته وأجره، حيث جعل سبحانه هائل المنافع والمصالح من عنان عدلهم يسح
وابله وطله، وناهيك بما أتخفهم من مطارف المجازات إذ جعلهم أشرف الأصناف
السبعة الذين يظلمهم بظل عرشه يوم لا ظل إلا ظله، فعند ذلك نعم بالحبيب باله،
واضمحل لاعج الإشفاق وبلباله، وانقشعت مزن الأتراح والمواجد، وأفترت بواسم
الأفراح حتى أبدت النواجذ.

ويكفى فى الباب، قول صفوة الأنبياء ولباب اللباب: لعامل الإمام العادل
فى رعيته يوماً واحداً أفضل من عبادة العابد فى بيته مائة سنة كما فى حديث أبى
هريرة، ولا غرو كما قال الأئمة فى أن الأجور باعتبار المشاق، ومقاساة الأمور
الشواق، ولذلك كان الأنبياء عليهم الصلاة والسلام أركى الناس مناصب،
وأعلاهم مراتب، وقد استحثتنى بواعت اشتياقى، واستنجدتنى للقدوم عزائم

أشواقى، حتى أشاهد أنوار هاتيك الأخلاق الزكية، وأنتشق من أزهارها الذكية، فأشير على من مملوك مولانا بما حاصله أن تقدم الاستئذان على الوفاة، من أجل ما يتحلى به أدب المرء من السنن المستفادة.

ثم مع ذلك فالجوارح ناطقة بشكر ما لمولانا من جزيل الأيادى، والجوانح معترفة بعظيم نعمه التى عمت الحواضر والبوادى، والرعية معتكفة على حب أميرها، لاهجة بجميل الذكر على لسان صغيرها وكبيرها، والخصب ببركة مولانا قد أغنى وأقنى رفته، وجاد على الأعجم والناطق بما ملكت يده.

وهذه الحضرة المشرفة بعناية مولانا إذ جعلها من ذماره، واصطفها لقربه وجواره، وشنفها من بديع الفراديس ورفيع القباب، ما لورآه الإسكندر الأكبر لاعترف بأنه العجب العجاب، قد حليت من المحاسن بمتهاها، وأسعدها الإسعاف بنيل أرفع مشتهاها، والعلوم قد تدفقت بها أنهارها، وتفتقت على أوج التحصيل أزهارها، والأكف مرتفعة لمولانا بصالح الأدعية، والألسنة معربة بما لمولانا من عظيم الحق فى المجالس والأندية، إذ هو حفظه الله رفع للعلم مناره، ويوأه قراره، وأحيا معالمه الدوائر، وألزم نصره الله نشر ما حوته الدفاتر، فله المنة بدءا وعودا وجميل الثناء والشكر على ما أولى وأسدى».

وفاته: توفى بمكناسة الزيتون زوال يوم الجمعة ثامن أو سابع شوال عام عشرين ومائة وألف عن أربع وثمانين فيم قيل، ودفن عند العصر بضريح ولى الله المولى عبد الله بن حمد خارج باب البرادعيين أحد أبواب المدينة، وقبره هناك مشهور.

٢٤٣ - محمد بن عبد الرحمن بن محمد فتحا.

الفاسى لقباً، الشاوى المعزوى أصلاً، المكناسى نشأة وداراً وقراراً.

حاله: ميقاتى فاضل معدل، حيسوبى ماهر، انتهت إليه رياسة التوقيت والتعديل وما يتعلق بذلك فى زمانه، مع سمت حسن، ودين متين، فقيه أديب، لبيب زكى ذكى، كاتب بارع، ذو أخلاق مرضية، وأفعال سنية سنية، نزيه وجيه حى أريحى مهذب، له اليد الطولى فى الإنشاء والترسيل بديع الخط، رحل لفاس ولازم فطاحل جلة أعلام مشايخها حتى فتحت له النجابة بابها وأدخلته المهارة حجابها، فرجع لمسقط رأسه مملوء الجراب آية فى الفهم والإدراك لا يجارى ولا يبارى، فتولى رياسة التوقيت بالمسجد الأعظم بالحضرة المكناسية قبل وفاة والده إمام الفن المرجوع إليه فيه على عهد سيدنا الجد السلطان مولانا إسماعيل قدس الله روحه، وكانت توليته الوظيف المذكور عام ثمانية وعشرين ومائة وألف، وكان السلطان المذكور يجله ويبيجله، وقفت على ظهير بإسناد الوظيف المذكور إليه ودونك نصه:

«الحمد لله وحده وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليما، عن أمر عبد الله المتوكل على الله، المفوض جميع أمره إلى مولاه أمير المؤمنين، المجاهد فى سبيل رب العالمين، الشريف الحسنى إسماعيل بن الشريف الحسنى الله وليه أيد الله بعزیز نصره أوامره، وظفر جنوده وعساكره، وخلد فى الصالحات مآثره.

يستقر بعون الله تعالى هذا الظهير المبارك بيد حامله المتمسك بالله ثم به الفقيه الوجيه، المعزوى النزیه، الموقت المعدل السيد محمد بن عبد الرحمن الفاسى لقباً المكناسى دارا الشاوى أصلاً، يتعرف منه أننا حيث ثبت لدينا بتعريف من وثقنا بتعريفه الإمامة والعدالة والمعرفة والتوقيت وأحكامه وآلاته، وليناه خطة التوقيت بالمستودع من الجامع الكبير من حضرتنا العالية بالله، ومباشرة آلة التوقيت ليلاً ونهاراً، مواظباً على ذلك، ملازماً لمحله وشغله منقطعاً إليه دون معارض له ولا

منازع وأذنا له فى قبض ما هو حبس على التوقيت بالمحل المذكور من الرباع وبلاد
الحرث وغير ذلك .

وكذلك أذنا له ووليناہ الأذان فى الصومعة وإقامة الصلاة ورواية الحديث
الكريم على الكرسي يوم الجمعة موقرا محترما فى جميع أحواله، وكذلك وقرنا
والده الخير الدين السيد عبد الرحمن المذكور وأولاده العربى ومحمد توقيرا تاما
لانتسابهم لهذا الوظيف الدينى وخدمة بيت الله الذى هو أشرف البيوت وأرفعها،
والواقف على هذا المسطور الكريم يعمل به ولا بد والسلام، وكتب فى التاسع
والعشرين من ذى الحجة الحرام مكمل ثمانية وعشرين ومائة وألف .

فانظر اعتناء واعتبار أسلافنا المتقين، لإقامة شعائر الدين، واحتياطهم
جهدهم وطاقتهم فى انتخاب من يرشحوه للقيام بذلك وبسطهم يد التصرف فى
الأوقاف المعينة لذلك الوظيف وقوفا مع ألفاظ المحبس التى يجب اتباعها شرعا
وتحرم مخالفتها لتزيله منزلة ألفاظ الشارع .

مشيخته: أخذ عن سيدى محمد بن عبد الرحمن بن عبد القادر الفاسى،
وسيدى العربى بن عبد السلام بن إبراهيم الدكالى وسيدى محمد بن أحمد بن
الحاج وسيدى العربى بن عبد السلام الفاسى، والسيد عبد الواحد بن محمد بن
هارون، أجازة عامة فى الفنون التوقيتية والتعديلية وما ينضم إليها الأول والرابع
والخامس، وشهد له بالمهارة والاستحقاق غيرهم .

ودونك نصوص ما كتبوه له على الترتيب ومن خطوطهم نقلت، كما ذلك
إثر تقريره الإجازة منهم وسيمر بك بحول الله :

الحمد لله، ما قاله الشاب الأرضى الأزكى الأحظى، الفقيه الأديب الفاهم
اللبيب، أبو عبد الله المذكور صحيح وقد أجزته فى ذلك وغيره من التأليف

التوقيتية والآلات الفلكية، والله سبحانه يوفقنا وإياه، لما يحبه ويرضاه، بمنه
وكرمه، نسأل من المجاز المذكور ألا ينساني من صالح دعائه.

وكتب عبيد الله وخديم أوليائه، محمد بن عبد الرحمن بن عبد القادر
الفاسى الكنانى غفر الله له وستر عيبه صح فى التاريخ أعلاه. هـ.

الحمد لله الذى جعل فى السماء بروجاً وجعل الشمس سراجاً والقمر نوراً،
وجعل الليل والنهار خلفه لمن أراد أن يذكر أو أراد شكوراً، وفرض فيها للدين
أوقاتا شرعية رحمة منه وبروراً، ونصب لمعرفة دلائل أشرفت بيانا وظهوراً،
والصلاة والسلام على مولانا محمد المتقى للرسالة قبل أن يكون آدم خلقاً
مذكوراً، المبعوث لإقامة دين الحق فكان به مؤيدا منصوراً، والرضى عن أصحابه
الذين كان سعيهم مشكوراً.

هذا وقد وقفت على ما سطره أعلاه الفقيه الأجل، العالم الأفاضل، المعظم
المبجل الأحفل، شيخ العلوم العقلية والنقلية، والمتفنن فى حقائق ودقائق صوفية
وشرعية وحكمية، وفرع دوحه تدلت بالعلم أفنانها، وفرع شجرة أظلت الكرام
أغصانها، وبيت كرع الأعلام من مناهله، واغترفوا من سيب تياره ونائله.

شيخنا أبو عبد الله سيدى محمد بن شيخنا الإمام، الأوحد الهمام، البحر
الذى طما تياره، واستوى فى البلاغة نظامه ونثاره، محلى أجياد المعانى بمقتى
جواهره، ومورق أفنان البلاغة بمونق أزهاره، الذى درس العلوم والفها، وقرط
المسامع بحلى فوائده وشنفها، ونظم درر الفصاحة فى أسلاكها، وضم درارى
الأدب فى أفلاكها، وحاك ديباج البراعة وفوف، وقوم أود البيان وثقف، أبو زيد
سيدنا ومولانا عبد الرحمن نجل الفضلاء الأعلام، أئمة الهدى ومصايح الظلام،
السادات الفاسيون دارا لقباً، الكنانيون أصلاً ومتسباً، أفاض الله تعالى علينا من
بركتهم، وحشرنا فى زمرتهم آمين.

من إجازته للشباب الفقيه النبيه الأزكى الأخطى الموقت الأديب الزكى المرتضى سيدى محمد بن الفقيه الموقت العفيف النزيه الخير ذى الأخلاق الزكيه، والأحوال المرضية، سيدى عبد الرحمن الفاسى لقبا المكناسى دارا وقرارا فى التأليف التوقيتية والآلات الفلكية، فإنه لجدير بأن يجاز فى ذلك، وأحق بأن يؤذن له فى سلوك تلك المسالك، لحذاقته ونبله، وقوة إدراكه، وصفاء مرآة ذهنه وعقله، وولوعه بحصول هذا الفن وتحصيله وعكوفه على طلبه بكرة الزمان وأصيله.

وأخذه عن ذويه وخصوصا ما أحرز وحازه عن الشيخ العارف أعلاه فإنه القدوة فى ذلك المشهور، وعلم الفلك فى هذا العصر عليه مقصور، وهو قطبه الذى عليه يدور، فقد صادفت إجازته صوب الصواب، وكشفت عن وجوه الحق اللثام والنقاب، سيما وهو قد انتصب بالفعل لمباشرة الأوقات، بالحساب والآلات، ومارس أدوارها الفلكية بالأدراج والساعات، وظهرت فى ذلك نجابته، وتحققت فيه موافقته للصواب وإصابته، وصدق فيه مقاله، وصح فيه حسابه وأعماله، فى ليله ويومه، وصحوه وغيمه، منذ مدة مديدة وأزمان، وليس الخبر كالعيان، والله تعالى يوفقه ويمده بمدده، ويعينه على ما هو بصدده، وكتب الفقير إلى رحمة مولاه الكريم محمد العربى بن عبد السلام بن إبراهيم الدكالى كان الله له وليا وبه حفيا آمين. انتهى.

الحمد لله المجاز المذكور، بما هو مكتتب ومسطور، أولا وآخرا حرى بحلاه، وما نظم ورقم أعلاه، إلى ما جمعه من لآئى ويواقيت، وصار به فذا فى المواقيت، نشأة سنية، وسيرة سنية، والله جل جلاله ينفعنا وإياه، ويديم رقيه وبغياه، وكتب طالبا دعاءه، وملبيا نداءه، ومتلمسا من مولاه ذى الطول، يوم الحر والهول، ظلّه ورداءه، محمد بن أحمد بن الحاج وفقه الله بجاه رسول الله ﷺ وعلى آله وذريته الأكرمين. انتهى.

الحمد لله وكاتبه الواضع اسمه عقب تاريخه أحق بإجازة المجاز أعلاه،
لمهارته فى فن التوقيت وغيره، ولا أعلم أن فى بلاده أفضل منه فى فنه، ولا فى
بلادنا هذا، وكتب عبید الله تعالى العربى بن عبد السلام الفاسى، كان الله له وليا
ونصيرا بمنه. انتهى.

الحمد لله ما كتبه شيخنا الإمام، الأوحد الهمام، أدام الله الانتفاع به أمين،
من إجازته للفقیه الأديب، العدل النجيب، أبى عبد الله بن الماجد الأئجد، العدل
الأرضى الأسعد، سيدى عبد الرحمن الفاسى المذكور أعلاه، هو كما قال وهو
عين الحق والصواب، لأن المجاز وفقه الله وأسعده ممن له فى ميدان التحقيق
والدراية جريان، فلا مرية أنه أهل لذلك أدام الله توفيقه، وله اليد الطولى والحمد
لله فى فن الحساب والتوقيت وسائر تعلقاته الفلكية، وآلاته الشعاعية، وله علم
ومعرفة بفن التعديل، وقد أجزناه فى ذلك كله كما أجزاه شيخنا المذكور ونسأله أن
لا ينسانا من دعائه الصالح، وكتب عبید الله تعالى العياشى بن إبراهيم الخلقى
الزهرونى وفقه الله بمنه أمين. انتهى

الحمد لله المجاز المذكور أعلاه، الموصوف بما واصفه به قد حلاه، وهو
الفقیه النجيب، الفاضل اللبيب، أبو عبد الله سيدى محمد بن الفقیه النبیه،
المرابط النزیه، أبى زيد سيدى عبد الرحمن الفاسى حقيق والحمد لله بالإجازة، لما
قام به من التحقيق فى علم المواقيت وحازه، وقد أجزته لما سبق له من القراءة من
كتب الفن، وإن كنت لست ممن سلك تلك المسالك، كما أجزاه شيخنا الإمام،
الأوحد الهمام، سيدنا وسندنا أبو عبد الله سيدى محمد بن شيخنا العلامة المشارك
الدراكة إمام عصره، وعلامة دهره، أبى زيد سيدى عبد الرحمن الفاسى والله
يوفقنا وإياه، لما فيه رضاه، بجاه نبينا ومولانا محمد وآله، وفى الحادى والعشرين
من ربيع النبوى، عام ثلاثة وعشرين ومائة وألف.

وكتب عبید ربه المعترف بذنبه الراجی عفو ربه عبد الواحد بن محمد بن
هارون . انتهى .

نثره : من ذلك تقرير إجازة لفظها بعد البسملة والصلاة :

الحمد لله الذى رفع بعلم ما أودع من أسرار، ونفع بما نزع من قلوب
المعتدين الأشرار، وأمتع لمن برع بما كشف عنه لأهله الأستار، فصعد بما أبدع مما
لا تدركه العقول والأفكار، ورسع بما جمع القلوب بالسبر والمسبار، نحمده
سبحانه على ما أبرز من نعمه وحجز من إثمه، وتجاوز عمن طلب الإجازة عن
ذنوبه واجتزم من ظلمه، وأنعم على من أكرم بحسن الإنعام، فوفقهم لتعديل
الأحكام ففازوا بالحياة والمكاسب، وحازوا بعد الانتقال حسن العواقب، فطوبى لمن
صدق برسله ووعد، وتبا لمن عبد الشيطان وحكم بنده، فذلك الذى ضيع دنياه،
وفاته مناه ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة من أخلص عبادته
وعلمه، ووحده فى ملكه وشهد بأن الملوك خدمة، ونشهد أن سيدنا محمدا عبده
ورسوله الذى أرسله بالهدى فيسر منهجه القويم بالموافق، وأصلح بيسارته
الإصلاح الفائق، ﷺ وعلى آله وصحبه الشمس المضيئة مع الأقمار، كل بنوبته
فى روضة الأزهار، الذين تبعوا سنة المختار فى الإقبال والإدبار، ففازوا بالأصل
الحقيقى والمعدل، وبعد قطرهم عن الميل الثانى والميل الأول، وفضلوا بارتفاع
البصر، فى أبد الدهر، وحسن النعت، بتعديل السمات، على أن سمت الارتفاع،
ظله باع، ومطالع الاستواء، فى أفقها استوى، فله من طالع قوى، ولله من غارب
ارتفع صاحبه فكأنه ليس فى المغرب ولا هوى، فهناك تود أن المواهب عندها
تكمل، وتتألاً المراتب أبهى من الشمس فى الحمل .

هذا وإن للعلم ذروة يتبوأها كل ذى حجا، وهمة يتفياً ظلالتها المتفئى فى
النهار وفى الدجى، وإن لذويه لخصيصة راسخة، ومراتب سنية غير رازحة، تأهل

السير إليها حتى لجا، وقد سنى الله لنا زمنا امتن فيه بالمنة التي يجب شكرها أبدا، ويستمر على مر الزمان وحقائب المدى، أن تيسر لى ما جنح إليه البال، وسنح بحسب الحال منه المثال، الذى بحضرة شيخنا الذى افتقرت الكواكب فى موضع معرفتها إليه، وتنورت منيراتها قبس يديه، فأصبحت تطيب منه النفوس، وقيل أن لا عطر بعد عروس، فهو محتد الفضائل والهدى، وَمَعَشُ الْاِهْتِدَا^(١) بيدر وإن بدا. الهمام المتفنن، والجهبذ المتقن، العلامة الدراكة البركة المشارك الفهامة النحرير، أبى عبد الله سيدى محمد بن الإمام الأكبر، العلامة الأشهر، شيخ المعقول والمنقول، الذى له اليد الطولى فى الفروع والأصول، أعجوبة الدهر، ونادرة العصر، أبى زيد سيدى عبد الرحمن نجل الشيخ الإمام، القدوة العارف الهمام، شيخ الجماعة أبى محمد سيدى عبد القادر بن على الفاسى خلد الله مناقب آبائه الحميدة، وأدار فلكه فى سمائه السعيدة، فهو الجامع لما تفرق من مهم المهم، والمفرق لما تجمع من أباطيل الجهل الملم، فله دره جمعا للعلم والفضائل، وتفريقا للجهل ومنكرات الأباطل.

فكم خصلة افتقرت فى غيره فجمعت عنده، وكم فضلة افتضلها رشحت واردها لما يكفى عن عدة، فمن ثمالته منهل المعاصر، ومن ذبالبته ينبلج سنا العلم فى المفكر والمناظر، فإذا شرقت علينا بمشارقه العجيبة، ومفارقة الغريبة الرحبية، كانت قراءته بغية الطلاب للإمام العلامة أبى عبد الله الحباك أروى فيها بمنهله المدرار وبمناجاته السقرطية ومفاكته العبقرية يروق المنصف النحرير، ويعنى بها الألهوب^(٢) والفسفير، بجمع من الشروح، وزيادة وضوح فوضوح، ثم كتاب السيارة، فما آريه أحباره، ورسالتى الربع المجيب والكامل، إلى غير ذلك من المسائل، مما تناولته حين الاقراء إلى هلم جرا.

(١) فى هامش المطبوع: «بياض بالأصل».

(٢) الألهوب: اجتهاد الفرس فى عدوه حتى يثير الغبار.

وأجازنى فى ذلك مما قرأته بلفظى أو لفظ غيرى، وكل ما أورد من المسائل حين القراءة وما عرض الآن أو سوف يعرض لى منه وراءه حسبما أخذ ذلك عن شيخه والده المذكور، المقدس المبرور، رضى الله عنهم أجمعين، ووفقنا لما يحبه ويرضاه ببركة الصالحين، وعلمنا علما ينفعنا فى الدارين، وجعل تعلمنا لوجهه الكريم، ومقربا منه وموجبا للفوز بدار النعيم.

وكتب العبد الفقير لمولاه، الغنى عما سواه، محمد بن عبد الرحمن بن محمد الفاسى لقبا المكناسى دارا ومنشأ وقرارا، الشاوى نسباً، ثم المعزوى من أولاد عمارة أحد أولاد سيدى يشو بن حمدون بتاريخ أواسط ربيع النبوى الشريف عام ثلاثة وعشرين ومائة وألف.

الأخذون عنه: منهم ولده عبد القادر أتى الترجمة.

وفاته: توفى شهيدا تحت الردم بالزلزلة فى صفر عام تسعة وستين ومائة وألف.

٢٤٤ - محمد أبو عبد لله بن محمد العكارى الرباطى.

حاله: فقيه علامة صوفى صالح متبرك به، انتقاه سيدنا الجد الأكبر السلطان الأعظم مولانا إسماعيل إماما للصلاة به بمسجده الأعظم داخل قبته المولوية وخطيبا به حسبما أفصح بذلك ابن أخيه أبو الحسن على العكارى فيما قرأته بخطه، وقد ألف فى مناقبه حفيده أبو الحسن على بن محمد تأليفا حسنا سماه الدور الضاوية، فى ذكر الشيخ وأصحابه وتلامذته وبناء الزاوية، قال فى حقه ما نصه: كان الشيخ ذا مكاشفات ظاهرة، وكان يقرأ القرآن برواية السبع ويجوده ويتقنه غاية الإقتان وكان مشاركا فى فنون من العلم كالقراءات والبيان والهندسة والفقه والنحو والتصوف والتوقيت والبديع والحساب والكلام والحديث والتفسير، ويتقن ضبط ذلك، ويحسن المشاركة فى غير ما ذكر، دعوبا على نشر العلم، ناسكا ورعا

زاهداً، حافظاً دراية، متوسعا في علم التفسير ومعاني الأحاديث، قائماً بالطريقة لا يخل بعلم الظاهر تدريسا، وألف تأليف عديدة تقييدا وضبطا، فنفخ الله به جميع العدوتين سلا ورباط الفتحة، وانتفع به الخلق من كل فج عميق بالتعليم والتربية للمريدين بقوله وفعله.

وكان له همة عالية وحالة مرضية، وقلم فصيح مع التمكين والرسوخ، إذا تكلم انتقش كلامه في القلب، وإذا وعظ وضع الهناء موضع التعب، قدم من مراكش إلى سلا، واستوطنها وتعرف بأهلها واجتمع عليه أعيان البلاد، وطلبوا منه التدريس بجامعة الأعظم فامثل وحضر درسه جماعة من أعيان علماء سلا ثم زاره الأمير العلامة الكبير مولاي عبد الواحد نجل السلطان مولانا إسماعيل، كان مستوطنا رباط الفتحة بقصد قراءة العلم، واستدعى المترجم للرباط فلبى دعوته فأنزله بداره، ودرس بالولى الصالح أبي العباس أحمد بن موسى العايدى، وكان يحضر درسه علماء الرباط.

ثم ورد السلطان الأعظم مولانا إسماعيل على رباط الفتحة، ولما التقى به نجله المولى عبد الواحد المذكور حدثه بحال الشيخ المترجم ومناقبه وفضائله ومحاسنه، فقال له: لا بد لى أن التقى معه فى هذا اليوم وأخذ عنه الطريقة الشاذلية تبركا فركب السلطان وولده فوجدوا المترجم بالجامع الأعظم يسرد صحيح الإمام البخارى، وكان السارد لديه الفقيه العلامة القاضى سيدى عبد الله بنانى الأندلسى.

ولما دخل السلطان صلى تحية المسجد، وجلس لاستماع الحديث والشيخ لم ينظر إليه، ولما تم الدرس نظر الشيخ إلى القاضى وقال له عظى يا ولى الله، وتذاكروا ساعة زمانية وافترقوا، ولما رجع الشيخ إلى دار سكنه ألفى بها مالا كثيرا وجه إليه به السلطان مولاي إسماعيل هدية، فلما وجد الشيخ ذلك وجه على تلميذه الفقيه الزبدي، وقال له: خذا هذا المال وافعل به ما شئت، فتشاور مع

المريدين، فقالوا له: اشتر له دارا كبيرة تكون حذاء هذه الدار التي نجتمع فيها فاشترها له بحومة السويقة بدر البروزى تعرف بدار الفقيه البروزى.

ولما أراد السلطان النهوض من الرباط وجه على الشيخ المترجم، وقال له: يا شيخ تقدم معنا إلى سجلماسة لتصل الرحم، ويتبرك بك أنجالي، وتؤم بنا صلاة الخمس، وتختم معنا صحيح البخارى، فإن معنا الفقهاء من فاس فإنهم أرادوا الاجتماع بك، والأخذ عنك. فقال الشيخ للسلطان: يذهب معنا خمسة من فقهاء سلا ومثلهم من الرباط فإنهم يليقون بنا وبك، ويكون الجمع مباركا سعيدا، فأجابه السلطان لذلك، ونفذ له ولهم صلة لعيالهم وصلة لمؤن سفرهم.

مشيخته: أخذ عن والده وغيره.

الأخزون عنه: أخذ عنه أبو عبد الله محمد البيجرى المكناسى حسبما صرح بذلك ولده لابن أخى المترجم أبى الحسن على فيما قرأته بخطه، إذ قال: لما عرفنى يعنى البيجرى قال لى: إنكم ساداتنا، فقلت له: بل نحن إخوة لظنى أنه قاله تأديبا، فقال لى: أنتم سادتنا حقيقة، وذكر لى أن والده من تلامذة الشيخين الجد والعم قدس الله روحهما.

ومن أخذ عنه العلامة الشيخ زبير السلوى، وأبو محمد عبد الله حجى، وأبو الحسن على بوشعرا، وأبو القاسم بن الحسين الغريسي، والسيد المكى الحافى وسيدى مسعود جموع، وأبو العباس أحمد حجى، وأبو عبد الله محمد الصبيحى، وأبو محمد عبد الواحد نجل السلطان مولاي إسماعيل، وسيدى المعطى مرينو، وأخوه أبو عبد الله محمد مرينو، وأبو عبد الله محمد بن الطاهر الزبيدى، وأبو العباس أحمد بن عبد الله الغريبي، والقاضى أبو محمد عبد الله بنانى، وأبو عبد الله محمد بن اليسع الفلالى، وأبو العباس أحمد عاشور، وأبو محمد التهامى

ابن عمرو، وأبو يعزى المسطاسى، وجل هؤلاء قضاة وغير من ذكر ممن لا يعد كثرة.

وفاته: توفى كما بكناشة اليعمى سنة اثنين وتسعين وألف.

٢٤٥ - محمد بن العربى الغمارى.

حاله: فقيه علامة أصل، جهبذ أوحى نبيل، حلى بحجة الإسلام، البركة الهمام.

وفاته: توفى ضحوة يوم الأحد الثانى من ربيع الثانى عام تسعة وعشرين ومائة وألف حسبما وقفت على ذلك منقوشا برخامة ضريحه، ودفن بروضة المولى عبد الله بن حمد.

٢٤٦ - محمد فتحا الحاج بن عبد القادر التستاوتى.

صنو أبى العباس المترجم فيما مر من الأحمدين.

حاله: شيخ فاضل متبرك به.

وفاته: توفى فى المحرم فاتح سنة اثنين وثلاثين ومائة وألف ذكره أبو العباس الحافى فى بعض مقيداته فى الوفيات.

٢٤٧ - محمد بن العلامة أبى عبد الله محمد بن الإمام المتقن أبى زيد عبد

الرحمن بصرى الولهاصى.

حاله: علامة نظار، تحرير نقاد مشارك مطلع متضلع، إمام فى صناعة التدريس وحسن الإلقاء، ماهر نفاع، أحد أعلام الدولة الإسماعيلية وجهابذتها النقاد.

مشيخته: أخذ عن العلامة أبى الحسن على بن عبد الرحمن بن عبود أتى

الترجمة، والقاضى الأعدل أبى القاسم بن سعيد العميرى، وأخيه سيدى على، وأخيهما أبى العباس أحمد والشيخ عبد الوهاب بن الشيخ، وأبى عبد الله محمد فتحا الدغوى، والسيد المجذوب بن عبد الرحمن بن عزوز، وأبى الحسن الندرومى، وأبى عبد الله محمد اقلال، وأبى زيد عبد الرحمن بن سعيد العميرى، وأبى حفص عمر الكوش.

الآخذون عنه: منهم ولده المترجم بعد.

وفاته: توفى يوم السبت خامس شعبان المبارك عام ستة بسين مهملة فمثناة فوق وثلاثين ومائة وألف.

٢٤٨ - محمد بن العياشى أبو عبد الله المكناسى.

حاله: صدر تحرير فقيه جليل، حسيب أصيل، مدرس نبيل، قال فى حقه مؤرخ دولتنا العلوية السيد أحمد بن الحاج السلمى صاحب حواشى المكودى والأزهري وغيرهما المتوفى عام ستة عشر وثلاثمائة وألف فى الدر المنتخب المستحسن: الفقيه المفتى النوازلى القاضى العلامة المدرس الكاتب، كان من جملة كتاب السلطان مولانا إسماعيل ملازما لخدمة بابه والوقوف بأعبائه، وأنه كان يستشير فى المهمات، من ذلك أنه استشاره فى أى قبيلة يتخذها جندا؟ فقال له: إن المنصور السعدى كان وجه جيشا لفتح السودان فسبى عبيدا واتخذهم جيشا ودفعهم لولده المدعو بالشيخ الثانى فأنزلهم فى جنات أهل فاس بزواغة، ويقوا على ذلك إلى أن قام على والده ودعا لنفسه فقبض عليه والده ونهب العبيد وفرق جمعهم فى القبائل، والآن اجمعهم فإنهم مملوكون لبيت المال، واتخذهم جيشا للخدمة، فقال له السلطان: أنت النائب عنى فى جمعهم، فقال له: فليعين سيدنا وكيلنا يقوم فى طلب حق بيت المال وأنا أقضى بينهم وبينه، فقلده القضاء والفصل فى ذلك وتسمى بقاضى القضاة، وعين السلطان وكيلا هو الباشا عيلش، فشرع

فى جمع العبيد، فكان ابتداء أمرهم أن ينادى فى الأسواق فى الحواضر والبواى من ىرد خدمة السلطان من العبيد فليات إلينا إلى أن كان من ذلك ما نبسطه فى محله بعد بحول الله وقوته.

تنبيه: قد رأيت لعدة من المؤرخين إنهم ذكروا فى حق مولانا فخر الملوك أبى الظفر مولانا إسماعيل أنه كان ىسترق الأحرار المسلمين بالحراطين، وتمالخوا على ذلك وصرخوا بأن الاسترقاق وقع منه فى غير محله الشرعى، وهذا لعمرى من الكذب المفترى ولكن الجهل بالحقيقة أورثهم أن تقولوا ما لم يكن، وبنوا على غير أساس، ودونك الآيات البينات، فقد وقفت لى عدة دفاتر كتبت على عهده رحمه الله وقدس سره أشرفت منها فى القضية على كمال الاحتياط فى استرقاق أولئك العبيد وجمعهم، إذ صنيعه فيه عقد التراجم، لما فى كل مدشر من مداشر القبائل الهبطية من العبيد ذكورا وإنائا، ثم ذكر وثيقة مسجلة على قاضى مدينة القصر فى حينه، وشكل القاضى المسجل عليه قائم العين به إلى الآن تتضمن تلك الوثيقة ذكر كل فرقة بذلك المدشر من الوصفان وذكر مالكم وإثبات ملكه لهم وبيان وجه صيرورتهم له من شراء ونحوه، وبيان من تزايد لتلك الفرقة هناك بصفات كل المعينة له، ومن مات منهم، ومن هو فى قيد الحياذ، وبيان استمرار الملك للمالك إلى أن مات وخلفهم لورثته وهم فلان وفلان لى، كل ذلك بشهادة الأعيان من علماء وعدول وغيرهم معتمدين فىمن أدركوه منهم على التحقيق والعيان وفى غيرهم على أعلى درجات شهادة السماع المستفيض الفاشى على السنة أهل العدل وغيرهم.

ثم يذكر تاريخ الشهادة وأول تاريخ وقع بأحد الدفاتر المشار لها وهو بمكتبتى أوائل ربيع الأول عام اثنين وعشرين ومائة وألف.



كتابة على ظهر كناش إحصاء العبيد الإسماعيليين وعقود أشریتهم

ثم يذكر أسماء الشهود ووصفهم وعدة الشهود بأول رسم ست وثلاثون.

ثم يذكر وثيقة أخرى مسجلة على القاضى المذكور شكله قائم بها إلى الآن تتضمن إسهاد القاضى بأداء أولئك الشهود عنده بجميع فصول الوثيقة، وبأنه استقلت عنده جميع فصولها، كما استقلت عند جميع من يعطف بشكله عليه من قضاة الإيالة السلطانية الموجودة أشكالهم لحد الآن بالدفتى المذكور وغيره.

وبعد ذلك تضمن الوثيقة المذكورة أيضا أنه سئل من القاضى المذكور وكل من يوقع شكله بعده من قضاة وعلماء، هل بقى فيما ذكر من شهادة الملك ومتعلقاته عمل يتوقف عليه شرعا فيضاف إليه فاشهدوا بتمام ذلك واستجماعه للشروط الشرعية، وبأنهم حكموا بذلك وأمضوه ثم بعد هذا ورخت هذه الوثيقة بالتاريخ المذكور، وأمضاها عشرون من العدول بأشكالهم.

وبعدهم كتب قاضى تطوان بأداء الشهود وهم عدول الحكم لديه، وبإعلامه باستقلاله ووضع علامته، ثم كتب بمثل ذلك كل من قاضى طنجة، وقاضى قبيلة بنى بوز كار، ثم قاضى بنى زروال، ثم قاضى فشتالة ثم قاضى بنى جرفط، ثم قاضى شفشاون، ثم قاضى رهونة، ثم قاضى العرائش وغيرهم من قضاة قبائل الهبط.

وعقب ذلك وثيقة مسجلة على القاضى المذكور أيضا تتضمن التعديل من عدول سبعة موضوعة أشكالهم عقبها لأربعة من اللفيف الستة والثلاثين المذكورين قبل، معتمدين فى ذلك على معرفتهم، ومخالطتهم لهم حضرا وسفرا بتاريخ أواخر ربيع المذكور.

ثم بعد ذلك وضع اثنا عشر من القضاة المذكورين خطوطهم وأشكالهم بأداء عدول التزكية عندهم واستقلال شهادتهم لديهم.

وعقبه شهادة عدول ثمانية يمثل ما شهد به اللفيف المذكور من الإراثات، وبعد تسجيل ذلك على قاضى القصر وضع القضاة الاثنا عشر المذكورون خطوطهم وأشكالهم أيضا بأداء الشاهدين بالمثل المذكور عندهم وباستقلال ذلك لديهم.

وعقب ذلك رسم آخر يتضمن الإشهاد على الأرقام المذكورين بالإقرار بالملك للملاكهم المذكورين عن طوع ورضا.

ثم بعد ذلك وثيقة مسجلة على القاضى المذكور تتضمن شراء نائب السلطان جميع الأرقاء المذكورين من ملاكهم بعشر أواقى لكل فرد منهم، وحياسة البائعين من النائب المذكور جميع الثمن عيانا، وخلص ملكهم للجناب العالى بسبب ذلك فى التاريخ المذكور أولا.

وعقب ذلك أشكال العدول الشاهدين بذلك وهم نحو خمسة وعشرين.

وعقبه وضع ستة من القضاة المذكورين قبل خطوطهم وأشكالهم بأداء عدول الشراء المذكور عندهم وإعلامهم باستقلاله.

وعلى هذا السنن جرت المسطرة فى سائر الدفتر المذكور وهو غاية فى الاحتياط لما فيه من الزيادات العديدة على ما يكتفى به فى الثبوت الشرعى حسبما يعرفه كل ذى خبرة بالمسطرة اللازمة فى ذلك، ومدار الشرع على إعمال اللازم فى الظواهر، وإلى الله تعالى توكل السرائر.

ومن البديهى أن القائم بحياسة الدين، لا غنى له عن الاستظهار بمقتضى المصالح العامة والاستعانة بالحاجيات والاكتفاء بذلك كله بمقتضى ظواهر الشرع، وإن جاء على خلاف نظر بعض الخاصة الذين لم يطوقوا بحماية البيضة ولا حملوا عموم الذب عن الملة والأمة، وإنما نظرهم فى خويصة أنفسهم، وفى التورع لحياطتها بالخصوص، وشتان ما بين النظرين، كما أن المطوق بالنظر العام فى

مصالح الأمة ليس فى طوقه أن يلى مباشرة جميع الشئون المطوق بها بنفسه، بل لابد له من أن ينب عنه مباشرين فيما لا تمكنه مباشرته، وعلى العامل بعد ذلك بتقوى الله، وهذا هو المهيع السلوك فى النهضة الإسماعيلية بجمع العبيد، فإنه جدد الله عليه الرحمات بذل المجهود فيها وما ترك شيئاً يقتضيه ظاهر الشرع فيها إلا وقد وقف عند حده، بل كاد أن يتجاوز الحد المطلوب فى زيادة التوثيق كما قد رأيت، وليت شعرى بعد هذا ماذا يقال، وهل بعد الحق إلا الضلال.

ولهذا ومثله حذر المحققون من الاعتماد على جهة المؤرخين فى كل ما نقلوا، وأن لا يعتمد منهم إلا على من عرفت ثقته وأمانته، وعلت فى الصدق درجته ومكانته، وكلام القاضى أبى الفضل عياض فى الشفا نهيد صدق على ذلك وليس هذا بأول حديث إفك منهم، فقد قصوا فى الجانب العظيم ما يجب أن لا يلتفت إلى ذكره فكن ممن يعرف الرجال بالحق ولا تعرف الحق بالرجال.

وقد صح عن هذا الإمام أنه جمع جميع عبيده ووضع بينهم صحيح الإمام البخارى، وقال لهم إنى وإياكم أرقاء لما تضمنه هذا الكتاب الجامع لأقوال من لا ينطق على الهوى وأفعاله، وسائر أحواله، من الأوامر والنواهى، هكذا هكذا وإلا فلا لا.

ولعلنا ما أوتينا إلا من قبل مسارعتنا للطعن على حماتنا ومن ذهبت دولته من ولاة أمرنا بغير حق، فليقصر العاقل وليرعو عما ليس له لإدراك الكنه فيه. يدان، وليحسن الظن بمن سلف من أكابر الأئمة وليجعل الدعاء بالمغفرة والرحمة لهم عوض تلطخه وتفككه بما يزينه الشيطان له من المساوى وإلصاقها بجانبهم والله المرشد بمنه.

مؤلفاته: منها زهر البستان فى أخوال مولانا زيدان، وهو كتاب كثير الجدوى فى بابه، وزيدان هذا هو سيدنا الجدد الأعلى نجل مولانا الجدد الأعظم، السلطان الأفخم، مولانا إسماعيل برد الله ثرى الجميع، وأخواله هم سفيان القبيلة العربية

الشهيرة بالغرب، وهم بطن من بطون اثبج بن ربيعة بن نهيك بن عامر بن صعصعة.

نشره: من ذلك قوله: عنصر العز والمجد، ومنيع البخت والسعد، من حصلت الدلالة على قدره بوسمه، وعلى قدره المسمى كاسمه، الصدر التقى الزكى، ذو القدر العلى، والفخر الواضح الجلى، جامع أشتات المحاسن بلا مئين، الشيخ على بن حسين، ما شئت من العقل الكامل الراسخ؛ والذهن الثاقب الشامخ، وما دل على طهارة الأصل وعلو المقدار، من الحلم والتؤدة والسكينة والوقار، الذى ادخر الله تعالى له من فضله وجزيل نواله ما كمل له به شرف الدين والدنيا، وأحله غير مشارك ما أحله من الدرجات العليا، من إنجاب الوصل بينه وبين مولانا الإمام، الملك الهمام، فخر السلاطين، وشمس الخلفاء أبناء سيد المرسلين، ظل الله فى الأرض وناشر ألوية العدل بها بالطول والعرض، أمير المؤمنين وناصر الدين، المجاهد فى سبيل رب العالمين، ذى الشرف الأئيل، والفخر الأصيل، أبى النصر والفتداء مولانا إسماعيل، أدام الله تعالى نصره، وخلد فى الصالحات مجده الأعلى وذكره.

وفاته: توفى فى دولة المولى أحمد الذهبى عام تسعة وثلاثين ومائة وألف، اضطره العبيد على صلبه فصلب ومات شهيدا رحمه الله.

٢٤٩ - محمد بن محمد بن محمد بن أحمد بن يوسف الفاسى.

حاله: عالم علامة، دراكة مشارك، حافظ ضابط متقن، خطيب بليغ، فصيح بارع، ماهر باهر، له عارضة اللسان فى التدريس والخطابة، كثير الحفظ، ولى قضاء فاس الجديد أولا، ثم ولى الإمامة بمسجد مولانا إدريس بزرهون وخطبته، ثم ولى بعد ذلك الخطبة بالسلطان مولانا إسماعيل، وخطب بولده السلطان مولاي عبد الله، وولى التدريس بمسجد قصبه دار الإمارة بالحضرة المكناسية.

مشيخته: أخذ عن جلة شيوخ فاس كالشيخ سيدي محمد
القسمطيني، والشيخ أبي عبد الله المناوي وغيرهما.

الآخذون عنه: أخذ عنه كثير من أعيان طلبة فاس وغيرهم.

وفاته: توفي في جمادى الأولى عام اثنين وخمسين ومائة وألف.

٢٥٠ - محمد أبو عبد الله المكناسي الأصل الفاسي الدار الإقبار.

حاله: علامة محصل، مصيب في مضمار السبقية مفصل، محرر العلوم
ومفيدها، ومجدد شبيبة الفضائل ومعيدها، أحرز قسبة السبق في مضمار
التحقيق، وشيد مناره فكان على أصل وثيق، جمع إلى غزارة العلم فصاحة
اللسان، وإلى ثبات الجأش وتوقد الذهن براعة البيان، فكان مجلسه لأرباب المحابر
نزهة الأفكار، وصيقل القلوب ومنظر الاعتبار، آية الله في خلقه العجيب، ونعمة
كبرى على بعيد الناس والقريب، وضع له القبول في الأرض، طولها والعرض،
فكان الخاصة والعامة فيه محبوبون، وبراءته ومحاسنه يلهجون.

ختم بجامع القرويين مختصر الشيخ خليل أوائل العشرة الثامنة من المائة
الفارطة، ثم رحل لأداء فريضة الحج، وهو يعطر برياه كل فج، فاتفقت له هنالك
نكبة، أعانت عليه ليالى الغربية، وذلك أن صهرا له سرق لكبير القفلة التي اتفق
لهما السفر معها حساما مرصعا بياقوت وجوهر، فكان وصفه يستغرب إذ يذكر،
وحين ألجأ الحال، إلى البحث عنه بسائر خيام الحاج، ومنها منزل صاحب الترجمة
ألقى تحت وسادته دسه هنالك ذلك الصهر الخبيث، ظنا منه أن محل الفقيه المترجم
ينزه عن التفتيش لجلالته وعظم مكانته في القلوب، وعدم تطرق التهمة فيه، ولما
وقع العثور على الحسام بمحله اغتاض غيظا شديدا، وتآلم ألما مزيدا، ومن ذلك
الوقت تردى رداء السقم، ولم يزل عليلا بتلك الغصة حليف العنا، ملازم الضنا،
إلى أن قضى نحبه بعد قضاء نسكه رحمه الله ويرد ثراه.

٢٥١ - محمد أبو عبد الله بن أحمد^(١) بن الحسن بن أحمد بن محمد
اليحمدي.

قال أبو الحسن علي بن مصباح الزرويلي: هكذا كنت أراه بخطه أعزه الله
في مكاتباته ورسائله، لا يزيد على ذلك. واليحمدي نسبة إلى بني يحمود القبيلة
المعروفة قرب جبال غمارة.

حاله: علامة فاضل نحري، جهبذ نقاد، لوذعي أديب أريب، كامل
مهذب، عارف خبير بصير، مستحضر محاضر بحر زخار في فنون العربية
والإنشاء، نشأ ببلده بني يحمود - بفتح الميم - في حجر الصياغة والعفاف، ولما
شب ارتحل لفاس بقصد طلب العلم فأقام به مدة وكان ذكياً نبيلاً عاقلاً، نزيهاً
طاهر الشيم، حليته الوقار، ومترزه العفة والفخار، عالي الهمة مجتهد، في اقتناء
المعاني وتأثيل المحامد، مبتعد عن السفاسف وكل ما يشين، له ولوع زائد بعلوم
الأدب وكل ما يؤدي إلى مكارم الشيم، ولم يزل حميد السيرة محمود السريرة،
حتى امتد ذكره وطار في الآفاق صيته، وأقر الخاص والعام بتفوقه وفضله.

ولما اتصل خبره بسيدنا الجد الأكبر السلطان المولى إسماعيل أدناه لحضرته،
وأجلسه على منصة وزارته، واصطفاه لمحاضرتة وسمره، وجعله مستودع سره
ومحل مشورته، وذلك سنة نيف وتسعين وألف، وصار يسميه باسم جده الأعلى
أحمد حتى غلب عليه، وصار لا يعرف إلا به، وخصه بأنعم لم يشاركه فيها سواه
وعظمه وبجل، ونوه بقدره، وقصر المفاوضة في المهمات عليه، وجعل بيده أزمة

(١) في هامش المطبوع: «توفي أحمد والد المترجم صبيحة الثلاثاء الحادي والعشرين من
رجب عام اثنين وثلاثين ومائة وألف شهيدا بالبطن تاليا كتاب الله عز وجل صحيح
الذهن والعقل ودفن بزواية الولي الصالح أبي عثمان سعيد بن أبي بكر المَشْتَرَاثِي وحضر
جنازته الخاصة والعامة وكذا بكناشة ولده المترجم. انتهى مؤلف.

الحل والعقد، حتى إنه لما عقد لوالده المولى المأمون على مراکش ألزمه الذهب للمترجم لأخذ صك التقليد منه، وأمره بسماع وصيته والعمل بها رغما عليه، والحال أنه يعلم أن ولده المذكور يكره المترجم أشد الكراهة ولم يسمع منه وشايتة فيه.

وقلده مفاتيح الخزانة المولوية التي حوت من التصانيف، وجمعت من أنواع الدفاتر وأسماء التأليف، ما لم تحوه خزنة بغداد، ولا علق بحفظ الداني الأستاذ، وجعله الأمين عليها، بعد أن مدت أعناق شتى إليها، فنسخ أهم ما فيها فى صحيفة صدره، وارتسمت علومها فى مرآة فكره، فأصبح بحر علم لا يدرك قعره، ولا ينفد ولو كثر السائلون دره، قد تضلع فى كل فن بما بهر الألباب، وترك جميع الكتاب وراء الباب، لاسيما فى علوم الآداب، فإنه فيها العجب العجاب، له اليد الطولى فى معرفة أيام العرب وأشعارها، وآثارها وأخبارها، لا يعزب عنه مثقال حبة من خردل من أمثالها، ولا أصغر من ذلك ولا أكبر إلا وهو خبير بتفصيلها وإجمالها.

وكان فى جيد الدولة الإسماعيلية أفخر قلادة، وأفخم مأوى لأهل الفضل والسيادة، برعت فى فن البلاغة أقلامه، وتقدمت فى ميادين البراعة أقدامه، وطابت فى عرش المعانى البديعية ثمرته، وخفقت فى آفاق البيان أجنحته، لو رآه قدامة، لقدمه قدامه، ولو نظر إليه النضر بن شميل، لرآه أبعد عنه من السما وأعز عليه من سهيل، ولو أدركه محمد بن يزيد، لكان له كالتلميذ والمريد، يحمده عبد الحميد، ويعتمد عليه العماد وابن العميد، ولو بدا لشاعر بنى حمدان، أو لبدع همذان، لعداه بالخنصر من حسنات الزمان، وفرسان البلاغة والبيان، ولو فتح عينيه فى الفتح بن خاقان، لطار لبه من شدة الخفقان، له الأفلام التى تخضع لكلماتها قامات الرياح، وتذوب منها فى أجفانها القواضب الصحاح، استخدمت

الأقاليم ورجالها، وهابت فحول الكلام نضالها ونزالها، فمزنها كل يوم فسام الأوداء، وسم الأعداء هامى، حتى كأنه المعنى بقول التهامى:

وإذا رأس فى الأنامل منه قلما واستمد ساء وسرا
قلما دبر الأقاليم حتى قال فيه أهل التناسخ أمرا
يتبع الرمح أمره أن عشريه من ذراعا بالرأى يخدم من شبرا

وبالجملمة فترجمة الرجل طويلة الذيل، بعيدة النيل، أفردها عصره أبو الحسن على بن أحمد بن قاسم مصباح الزرولوى بالتأليف فى مجلد ضخيم سماه: سنا المهتدى، إلى مفاخر الوزير ابن أبى العباس اليعمى. ألفه سنة خمسة وعشرين ومائة وألف، حسبما أفصح بذلك عن نفسه فى مؤلفه المذكور، وهو من نفائس مكتبتنا الزيدانية ومفاخرها الثمينة.

مشيخته: منهم أبو محمد القادر الفاسى، وأبو العباس أحمد بن حمدان، وأبو عبد الله محمد بن عبد القادر الفاسى ونظراؤهم.

الأخذون عنه: منهم مخدمه السلطان الأكبر مولانا إسماعيل، فقد صرح قدس الله روحه بذلك لولده المأمون المذكور لما قال له فى وشايت، به إن اليعمى يزعم أنه هو الذى علمك الدين، إذ قال فى جوابه: والله إنه لصادق إن قال ذلك، هو الذى علمنى دينى وعرفنى بربى. هـ.

وذلك أكبر دليل وأعظم شاهد على إنصاف هذا السلطان واعترافه بالحق وعدم ميله للنفس الأمارة.

مؤلفاته: منها كناشته الحفيلة المحشوة بكل نادرة وغريبة فى مجلدات عشر ضخام، موجودة بتمامها بمكتبتنا، وقد وصف كناشته هذه بعض معاصريه بقوله:

ألف فيه نفائس تبهر العقول، واقتنص من جوها كل عنقاء من مستحسنيات
النقول، قال: وفيها أقول:

معان من الصنع البديع تصيدها بزاة عقول في سماء من الفكر
تجول مجال الطير في جو أفقها وتسبح كالحيتان في لجة البحر
فمنها لطيف صيده نحلة ومنها قوى يخطف الصيد كصقر
وله عدة رسائل مختلفة الأوضاع، تشهد له بما منحه من غزارة الاطلاع،
أورد منها عصريه مترجمه في سنى المهتدى جملة وافرة تركنا جلبها هنا اختصارا.
ولادته: ولد على رأس الستين بعد الألف ببلده بنى يحمد حسبما صرح
بذلك لعصريه مترجمه المذكور.

بعض ما قيل فيه من الأمداح

من ذلك قول أبى الحسن على مصباح المذكور مستشفعا عنده فى ابن أخ له
وعلى لسانه، وذلك أنه كانت ابنة له تحت ابن أخيه فأحفظها يوما فلحقت بأبيها
المرجم، فاشتدت ندامة الزوج على ما صنع، فلما أراد أن يهب إلى صاحب
الترجمة فى شأن أهله هابه وخاف عقوبته، فكتب إليه هذه القصيدة وارتحل بها
إليه، فلما قرأها سرى عنه وأرضاه، ورد عليه زوجه راضية مرضية:

مالى سوى ذا إليك سبيل والذل بين يد الكرام جميل
فاصفح فمك الصفح يرجى وامحون حقدًا جلاه حاسد وعذول
أولست طود الحلم والعفو الذى لو زال هذا الدهر ليس يزول
وإذا دعت همم العلاء أبناءها فلانت جد جدودها وسليل
وإذا الطريق طريق كل مزية ضلت فأنت إلى الطريق دليل

وإذا الوزارة قلدت فرشادها ال
وإذا انتضيت العزم منك فإنه
وإذا سخطت على الزمان بدا به
وإذا السياسة فاخرت بسراتها
وإذا السماحة ساجلتها أهلها
فلو أصبحت كف الغمام بخيلة
بالله يا غوث الطريد ويا أبا ال
هذا ابن صنوك وابن نعمتك الذى
فلقد نزلت وفى اعتقادى أنه
وأنا الذى لو لم تفيدنى اعتزا
لو لم تحى غمامة زهر الربا
ولقد ندمت ندامة الكسعى من
وتأوهى وتولهى وتملقى
فامدد على من الرضاء سرادقا
وامنح بفائقة الثريا بعلها
رضها إلى فإن روض مسرتى
إنى وحقك تائب توبنا نصو
وأرى أقل حقوقها موتى إذا
ولكم علينا يا منى أملى جمي

متبوع أنت وغيرك التضليل
سيف بأيدى الفاتكين صقيل .
وجل يهسين خطوبه ويديل
فبأصغريك على الكبار تصول
غمرتهم من راحتيك سجدول
سقت البرية من يدك وبول
عباس يا من جوده مأمول
هو فى أداهم شكرها مكبول
ما إن يضمم لى الكرام نزيل
زأ حامل بين الورى مجهول
لأنى عليه تصوح وذبول
فعلى الذى هو فلتة مفعول
وتواجدى شهدا على عدول
يجلو الهناء وصدى الفؤاد يزيل
قد طال منه بها بكى وعويل
مذ شح وابل وهلهما لمحيل
حالىس ينسخ توبتى تنكيل
غضبت على وأمرها مقبول
ل وافسر مستكامل وطويل

وقوله جوابا عن رسالة راسله بها المترجم مع صلة سنية وذلك قبل أن يقع

بينهما تلاق جثمانى:

فوق الثرى لم أرى سواك إنسانا
ييد قباب من الثنا فأعيانا
أن فقت فى المجد أعيانا فأعيانا
عليك باد وما أطاق حسبانا
أعيت به كف يعرب وقحطانا
أنسيت قسا بما تنشى وسحبانا
كسوت والله جسما كان عريانا
قلبا لأسجاعها العذاب غرثانا
كتابك اليوم بعد الموت أحيانا
والأذن تعشق قبل العين أحيانا
وبالمحاسن كم شنت آذانا
ولم تدع من بسوء القول آذانا
لم ترو فى غابر الأزمان تهتانا
درا نفيسا وياقوتا وعقيانا
غراء راجحة معنى وميزانا
إلا إذا دون ما قصد له جانا
لم يعرف الناس إيطانا وأكفانا

يا من بدا فى سواد العين إنسانا
رمتنا تطاول ذلك العلا بتشد
ما زلت ترقى مقامات الجلال إلى
لو حاول الدهر حسبانا لما بلغت
يا يحمدي قر عينا إذ ظفرت بما
أنت البليغ متى تحز شبا قلم
فداؤك النفس إذ كاتبتنا فلقد
روت أناملك اللطاف إذ كتبت
كنا رماما لأجدات الخمول فها
أحببتنا عن سماع دون سابقة
فكم مساو سترت وهى بادية
ولم تذر غير مشغوف بنامقة
كذلك الغيث لا يأتى على دمن
إلا وغادرها تزهو مقلدة
فها كها كاختلاس الوصل من رشاء
صنع امرئ ليس فى التجنيس همته
لنا قواف لما نريد قافية

وقوله معتذرا عن تأخير المكاتبه، وراجيا سد باب اليم ألم المعاتبه .

لا والذي زان الكواعب بالخور
وأسال من كفيك أمطار الندى
كلا ولا ملل هفا إعصاره
لكن نزلت بموطن متبذل
فلكم طرقت مسار ركبان إلى
ولكم صبا منكم أثار صبوتى
فنظمتها نظم الخريدة عقدها
درر بها ديوان شعرى قد زها
ومتى ابتأست لنكبة أنشدتها
فأرى رفاق الحزن ظاعنة وأف
وحياة من ليست تبيد حياته
ما مر ذكر (اليحمدى) بخاطرى
يا سيدا تعنو الوجوه لذكره
لا زلت فى برد الوزارة رافلا
محفوظة بلطائف محفوظة
ما هام صب أو هما ودق وما
وقوله :

بأى لسان أم بأى بنان
وأى خطاب أم بأى بيان

إذا عد أرباب المكارم ثانی
وأصبح من خدامه الثقلان
إلى الناس طرا أنصف الملوان
بنات المعالی من يد الحدثان
لدعوته الرفدان یبتدران
سنا الیحمدی الوهاج والقمران
ویرمی برضوی رعبه وأبان
وینقض من إیعاذه الحسنان^(١)
وعاش بخفضی نعمة وأمان
فوارس قیس مده بأمانی
ولكن بكف الیحمدی القلمان
وهیبتة قرت بكل جنان
فكم مرج البحرین یلتقیان
لها صارما لم ینضه الحكمان

أترجم عن أعجوبة الدهر ماله
فتی أثقلت ظهر الزمان هباته
أمل على الدنيا من العدل ما به
فلولاه لا أودی به الدهر ما نجت
فذاك أبو عبد الإله الذی أتى
ومالا لا الأفاق الاثلاثة
همام یخاف الدهر من سطواته
متی ما یعد ینجزك إحسان وعده
وزیر به استولی الأمير على العدا
متی ما یرم أمنية عجزت بها
وكم فی حماه من وزیر وكاتب
لكلهم من بأسه متضائل
بکفیه بحر الجود والفتك بالعدا
وكم فی قضایا الدین حکم فانتضى

(١) فی هامش المطبوع: «المراد بها هنا جبلان وعند أهل المدينة یطلقان على السبطين وعند أهل البصرة على الحسن البصری وابن سیرین، ولا یصح أحد الإطالقین هنا. وقد ورد فی اللسان العربی أسماء كثيرة بلفظ المثنی ألف فیها كثير من العلماء وجمع منها حمزة الأصبهانی فی آخر كتابه فی الأمثال جملة وافرة جدا وشرح أكثرها وأورد منها أبو الحسن على مصباح الزرزیلی فی كتابه سنا المهتدی مائة وثمانیة وعشرین كلمة وشرح الخفی والمبهم منها. انتهى مؤلف.

وكم فى سماء الفقه جلى طوالعا
وان تبغ أخبار الزمان فإنه اب
خليلى لا تعتب على متقاصر
وانى وإن كنت امرءاً ذا بلاغة
وكنت متى لاحت صوارم فكرتى
فإنى طورا تصطفينى يد الهوى
وطورا ترى ذاك الجلال رويتى
وقوله:

من لصب مولى بالجفاء
كلما خلت جمر شوق طفا زا
رست صيد العنقاء إذ رست سلوا
قلت للصحب ما الدواء فقالوا
حظ كل بنى الصبابة تذرا
هم أناس موتى جسوما وأحيا
حملوا الحب وهو أثقل من رض
فارتدوه زيا شريفا وزادوا
كم ظريف أودت به لحظات
فغدا فى أيدى الرواة حديثا
فتمثل بعروة ابن حزام

يرى الحق من أضوائها الاخوان
من بجدها السباق يوم رهان
فما لى على إحصاء علاك يدان
وسحر البيان اليوم طوع لسانى
أتيت بما ينسى صريع غوان
فنجرى بميدان القريض بنانى
فأمسك من فرط الحياء عنانى

شف جسمى ولم يجد بشفائى
د اصطلاء الجوى على الأحشاء
نا وأخيب بصائد العنقاء
ما لأدواء من صبا من دواء
ف الدموع ودائم البرحاء
ء قلوبا سكرى بلا صهباء
وى وهم فى نحرلهم كالهباء
فى التصابى بأنفس شماء
أوردته موارد الشهداء
بعد ما عاش فى عنى أو رواء
إذ قضى النحب فى هوى عفرء

مزقت عنه حلة الظلماء
صدته غرة بصيد الظباء
يرنو بمقلة حوراء
فى من ورد وجتسيه عنائى
را كهجران واصل للراء
قد رثت لى فى حبه أعدائى
خلق أهل الجمال خلف الوفاء
لى فمالت بها يد الرقباء
ت أناجى تنفس الصعداء
أو يد (اليحمدى) يوم سخاء
لم يكدر عبا به بالدلاء
تى ارتدى بالمآثر الغراء
تى غدا فى اشتهاره ابن ذكاء
أنه اليوم سيد الرؤساء
هو فى الوقت أدب العلماء
فاق أهل الإنشاد والإنشاء
لام أبدى أرق ما أنت رائى
فر به المنذر ابن ماء السماء
ه مشى اليحمدى على الجوزاء

لفتاة كانت تضيء كبدر
أو كظبى نقى نقى المحيا
يتثنى غصنا ويفتر عن د
فتجنى من بعد ما قد جنى طر
ما بدا لى إلا وأوعدنى هجر
رث صبرى به وجسمى حتى
كم بوعد أومى فعاد وعيدا
كم أمانى راقبت من طول أما
كم ليال قطعتها نابغيا
كم دموع أذريتها كغمام
كعبة المجد والعلا بحر جود
سيد لم يزل يرود العلا ح
طار فى كل بلدة صيته ح
حسبه مفخرا ورفعة قدر
أعلم الأدباء فى وقته بل
أحرز السبق فى الصناعة حتى
فإذا ما احتذت أنامله الأقد
ما رأى الناس مثله لا ولم يظ
أو علا الأفق ماجد بمزايا

أبني (يحمد) له فاشكروا حيه
قد بنت كفه لكم قبة المج
لم تقوض ولا تقوض حتى
إنما (اليحمدى) على الناس طرا
علم الله أنه لسداد الـ
فحباه منها بما لم ينل قد
يا وزيرا فى عصمة الوزرا لا
بأبى أنت دع لسانى يرد من
ما أريد استقصاء مدح وهل ين
أنا ظمآن إن وردت حياض الـ
منذ دهر والقلب صب وقد ات
فقدمنا عليكم كى نقضى
واصطنعنا من الشنا حللا تق
وشيها مطمع ويجز من حا
كل بيت منها يحث إلى القلـ

ث حصلتم به على الكيمياء
د ولم بين مثلها من بناء
يرجع القارظان^(١) بعد اختفاء
لسعيد من جملة السعداء
رأى حق لصحبة الخلفاء
ما نديما جذيمة من صفاء
ح لنا كاليتيمة العصماء
حوض أمداحك الشهى الماء
زح بحر مخضم بالركاء
مدح فيك استبعدت منها ارتوائى
عبت بينى وبينكم سفرائى
بعض ما تقتضى حقوق الإخاء
صر عنهن صنعة الخنساء
وله من جهابذ الشعراء
ب غراما كالمقلة النجلاء

(١) فى هامش المطبوع: «تثنية قارظ والقارظ مجتنى القرظ وهو نبت يدغ به أو يصغ. قال
الجهوى: هما رجلان خرجا فى طلب القرظ فلم يرجعا فضريت العرب بهما المثل فى
الغيبه الطويلة وفى تمديد المدة بما لا ينقضى وكلاهما من عترة قال ذو الرمة:
وأنت غريم لا إخال قضاءه ولا العنزى القارظ الدهر جاثيا انتهى. مؤلف».

أنا شمس القرىظ إن شئت أبدو
وعلى الشكر الجميل لما أو
هاكها سيدى ولا عيب فيها
لست بالراهب المريب ولا الرا
أنت كوالد الشفيق وحزم
ذاك أبقى للود وهى لى الشـيـ
وقوله:

بدت فأرتنا الصبح فى وجناتها
وولت فكاد الترب يدمى بنانها
فتاة رويانا من طلا الحب حين إذ
بدت وقلوب صاحبات من الهوى
فما ظبية ترعى الخزامى بربوة
بأحسن منها يوم مرت عشية
تضىء كبدر الأفق والزهر حوله
وعن كعبير المسك ضوع نشرها
وقد ملأت رجب الإزار بردفها
ولاح لحانى فى الصبابة كلما
وقال اصح من خمر الصبابة ترشدن
وقال أتلهو والليالى مناكد

كى يرانى الورى وأنت سمائى
ليتنى أنت أنت مذكى سنائى
غير مدح يسلى عن العذراء
غب أثنى معرضا بالحياء
بالفتى أن يبرر بالأباء
مة أقضى بحسن قضائى

وحيث بإيماء حذار وشاتها
إذا ما مشت تختال فى حبراتها
رويونا حديث السحر عن لحظاتها
فأصبحن سكرى من كئوس ظباتها
تراع لخلق الريح فى أثلاثها
وقد قصر الإعياء من خطواتها
إذا ما مشت تهتز بين لداتها
كريحانة أهدي الصبا نسماها
كما ملأت عيني من عبراتها
رأتى طموح النفس نحو جهاتها
وما ظن أن الرشد عند سقاتها
فكن حذرا يا صاح من غمراتها

فقلت ومالى والليالى فإئني
فلو ساورته لانتت وصرورها
يداه يد يغنى عن السحب جودها
يزاحم فى نيل العلا وهو واحد
كذلك أعلام المناسك جمّة
وأن مصابيح السماء كثيرة
به الدولة الغراء دام سكونها
ولا زالت الآمال تعشو لضوئها
فدى لك نفسى أيها العلم الذى
إليك تناهى كل مجد وسؤدد
بنيت قباب المجد أركانها التقى
فلو جمرات العرب كن بواقيا
لك القلم العالى الذى يبيانه
وتفتض أبقار المعانى بحده
ومنه بأحشاء الأعداء رواعد
ودونكها غراء تغرى على الصبا
تشهيك فى ترجيع إنشادها متى

أمنت بجاه اليعمى أزماتها
مفللة والذل فوق قناتها
وأخرى يخاف الدهر من فتكاتها
وما سقط الأقسام مثل سراتها
ولكن جماع الحج فى عرفاتها
وما الصبح إلا من طلوع مهاتها
فلا قدر الرحمن من حركاتها
ولا انقض نجم السعد من جنساتها
به اعتصمت من دهرها وعداتها
فدم فى المزايا واصعدن درجاتها
ورصفت من غمر النداء شرفاتها
لما كان إلا أنت من جمراتها
تكسر من سمر القنا شبواتها
إذا احتجبت من عزها عن كماتها
قواتل لا ينجون من سطواتها
وها السحر كل السحر فى لفظاتها
بلغت بإنشاد إلى أخرياتها^(١)

(١) فى هامش المطبوع: «للمؤلف بحث خاص بالوزير اليعمى ألقى محاضرة فى مؤتمر الثقافة العربية المنعقد بحاضرة تونس فى شعبان عام ١٣٥٠».

المكناسى أصلاً، الفاسى داراً، الحمدوشى طريقة، يلقب أبا شكال لأنه كان برجله اليسرى خلخال من شعر مربوط ربطاً وثيقاً قرب ساقه.

حاله: كان ضيق الحال، الغالب عليه القبض، لا يدعى بدعوى ولا يسأل من الناس إلا ما يسد رمقه، شوهدت له كرامات، وخوارق عادات، أورده فى سلوك الطريق الوارية وذكر بعض كراماته وسرد عدة مما وقع له معه من ذلك، وكان ينتسب فى الطريق للشيخ على بن حمدوش، وكان مجذوباً غائباً متبركاً به مسناً، وكان أولاً جعل لنفسه حوشاً من حجارة بشرقى جامع القرويين بالساباط الكائن هناك، فكان يبيت به ويجلس ويتخذ فحماً يتدفأ به، ثم انتقل لباب القرويين المقابل سوق الشماعين، ثم انتقل إلى رأس الجنان بعيون أبى خرز، فكان يقبل ويبيت بها إلى أن توفى هناك.

مشيخته: أخذ عن أبى الحسن على بن حمدوش على ما للزبىدى فى سلوك الطريق الوارية ولى فى هذا الأخذ وقفة لجذب الآخذ والمأخوذ عنه.

وفاته: توفى بفاس عام أربعة وتسعين ومائة وألف.

٢٥٣ - محمد بن على العفانى (٢) الزرهونى أبو عبد الله.

حاله: ظاهر البركات، كثير المكاشفات، صالح الأحوال، أحد الأفراد من الأولياء الأكابر، رطب اللسان على الدوام بالتلاوة والذكر، أدام النظر فى بدايته

٢٥٢ - من مصادر ترجمته: إتحاف المطالع فى الموسوعة ٧/ ٢٤٢٠.

(١) فى المطبوع: «خنسوس» والمثبت من إتحاف المطالع.

٢٥٣ - من مصادر ترجمته: لقط الفرائد فى الموسوعة ٣/ ١٠٨٨.

(٢) بعين مهملة ففاء مشددة فألف ونون بعدها ياء النسب، قيده صاحب لقط الفرائد وتحرف فى المطبوع إلى: «العمانى» بالميم بدل الفاء.

لامرأة شابة متزينة فقال: عين ترى محارم المسلمين إنما حقها العمى، فكف بصره من حينه.

وفاته: توفى فى القصر سنة خمس وألف على ما فى المرأة.

٢٥٤ - محمد البوعصامى:

حاله: فقيه علامة جليل، قال فى حقه عصريه الشريف العلمى صاحب الأنيس المطرب فى أنيسه ما لفظه: بليغ مصره، وإمام الأدباء فى مغربه وعصره، رحل إلى المشرق، وطلع عليه كالبدر المشرق، فحل منه الجيد وتوج المفرق، وأخذ عن الأئمة، أعلام هذه الأمة، وقصد المشيخة، وألقى لهم أذنه المصيخة، حتى أثقل بالعلم رذنيه، وقرط بالفوائد والفرائد أذنيه، وبهر فى علم النحو، وانتهى إليه الكتب والمحو، وعارض المناطة، بالسن إعجازه الناطقة، وخاض فى البديع بحرا، وصنع من البيان للعقول سحرا، ويسر من التفسير، كل عويص وعسير، وعرف أخبار الدول، وفعل الزمان بالأمم الأول، وأتى بكل خارق، وأنسى ذكر الموصلى ومخارق.

ثم رجع إلى المغرب، بكل معنى يطرب، ولفظ عن أغراضه يعرب، فأقر له الفضل بما أقر، وانتهى إلى فاس واستقر، فمكث بها دهرا، أفاض على عرصات الأذهان من علومه نهرا.

ثم انتقل إلى مكناسة، وحلها حلول الظبي كناسه، فتصدر للتدريس، وظهر ظهور ابن إدريس، ولقد فاق فى علم العربية، ونودى باسمه، فارتفع بالإفراد والعلمية، قال: حضرت معه يوما فى مجلس لبعض الأصحاب، والأفق بطرز ثوب الرياض برقم السحاب، وكان معى الصاحب الظريف، أبو العباس سيدي أحمد الشريف، فمد يده إلى العود، والعود بين انخفاض وصعود، والجو بين

بروق ورعود، فاستخبر العشاق بتوشيته، ورفل في حلل الغناء وأرديته، وعام في
خلجان الإلتقان وأوديته، فقال يمدحه:

تبدى كبدر لاح في غيهب الدجا غزال رآه ابن النبيه فحارا
يجس بأطراف الأنامل عوده فيأتى بشيء ليس فيه يجارى

ثم أشار إلى أن عارض، ودع كل معارض، فقلت:

بدا كهلال الأفق ليل وصاله فصير ذاك اليل منه نهارا
وغنى بعود وهو سكران أعين فصير منه السامعين سكارى

وقد أطال وأطاب في ترجمته، فعلى مرید الزيادة الوقوف عليها.

(شعره) من ذلك قوله:

سحت بدمع كالعقيق محاجرى شوقا لطيبة والعقيق وحاجر
تلك المعاهد حيث أظهر دينه رب البرية للرسول الظاهر
سر الوجود محمد خير الورى والمنتقى من كل أصل طاهر
من قد تجلت طيبة الزهرا به وزهت ففاقت كل روض زاهر
وسمت على الفردوس حقا واكتست حلل السنا من شأنه المتواتر
وتواضعت لمعالم الهادى بها آفاق كالفلك المحيط الدائر
أين اجتلاء وجوها وبدورها من آله والصحب ذخر الذاهر
زهر المناظر طيبو الأخلاق من فخرها به فى الناس أى مفاخر

إلى أن قال:

عامل بفضلك عبدك الجانى وحط من كل خطب مدلهم ذاعر

وامن علينا منة تمحو بها
واسمح وجد وارحم وعجل بالهنا
واجبر صدوعا برحت ما إن لها
واختم بحسن الختم واحشرنا مع
صلى عليه الله ما حل الحيا
والآل والصحب الأفاضل ما انتهى
وقوله متغزلا:

بى شادن مهما سرى فى غيب
أمسى يجس العود جسا محكما
ومن العجائب والغرائب شاذن
وأرعى الحنادس أفضح الأقمارا
فزرى بزرياب وأنسى الدارا
ياوى القفار يحرك الأوتارا

٢٥٥ - محمد بن عبد الله بن مصالة الفازازى المعروف بابن عبود
المكناسى.

حاله: فقيه نحوى مفسر لغوى، تعرض لذكره السيوطى فى بغية الوعاة
وأسند حديثه فى طبقاته الكبرى، ونقل عن أبى حيان فى النضار أن قبيلهم يسمون
عبد الله: عبودا، ومحمدا: حمودا، وأنه من مكناسة الزيتون.

مشيخته: روى عن أبى إسحاق الكمال، وأبى جعفر بن فرتون الحافظين.

الآخذون عنه: أخذ عنه إجازة أبو الحسين بن عبد الله الغرناطى.

٢٥٦ - محمد بن الطيب بن عبد القادر بن الحاج حم سكينج.

٢٥٥ - من مصادر ترجمته: بغية الوعاة ١/١٣٦، صلة الصلة لابن الزبير ٣/٢٦.

٢٥٦ - من مصادر ترجمته: إنحاف المطالع فى الموسوعة ٧/٢٤١٨.

حاله : كان فقيها أديباً علامة مشاركا متقنا، أكتب كُتّاب زمانه وأبرعهم في
النظم والنثر، من رؤساء كتاب السلطان الأعظم، علم الأعلام سيدي محمد بن
عبد الله، قال في حقه بلديه معاصره العلامة الأصيل الأديب الجليل، سيدي
سليمان الحوات حسبا وقفت عليه في كناشة له ومن خطه نقلت ما نصه :

كتب صاحبنا العلامة الدراكة الأديب الجامع لأشتات العلوم قديمها
وحديثها، سلطان الكتبة في ديوان الأمير ملك البحرين أبو عبد الله سيدي الحاج
محمد بن الطيب سكيرج حفظه الله إلخ .

ومن خطه أيضا بالكناشة المذكورة ما نصه : الحمد لله خرجت من فاس في
جملة من أشرفها لزيارة ولي الله إدريس الأكبر بزrehون، فنزلنا مكناسة الزيتون،
على روض البلاغة المزهرة الأحفل، الكاتب الأديب الأنبل، العالم الأكمل، أبي
عبد الله سكيرج الفاسي وصل الله عنايته فألفيناه في مجلس منادمته، مع خاصته
من أحبته، على حالة أغراني على وصفها باستطلاع مطلع أشرف منه على
التخليص فقال :

لما أباح النوى راح الفراق وقد ركبت ظهر الفيافي منضيا تعبي
يممت ربعا به للحسن معترك وفيه روض لأهل الفضل والأدب
ثم قال أجز، فأجزت بقولي :

وكيف لا ودليل الحب أرشدني والحب يرشد أحيانا إلى الأدب
فكان لي موقف على الجبور به في مظهر الأتس بين اللهو والطرب
حيث محيا أبي زيد ورنته يستبعدان قريب الهم والوصب
ولابن زكري جس في مثاله أعربن في نغمة الحسين عن عجب

يجيبها بمشاني الصوت مبتسما في وجه عاشقه عن بارق الشنب
في متدى كعبة الجدوى سكيرجها والعلم ينسل من نجواه عن حذب
فلما وصلت إلى هنا استعادنى إنشادها وهو مقبل على بمحل معه يهتر
إعجابا وطربا، ثم تنحى دسسته جملة وأجلسنى فيه منفردا بعدما كنت مشاركته فى
جهة منه فقط، فلما استويت أنشدنى للصاحب بن عباد:

فلو كان من بعد النبيين معجز لكنت على صدق النبى دليلا
ثم اجتليت عن يسارى، بدر تلك الهالة أبى زيد المزدارى، وهو يقول كأن
البرق يلمع علينا من أدبك، والشمس تطلع من غرة طربك، وكأنى المعنى عنده
أنشدته مغالطا فقلت:

البرق يلمع لكن من ثناياك والشمس تطلع لكن من محياكا
فاحكم بما شئت فينا غير مكرث بقتل أنفسنا فالحسن ولاكا
والله يا عابد الرحمن ما نظرت عينى بمكناسة الزيتون إلاكا
أودعت سر غرام بيته خلدى لديك فاجعله لى بيت نجواكا

فنشط للمدح وارتاح، وناولنى مترعات الأقداح، وبقي لا يلتفت إلا إلى،
ولا يقبل بحديثه إلا على، غير أنى بين حياة وحين، من صوارمه المصلته من
جفون العين، والنفس تشتهى اقتطاف ورد الحدود، الثابت حول غاب قسى
الحواجب وأسل القدود، فكان ذلك ولله الحمد داعية العفاف، وآية على حمد
عاقبته الانصراف، إذ من العصمة أن لا تجد، وان وجدت فائتد، فمكثنا على ذلك
أياما بين تناشد الأشعار، وتجاوب الأوتار، وكثوس حلال الشراب علينا تدور، من
راحت حسان كالبذور، لم نستيقظ من سنة المسرة، إلا بعد أن مضت من الشهر
عشرة:

نزلنا على أن المقام ثلاثة فطاب لنا حتى أقمنا بها عشرا

ورب المنزل المذكور، وعلم الإجلال المنشور، حملته الأريحية على المبالغة في الإكرام، بالتردد علينا في كل برهة بموائد الطعام، مختلفة الأجناس، تستلذ مضغها الأضراس، إلى أن انفصلنا كل في وجهته سعيد، وربك الفعال لما يريد، كاتبه سليمان لطف الله به بمنه أمين.

وقال في حقه المقيّد المعتنى لسيد محمد بن عبد السلام المعروف بالضعيف في تاريخه لدى تعرضه لشعراء الدولة المحمدية أعنى دولة سيدى محمد بن عبد الله: الفقيه الأديب الماهر الشاعر، وقال قبله بنحو الورقة: الأديب الفقيه الأريب العروضى، وعده أبو القاسم الزيانى فى كتاب الدولة المحمدية أهل الطبقة الثانية الذين نظموا فى سلك الكتاب من أول نشأة الدولة المذكورة، وحلاه فى بستانه الظريف بالكاتب البليغ الأديب.

وقال قريبه حينا العلامة الأجل الناظم النائر السيد أحمد بن الحاج العياشى سكيرج قاضى ثغر الجديدة فى الوقت الحاضر فى شرحه لرجز المترجم فى علمى العروض والقوافى ما نصه: وممن ترجم له المؤرخ المتقن الضابط الحجة المتفنن سيدى الطالب بن الحاج كما وجد بخط يده ونصه: القرم الهمام، العلامة المبرز فى حلبة النثار والنظام، نادرة الزمان، فى التحقيق والبيان، عماد الدولة، وعظيم الصولة، أبو عبد الله محمد بن الطيب سكيرج الأندلسى الفاسى. هـ.

وقد كانت بينه وبين معاصره أديب الزمان، وفريد العصر والأوان، أبى العباس أحمد بن الونان صاحب القافية الموسومة باسمه بالشقمقية التى مطلعها:

مهلا على رسلك حادى الأينق ولا تكلفها بما لم تطق

منافئة ومهاجاة قيل وهو أى المترجم المعنى فى قول ابن الونان المذكور:

فبشرن ذاك الحسود أنه يظفر من بحر الهجا بالغرق
مؤلفاته: منها رجزه الموسوم بالشافى، فى علمى العروض والقوافى، يقول
فى فاتحته:

حمدا لمن بسط أبحر النعم ومن مديد طوله يؤتى الحكم
ثم على خير الورى صلأتى وآله وصحبه الهداة
والتابعين نهجهم على الدوام ما مدحه صيغ بنشر ونظام
وبعد فالشعر له ميزان به يلوح النقص والرجحان
وفى الختام قال:

لما انتهى سميته بالشافى فى علمى العروض والقوافى
وكان وضعه له فى ربيع الثانى من عام ستة وسبعين ومائة وألف وأخرجه.
من مبيضته فى رمضان من السنة المذكورة كما بشرح هذا النظم لقريبه أخينا أبى
العباس المذكور آنفا.

ومنها حواش على شرح سيدى محمد بن مرزوق المسمى بالمفاتيح المرزوقية،
لحل الأقفال واستخراج خبايا الخزرجية، وغير ذلك.
شعره: من ذلك قوله يمدح السلطان الأعظم سيدى محمد بن عبد الله كما
فى تاريخ الضعيف:

ولما رأيت البحر فى الجود آية ومن جوده الدر النفيس المقلد
سألته من فى الناس علمك الندى فقال أمير المؤمنين محمد
وسبب ذلك كما فى شرح ابن عاشور على البردة أنه اجتمع فى مجلس
السلطان فأنشد بعض الحاضرين قول الشاعر:

سألت الندى هل أنت حر فقال لا
ولكننى عبد ليحيى بن خالد
فقلت شراء قال لا بل وراثة
توارثنى عن والد بعد والد
فقال السلطان إن ذلك لغاية فى بابہ فقال ذلك البعض يعنى المترجم لو شئت
لقلت أحسن منه وأنشد ما نصه:

ولما رأيت الجود فى البحر فاشيا
ومن جوده الدر التنظيم المنضد
فقلت ومن فى الناس علمك الندى
فقال أمير المؤمنين محمد
فتعجب السلطان والحاضرون لارتجاله، وجودة مقاله، وأعطاه السلطان جائزة
عظيمة.

وقوله كما فى منهل الورد الصافى يهجو عصره أديب الزمان أبا العباس بن
الونان:

ألا قل لغمر جاهل وحسود
غيبى بليد الطبع حلف جحود
نافس فى العلياء حبرا مهذبا
له فى مقام المجد خير شهود
لعمرك قد أرقيت نفسك للعلا
بلا سلم إذ لم تبؤ بفريد
وحاولت أمرا لست تعلم أنه
تمنع عن ذى منعة وعديد
فكم ظلت أسعى فى رشادك علنى
أراك حذورا على صرير وعيد
فهنأنا ذا مستجمع الفكر راكبا
مطية فخر فى مقام شهود
تيقظ لقولى واستمع كل حجة
فإنك يا ابن القن بيت قصيد
وخذ من قرى الأبطال ما أنت طالب
فأنت على راصى الندى بشديد
ولا تأس إن أبصرت زلزال بارق
تقدمه نكباء ذات خلود

فللطن فاصبر واعتجز بضمود
فما هو عن أسلافنا ببعيد
فكم حملوا للمصطفى من بنود
بأذيا لنا نيطت بغير جحود
فإن عيون المرء خير شهيد
بأنى فى لحم أعز وليد
وكل فخار دائر وجديد
ترى العز يومى نحوها بسجود
وفى السلم سباقا لكل مشيد
ويألفهم فى السلم كل وليد
بحرب وسلم من ندى وجسيد

وأنك ما نبهت منى نائما
فأما اكتساب المجد من عهد يعرب
وأما العلا فاسأل ترى فضل أنا
وأما رعايات الذمام فأنها
وأما الندى فانظر بعينك حيننا
تخبرك الأنام عنى حقيقة
ذوى الحسب الموفور والحلم والتقى
إذا برزت يومنا طلائع حزبيهم
تراهم لدى الهيجاء أسدا فواتكا
تهابهم الأسد القواصم فى الوغى
ركابهم تجدى على كل حالة

هذا ما وجدته من خطه وهى غير مكتملة. ه لفظ منهل الورود.

وقوله مادحا شرح سيدى محمد جسوس على المختصر:

والفوز بالعز الصميم السرمدى
والمكث فى عيش هنى أرغد
واترك مدى الدهر ادكار المعهد
واترك مصاحبة الذميم الفدند
ودع التغزل فى القيان الخرد
صعب السلوك وشوكة لم يخضد

يا صاح إن شئت التنعم فى غد
وأردت فى الدارين إدراك المنى
دع ما يشين العرض من طرق الردى
وانزل من الوغد الجهول بمنزل
ودع التشبث بالغرام وأهله
ودع التوغل فى الهوى فطريقه

إلا غيبي بالهدى لم يعضد
تهدى الفتى وتنور القلب الصدى
نهج الرضا للمقتدى والمهتدى
وحقارة بين الورى كالفرصد
يرفع له أن صار بين الأحد
يعبأ به من جهله كالفرقد
لا يهتدى إلا بهم كالفرقد

كل البلاد وكل فقر فدفد
واقن التوضع طول، عمرك تصعد
سبل الجدال فذاك شأن العسقد

وأردت طول الدهر نيل المقصد
شئت إلى الوصول المقام الأسعد
جسوس ذى القدر العلى محمد
الكامل الصدر الذكى الأمجد

نثره: من ذلك ما كتب به من الحضرة المراكشية لابن أخته الشريف المهذب
مولاي أحمد بن العربى العراقى بالحضرة الفاسية، ونصه بعد الحمدلة والصلاة كما
بكناشة سيدى سليمان بن محمد الحوات ومن خطه نقلت: أجل من تحلى بأكرم

فالكل حمو لا يرى بسبيله
واجنح فديتك للعلوم فإنها
وهى السبيل إلى النجاة وإنها
كم من جهول ذى غيبي فى مهنة
إن عاش لم يسمع له ذكر ولم
لم يكثر أحد به أبدا ولم
والعالمون ذوو النهى فى رفعة
إلى أن قال:

شد الرحال لنيله واطلبه فى
واركب مطايا الحزم فى تحصيله
ولتلتزم الإنصاف فيه ولا ترم
إلى أن قال:

وذا أردت بلاعنى تحصيله
فعليك بالإفصاح والتصريح إن
تأليف شيخ شيوخنا بحر الندى
الفاضل البر الزكى المرتضى

الأخلاق، وأكمل من شرفت منه الأوصاف والأعراق، الحال منى محل سويداء أماق، أبو العباس أحمد بن العراقي، لازلت في خفض عيش ناعم، ما دام ثغر الرياض عن عرف أزاهره باسم، وعليك منى تحية يفوق شذا النسرين طيبتها، مستوفى من عبير العنبر نصيبها، مشفوعا ببركات يملأ الخافقين نورها، وتتوج محاسن الدهر سطورها، هذا وقد طار الفؤاد للقياك، وطمحت نار التشوق لاستطلاع محياك والاستمتاع برؤياك، إذ كنت منى محل الزند لئساعد، وكيف لا وفيك الغنية عن الأقارب والأباعد، أبقاك الله محفوظ الجناب، متبعا سبيل من أناب، وجبر الصدع بالجمع، بين الأصل والفرع، إنه مجيب دعوة المنيب، وجامع شمل الغريب، وها نحن اليوم قد شغلنا عن كل المطالب، بكل ذاهب وآيب ومطلوب وطالب، فذات النحيين أفرغ منى ذهننا، والجوارح والخواص أصبحت لما سمعت وقاك الله رهنا، وفي حامله كفاية الخبر، عمن أبدل نومه بالسهر، مع مصاحبة أمراض، معشارها يشغل عن أضعف الأغراض، ولكن الطمع في رحمة الله يحملنى على الرجا، وكيف يخيب من إلى أكرم الأكرمين التجا، وهو حسبي ووليي ومن توكل عليه سلم ونجا، فى سابع جمادى الأولى عام تسعين ومائة وألف محمد بن الطيب سكيرج لطف الله به.

وفاته: توفى بالوباء فى جمادى عام أربعة وتسعين ومائة وألف.

٢٥٧ - محمد البوعصامي المكناسي أصلا الفاسي داراً ومنشأ وقراراً.

حاله: فقير متجرد من صغره ساكت خامل، كان من أهل اللباس الحسن الفاخر، فأبدله له الشيخ العربي بن عبد الله معن الأندلسي بدريلة بقى يلبسها حتى مات، وفى ذلك أعظم دلالة على كسر سطوة سلطان النفس الأمارة وقهره إياها وتمكته منها، وكان كثيرا ما يجلس بالقرويين وحده ولا يدعى بدعوى، قليل

٢٥٧ - من مصادر ترجمته: موسوعة أعلام المغرب ٧/٢٤٢٢.

الكلام مع الناس، وكانت لوائح الخير ظاهرة عليه، ترجمه فى السلوة وسلوك الطريق الوارية.

مشيخته: أخذ عن الشيخ سيدى العربى بن عبد الله معن.

وفاته: توفى سنة خمس وتسعين ومائة وألف بفاس المحروسة.

٢٥٨ - محمد المدعو البهلول بن عبد الرحمن الفيلالى الیوعصامى الأصل
المكناسى الدار والإقبار.

حاله: أديب ماهر، نحوى مدرس نفاع، شاعر مجيد كثير الجلوس بالمسجد. ذكره العلامة الأعد الثبث المؤرخ النقاد السيد محمد الخياط بن إبراهيم أحد أعلام فاس فقال: اجتمعت به مرة واحدة فى بعض أسفارى لمكناسة الزيتون، وكان رحمه الله أعمى كثير الجلوس فى الجامع، وله أشعار حسنة، وقال فيه صاحب منحة الجبار، الشيخ النحرير، القائم على ألفية ابن مالك قيام الجد والتشمير، انتهى إليه حسن تقريرها مع المعرفة العجيبة فى عدة فنون.

شعره: من ذلك قوله فى رجل من أصحابه حلو الحديث عذب الألفاظ

اسمه يحيى من أهل وادى درى:

يحيى ومن يحيى أحاديثه أحلى من الشهد لدى المخبر

وكيف لا تعذب ألفاظه وهو من وادى أبى سكر

ومراده بأبى سكر التمر الذى يقال له بوسكر وقوله:

أيدى الحوادث مزقت أعراضنا فلذلك احتجنا إلى الخياط

ويعنى بالخياط الكاتب الوزير الخياط بن على بن منصور، وقد توفى هو

وأخوه عبد الرحمن ذبيحين فى السجن بمكناسة الزيتون، ذبحهما الباشا الغازى

وأخرجنا إلى حوز المقابر وتركنا طريحين والناس يعتبرون بالنظر إليهما إلى العشى
ودفنا، وذلك في ضحى يوم الأحد ثانی عشر ربيع الثانی عام خمسة وعشرين
ومائة وألف كما ذلك بخط العلامة الثبت السيد محمد الخياط بن إبراهيم، قال:
وقد صادفني الحال يومئذ هنالك فلم أر يوم سرور عند الناس مثل ذلك اليوم، ولم
أجد أحدا يثنى على الخياط المذكور إلا شرا نعوذ بالله من تتابع الألسنة.

وقوله:

جادلى من هويته بكتاب بعد أن كان بالكتاب ضنينا
ولقد طال ما انتظرنا إليه يعلم الله ذاك حتى ضنينا
أنتم السؤل جدتم أو بخلتم لا نحب سواكم ما بقينا

وقوله:

ترفع قوم بالقضاء وما دروا بأن قضاة العصر عندى قضاة
فإن تلف منهم ذا عفاف عن الرشا يكن للرشا منه الكحيل التفات
فإن تسألونا بالقضاء فإننا نحاة وإن شئتم فقولوا نجاة

وقوله:

عجبا للزمان يقصى سريا فاضلا ماجدا ويدنى دنيا
فلو أن الأيام تفقه شيئا لم تكن آثرت على عليا
وقوله يخاطب ولدا له:

تأمل إذا رمت الكلام فإن من تأمل من قبل التكلّم لا يخطى
ومما يزين الكتب حسن خطوطها فنفسك جاهد في التعلم والخط

وقوله:

قل للمحاول رتبة
فاشر المعالى بالعنا
وادرس لترأس يا فتى
وذوى المعارف سلهم
وعليك حال تأدب
وجب البلاد فكم يرى
واصحب من الناس الألى
وإذا تعذر هؤلاء
والخير اجمعه لدى
تمت نصيحة ناصح
وقوله معاتباً بعض تلامذته:

أقمت بمكناسة برهة
فلما توهمه بعضهم
أعلم أبناءها ما الكلام
على به بخلوا والسلام

وقوله معزيا أبا العباس بن الشاذلى الدلائى فى أخيه سيدى محمد:

أبا العباس كان أخوك نجما
وكل أخ مفارقه أخوه
ومن شأن الكواكب أن تغيبا
فصبراً لست وحدك من أصيبا
ومن ذلك ما رأيت فى كناشة العلامة سيدى المهدي بن سودة وخطه نقلت:
نفس الكريم لدى العطا مرتاحة
ويضيق نفسا لو وجود لثيم

والحر فى نيل المعالى همه
فخر اللبيب بجده لا جده
أعظم بشأن القبر من إنصافه
اصبر على حال افتقارك يا فتى
والله يفعل ما يشا فى خلقه
هذا أخو حمق غبى عيشه
أطلق لسانك بالثناء على الذى
وإذا ابتغيت بلا مذمة أمرا

بسوى المفاخر لا تراه يروم
فالجذ عظم فى التراب رميم
سيان فيه ذو غنى وعديم
فالحال متقل وليس يدوم
فالواجب التفويض والتسليم
رغد وهذا عاقل محروم
أسدى إليك فشكره محتوم
فالمبتغى لك نزر أو معدوم

وقوله وقد تخلف عن مجلس درسه يوم غيم:

أقراء الخلاصة حال بينى
فعدرا فى التخلف يوم وبل
ولولا العذر ما كنا قعدنا
محادثه الذكى أذلى من

وبينكم من الأوحال حائل
وذو الطبع الكريم العذر قابل
عن إيضاح المسائل للمسائل
محادثتى لربات المغازل

وقوله سائلا أبا عبد الله محمد المرابطى الدلائى عن إعراب ما يجرى على

الأسنة من لفظ كائنا من كان:

يا إمام النجاة بالله أعرب
واركبن للجواب متن جواد

للمسائل (١) كائنا من كانا
واصرفن نحوه- أعنت- (٢) العنانا

(١) فى هامش المطبوع: «فى البيت المعاقبة وهى مما لا يجوز فى الصناعة كما ننبه عليه قريبا هـ. مؤلف».

(٢) فى هامش المطبوع: «المراد واصرفن العنان نحوه أعنت هـ مؤلف».

لا برحت إلى المعالي مضيفا
فأجابه بقوله:

ومعدا لما يدق البيانا

يا إماما حوى المحاسن واقتا
كائنا فى التركيب حال لما قب
وهو موصوف ذو التمام قد ج
كانتماء أبى على وناهى
كان لا أرى علاء لمن يب
فابلونه وأعمل الفكر فيه
فلأنت الحبر الذى فاق نبلا

د المحامد وارتدى العرفانا
ل ومن (١) خبر له قد بانا
لى الغموم مبينا تبيانا
ك به فارسا دهى الاقرانا
غى على الناس كائنا من كانا
تشهد الحق ساطعا برهانا
وذكاء ورفعة وامتنانا

وقوله ملغزاً فى الواد من ودى يدى إذا أعطى الدية:

أيا من غاص فى بحر المعانى
بواد قد مررت اليوم يجرى
وأجاب عنه صاحب المنحة بقوله:

وكم من غامض أبدي وكامن
بلا ماء وما إن قلت مائن

فيا لبيك قد أسمعت حيا
بواد من وداه يديه حقا

لغيرك خذ جوابه عن معاين
أردت اللغز لا واد مباين

وقوله معاتباً أبا عثمان سعيد العميرى على عدم دعوته إياه لبعض الولايم:

يا مولما أو مؤلما إذ لم يكن
منه الدعاء لما دعى بالشامل

(١) فى هامش المطبوع: «فى البيت توالى سبين مزحوفين معا وهو مما لا يجور، إذ يجب سلامة أحدهما لقول صاحب الخزرجية:

إذا السبان استجمعا لهما النجا أو الفرد حتما فالمعاقبة اسم ذا هـ مؤلف» .

ما مقتضى التخصيص من دعواتكم
عجب لأيام تهين أحاحجى
هذى مداعبة أبا عثمان قد
ما ضره عدم الظهور فقد يرى
خذاها شذاها ضائع لكنها
وعليكم أركى سلام طيب
إلى غير هذا مما يطول:

الآخذون عنه: منهم أبو عبد الله محمد العربى بن محمد البصرى صاحب
منحة الجبار.

وفاته: توفى ليلة الخميس السابع عشر من ذى القعدة سنة ست وعشرين
ومائة وألف، ودفن قرب ضريح أبى العباس أحمد الحارثى، وهو الآن بداخل قبته.
مكتوب على حائط قبره اسمه وتاريخ وفاته.

٢٥٩ - محمد بن عبد السلام البيجرى.

حاله: فقيه أديب، نزيه لبيب، نحرير مشارك خطيب بليغ مصقع، مدرس
نفاع نقاد، مقتدر ماهر، متضلع مطلع، له مشاركة تامة فى المعقول والمنقول، تولى
خطة القضاء بالحضرة المكناسية على عهد السلطان مولانا عبد الله بعد عزله لأبى
القاسم العميرى، وذلك عام تسعة وأربعين ومائة وألف، ثم عزله وولى مكانه
السيد عبد الوهاب بن الشيخ كما فى الدر المنتخب، وتولى الإمامة والخطبة
بالقصة السلطانية الإسماعيلية وقضاء الجماعة، وقفت على عدة من خطاباته
والتسجيل عليه بتاريخ عام ثمانية وخمسين ومائة وألف.

وكان حسن السيرة، نقى السريرة، قال بعض الأعلام الأثبات تكلمت معه
يعنى المترجم فى مسائل على سبيل البحث منها قوله تعالى: ﴿وَلَوْ عَلِمَ اللَّهُ فِيهِمْ
خَيْرًا لَأَسْمَعَهُمْ وَلَوْ أَسْمَعَهُمْ لَتَوَلَّوْا وَهُمْ مُعْرِضُونَ﴾ (سورة الأنفال: آية ٢٣) هل
هذا قياس واحد، وظاهر نتيجته ولو علم الله فيهم خيرا لتولوا، إلخ. وهو فاسد
أم قياسان؟ وكيف يستقيم تقدير الآية؟ فحاول الجواب ولم أسامه له، ثم أخرج
بعض التفاسير ووقفنا على تقدير الآية ولو علم الله فيهم خيرا لاسمعهم سماع
قبول، ولو أسمعهم ولم يعلم فيهم خيرا لتولوا وهم معرضون، فاتضح المراد.

ومنها قوله تعالى: ﴿يُوسُفُ أَعْرَضَ عَنْ هَذَا وَاسْتَغْفِرِي لِذَنْبِكِ إِنَّكِ كُنتِ مِنَ
الْخَاطِئِينَ﴾ (سورة يوسف: آية ٢٩) فإن قياسه من الخاطئات، فما وجه
العدول عنه، فأجابى بنص صاحب التخليص فى قوله: والتغليب يجرى فى فنون
كثيرة كقوله تعالى: ﴿... وَكَانَتْ مِنَ الْقَانِنِينَ﴾ (سورة التحريم آية ١٢) فقلت
له: وجه التغليب هنا ظاهر، فإن أمرى رضى الله عنها لكثرة قنوتها شبهت
بالرجال الموصوفين بالقنوت، ففيه مدح لا بخلافه فى هذه الآية الأخرى، فقال:
إن زليخا هنا لما كان الخطأ يصدر منها قليلا أخرجها عن جنس النساء الموصوفات
بوقوع الخطأ منهن كثيراً فإنهن ناقصات عقل ودين، وشبهها بالرجال الذين من
وصفهم عدم صدور الخطأ الكثير منهم غالباً.

مؤلفاته: منها شرحه المرقص المطرب على السنوسية المسمى بفتح الرحمن،
لأقوال أم البرهان، فى مجلد ضخم أبد أفيه وأعاد، وحرر وهذب، ونقح وأجاد،
برهن فيه عما رزقه من طول الباع، وسعة الاطلاع.

شعره: من ذلك قوله يمدح الإمام الفاتح مولانا إدريس الأكبر بن عبد الله

الكامل:

تراخ وذو الحاجات قد جد فى السر
نهوض إلى إدراك ما رام من أمر
فإنى ساهدى حائرا رغبة الأجر
كثير ولا نزر من النفع والضر
تتل كل ما ترجو سريعا من الخير
لغلق فلا تئس من الفتح والنصر
بمغربنا مولاي إدريس ذو الفخر
وآياته كالشمس لاحت على القطر
فأصبح محفوظ الجناب من الكفر
بتفصيل إجمال، الإباحة والحظر
فقالوا منا لا من خصوصية السر
يجل عن الإحصاء والعد والحصر

إلى حب آل البيت فى السر والجهر
ينال الأمانى من مسألة الدهر
على كل تحرير تنبل فى العصر
قريب مجيب كل داع ومضطر
خديجة أنس الدين فرض لها شكرى
سماء على ليث أسد بنى النضر

تنبه فما شأن الذكى الفتى الحر
ولكن على ذى العقل إن كان حازما
فإن كنت حيرانا ولم تلف هاديا
تحقق بأن الله ليس لغيره
كن قارعا أبواب رحماه بالدعا
وإن قيل أبواب الولاية ترحزحت
فباب رسول الله وهو طريقه
إمام تعالت فى المعالى سماؤه
به اشتهر الإسلام فى الغرب كله
وعنه روى الأعلام وأحكام شرعنا
ومنه سرت فى العارفين سرائر
وكم حاز من فضل وأحرز من على
إلى أن قال:

فقير أتى نحو الحمى وهو ينتمى
يرجى قبولا منكم ولعل أن
فيسمو بإدراك العلوم وذوقها
فيا رب أنت الله يا منتهى الرجا
بخير البرايا المصطفى وبزوجه
وبابته الزهراء والفرقدين من

وبالحسن بن السبط ثم بنجله
 بمولاي إدريس الزكى وبابنه
 تقبل دعائي يا إلهي بجاههم
 وعامل بإحسان لصحبي وجيرتي
 وثبت على الحسنى فؤادى ومنطقى
 وصل وسلم كل يوم وليلة
 وأول الرضا الأكل الكرام وصحبه
 وما اخضرت الأرجا وأخصبت الربى
 وقوله:

أهدى إلى وردة ظبي ثوى بقاعها (١)
 كناسه مكناسة يسكن فى بقاعها

مشيخته: أخذ عن والده أبى محمد عبد السلام، وأبى عبد الله محمد بن
 محمد المكارى الرباطى ومن فى طبقتهما من الأعلام.

الآخذون عنه: أخذ عنه ولده المترجم بعد وغيره.

٢٦٠ - محمد بن الحسن الملقب بالجنوى الشريف الحسنى العمرانى.

نزىل مكناس.

حاله: إمام نظار، علامة مفسر محدث، متكلم أصولى، نحوى بيانى، فقيه

(١) فى هامش المطبوع: «يشير إلى الحومة الشهيرة بمكناس بقاع وردة».

٢٦٠ - من مصادر ترجمته: تذكرة المحسنين فى موسوعة أعلام المغرب ٧/ ٢٤٣٢.

محاضر مستحضر، متفنن نقاد، متبحر نحير، متضلع ماهر، كامل المشاركة، كبير الإشراف على الفروع والأصول، والتبحر فى المنقول والمعقول، والعارضة الطويلة فى الاطلاع والحفظ والفهم الصائب والإتقان الوافر، مع المعرفة بالله والورع التام والاعتناء بالتقييد والمطالعة والإقبال على ما يقربه إلى الله زلفى .

نشأ بمدشر ازجن من قبيلة سمانه، وهنالك قرأ القرآن العظيم، ثم رحل فى طلب العلم بالقصر الكبير ثم بتازروت العلمية زاوية الشرفاء أولاد ابن ريسون، ثم لتطوان، ثم لفاس وجد واجتهد حتى حصل فى المعلومات الضافية غاية المراد .

شهد له بالإمامة فى سائر الفنون جلة أعلام وقته مشايخه وغيرهم، وحصل له ظهور وشفوف مكانة عند عظماء وقته، وخضعت له أعناق الرؤساء والمرءوسين، وتصدر للإفتاء والإفادة برأى من مشايخه ومسمع، بل ربما قدموه للجواب عما ورد عليهم من الأسئلة وما يعرض لهم من التوازل المهمة، والعويصات المدلهمة، فيجيب بما يثلج الصدور، ويذهب ضنا المصدور .

قال تلميذه سيدى محمد فتحا الرهونى: ولقد رأيت شيخه التاودى يسأل عن المسائل بحضرته فيكل الجواب إليه فيجيب على البديهة أحسن جواب، ولقد قدم الشيخ التاودى مرة تطوان وأنا بها فحضرت معه ليلة فى دار بعض شيوخنا ومعه شيخنا الجنوى - يعنى المترجم - وجماعة من الفقهاء فقال التاودى: سألنى بعض الناس وأنا راجع من المشرق عن آية كذا سماها إذ ذاك ونسيتها الآن فلم أدر ما أقول له فهل على بالكم شىء؟ فأجابه شيخنا الجنوى على البديهة بأن قال له: فيها ثلاثة أقوال للمفسرين المشهور منها كذا كما فى ابن جزى، فطلب التاودى ابن جزى فأحضر فى الحين فنظروه فوجدوا الأمر كما قال، وهكذا كان دأبه رضى الله عنه علمه معه أين ما كان .

وكان فى تدريسه لا يقتصر على شرح معين بل يطالع ما أمكنه من الشروح والحواشى ويراجع المسائل فى أصولها ويعارض بين القول، ويبين المردود منها والمقبول، هكذا كان دأبه فى التفسير والحديث والكلام والفقه والأصول والنحو والبيان والمنطق والتصوف، موصوفاً بالتحقيق والإتقان عند الخاص والعام، مرجوعاً إليه فى العضلات العظام، مقدماً فى كل فن وخصوصاً فى النوازل والأحكام، لا يكاد يخالف فتواه أحد من القضاة والحكام، مع مروءة تامة، ودين متين وخوف من الله عظيم، وورع جسيم، لا يخالف قوله فعله فى شدة ولا رخاء وكانت مجالسه كلها لا تخلو من مواعظ فلا يقوم الإنسان من بين يديه فى أى فن كان غالباً إلا وقد أخذت مواعظه منه مأخذاً، ولا يختلف فى صلاحه ومعرفته اثنان من الصلحاء.

وقد سمعت العلامة قاضى الحضرة الإدريسية فى وقته أباً محمد سيدى عبد القادر بوخرىص رحمه الله ورضى الله عنه وأرضاه يقول: وبلغنى عنه ممن سمعه من الثقات أنه كان يمثل للمبرز فى الصدر الأول بسيدنا عمر بن عبد العزيز، وبعد ذلك بأبى محمد صالح، ويمثل له اليوم بسيدى محمد بن الحسن الجنوى، وكلامه هذا موافق فى المعنى لقول سيدى جسوس فيه: وحيد زمانه، وفريد عصره وأوانه، علما وعملا ويأتى كلامه بتمامه.

وكان يخفى صلاحه كثيراً، ومما كاشفنا به مرة وهو ملازم بوران وكانت الأسئلة والرسوم ترد عليه كثيراً وكنت أنا خديمه ومتولى أمره بإذنه أنه قال: قال لى أصحابنا الذين كانوا معنا إما أن تأخذ الأجرة من أرباب الرسوم، وإما أن تتركنا نتولى أمرها، وكان رضى الله عنه لا يأخذ على ذلك أجراً فقلت لهم: أنا لا آخذ من أحد شيئاً، وإن أردتم أن تتولوا ذلك بأنفسكم فافعلوا ونحن فى مكاننا ليس معنا أحد ولم يطلع على ذلك إلا الله تعالى.

فلما اجتمعنا معه رضى الله عنه على الطعام قال لنا من غير تقدم كلام:
إنى حين كنت ملازما هنا قبل هذا كان رجل يدخل لى الرسوم من عند الناس
ويخرجها لهم، وكنت أحبه ظنًا منى أنه يفعل ذلك لوجه الله تعالى، حتى علمت
بعد أنه كان يفعل ذلك ليأخذ منهم الدراهم فسقط من عيني رتركته، فخرجت
أصحابنا خجلا شديدا، وعلمنا أن ذلك مكاشفة لا شك فيها، وكان ذا سخاء
عظيم مضيافا محبا للمساكين محسنا إليهم.

وكان فى أول أمره منقبضا عن السلطان جدا لا يرسل إليه ولا يرأسه، إلى
أن سأل مرة أمير المؤمنين، ناصر الملة والدين، ذو الشرف الأثيل، مولانا محمد بن
أمير المؤمنين مولانا عبد الله بن أمير المؤمنين مولانا إسماعيل، التاودى عن فقهاء
الوقت فذكره وأثنى عليه بين يديه ثناء كثيرا، فأرسل وراءه وهو إذ ذاك ملازم
بوزان، فذهب مع بعض أعوانه هناك فلقيه بمكناسة الزيتون فأمره بسكنها بقصد
التدريس بها فلم يجد من امثال أمره المطاع بدا، فسكنها مدة ثم نقله إلى نغر
طنجة فأقام بها مدة ثم نقله إلى تطوان. هـ الغرض من حاشية الرهونى.

قلت: انظر همم الملوك التى هى ملوك الهمم، واهتمامهم بالتتقى عن حملة
الشرية فى رعاياهم ليقدرهم قدرهم وينزلوهم محلهم، ويظهروا للخاص والعام
فضلهم وشرفهم على من سواهم، وانتقاء جلتهم لبث العلم ونشره فى صدور
الرجال كى يسود العلم فى رعاياهم، وتكسر راية الجهل فيهم، حيث إن العلم
أصل أصيل للزقى والاستعمار والتقدم والنجاح المادى والأدبى والدينى والأخروى
والعكس بالعكس:

وليس يصح فى الأذهان شىء إذا احتاج النهار إلى دليل

مشيخته: أخذ عن العلامة المشارك سيدى التهامى أبى الخارق الحسنى، سرد
عليه شرح الكبرى، والعلامة القاضى سيدى المجذوب بن عبد الحميد الحسنى،

والمحقق الورع أبى العباس أحمد بن محمد الوردانى سمع عليه صحيحى البخارى
ومسلم، فالأول سمعه كله إلا مواضع قليلة لعذر ورد، الشيخ يقرأ والمترجم
يسمع، وأما الثانى وهو صحيح مسلم فسمعه كله عليه، المترجم يقرأ والشيخ
يسمع، وقرأ عليه نحو ثلاثة أرباع من تفسير البيضاوى مع مطالعة غيره، وقرأ عليه
الشمائل الترمذية، ومختصر خليل، وجمع الجوامع، والتلخيص إلا القليل منه،
ومختصر السنوسى فى المنطق، وقرأ عليه شيئاً من التسهيل كما ذلك بخط يد
المترجم فى إجازته للحضيكى ومنه نقلت، وشيخ الجماعة سيدى محمد بن القاسم
جسوس قرأ عليه كثيراً من المختصر الخليلى، وصحيحى البخارى ومسلم، والحكم
العطائية وغير ذلك كما ذلك بخط يده فى الإجازة للحضيكى.

وأبى حفص عمر الفاسى قرأ عليه التلخيص بالمطول إلا مواضع قليلة،
وصغرى السنوسى قراءة تحقيق، ونحو النصف من ابن السبكى قراءة تحقيق أيضاً
والشيخ التاودى ابن سودة وغيرهم، وأجاز له عامة أبو محمد بن قاسم جسوس
المذكور والشيخ محمد الحفنى: الأول يروى عن سيدى عبد القادر الفاسى المولود
بمدينة القصر الكبير قصر كتامة زوال يوم الاثنين ثانى رمضان سنة سبع وألف
المتوفى بفاس ظهر يوم الأربعاء تاسع رمضان سنة إحدى وتسعين وألف قرأ عليه
ألفية ابن مالك وغير ذلك، وأبو عبد الله محمد بن أحمد ميارة الصغير المتوفى
ضحوة يوم الجمعة خامس عشر المحرم عام أربعة وأربعين ومائة وألف، وأبو
محمد عبد السلام بن حمدون جسوس المتوفى مخونقاً ليلة الخميس خامس عشر
ربيع النبوى وقيل منتصف ربيع الثانى عام واحد وعشرين ومائة وألف، وأبو عبد
الله محمد بن أحمد المسناوى الدلائى المولود بزاورتهم الدلائية البكرية سنة اثنتين
وسبعين وألف المتوفى بفاس سادس عشر شوال عام ستة وثلاثين ومائة ألف، وابن
عبد السلام بنانى المتوفى ضحوة يوم الأربعاء سادس عشر قعدن الحرام سنة ثلاث

وستين ومائة وألف، وأبو عبد الله محمد فتحا بن عبد الرحمن بن زكري المتوفى ليلة الأربعاء ثامن عشر صفر الخير عام أربعة وأربعين ومائة وألف وقيل توفى فى ثامن عشرى صفر من العام المذكور وغيرهم ممن يطول ذكرهم.

والثانى عن الشهاب أحمد الخليفى المتوفى عصر يوم الأربعاء خامس عشر صفر سنة سبع وعشرين ومائة وألف ودفن من غده صباحا، والشهاب أحمد الملوى المتوفى منتصف ربيع الأول سنة إحدى وثمانين ومائة وألف، والجمال يوسف الملوى، والكمال عبد الرءوف البشيشى المتوفى فى منتصف رجب سنة ثلاث وأربعين ومائة وألف، والشيخ عيد الديوى، والشيخ عيد النمرسى، والشهاب أحمد بن البقى، واستدعاء المترجم الإجازة لمن ذكر مع نصوص إجازاتهم له مسطور فى ديباجة أوضح المسالك وأسهل المراقي لتلميذه أبى عبد الله محمد الرهونى.

الآخذون عنه: أخذ عنه الشيخ الرهونى، والعلامة الحائك صاحب النوازل، وبصرى صاحب الفهرسة الآتية ترجمته وغيرهم من الأعلام المشاهير.

مؤلفاته: كان شرع فى تقييد حاشية على ابن سلمون، ثم لما نقل إلى بلدتنا الكناسية شغل بالتصدي للتدريس عن إتمامها، وله تقايد على حواشى كتبه من كتب التفسير وغيره، فلو خرجت طوره على الزرقانى والخطاب والمواق والشيخ مصطفى والشيخ بنانى لكانت حاشية عظيمة الجرم، وله طرر حسنة على الشيخ ميارة على التحفة قد أخرجها جماعة من حذاق تلامذته، وطرر على المرادى والتصريح وحاشيتى الشيخ يس عليه وعلى النظم لو أخرجت لكانت تأليفا حسنا مفيدا، وكذلك حواشيه على البيضاوى وعلى الجلالين، وكذا ما كتبه بحواشى المحلى على جمع الجوامع، وابن أبى شريف عليه وناهيك من أبحاثه وتحقيقاته ما ملأ به تلميذه الرهونى حاشيته العظمى نقلا عن خط المترجم.

ولادته: ولد في شهر رجب الأصب بمدشر ازجن المشار عام خمسة وثلاثين ومائة وألف.

وفاته: توفى بمراكش زوال يوم الاثنين ثالث عشر رمضان سنة مائتين وألف، ودفن عند الغروب بروضة مولاي إبراهيم الشريف العلمى من حومة القصور الشهيرة.

٢٦١ - محمد بن العلامة النظار محمد بن عبد السلام البيجرى المكناسى.

حاله: فقيه علامة، فاضل كامل، من بيت علم ومجد وقضاء، أديب شهير، حسيب نسيب، أريحي مهذب، ناثر ناظم خبير، كان وحيد عصره نظما ونثرا، وظرفا ولطفا ونبلا وأدبا وخبرا، وقريحة سيالة، وأجوبة بديهة مسكتة، مع مروءة وحياء وحشمة وسمت حسن، ودين متين، تعرض لذكره ابن عثمان المترجم بعد فى رحلته المشار لها، وأتى بما تعاطاه معه من رائق مدام الآداب والظرف نظما ونثرا.

مشيخته: أخذ عن والده، وعن السيد الغازى بن عبود وغيرهما من فحول الأعلام.

الأخذون عنه: أخذ عنه السيد محمد فتحا بن محمد بصرى الآتى الترجمة وصاحب الثبت المشار له فى ترجمة السيد التهاى أمغار وغيرها صغرى السنوسى، وتلخيص المفتاح، وألفية ابن مالك من النواسخ إلى الوقف، والخزرجية وغير ذلك، ووصفه بالعلامة الدراكة الفهامة سيدى محمد بن الإمام العلامة الهمام فريد عصره سيدى محمد بن شيخ أهل زمانه المنفرد فى عصره وأوانه، سيدى عبد السلام إلخ، وحلاه فى موضع آخر بالأديب الألمعى، الأحوذى اللودعى، كما أخذ عنه غيره.

شعره: من ذلك قوله مخاطبا خله ابن عثمان عند أوبته من الديار الحجازية

أنشأها حين بلغه نزوله بتونس آيبا:

تاق قلبى فما له استقرار
توقان وأنس اجتمع الضد
باشتيق لمفرد فى المعالى
والتأنس بالتفكر فى أو
قمر المجد سار فى فلك السعد
وتحرك ذا بتحريك هذا
أترى يسمح الزمان بقرب
فندال من النوى بسرور
مثل ما قبض الإله له الأل
نرتجى دومه عزيزا كريما
وقوله:

يا كريما عز وصفا
أنت أولى بالوفى من
فاجمع الشمل كما قد
إنما ينفع إلف
هكذا المزحة ظنا
إنك المرء احتمالا
وعظيما جل إلفا
كل من بالعهد وفى
فهت اكرم صاح ضيفا
إلفه فى ذاك عرفا
بل يقينا منك يلفى
شأنها عندك خفا

فلتكن ساكن بال
كيف لا والشيب عال
لكن الأليق حزم
فاسترب من يتزكى
وقوله مجيبا إلفا له استدعاه:

السمع والطاعة منا لكم
نأتى على الرأس لمجلسكم
واجبة والأمر ممتثل
إن لم تسارع نحوه الأرجل

نثره: من ذلك قوله مراسلا خله المترجم بعد: المبرز في العلا، المحرز للمعلى، محيي فصاحة الأوائل، ومعبي سبحان وائل، كرم الله طلعتة، وحتم على الدهر طاعته، هذا وما عسيت أحلى، ولو حصلت لى ملكة المحلى، وأنت أعزك الله السفير بين الملوك، والوزير الذى هو فى عقد الوزارة فاخرة السلوك، فأنى يوصل إلى الأوج من فلك مجدك، ولا يقال للزوج إن له معنى من معانى فردك، بيد أنك حفظك الله كريم الأخلاق، وحضرتك العلية حضرة الإطلاق، فبساط أنسك لاشك أنه أرفع، لكن انبساطك فيه أوسع للنفس وأنفع، وهو وإن كان به الفرش المرفوعة، والأكواب الموضوعة، وألوان الطعام، مما طار كما قيل وعام، أو من غيرهما كذلك المشرب بالطيب، المشبه بقلنسوة الخطيب، فخطابك البليغ أفضل من ذلك كله وأجمل، ومنزعك اللطيف أوصل للنفس بها وأحل، لأن ذوق معانى الكلام، ألد من ذوق ما فى الإناء من الطعام، ومما هزنى من ذلك الكلام، ولزنى فى المداعبة معك كما لز الألف مع اللام، ما أودعته فى رسالة الاستدعاء، من قولك والساق مشمر عن ساق، فإنه ذكرنى قول بعض المقاول:

لم أنس يوما ما قام يكشف عامدا عن ساقه كاللؤلؤ البراق
لا تعجب إن قامت لذاك قيامتى إن القيامة يوم كشف الساق
وإني لما حضرت ذلك المجلس الأبهـر، وأظهر فيه الساقى من شمائله ما
أظهر، إنما تاه فكرى فى لطف مناولته، ووصف مطالعته لرضاك ومحاولته، فغبت
بذلك عن ملاحظة الساق المشمر عنه، بل وعن الساعد الذى كان أقرب إلى منه،
نعم أتهم لك نفسى بنظرة أولى لمحياءه، وكان القلب بها حياه، لكن قلت فى الحين
على الشذوذ إياى وإياه، فلعل السيد لنفسه هياه، والنظرة الأولى كما علمت معفو
عنها، وإذا سمح قدرك العالى بالمداعبة معنا فهذا منها، والسلام.

وقوله مجيبا لصديقه الحميم المذكور، عن رسالة تزرى بقلائد النحور: سيدى
أدام الله لك السعادة، ولا قطع عنك من الإنعام ومديد الإكرام كما لم تقطع
عادة، ان هذه النفوس كما جاء تصدى كما يصدى الحديد فتأكد لذلك صقالتها
التي هى لنورها كالتجديد، وأن مما اتفق عليه رؤساء الحكماء، وأطبق عليه نجباء
العلماء، أنه لا بد لها من رياضة، إذ التدريج حكمة هذا العالم إن كانت القدرة
فياضة، وصاحب القصر يهوى قبابه، وتارة رياضه، ويستحسن من أزهاره المختلفة
ما خالطت حمرته بياضه.

ولذا قيل:

لا يصلح النفس إذ كانت مدبرة إلا التنقل من حال إلى حال
وكما قيل أيضا:

تنقل فلذات الهوى فى التنقل ورد كل صاف لا تقف حول منهـل
وفى المعنى:

أفد طبعك المكدود بالجد ساعة يريح وعلله بشيء من المزح

البيتين . . وقد علمت أعزك الله أن اللذة انبساط باختلاس، وأكل اللذات استنباط حكم همم الجلاس، لأن همة المرء ميزان عقله، وبرهان فضله، وأكثر ما تظهر في قوله، المرء مخبوء تحت لسانه، وقد كان من تقدم من الكبراء والأمراء والوزراء يستعلمون جل أوقاتهم في هذا المعنى، يولعون به ويعنون أجل بذلك يولع وبه يعنى، إلخ.

وفاته: توفى فجأة في ثامن عشر رجب عام خمسة ومائتين وألف.

٢٦٢ - محمد بن عبد الواحد بن الشيخ الأموى المكناسى.

حاله: فقيه نبيه، زكى وجيه، مشارك متفنن نزيه، بدأ حلاه العلامة أبو عبد الله محمد فتحا بن محمد الطاهر الهوارى، وقال فى حقه أبو حامد العربى بن على القسطنطينى ما لفظه: بمن ظهرت فى تحصيل العلوم رغبته، وبانت فيه مرتبته هذا على صغر سنه وشبابه ومع ذلك لكمال عقله بتوفيق الله إياه، صادف الصواب فى إدراك العلوم، وأتى البيت من بابيه فما أحقه بقول من قال، وأحسن فى المقال:

إن الهلال إذا رأيت نموه أيقنت أن سيكون بدرا كاملا

ووصفه أبو محمد الطيب بن عبد المجيد بن كيران بقوله: الفقيه النجيب الدراكة اللبيب.

مشيخته: منهم أبو عبد الله محمد بن عبد السلام الناصرى، وأبو عبد الله محمد التاودى بن الطالب بن سودة، وأبو عبد الله محمد بن محمد الطاهر الهوارى، وأبو حامد العربى بن على القسطنطينى الحسنى، والحارث بن المفضل الحسينى الحسنى، وأبو عبد الله محمد بن محمد البيجرى الأندلسى، وأبو عبد الله محمد بن أحمد بنيس الفاسى، وأبو العباس أحمد بن على الحسنى المدغرى،

والطيب بن عبد المجيد بن كيران، وحمدون بن عبد الرحمن بن الحاج السلمى، وغيرهم وأجازه جميعهم عامة، ووقفت على نصوص إجازاتهم له تركت جلبها اختصاراً.

الآخذون عنه: من أجلهم مسند فاس فى عصره أبو محمد التهامى بن المكى ابن رحمون الإدريسي، وأجازه عامة ووقفت على إجازته له بخطه.

وفاته: توفى فى خامس عشرى جمادى الثانية عام ستة ومائتين وألف، حسبما ووقفت على ذلك بخط تلميذه ابن رحمون المذكور بطرة إجازته له.

٢٦٣ - محمد بن الحسن الوكيلى.

حاله: العلامة الأكبر، المحقق المدقق، المشارك فى الفروع والأصول، الباهر فى المعقول والمنقول، المدرس النفاع، المتضلع الكثير الاطلاع.

مشيخته: أخذ عن سيدى أحمد بن عبد العزيز الهلالى ومن فى طبقته.

الآخذون عنه: أخذ عنه السيد محمد بصرى مؤلف إتحاف أهل الهداية ألفية ابن مالك، وشفاء عياض، وهمزية البوصيرى، والخزرجية، وتلخيص المفتاح، ولامية الأفعال وغير ذلك، وروى الموطأ من طريقه.

شعره: من ذلك قوله يرثى شيخه الهلالى:

سير الجبال من أكبر العلامات	على الفنا والزوال والقيامات
وهو الدليل على أن لا بقاء سوى	لملك الملك بارئ الخليقات
مفنى الدهور وقاصم الظهور وقا	سم الشهور لأيم وساعات
إلى أن قال:	

فى كل يوم له شأن يفصله لى خلائقه من المرادات

إلى أن قال:

فكلهم عرضة لكل آفات
دامت وعمت لأفراد البريات
أعصارهم من غرائب الصناعات
يجبى إليهم من أقطار بعيدات
وما جرى فيهم من العقوبات
وما لسانان من آى عجيبات
به الردى فهوى بعد المجارات
وما أعد لملك من خزانات

قضى على خلقه بالموت أجمعهم
قضية سورها الكلى موجبة
أين القرون الألى مضوا وما صنعت
أين الملوك وأبناء الملوك ومن
وأين عاد الأولى وأين قوتها
وأين شدادهم وأين تبعهم
وأين دارا وقعد أدار دائرة
أين الحكيم وما حواه من ذهب

إلى أن قال:

وأين ما دوخوا من البلادات
وما لهم من وقائع غريبات
من زهرة وأفاخر النعومات
حتى سقاه الردى كأسا بأغمات

وأين أبناء مروان وملكهم
وأين ملك بنى العباس بعدهم
وأين أندلس وما بحوزتها
أين ابن عباد أين ملك أسره

إلى أن قال:

م الخطب منه الورى حتى الجمادات
طود العلوم وقودة لقادات
مجدد الدين غاية النهايات
هد الجبال ووقدة السماوات

مات الهلالى واختل النظام وع
مات الإمام الذى عمت فضائله
شيخ الشيوخ فريد العصر قاطبة
فيالها فجعة حق لوقعتها

عم الصدا وعيون الأرض قد ييست
وغيض بحر الندى مع الإفاضات
إلى أن قال:

وليبيك من فقدته الإسلام أجمعه
فالشرق والغرب فيه في مساوات
ولتبك عنه كراسى ومنبره
حتى اليراع لفقده الكتابات
وهي طويلة:

وفاته: توفي بعد ستة ومائتين وألف.

٢٦٤ - محمد فتحا بن محمد بن سمية بن عبد الرحمن بن عبد الله بن عمر
ابن عبد الرحمن بن ولي الله أبي موسى عمران.

البصرى بالتعريف الأصل، المكناسى النشأة والدار، هكذا قال عن نفسه فى
استدعاءاته للإجازة من مشايخه.

حاله: فخر مكناس، وواسطة عقد أفراده السراة الأعلام، رواية رحالة،
علامة أثرى محدث مسند، مقرئ حافظ لافظ، جماع مؤرخ، حجة فاضل جليل،
نبيل أصيل، مدرس نفاع، له مشاركة تامة وقدم راسخ فى العلم والدين والجلالة،
ذو قلم بارع وإمام بالمهمات، رحل إلى فاس وقضى بها زمنا فى الأخذ عن أئمتها
الأعلام إلى أن ملأ من المعلومات الجراب، وأقر له بالتفوق فى سائر الفنون صدور
الشيوخ، ثم رحل للمشرق وحج وزار، ولقى الأخيار، ودخل مصر وغيرها من
الأقطار، واستفاد وأفاد، وكانت رحلته للحج سنة ثلاث ومائتين وألف حسبما ذكر
ذلك عن نفسه لدى إيراده للحديث المسلسل بالضيافة.

مشيخته ومروياته: أخذ عن والده العلامة الزاهد محمد بن العلامة محمد
ابن الإمام الخير الألعى عبد الرحمن البصرى السابق الترجمة، قرأ عليه بعضا من
الرسالة والألفية، والمختصر، والمرشد، والأجرومية مرارا، وسلكات من سور

القرآن، والترغيب والترهيب للمنذرى، والذخيرة للشرقاوى، وأخذ هو عن أولاد العميرى وغيرهم.

وأخذ عن الغازى بن العربى بن عبود المتوفى فى التاسع والعشرين من صفر عام سبعة وثمانين ومائة وألف الألفية والمختصر، واللامية والجمل، والصغرى والقلصادى، والأجرومية، وابن عاشر، والرسالة، واصطلاح القاموس، وبعض التفسير، والبخارى، والتلخيص.

وأخذ عن أبى عبد الله محمد بن محمد بن عبد السلام البيجرى ما تقدم ذكره فى ترجمته.

وأخذ عن أبى حفص عمر بن الحسن الصنهاجى المتوفى فى الثانى والعشرين من جمادى الثانية عام سبعة وتسعين الألفية، والمختصر، والأجرومية، واستفاد منه كثيرا.

وأخذ عن أبى محمد المهدي بن العلامة الطيب بن الصغير بصرى المتوفى فى العشرين من جمادى الأخيرة عام ثلاثة وتسعين الألفية، والمختصر، والأجرومية، والصغرى.

وأخذ عن أبى عبد الله محمد بن القاضى الطيب بصرى الآتى الترجمة الألفية، وبعض المختصر.

وعن التهامى بن الطيب أمغار السابق الترجمة، قرأ عليه الألفية واستفاد منه فوائد علمية.

وعن العلامة أبى عبد الله محمد بن الحسن الوكيلى المترجم قبله.

وعن الإمام محمد الجنوى الحسنى، قرأ عليه المختصر، والبخارى، والتلخيص، والألفية وابن السبكى.

وعن الشريف مولاي محمد بن السيد تلميذ أبي العباس الهلالي قرأ عليه السلام، واستفاد منه.

وعن العلامة المقرئ السيد مبارك الشيطمي السالف الترجمة، قرأ عليه القرآن العظيم مرات متعددة بما يحتاج إليه من رسم وضبط وغيرهما.

وعن أبي عبد الله محمد بن عبد السلام الفاسي.

وعن العلامة أبي عبد الله محمد بن أحمد بنيس، وعن الشيخ أحمد بن عمار بن عبد الرحمن بن عمار الجزائري، وعن الشيخ عبد العزيز بن حمزة المراكشي.

وأخذ عن العالم الموقت أبي عبد الرحمن محمد السعيدى بن الموقت عبد القادر بن الموقت محمد بن الموقت عبد الرحمن بن محمد الفاسي به عُرِف، الشاوي المعزوي المترجم جده فيما تقدم، قرأ عليه التوقيت علما وآلة قراءة تحقيق، وإمعان نظر وتدقيق.

وعن الموقت ابن عبد الله محمد بن الفقيه محمد بن أحمد المصمودي، قرأ عليه التوقيت أيضا علما وآلة.

وأخذ عن العلامة أبي عبد الله محمد بن الحسن بناني محشي الزرقاني المتوفى عام أربعة وتسعين، التفسير، والكتب الستة، والموطأ، ودلائل الخيرات، ووظيفة الشيخ زروق، وأحزاب الشاذلي، وحزب النووي، وحزب الفلاح، والمشيشية، وحصن الحصين، والحكم، والنصيحة الكافية، والتسهيل، والألفية، والمختصر، وألفية العراقي في الاصطلاح، وسنن المهتدين، والتوضيح، والصغرى، وعقائد النسفي، وتحفة ابن عاصم، وأقرأ بحضرته وحضه على الدءوب على ذلك.

وأخذ عن العلامة سيدى زيان العراقى المتوفى فى الثامن والعشرين من جمادى الأول عام أربعة وتسعين لازمه أربعة أعوام ونصفا صباحا ومساء، كان يقرئ التفسير فى الغلس ويعدده فى مجلس واحد البخارى، وفى الضحى المختصر، وبعد الظهر التسهيل، وبين العشاءين المرشد وغير ذلك مما كان يتداوله إذا فرغ من بعض تلك الكتب.

وعن الشيخ التاودى ابن سودة لازمه مدة مديدة وقرأ عليه التفسير، وبعض المختصر، وابن عاصم، والزرقاية، والألفية، وجامع الشيخ خليل، وابن السبكى، والحكم، وبعض الكتب الستة، والموطأ والشمائل، والدلائل ووظيفة زروق، وحزب الشاذلى الكبير والصغير، وحزب النووى، وحزب الفلاح للجزولى، والمشيشية، والحصن واستجازه فأجازه وأقرأ بحضرتة فرضى بذلك وحضه على الدءوب على ذلك.

وعن العلامة الداركة الشيخ عبد الكريم بن عمر بن على بن أبى بكر الزهنى المعروف باليارغى المتوفى أواخر عام مائتين وألف لازمه مدة مديدة، وقرأ عليه الموطأ وأوائل الكتب الستة والألفية، والمختصر، والسبكى، والمغنى، واستجازه فأجازه.

وعن العلامة أبى محمد عبد القادر بن أحمد بن العربى بن شقرون، لازمه سنين عديدة، وقرأ عليه المختصر، والألفية، واللامية، والتلخيص، والسلم وأوائل الموطأ، والصحيحين، والشمائل، والشفا.

وأخذ فى رحلته الحجازية عن الشيخ مرتضى الحسينى الزبيدى الحنفى، والشيخ محمد بن محمد بن أحمد بن عبد القادر الأمير، والشيخ أحمد بن موسى البيلى - بكسر الموحدة - المالكيين، والشيخ سليمان العجيلى - بكسر المهملة وفتح الجيم وسكون الياء وكسر اللام مشبعة - الشهير بالجمل، والشيخ محمد بن

أحمد الجوهري بضم الجيم الخالدي، والشيخ أحمد العروسي، والشيخ عبد الوهاب بن محمد بن علي الشبرواي المصري الشافعيين، والشيخ صالح بن يوسف بن مصطفى المقدسي الحنبلي الأزهرى شيخ حنابلة مصر.

أما مروياته فقد أخذ رواية ورش عن شخيه الشيطمي، وهو عن الأستاذين السيد علي الخراز والسيد المهدي بن الحاج أحمد بن موسى بارة المتوفى سنة ثلاث وسبعين بتقديم السين ومائة وألف، كلاهما عن سيدى إدريس المنجرة.

وأخذها أيضا عن محمد بن عبد السلام الفاسي عن عبد الرحمن المنجرة عن والده إدريس المنجرة، عن أبي عبد الله محمد السرخيني الشهير بالهوارى، عن عبد الرحمن بن أبي القاسم بن القاضي، وأخذها أيضا عن شيخه الأمير المصري والشيخ مرتضى الزبيدي.

وأخذ عن السيد مبارك أيضا بالأسانيد المذكورة، والشيخ مرتضى والأمير رواية قالون، والبزى، وقنبل، والسوسى، وهشام، وابن ذكوان، وشعبة، وحفص، وخلاد، والدورى، وأبي الحارث.

وأخذ عن الأمير والشيخ مرتضى الزبيدي رواية ابن جمار، وابن وردان وروح، ورويس، والوارق، وإدريس، وخلف.

وأخذ الموطأ برواية يحيى بن يحيى الليثى عن السيد الغازى بن الحاج العربى ابن عبود المكناسى، عن الحاج على بن عبود، عن محمد بن سالم بن أحمد الحفنى، وأخذها أيضا عن الشيخ محمد بن محمد بن أحمد بن عبد القادر الأمير والشيخ أحمد بن موسى اليبلى، والشيخ مرتضى الحسينى الحفنى، والشيخ سليمان العجيلى، والشيخ محمد بن أحمد الجوهري، والشيخ أحمد العروسي كلهم عن أبي عبد الله الحفنى.

وأخذها بالرواية المذكورة أيضا عن الشيخ محمد بن الحسن بناني، عن
الشيخ محمد بن عبد السلام بناني، عن الشيخ محمد بن عبد القادر الفاسي، عن
الملا إبراهيم الكردي.

وأخذها أيضا عن الشيخ محمد بن الحسن الوكيل، عن أبي العباس بن عبد
العزيز الهلالي، عن العجيمي.

وأخذها أيضا عن الشيخ عبد القادر بن شقرون، وعن الشيخ محمد بن أحمد
بنيس، وعن الشيخ التاودي ابن سودة، والشيخ أحمد بن عمار بن عبد الرحمن
ابن عمار الجزائري، وعن الشيخ عبد الوهاب الشبرواي الشافعي المصري، والشيخ
عبد الكريم المعروف باليازغي الفاسي، ومن طرق بعض هؤلاء الشيوخ روى
روايات أبي مصعب، ومطرف، وابن الحسن، وأبي حذافة حسبما هو مبسوط في
ثبته إتحاف أهل الهداية والتوفيق والسداد.

وأخذ صحيح الإمام البخاري عن السيد الغازي وبنيس المذكورين، وعن
سیدی محمد بن الحسن بناني، والشيخ التاودي بن سودة، كلاهما عن ابن عبد
السلام بناني، عن سيدى محمد بن عبد القادر الفاسي، عن والده، وعن الشيخ
صالح بن يوسف المقدسي الحنبلي، عن العدوي.

وأخذ صحيح مسلم عن ابن عبود، والوكيلي، والتاودي، وابن الحسن،
بناني وبنيس، واليازغي، وابن شقرون، وعن صالح المقدسي، وعن الشيخ الأمير
وغيره ممن ذكر من المصريين بأسانيد الموطأ المتقدمة.

وأخذ سنن أبي داود عن الغازي بن عبود، ومرتضى، وبناني بالأسانيد
المتقدمة.

وأخذ جامع الترمذي، وسنن النسائي الصغرى المجتبي، عن ابن عبود
وبناني، والجزائري، والمقدسي، والمصريين.

وأخذ سنن النسائي الكبرى عن شيوخه بناني، والجزائري، والعروسي.

وأخذ عنهم أيضا بأسانيدهم المسطرة في ثبته سنن ابن ماجه، ومسند الشافعي، ومسند الإمام أحمد، ومسند الدارمي، والمخلص لأبي الحسن المعافري، والتقصي لابن عبد البر، ومسند الطيالسي، والأدب المفرد، ومسند عبد بن حميد، ومسند البزار، وعمل اليوم والليلة.

وأخذ معاجم الطبراني الكبير والوسط والصغير عن الأمير وغيره من شيوخه المصريين المذكورين في أسانيد الموطأ، وكذلك مكارم الأخلاق للطبراني، ومسند أبي يعلى التميمي الموصلي، ومسند ابن مخلد الشيباني.

وأخذ صحيح ابن حبان عن العروسي وغيره من المصريين وكذلك سنن الدارقطني، ومستدرک الحاكم، والحلية لأبي نعيم، ومسند الإمام أبي حنيفة، - ومن طريق الجزائري أيضا - ومسند القضاعي، وأخذ مسند الفردوس عن الأمير وغيره من المصريين، وكذلك كتاب الفرج بعد الشدة لابن أبي الدنيا، وكتاب ذم الملاحى، وكتاب قصر الأمل، وكتاب التوكل، وكتاب محاسبة النفس كلها له، وعن العروسي وغيره من المصريين كتاب اليقين، وعن الأمير وغيره من المصريين كتاب الدعاء، وكتاب الشكر لابن أبي الدنيا، وعن ابن الحسن بناني والأمير وغيره من المصريين مشكاة الأنوار لابن عربي، وكذا سائر كتبه.

وعن بناني والجزائري والعروسي الأربعة للنووي، وعن الأمير وغيره من المصريين الأربعة للباخرزي، وكذلك الأربعة حديثا لأبي منصور النيسابوري، والأربعة للشيباني، وعن العروسي الأربعة لأبي بكر الأجرى والأربعة للبلدانية للسلفي، وعن الجزائري والأمير والعروسي والجوهري المصايح للبعغوي.

وعن الغازى بن عبود، وابن الحسن بنانى، والجزائرى، والشيخ مرتضى الشفاء للقاضى عياض وسائر كتبه، وعن الأمير وغيره من المصريين مشكاة الأنوار للتبريزى، وعن العروسى ثلاثيات عبد بن حميد تخريج الحسينى، وعن بنانى والجزائرى والجوهرى والعروسى الجامع الكبير والصغير للسيوطى، وعنهم أيضا الترغيب والترهيب والشمائل للترمذى، والجوهرى معانى الأثر، وعن الأمير وغيره من المصريين عوارف المعارف، وعن الجزائرى والأمير والعروسى مصنفات الصاغانى، وعن الجزائرى والأمير كتاب شرف أصحاب الحديث للخطيب البغدادى، وعن الأمير والجوهرى مسند الهداية للبرهان المرغينانى، وعن العروسى والأمير وغيره من شيوخه المصريين سنن البيهقى، وعن الأمير متقى ابن الجارود، وعنه وغيره من المصريين مسند ابن أبى شيبه، ومسند أبى عوانة، ومسند سعيد بن منصور، وصحيح ابن خزيمة، والخلعيات للموصلى، ومسند الحارث بن أبى أسامة، وصحيح الإسماعيلى، وتأليف أبى الشيخ، وكتاب الزهد والرقائق لابن المبارك، ونوادر الأصول للحكيم الترمذى، ومسند ابن راهويه، والدرة الطاهرة للدولابى، ومسند بقى بن مخلد، وتاريخ ابن معين، ومصنف وكيع، وتأليف أبى مهدى عيسى الثعالبى الجزائرى ثم المكى، وابن شاهين، ومسند الحميدى، ومعجم ابن قانع، وعشاريات القلقشندى، والفوائد الغيلانيات وتأليف الحسن بن عرفة وأصول الإسلام الأربعة للدانى، ومكارم الأخلاق للخرائطى، ومصنفات ابن أبى حاتم، ومؤلفات الخلال، وجامع الأصول لرزين وتأليف ابن الجوزى وأبى بكر الأزرق، وعن العروسى كتاب القرية لرب العلمين، فى فضل الصلاة على سيد المرسلين، لابن بشكوال، ومشيخة ابن البخارى، والإعلام، بفضل الصلاة على النبى عليه الصلاة والسلام للنميرى.

وعن الأمير تأليف عبد الحق، وتأليف السهيلي، وشرح ابن ماجه للبرهان الحلبي، والعشرة الغوالى للرئيس الأصبهاني، وعن بنانى الأبى، وعن الشبراوى

تيسير الأصول، ومؤلفات البقاعي، ومؤلفات إسماعيل اليمنى، والقاضى المزجد وشرح الشفا للدجلى .

وكذلك روى عن أولئك الشيوخ تصانيف العراقي، والسحماوى، والسنباطى وزكريا، وابن حجر، والقسطلانى، والزرقاتى، والشبراماسى، والغيطى، والمناوى، والمهيشمى، والشوبرى، والفرغانى، والذهبى، والقرطبى، وابن عبد البر، ومقدمة ابن الصلاح، وشرح البخارى لابن الملقن، والكرمانى والفصل بين الراوى والواعى لابن خلاد.

وروى عن شيخه الفاضل العالم النبيل الكامل المسن البركة الشيخ عبد العزيز ابن حمزة المراكشى المسلسل بالأولية سمعه منه بالحرم المكى تجاه الكعبة، وبالحرم المدنى تجاه قبر النبى ﷺ، وهو سمعه من مرتضى، وعن بنانى وغيره من الشيوخ المذكورين المسلسل بالمصافحة والمشابكة والسبحة، إنى أحبك، وقراءة سورة الصف، والقبض على اللحية، وسلسلة الذهب، والمحمدين، والمصريين، وقراءة الفاتحة، ومناولة الطاقية القادرية المعروفة فى المغرب بالعراقية، ومسلسل تلقين لا إله إلا الله، ومسلسل الصوفية والفقهاء، وقول: والله إنه -حق إن شاء الله، وقول: جعلك الله نوراً يستضاء به فى المشارق والمغرب فى الأذن اليمنى، ومسلسل قص الأظفار يوم الخميس ومسلسل يوم العيد ويوم عاشوراء والأحمدين.

وكذلك روى الاكتفاء، وعيون اليعمرى، والدرر لابن عبد البر، وتاريخ ابن خلدون، وسيرة ابن إسحاق، والواقدى، والحلبى والشامى، وابن فارس، والمحب الطبرى، وشرح ألفية العراقي لياسين الخليلى.

وأما مصنفات علوم القراءات فروى منها مؤلفات الشاطبى، واليسير وشرحه، ونظم الفريد، وتهذيب الخافقى، ومؤلفات الصّفّار، وأبى الحسن بن سليمان، والجعبرى، وتعريف السهلى فى المبهمات، ومقنع الدانى، وممتع ابن

الكماد، ومختصر ابن البقال، وتكملة القيحاوي، والحصرية والحاقانية والبارع،
روى ذلك عن شيوخه ابن عبد السلام الفاسي، والشيزمي وغيرهما.

وروى في علم الرسم والضبط تأليف الخراز، وابن نجاح، وابن عاشر، وابن
بري، وشرح الخراز للتنسي، وأبو جبر على الدر لابن مسلم.

وعن الأمير بمحضر جماعة من العلماء بالزواية الناصرية المجاورة لداره بمصر
القاهرة في سادس عشر شوال عام ثلاثة ومائتين وألف، المسلسل بالضيافة على
الأسودين، والمسلسل بقول أشهد بالله وأشهد لله كما قال ذلك المترجم عن نفسه
في ثبته.

وعن ابن الحسن الوكيل، وابن الحسن بناني، والعروسي، تفسير ابن عطية،
وسائر مصنفاته، وهداية مكى.

وعن الغازي بن عبود، وابن الحسن الوكيل، والجزائري، تفسير البيضاوي
وسائر مصنفاته.

وعن بناني، والأمير تفسير ابن جرير.

وعن بناني تفسير الثعلبي، وعنه وعن الأمير والعروسي تفسير الواحدى،
وتفاسير أبي حيان الثلاثة.

وعن بناني تفسير أبي السعود، والكواشي، وعنه وعن العروسي تفسير
الفخر الرازي.

وعن الجزائري والجوهري والعروسي تفسير البغوي وسائر مؤلفاته، وكذلك
روى تفاسير السيوطي وبقى ابن مخلد، والمحلى، والخازن، والسفاقي،
والحاتمي، والثعالبي، والزمخشري، والماوردي، والسلمي، والاعتبار للحازمي،
وبيان المن لابن الطليسان، وأخلاق حملة القرآن للأجري.

وروى عن والده محمد بن محمد بن عبد الرحمن بصرى، عن أبى القاسم العميرى، عن أبى العباس الشدادى، عن أبى العباس بن الحاج، عن سيدى عبد القادر الفاسى.

وكذلك عن ابن الحسن بنانى والشيخ التاودى كلاهما عن ابن عبد السلام بنانى كتب الفقه المالكى، كمختصر خليل، وابن الحاجب، ودؤلفات البرادعى، وابن عرفة، والقرافى، والمواق، وابن أبى زيد، وابن عبد السلام، وابن رشد، وحلولو، والرصاع، والبرزلى، والمشدالى، وابن ناجى، والتتائى، والمقرى والوانوغى، وابن الجلاب، والفاكهانى، والمازرى، وابن بشكوال، والخرشى، وابن راشد، والبساطى، والقباب، واليزناسنى، وابن فجلة الزرقانى، والجنان، والخطاب، والمكناسى، والزقاق، وعبد الرحمن الفاسى العارف، ويابا السودانى والسنهورى، والبدر القرافى، والمعيار، والمنجور، وابن فرحون، وابن جماعة، واللقانى، وابن رحال، والنفراوى، والأجهورى، وعبد الوهاب، وابن شاس وابن عمر، وابن عاشر.

وعن الجزائرى، والعروسى، والأمير، والبيلى، والشيخ مرتضى، والشيخ الجمل عن عطية الأجهورى فقه الشافعى.

وروى فى الفقه الحنفى عن التاودى ومرتضى عن مشاهير علماء الحنفية، وروى فقه الحنابلة عن التاودى وصالح المقدسى.

وروى من الفهارس فهرسة ابن غازى، وابن حجر، وزكرياء، والمتورى، والقصار، وزروق، وابن الزبير، والوادى آشى، والبديرى، والبصرى، وأبى سالم العياشى، وحسن العجيمى، ورحلة ابن رشيد.

وروى فى علم الكلام مصنفات الأشعرى، والرازى، وابن زكرى، والسنوسى، والنسفى، وإمام الحرمين، والكورانى، والماتريدى، والعضد، والسعد، والباقلانى، والبقاعى، واللقانى.

وروى فى أصول الفقه مصنفات التقى السبكى وولده التاج، والمحلى
والعراقى، وابن أبى شريف، وابن دقيق العيد، والعضد، والعصام، وابن
الحاجب، ومراصد الفاسى .

وروى فى النحو كتاب سيبويه، ومصنفات ابن مالك، وابن هشام،
والمكودى، والبجائى، ويحيى الشادى، والراعى، والزياتى، والقدمى، وابن
المجراد، والشاطبى، وأبى حيان، وابن آجروم، والسيوطى، وابن الحاجب،
والعينى، والمرابط الدلائى، وعبد السلام القادى .

وروى فى علم المعانى والبيان تأليف الفزوينى، والعباسى، والجرجانى،
والعصام، والسعد، والجربى، والولالى .

وروى فى اللغة وفقهها القاموس، والصحاح، وأفعال ابن القوطية،
والفصيح، والزبيدى، وألغاز ابن السكيت، والمقصورة الدرديدية، والحازمية،
وأدب الكتاب، ومصنفات الحريرى، وأبى منصور الثعالبى، والقلائد، وديوان
الستة وشعر المتنبى، وأبى تمام، والمعرى .

وروى فى الأنساب تأليف الرشاطى، وعبد الحق، وفى علم التعبير المرقبة
العليا، وابن جابر، وفى العروض الخزرجية وشرحها للغرناطى، وزكريا، وفى
المنطق شروح السلم لآبى مدين السوسى، والعربى بردلة، وقدورة، وشرح
المختصر للولالى، وفى علم الأوفاق تأليف العربى الفاسى والجزنائى، وفى
الهندسة كتاب ابن ليون، وابن الرقام .

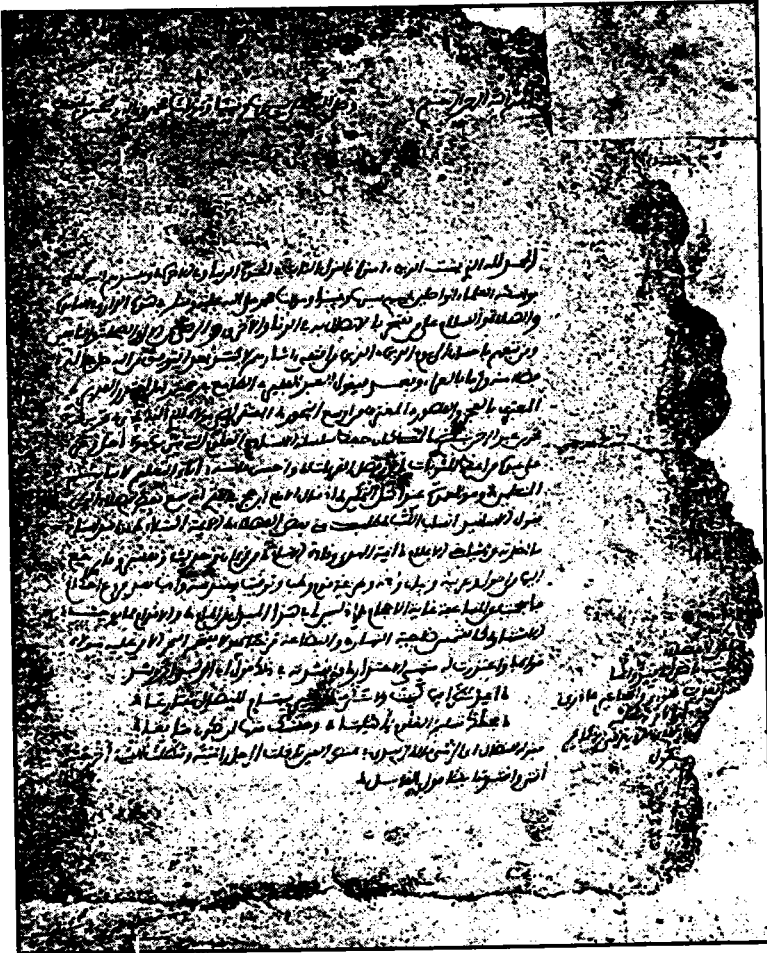
وروى فى الطب تأليف ابن زهر، والحفيد ابن رشد، وابن الخطيب،
والشقوقر، وابن نفيس، وفى الحساب مؤلفات القلصادى، وابن البناء، وابن قنفذ،
والمنية .

وروى فى الفرائض الحوفى، والتلمسانية، وشرحيهما للسوسى، وكتب الطنجائى، والعقبانى، والقلصادى، والسيتانى.

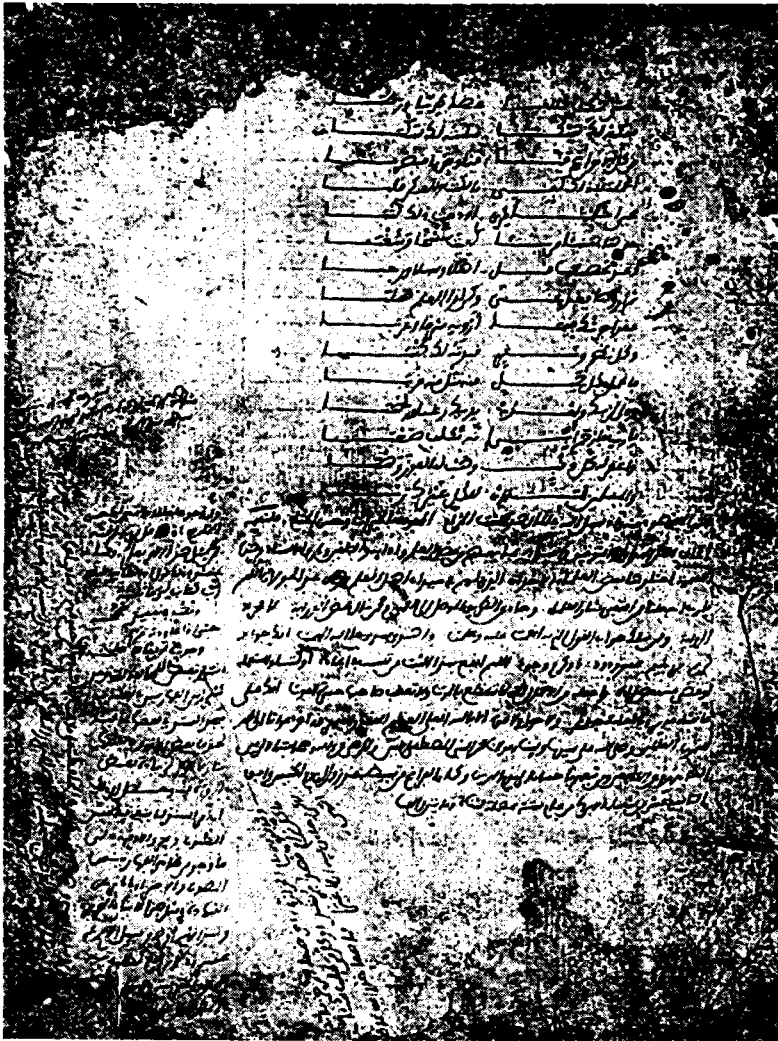
وروى فى التوقيت والتعديل والأسطرباب روضة الجادرى، وشرحها للماوسى، والزجنى، وابن القاضى، وكتب ابن الرقام، وابن الكماد، وابن البناء، وابن الحباك.

وفى التصوف روى كتب زروق وابن القميم، وابن عطاء، وابن عباد، والساحلى، والبوصيرى، والسبباطى، والقوت، وتذكرة القرطبى، وصفوة ابن طاهر، ومصنفات الشعرانى، والنوى، واليافعى، والقصرى، والحرانى، وابن الفارض، والسهورردى، وإمام الحرميين، والغزالى وابن مت الهروى، والقشيرى، وأبى مدين، والجيلانى، وابن مشيش، والشاذلى، حسبما هو مبسوط بأسانيده المتعددة وطرقه فى ثبته المشار له آنفا.

مؤلفاته: منها ثبته الحفيل الدال على غزارة علمه وسعة رحلته وشدة اعتناؤه بالدراية والرواية المعنون بإتحاف أهل الهداية والتوفيق والسداد، بما يهمهم من فضل العلم وآدابه والتلقين وطرق الإسناد، قال فى أوله: رأيت هذا الأمر على أكيد، إذ قطعت على أخذ العلم دراية ورواية بعض مشارق الأرض ومغاربها برها وبحرها بريدك فى بريد، ومع ذلك تخاطب بلسان حالها هل امتلأت؟ وأقول أما من الخيرات فلا نقنع بل هل من مزيد، ذكر فيه أسانيده أولاً، ثم أوائل كتب الحديث، وختمه بأبواب وفصول فى فضل العلم وآداب الطلب وما يتعلق بذلك من الفوائد مع ذكر الشيوخ الذين أخذ عنهم بالقراءة أو الإجازة، وثبته هذا بخطه فى أصله بمكتبتنا، ومنه انتسخت بعض النسخ لبعض أصدقائنا وقد سقطت منه بعض أوراقه فى موضوعين أولها عند ذكره أوائل كتب الحديث، والثانى عند ذكر شيوخه.



أول صحيفة من فهرس بصرى بخطه في مسودته



آخر صحيفة من فهرس بصرى بخطه

أما وفاة المترجم فلم أقف عليها، نعم صرح هو عن نفسه بأن تاريخ فراغه من تبييض ثبته المذكور كان زوال يوم الخميس التاسع عشر من شعبان عام ستة ومائتين وألف كما ذلك بخطة آخر الثبث المذكور.

وقد أضاعه قومه خصوصا، وأهل بلده عموما، وأى فتى أضاعوا، فلم أر من يعرفه من أقاربه وبنى جلدته فضلا عن يعتنى بالأخذ والرواية عنه أو بشيء من آثاره وأخباره.

وهذا البيت البصرى قد أفككت اليوم شمسوه وأقماره فلم يبق فيه أحد ممن يذكر بعلم أو فهم على ما سلف فيه من الأئمة الأعلام والأولياء الأخيار.

٢٦٥ - محمد بن العلامة القاضى أبى عبد الله محمد الطيب بن محمد بن عبد الرحمن بن أحمد بن عبد الواحد بن محمد بن أحمد بن عبد الرحمن بن ولى الله أبى موسى عمران بصرى.

أحد كبار الأولياء العظام الشان.

حاله: له فى المعقول والمنقول رسوخ وثبات، وهجوم على حل الغوامض ووثبات، إمام همام، تاج مفرق الأعلام، مدرس نفاع.

مشيخته: أخذ عن الغازى ابن عبود، وأبى حفص عمر الفاسى، وغيرهما.

الآخذون عنه: أخذ عنه أبو عبد الله بصرى صاحب إتحاف أهل الهداية ألفية ابن مالك وبعض مختصر خليل، وأخذ عنه غيره من النقاد.

وفاته: توفى ضحى يوم الجمعة تاسع رجب عام ثمانية ومائتين وألف ودفن بعد صلاة الجمعة بزواية سيدى محمد الغمارى، قرب سيدى عمرو بوعودة، وقبره ما بين السارية الأولى عن يسار الداخل، وبين الباب مستصلا بالسارية، وحضر جنازته خلق عظيم رحمه الله ورضى عنه.

٢٦٥ - من مصادر ترجمته: إتحاف المطالع فى الموسوعة ٧/٢٤٥١.

٢٦٦ - محمد بن عبد الوهاب بن عثمان الكاتب السفير الرحالة الوزير

الكبير المكناسى النشأة والدار.

حاله: فقيه علامة أديب أريب نبیه، حسن البديهة، قوى العارضة، شاعر مفلق، نقاد كاتب بليغ، يطرز كتابته بفنون البلاغة والإنشاء، وفق ما يشاء، اصطفاه أمير المؤمنين سيدى محمد بن عبد الله لسرد الكتب وهو إذ ذاك فى عنفوان شبابه، وقد كان مورقا وواعظا بمحل أبيه، ثم اتخذه كاتباً فى بساطه الملوكى، ثم قلده الولاية بتطوان مدة أعوام كما للزيانى فى الفهرسة، ثم استوزره. وكان من أهل الفضل والدين قائما بمأموريته أحسن قيام، وكان منقطعا لتيمة الأشرف مولاى على بن أمير المؤمنين سيدى محمد بن عبد الله، وله فيه أشعار رقيقة وأمداح رائقة فغمره إحسانا وإنعاما وامتنانا.

ثم استعمله السلطان المذكور فى السفارة بينه وبين الدول، فجال بسبب ذلك فى أوروبا وإفريقية وآسيا وما بينها، أرسله أولا سفيرا عنه لدولة إصبانيا وملكها كارلوس الثالث للنظر فى أمر الأسارى المسلمين الذين عندها وكان ذلك سنة ١١٩٣، فعقد معها معاهدة، وألّف فى ذلك رحلة.

قال «شيني» قنصل فرنسا لذلك العهد بسلاّ فى صحيفة ٥١٩ من الجزء الثالث من كتابه عن المغرب المطبوع بباريس سنة ١٧٨٧: إن الخلاف الذى وقع بين فرنسا وإنكلترا غير الحاله الساسية بأوروبا، فرأت إصبانيا أن ذلك يساعدها على تجديد العلاقات مع المغرب، فجدد السلطان معها الصلح والعلائق إجابة لسعيها وذلك سنة ١٧٨٠ بواسطة ابن عثمان وقبل بكل ارتياح جميع المطالب الإصبانية.

ثم وجهه ثانيا سفيرا لحكومة مالطة وناپولى فباحث الأولى سنة ١١٩٥ فى شأن الأسرى، وعقد مع ملك نابولى اتفاقا، وألّف فى هذه السفارة رحلة أخرى.

٢٦٦ - من مصادر ترجمته: إتحاف المطالع فى الموسوعة ٧/٢٤٦٣.

ثم رحل للحج مقلدا التكاليف المولوية فى سفارة ثالثة للدولة العثمانية وذلك سنة ١٢٠٠، وكانت مبارحته رباط الفتح - حيث كان حلول الركاب الشريف ثم - مهل المحرم فاتح السنة المذكورة ودخل القسطنطينية العظمى ودمشق الشام والقدس الشريف وزار الخليل ودخل الجزائر وتونس وتلمسان، ولقى أعلام تلك البلاد، واستفاد وأفاد، ثم أب لمسقط رأسه، ومحل أنسه، مكناسة الزيتون، حيث له الأهل والإخوان والبنون، ضحوة يوم الثلاثاء لست بقين من شوال عام اثنين ومائتين وألف وكتب فى ذلك رحلة أخرى، وقد أسلفنا شرح ما وقع له فى هاتين السفارتين ملخصا من رحلتيه فيهما فى فصول العلائق السياسية من الترجمة المحمدية.

ثم عثرت بعد ذلك على كلام بعض المؤرخين من الإفرنج يدل على أنه تولى السفارة أيضا للسُلطان المذكور إلى إمبراطور النمسا، وأنه تولى السفارة من بعده لولده مولاى اليزيد إلى دولة الإصبان، فقد ذكر «أكرايبر دى همسو» فى صحيفة ٢٣٤ من كتابه الموضوع باللغة الإيطالية المسمى (بالمظهر الجغرافى والتاريخى للمغرب) المطبوع بجنيف سنة ١٧٣٤: أن ابن عثمان توجه سفيراً لنابولى ثم سار منها سنة ١٧٨٣ إلى فينا عاصمة النمسا من قبل السلطان لعقد معاهدة سلمية تجارية بين الدولتين، وكان إمبراطور النمسا يومئذ: جوزيف الثانى.

وقد تكلم على هذه السفارة أيضا القنصل شينى فى كتابه المذكور وطوماسى فى صحيفة ٣٠٥ من كتابه: المغرب وقوافله أو علائق فرنسا مع المغرب، المطبوع بباريس سنة ١٧٤٥ إلا أنهما لم يتعرضا لاسم السفير الذى هو ابن عثمان صاحب الترجمة.

وقال همسو المذكور فى صحيفة ٣٦ من كتابه: مختصر الأدب التاريخى فى المغرب، وهو جزء صغير تعرض فيه لذكر من ألف فى المغرب من سائر الدول طبع بليون سنة ١٨٢٠: أن عثمان كان وزيراً صدراً عند السلطان سيدى محمد بن

عبد الله، وأن بعض رجال حاشيته المرافقين له فى سفارته لنابولى وفينا ألف رحلة فى جزء صغير، وأنه رأى نسخة من هذه الرحلة وبها صور وأبنية شاهدها بأوربا.

وذكر همسو أيضاً فى كتابه المذكور أن المولى اليزيد وجه ابن عثمان سفيراً لمدرید، ولم أر أحدا غيره تعرض لهذه السفارة، وعلى كل فقد حفظ زيادة على أنه للمنافى لقوله: ولما وردت سفارة أصبانيا على المولى سليمان لتجديد المعاهدات السابقة بينها وبين المغرب كلف وزيره المترجم بمفاوضتها وإمضاء ما يقع الاتفاق معها عليه فعقد معها معاهدة عام ١٢١٣ الموافق لعام ١٨٩٩ المشتملة على ثمانية وثلاثين مادة وشرطا، وفى صحيفة ٦١ من السنة الثامنة من جريدة النيطور الجمهورية، أن هذه المعاهدة التى أوقعها ابن عثمان مع إصبانيا تعد خطوة جديدة فى سبيل التقدم والمدنية، وذكر طماسى المذكور فى صحيفة ٣٦١ من مؤلفه المشار إليه أن مولاى سليمان ووزيره الأكبر ابن عثمان عرفا كيف يقاوما أعداء فرنسا وإصبانيا حليفتهما، فلذلك لما بعثت إصبانيا هداياها للسلطان وتبعته إنكلترا بهداياها التى ضاعفت فيها هدية الإصبان سعيا فى قطع علائق الدولتين مع المغرب لم تنجح فى مساعيها.

هذا وقد كانت بين صاحب الترجمة وبين عصره ومشاركه فى الكتابة والتقدم أبى القاسم الزيانى المؤرخ منافسة تعرض الزيانى لبعضها فى رحلته الترجمانية وغيرها من كتبه، ونال من المترجم على عادته مع معاصريه وغيرهم، قابله الله بالعفو والغفران أمين، وذكر أنهما اجتمعا معا فى الأستانة وكل منهما حامل لأوامر ملوكية، وأن الدولة العثمانية اعتنت بالزيانى لمحافظة على آداب السفارة بين الملوك أكثر من اعتنائها بالمترجم مع كونه هو السابق فى الورد عليها، وأن المترجم غار من ذلك وحدثت بسبب ما ذكر بينهما وحشة تفصيلها فى رحلة الزيانى.

مشيخة: أخذ عن أمير المؤمنين مولانا سليمان .

وأخذ بالقدس عن القدوة البركة العارف الشريف الشيخ أبي السعود محمد الماذون بالخلوة القادرية والخلوتية، قال عن نفسه: وصافحني بمصافحة شيخه في الطريقة السيد مصطفى بن كمال الصديقي الدمشقي البكري الخلوتي، عن الشيخ عبد اللطيف بن حسام الدين الحلبي، عن الشيخ مصطفى أفندي الأدرنوي، عن الشيخ علي خرباش، عن الشيخ إسماعيل الجروي بسنده المتصل المذكور في رحلة المترجم .

ولقي بالشام الشيخ المحدث سعد الدين الحنفي حفيد الشيخ عبد الغني النابلسي، والشيخ كمال الدين محمد بن محمد الدمشقي الشهير بالغزى مفتي الشافعية، ومفتي الحنابلة الشيخ إسماعيل الجراعي، ولقي بتونس صالح علمائها الشيخ أحمد بن عبد الله بن محمد السوسي السكتاني المغربي، أخذ أبوه عبد الله عن سيدي أحمد بن ناصر ومكث مجاورا بين مكة والمدينة سبعا وعشرين سنة ومات بتونس سنة ١١٧٧ .

مؤلفاته: منها الإكسير؛ في فكاك الأسير، وهي رحلته في سفارته الأولى لإصبانيا، ومنها: البدر السافر، لهداية المسافر، إلى فكاك الأسارى من يد العدو الكافر، وهي رحلته في سفارته الثانية لمالطة ونابولي منها نسخة بخزانتنا، ومنها إحراز المعلى والرقيب، في حج بيت الله الحرام وزيارة القدس الشريف والتبرك بقبر الحبيب، وهي رحلته التي كتبها في سفارته الثالثة وحجته وهي موجودة بخطه في مكتبتنا أيضا، ومنها أيضا منظومة في المناسك .

شعره: من ذلك قوله:

جاء من طال ما تشوقت النفس نس إليه بشرى لنا وهنيه

أنعش الروح شم رياه لولا
إذ تداعوا بالأمس وسط نهار
فتأخر عن لقاء محقا
هكذا الشأن ما تقولون أنتم
فأجابوا أما ترى الشمس ولى
قلت فى الفقه إن تبدى هلال

ذاك لم تبق فى الحياة بقيه
درة الملك قد أتتنا جليه
فارتقاب الهلال يلقى عشيهِ
عن يقين قلتم وصدق ونيه
نورها كاسفا رأته البرى
فى نهار أعطوه حكما وليه

وقوله مداعبا بعض أصدقائه وقد أخلف ما اعتيد منه من الزيارة لشغل
عاقه، وكان يبعث له كل يوم يقول غداً آتى:

إن عهد الملاح ليس بواف
إلى أن قال:

مثل سائر لأهل النسب

علانى بكاذب الوعد دأبا
ليت شعرى إذا الصدود جفاء
إلى أن قال:

فانتظار الآمال يطفى لهيبى
أم حذار من وقع عين الرقيب

موقدا فى الفؤاد نار غرام
إلى أن قال:

موقدا فى الحشاء جيش نحيبى

جد بوصل ولو بطيف خيال
وتدارك حشاشة القلب إذ كا
طمعى الآن فى الوصال قوى
يصدق الفجر بعد ما يتجلى

إذ هوى النجم فى الدجى للغروب
ن لمشاوكم من الموهوب
وشفيعى فى نيله المرغوب
كاذبا فى الآفاق غير مغيب

وقوله وقد تعلق به بعض أصدقائه كان اشترى جارية فوجدها تبول في الفراش، فأراد ردها إلى البائع فامتنع في خطاب قاضي البلد:

يا أيها القاضي الإمام الكامل
وابن السبيل والغريب قدما
ضيفكم الفقيه إسماعيل
قد اشترى من ذى البلاد جارية
فلم يرى من خيرها علامة
تبول بالليل على الفراش
منتنة الريح وعكسه إذا
كفارة المرحاض أو كعجل
لا مثل نتن جيفة أو حيض
لولا هبوب الريح ذات المدد
نظل بالبخور طول الأبد
أما ثيابها فدأبا تصطفق
عيناه من صنائها في كمد
أسفاره إن لم تدارك سقطت
يقبح أن يأتى لنيل رفعة
مع تحمل نوى الأسفار
عيناه من جواركم فى حرم

وكافل الأيتام والأرامل
يشمله الإحسان منه حتما
يبيت بالليل له عويل
يحسبها على المراد جارية
أعيب من بغل أبى دلامة
على الثياب وعلى الرياش
حذفت ياء فتحت به أذى
فقد أضر ريحها بالمقل
أو كظة ممزوجة بهيض
وكوننا فى منزل عن بعد
أضر ننتها بأهل البلد
تقطر من أبوالها وتلتزق
ولو ثوى فى جبل من إثمذ
والتزقت أجفانه واختلطت
ويتترك الزغب تحت الدفنة
يرجع للأهل بلا أسفار
من بائع على الإحسان برم

فهو بما ضره غير معتبر
فاستنقذنه وادفعن عاره
وهو مع العلم الذى يمت
فى كل بقعة وكل أرض
هان على الأملس ما لاقى الدبر
وراع فيه جانب الإمارة
به إليكم شكركم يبت
وكل إقليم ليوم العرض

وكتب من المدينة المنورة لصاحبه الشيخ كمال الدين الغزى مفتى الشافعية
بدمشق مع تمر من تمر المدينة بعثه اليه، وسبحة من النوع المسمى باليسر:

أحى مقاما خص بالرحب والبشر
تحية حب لا تزال معادة
وأهدى إلى الذات الكريمة سبحة
ومن طيبة جنتك بالعجوة التى
ليغتك منها لونها-وسوادها
فهيتى لها منكم قبولا أعده
كما خصصت أنفاسه بذكى النشر
ييوم إذا يجرى وليل إذا يسرى
تظل بها يملك ملأى من اليسر
أحب رسول الله من سائر التمر
من المسك-عن عرف وعن عنبر شحرى
لدى ذكركم يوم السلو من الذخر

وقوله من قصيدة فى الشيخ عبد الغنى النابلسى دفين صالحية دمشق:

مناقبه الكثيرة لا تنهى
دواوينه من الأمداح ملأى
فلم يترك إلى غير مقالا
فصاحته من الرحمان فيض
فنشر حديثه فى كل حى
لصحب أو ولى أو نبى
وآب الكل ذا حصر وعى
فما سحبان أو غيلان مى

نثره: من ذلك قوله فى وصف القسطنطينية العظمى، التى فاقت حواضر
الدنيا ترتيبا ونظما، إن قلت بلد، اتكالا على مالها من التخصيص فى القلب

والخلد، فقد أضعت حقها، ويبقى الاحتمال فى أن يكون هناك من هو فوقها، وإن قلت مدينة واقتصرت، فلا منعت دخول غيرها ولا حصرت، وإن قلت إقليم فقد يشتمل على عمران وخراب، وبحران وسراب، والحق أعلى، وتأدية الحقوق من أخبارها أولى، وما رأيت ما يؤدى وصفها ومعناها، وما اشتمل عليه أقصاها وأدناها، فهى محشر الأمم ومحط الرحال وبحر العمران وغاية القصاد، والمورد العذب للوراد، لا يوقف فى وصفها على حد، ولا يتناهى فى مآثرها ومحاسنها على عد، فلها المساجد التى بهرت، وبالتدريس وطلاب العلم ازدهرت، إلى أن قال: إلا أن بردها عاصف، وقرها لا يصفه واصف، لا يرده دثار، ولا موقد نار، فهى إناء للثلج المنسوب، فتنبو عن المضاجع من قرها الجنوب.

وقوله من فصول استدعاء لبعض أصدقائه: وإنا لنتظر قدومك علينا قبيل الشمس شروقا، والإبريق يصطك فؤاده لسقياك حقوقا، حتى نقضى من منادمتك حقوقا، والساقى مشمر عن ساق، والإبريق متأهب بما يليق لأن يراق، والكاس، بحلى عسجدية كاس، والكل للقياك متأهب. وبطاعتك متقرب.

وقوله موجبا لبعض الخاصة من أصدقائه: أبقاك الله لطفرة تحليها، وبنات أفكار بدر نثارك تحليها، ونادرة تردفها بأخرى تليها، تلك رياض تفتحت عن أزهارها أكمام، ولات حين للأزهار إمام، هذه يقظة أو منام، نهدي بالرياض لم ينتج الآن لشممام، أو ذاك مسك فض عنه ختام، تحيرت فى ذلك أظنه سحرا أجل نفث به حبر وإن شئت بحر فخذ أمام، إمام تجلت بطلعته الأيام، وتجمعت له شوارد العلوم فتسنى له بعد تفرقها التمام.

أما الأدب فهو بعض بعض فنونه، ورشوحه من معين انهمار عيونه، أما تراه قدوة للأنام، حل من درى المعقول والمنقول حيث لا محل للمحلى، وأرى فيما أبدع من البدائع على بدائع الحلوى، أليس معدودا فى إحراز السبق فى مرتبة لو

كانت قبل المجلى، وأما ذكاؤه فهو شهاب يتوقد، والمعية فى كل آونة تتجدد، فقد غدا إياس، عن إدراك شأوه ذا إياس، عذبت مفاكته، وعدمت مشاكته، روى بسهمه فى أغراض المداعبة فقرطس، واستخرج من لجج بحارها ما أعجز من غطس، ما أطفه تشبيها، يشهد للمشبه بأن له شبيها، فى ذكر القلانس والخطيب، فقد هصرت من أفنان البلاغة كل غصن رطيب، وما أعلى منازعك، علوت منازعك، ولو حضر لأذعن لك ابن الخطيب، وقد وصف سيدى ما استحسنت من المجلس والساق، وساق ذلك أحسن مساق، فأبدع ما شاء فى تناسب واتساق، وإحكام المبنى، وتسديد اللفظ لغرض المعنى، والخروج من معنى لآخر حيث لا شعور للسامع، شاغلا له بيوارك سحرك اللامع.

غير أن سيدنا يسر حسوا فى ارتغا، وما أدرى ما الابتغا، فقد رأيت راجع الالتفات، لاستدراك ما فات. وللنظرة ومدى استنزر. ولصيده فى جوه حلق واستنسر. وذكر أنه ما عرض عنه إلا لتوهمه أنى هيأته لنفسى فاستأثرت به. وإلا لالحفه بثوبه. فإن كانت المثابة العلية عن يقنع بنظرة. وإن أعقت حسرة وتمذهب بمن قال:

وهويته يسقى المدام كأنه قمر يطوف بكوكب فى مجلس

فقد استوفى حظه. وأنال مراده لحظه. وليكتف بذلك أدام الله حفظه. ولم تبق له منة على فى استبقائه. حيث استسقى الشمائل السالفة عند المعاطفة من تلقائه، وإن يقنع بذلك المقذور من التغزل، وأراد من خلع العذار كمال المرام من التنزل، وتمذهب بقول الآخر:

وضمته ضم البخيل لماله أحنو عليه من جميع جهاته

فلا ملام. على اغتلام، فالمجلس والغلام مع كمال المرام، ولعل بتيسر الجمع تجردكم عند الانفصال غمام، هذه دعابتى بعثت بها إلى محل كمالك،

وعظم جلالك، ثقة ببرك. ورحيب صدرك، واعتمادا على تحملك للمداعب، وإغضائك عن المعائب. فأغض أبقاك الله واسمح. وبعين الصبح والتجاوز فامنح.

وفاته: توفى فى مراكز الحمراء بالوباء العام بحواضر المغرب عام ثلاثة عشر ومائتين وألف.

٢٦٧ - محمد بن قاسم بن حلام المكناسى الدار والقرار.

حاله: خاتمة أعلام عصره فى تقرير مختصر خليل بالزرقانى، وبنانى حسبما وصفه بذلك بعض تلاميذه، فقيه جليل، مدرس نفاع حفيلى، تولى نيابة القضاء والأحكام الشرعية، بالعاصمة المكناسية حسبما وقفت على نسخة رسم مسجل عليه محلى فيه بالعلم والتدريس، والنيابة عن قاضى الجماعة بالحاضرة المكناسية المولوية بتاريخ منتصف ربيع الثانى عام خمسة وعشرين ومائتين وألف، وعدلاه العلامة القاضى مولاي أحمد بن عبد المالك الحسنى السجلماسى المترجم فيما مر، والسيد محمد بن عبد القادر بن عمر المكناسى.

الأخذون عنه: منهم أبو العباس أحمد الأغزاوى المدعو الجبلى المترجم فيما مر.

وفاته: توفى سنة أربع وثلاثين ومائتين وألف، ودفن بالمباح الجديد من ضريح المولى عبد الله بن حمد، دفن خارج باب البرادعيين من مكناس، الموالى لكدية العشاق المبنى سنة نيف وعشرين على عهد السلطان المولى سليمان رحمه الله كذا فى بعض تقايد أبى العباس المذكور وأخذ عن المترجم.

٢٦٧ - من مصادر ترجمته: إتحاف المطالع فى الموسوعة ٧/٢٥٠٤.

٢٦٨- محمد بن عبد القادر بن محمد فتحا بن عبد القادر بن علي بن
موسى بن المير الصبيحي النافعي الغربوي أصلا الزرهوني داراً ومدفنا
يعرف بابن قدور.

حاله: فاضل دين، خير ناسك ورع، فقيه متضلع جليل، علامة معتمد في
الفروع والأصول، مفت مدرس، بركة كامل، تولى قضاء الجماعة بالحضرة
المكناسية المولوية الهاشمية، وقفت على رسم حبسى مسجل عليه بالحوالة المشتركة
بين الكبرى والأحمدية أعنى المنسوبة لمولاي عبد الله بن حمد بتاريخ تسعة عشر
ومائتين وألف، وذلك بصحيفة مائتين وثلاثة عشر محلى فيه بالعلم والفضل
والتدريس والتحقيق والإتقان وقضاء الجماعة بالحضرة الهاشمية المولوية السلطانية
مدينة مكناسة، وآخر بتاريخ أربعة عشر ومائتين وألف، وآخر تأدية بصحيفة مائتين
واثنى عشر، وآخر بتاريخ سبعة عشر ومائتين وألف وفيه زيادة نسبة النافعي بعد
نسبة الصبيحي.

حدثني ابن عمنا العلامة الثبت المحقق سيدي محمد بن أحمد العلوي أنه
أخبره بعض المسنين عن أدركه يتعاطى خطة الشهادة سماعاً من الشريف الفقيه
سيدي عبد الواحد الإدريسي، أن المترجم كان قاضياً بالزاوية الإدريسية من قبل
الأمير مولانا سليمان، فاتفق أن الأمير المذكور جاء لزيارة الضريح الإدريسي فخرج
أهل البلد لاستقباله عدا الفقيه المذكور، وأهل مجلس درسه، فإنه تأول أن محبة
الأمير في العلم ونشره تقتضى أن يجده في درسه حين مروره بالمسجد للضريح
فعمل على ذلك، وحين دخل الأمير المسجد وعابن اشتغاله بالدرس قام مع أهل
مجلسه وأدوا حيثئذ تحية الأمير فغضب من ذلك وعزل المترجم من خطة القضاء،
قال محدثي المذكور: لكن سألت عن ذلك بعض المسنين من عدول بلدنا،
فأخبرني أن المترجم لم يتول القضاء بالزاوية، وإنما كان من جلة المفتين، فاتفق أن
أتى في قضية وقعت من يهودى كان محترماً بأخت السلطان المذكور بأن تقطع يده.

لموجهه فقطعت وفق فتياه فأفضى ذلك إلى موت اليهودى، فغضبت من ذلك أخت
السلطان فسجن المترجم لذلك فى دار شأنها إهلاك من يسجن فيها، فلما أدخلها
المترجم ودار على أماكنها وجد على حجر كنيفها اسم الجلالة مرقوماً بقلم لا
يهتدى إليه كل الناس، فأسرع بتقليع ذلك الحجر وتطهيره ورفعته إلى محل لا
تصل إليه إذاية، فكان ذلك من أسباب سلامته وحصول الفرج له، وانضم لذلك
كون الشيخ سيدى أحمد التجانى كان كتب لصاحب الترجمة بملازمة قراءة صلاة
الفتاح والله أعلم أى ذلك كان.

مشيخته: أخذ عن الشيخ التاودى ابن سودة، وأجازه عامة حسبما وقفت
على ذلك بخط بعض الأعلام الأثبات، وعن المحشى بنانى وطبقتهما، وأجاز له
خاتمة المحدثين الشيخ مرتضى الزبيدى شارح الإحياء، والقاموس.

الأخذون عنه: منهم مسند فاس وراويتها فى القرن الثالث عشر أبو محمد
التهامى ابن المكى بن عبد السلام بن رحمون المتوفى عام ثلاثة وستين ومائتين
وألف، وأجازه عامة وبجميع ما تضمنته فهرسة الشيخ التاودى ابن سودة، وفهرسة
ابن الحسن بنانى، وفهرسة ابن قاسم جسوس، وفهرسة أبى العباس الهلالى،
وفهرسة بن العربى بن الحاج السلمى، والمنح البادية لأبى عبد الله محمد فتحا بن
عبد الرحمن بن عبد القادر الفاسى، وفهرسة ابن عبد السلام الناصرى، حسبما
وقفت على ذلك فى نص إجازة المترجم لتلميذه المذكور ومنها نقلت، ومنهم أبو
حامد العربى الدمناى فقد صرح بالأخذ عنه فى فهرسته، وابن العربى الحدرانى،
والسيد المهدي الورياجلى وغيرهم.

مؤلفاته: منها رجز نظم فيه العقائد المندرجة تحت كلمة الإخلاص ودونك

نصه:

وقول لا إله إلا الله
يجمع ستة من الصفات
أولها الوجود ثم القدم
مخالف وقائم كما أتى
كذا الكلام مع سميع وبصير
ونفى الأغراض وحتم الفعل
فهذه أربعة عشر صفة
وتحت الافتقار يدخل عدد
حياة قادر مرید عالم
ونفى تأثير بطبع وكذا
فهذه عشرتان مما وصف
وتحت ثمان من شهادتين
كذلك تبليغ وضد كذب
جواز الأعراض وضدها فزد
وبالملائكة أيضا والكتب
فهذه تدخل تحت الصدق
وكل ما ذكر من صفات
كامل بها الستين تحظ بالصواب
صلى إله العرش كلما دفع
على البشير والنذير المصطفى

محمد أرسله الإله
وضف لها الستين بالثبات
كذا البقاء دائما لا يعدم
والسمع والبصر جاء يا فتى
ومتكلم تعالى المقتدر
كتأثير بقوة فحصل
وضدها تحت الننى مؤلفة
قدرته إرادته علم الصمد
حى وواحدانية لا تسأم
حدوث عالم وضد ذا خذا
مع اثنتين ضفهما لما سلف
صدق أمانة بغير مين
خيانة كتمان شيء لا تخب
الإيمان بالعقبى وبالرسل تعد
وصد ذى الأربعة العظمى تصب
عليك بالمسير صوب الرفق
جملتها ست على الثبات
وتملك الأمان فى يوم الحساب
حب الغمام وبه نور فتق
وكل من بالاعتقاد قد وفى

وله تولى فى نحو الكراسى على ما قاله مؤرخ سلا، الفقيه السيد محمد ابن على السلاوى فى الكلام على البسمله والحمدلة والصلاة على النبى وفى نسب الحمد والشكر.

وفاته: توفى فى منتصف حجة الحرام متم عام واحد وثلاثين ومائتين وألف، وضريحه أسفل المحل المعروف بالدرجات من حومة الحفرة عن يمين الذهاب لمزاره الحرم الإدريسى من الزاوية الإدريسية فى بيت خاص به معروف.

٢٦٩ - محمد بن العربى الزمورى، من زمور الشلح القبيلة البربرية الشهيرة، الحدرانى بفتح الدال وتشديد الراء نسبة المكناسى دارا.

حاله: علامة حافظ، مدرس أديب مشارك، نحوى عروضى منطقى بيانى أصولى، فهامة دراية، خاتمة المجتهدين، وقدوة العاملين حاج أبر. صالح أشهر. مشيخته: أخذ عن صاحب الترجمة قبله يليه كما سبق.

الأخذون عنه: منهم أبو العباس الأغزواوى الجبلى مار الترجمة فى الأحمدين، وهو الذى حلاه فى تقايدته بما ذكرناه ومن خطه نقت مباشرة وقال أيضا: وقد رثاه الفاضل الوجيه، العلامة النبیه، الحافظ الأكمل العالم الأجل. الحجة الأنبل. المدرس الأكبر. المحدث الأشهر. أبو عبد الله سيدى وسندى محمد ابن الحاج الأبر، الفقيه الأشهر. صاحب العلم الأكبر، علم الأبدان، الواجب تعليمه قبل علم الأديان، سيدى الحاج محمد الهادى الغرناطى الأندلسى نسبة المكناسى أصلا ومنشأ دارا. هـ.

٢٧٠ - محمد بن عبد الرحمن الشهير بابن هنو اليازغى قاضيها.

حاله: فقيه علامة، مشارك موثق، مؤلف مجيد فاضل، حافظ حجة، أعدل أهل عصره، صدر تحرير كامل، وكان يتعاطى خطة الشهادة بسماط عدول فاس،

وكان غير حريص عليها، فنوع بالقليل، خرج يوما القاضى أبو العباس ابن سودة من مقصورة مجلس حكمه فرأى الشيخ المترجم ذاهبا من سماط العدول لداره، فسأله عن موجب استعجاله؟ فقال له الشيخ: حصلت على ما أحتاج إليه لنفقة يومى ولا حاجة لى بالزائد على ذلك، وتولى قضاء الجماعة بالحضرة الهاشمية مدينة مكناسة الزيتون.

وقفت على رسم سجل عليه بتاريخ سابع عشر جمادى الأولى عام عشرين ومائتين وألف، وآخر بتاريخ خامس جمادى الأخيرة من العام المذكور محلى فيه بما لفظه: يشهد الفقير إلى الله سبحانه، الراجى عفوه وغفرانه. قاضى الجماعة بالحضرة المولوية الهاشمية وهو محمد بن محمد الهنيوى اليازغى أعزه الله، وآخر مؤدى عليه بتاريخ خامس رجب العام عدلاه عبد الرحمن بن التهامى المزطارى ومحمد المكى بن الجيلانى بن المير، وآخر بتاريخ عشرى شعبان من العام نفسه نص تحليته فيه العلامة إمام المدرسين، وقدوة المتقين، قاضى حضرتى فاس الإدريسية القرويين والهاشمية السلطانية المولوية مدينة مكناسة الزيتون، المصونة باسم الله المصون، وهو القاضى الخ.

مشيخته: أخذ عن الشيخ عبد الواحد بن أحمد بن التاودى بن سودة حسبما صرح به فى مكتوب له، والشيخ عبد الكريم اليازغى المتوفى فى السابع والعشرين من ذى القعدة عام تسعة وتسعين ومائة وألف وغيرهما.

مؤلفاته: له شرح على شامل بهرام فى عدة أسفار ضخام تمم به شرح العلامة التسولى بأمر السلطان الأعدل مولانا سليمان رحم الله الجميع.

نثره: من ذلك قوله مقرظا البستان الظريف لأبى القاسم الزيانى: الحمد لله الذى له ملك السموات والأرض وحده. والصلاة والسلام على من هو للأنام قدوة. مولانا محمد أفضل هذه الأمة. وعلى آله وصحابه أجمعين، وعلى مولانا

أمير المؤمنين، وأختم بالدعاء والرحمة، لمن نزه أبصارنا وشفن أسماعنا بمطالعة هذا التأليف الحافل الباهر، والبحر المتلاطم الأمواج الزاخر، الجامع لخبر الأوائل والأواخر، وأطلع في فلك شمس هذه الدولة العلوية الإسماعيلية التي كانت في حيز الإهمال. ولم يتعرض لذكرها أحد من أدباء وقتها بنقص ولا كمال، ولا تفصيل ولا إجمال، وفي غابها الأسد الهصور، والنمر المقدم الجسور، والهيكل الأكبر، والقمر المنير الأزهر، العادل بن الكامل بن الفاضل بن الجليل، سليمان ومحمد وعبد الله وإسماعيل. وكيف لا وفيها ثالث العمرين. ومشيد معالم الدين، بهجة الزمان، وآية الرحمن، أمير المؤمنين مولانا سليمان، فكيف لا يفتخر على الأدباء من ألفه، وكيف لا يعلو على الرؤساء من صنفه، وخلد آثاره في وجنات الدهور وشما، ومكارمه في المشارق والمغرب وسما، فحقه أن يكتب منه نسخا ويشهر، ولا يقتنى ويدخر، لاشتماله على فضائل هذا السلطان الجليل، الماجد الأصيل، وجمعه لخبر الأولين والآخرين، في الجاهلية والإسلام والفرق الضالة الملحددين، خذ ما شئت من آيات قرآنية تنزيلية، صحابية، وقصص معلومة تابعة، ومواعظ صوفية، وحكم لقمانية، وحكمة أفلاطونية، وسياسة عدلية، وقوانين أزلية، ورسائل سجاجية، وأشعار أدبية، وحكايات أنسية، وقواعد هندسية، وضوابط فلسفية، ونوادير ومداعبات سرجية، وتقاويم فلكية، ومساحة طولية وعرضية، وصورة أرضية، مكورة وبسيطة، ونصوص قطعية سنية، في الرد على أهل البدع من الخوارج والروافض والمعتزلة.

وشبهت هذا التاريخ. بالنخلة ذات الشماريخ، تعلقو على رءوس الأشجار كالتاج، وتضئ ثمارها كالسراج، يفتح طلوعها في بياض الأكمام، ووجه كالدرد المنظوم في أجساد الحور المقصورات في الخيام، ثم يرجع كالياقوت الأحمر، ثم يكون فاقعا أصفر، فإن نضج عاد العسل منه يقطر، فإذا اسود ويس يكون تمر.

وكذا هذه الدولة مطرزة بلطائف كل دولة، منمقة بكل من له نخوة وصوله،
ممزوجة بكل حادثة وقعت قبلها، وفي قصرها وضعت كل حامل حملها، وكل
عروس طوقتها حليها، اطلب ما شئت من شراب عذب سائع بعد القرى، فكل
الصيد فى جوف القرى، تقبل الله من مخترعه عمله، وبلغه فى الدارين قصده
وأمله هـ.

ومن ذلك رسالة كتب بها إلى العلامة سيدى عبد الواحد بن أحمد بن
التاودى بن سودة، رأيتها بخط العلامة المحقق، قطب الفصاحة وأساس البلاغة
والبراعة، مركز العلوم، المحيط بالمنطوق والمفهوم، المتخلق بمكارم الأخلاق، مع
الأقارب والأباعد، سيدنا العلامة أبى محمد عبد الواحد، من تحلى بقلائد
العقيان، وبرز على الأقران. إلى غاية لا يختلف فيها اثنان، وليس الخبر كالعيان،
وكيف لا وهو نتيجة مولانا أبى العباس نجل مولانا الإمام، سيد العلماء الأعلام،
وشيوخ المشايخ العظام، خاتمة المحققين، ونخبة الأولياء العارفين.

منْ أشرقت أنواره على الحاضر والبادى، سيدنا ومولانا التاودى، قدس الله
روحه وأعلى درجته فى عليين، وأبقى بركته فى ذريته وعقبه وسائر المسلمين إلى
يوم الدين، هذا وقد ورد علينا كتابكم السنى، وخطابكم الشهى، وقد تلالأت
بمعانى تبيانه وجواهره الحسان أقلام السطور والطروس، واهتزت ببديع براعته
وبلاغته الأعطاف والرءوس، وسما ببديع البنان وسحر البيان، على قس وسحبان،
لا زالت أقلامكم تجرى بالسعادة والسعود، وتبعث الأمانى البيض من الخطوط
السود، ويعد سلام الطف من نسيم الصبا، وألذ من أيام الشبية والصبأ، وثناء
متنظم كعقود الجمان، وأبهى من الورد فى أجياد الحسان، فإن سائلكم عن مسألة
الحبس قال إنه يأتى برسمه لينظر، فلعله بدا له وتأخر، ونحن على محبتكم مع
الاعتراف بنفعكم والأخذ عنكم، زادكم الله شرفا وتعظيما، ومكانة وتكريما،

كتب من ولا يخفى عليكم وسمه لطف الله به محمد بن محمد بن عبد الرحمن الشهرير بابن هنو تغمده الله برحمته ثامن وعشري شعبان عام تسعة وعشرين ومائتين وألف.

٢٧١ - محمد بن أحمد بن الكبير العوفى قاضيها.

حاله: فقيه جليل، علامة نبيل، صدر نحير، فاضل كامل، قدوة بركة شهير، حافظ حجة حفيلى، إمام خطيب، مصقع بليغ، تولى خطة القضاء بالحضرة السلطانية مدينة مكناسة الزيتون، وقفت على رسوم بخطاباته وإعمالاته والتسجيل عليه أحدها بتاريخ سابع ربيع النبوى عام ١٢٢٨ ثمانية وعشرين ومائتين وألف وآخر بتاريخ ثلاثين ومائتين وألف.

حدثنى من أثق به من أهل العدل أن أهل مكناس رفعوا شكواهم بالترجم للسلطان العادل مولانا سليمان وطلبوا منه عزله عنهم فلم يرفع لهم رأسا، وقد كان عزم على الوقوع ببعض عتاة البرابر، وأظنه عين له زمر الشلح، فلما نزل بهم ظهروا عليه فصار يقول: اللهم أشهد بأنى عزلت العوفى عن منصبه. فوقعت الكرة حيناً على أولئك العتاة وظفر بهم وكسر شوكة بغيهم فنجز عزله فى الحال.

شعره: من ذلك قوله مضمنا الكلام على فروع أولاد ابن سودة ونسبهم وما كانوا عليه قديما وحديثا حسبما وقفت على ذلك فى بعض الكنائيش ودونك لفظه:

تدرى وتجد ما ترى قوما رووا	عنى أحاديث الصبابة ما اختفوا
سل عن غرامك من وثقت بنصحه	لتكون من أهل المذبحة إذ هووا
واجف الجوى وأرض الهوى مثبتا	بشعاره كى لا ترى ممن جفوا

٢٧١ - من مصادر ترجمته: إتحاف المطالع فى موسوعة أعلام المغرب ٧/٢٥٠٤.

والذل عين العز فاصبر إن قضا
ياهل تمثل من أطاع بمن أبوا
هجر الألى عن باب ذلهم انتنوا
فأعاق واشيه وسروهم بكوا
نهج الألى يهوى وما عنه نهوا
شاهدته يفنى كأقوام فنوا
وتمسكوا بودادهم وبه اكتفوا
عز الوصال وعانوا ما قد عنوا
ورضوا بذلهم له وبه اشتفوا
فى المدعين فخيروا فيمن عصوا
عنهم ظلام الجهل فيها واجتلوا
فسقوا معين شرابها حتى رووا
غرا جهابذة على الفضل احتوا
س من مجالس أظهروا ولها علوا
جاءوا وما زاغوا ومن كفروا قلوا
زمن المرينى فاستقروا وازدهوا
بالنسك والدين القويم لها أتوا
للدين إلا نحوه خببا سعوا
فتوى قضا نسكا به الفضلا اقتدوا

فالصبر أجدر بالتلذذ فى الهوى
ودلالهم فيه المنى لو بالمنى
وإذا الذليل تواصلت أفراحه
طابت حياة مساعدى ودنا له
ما كل من يهوى يراعى فى الهوى
والمدعى لو شاهدت عيناه ما
تركوا المآكل والمشارب عفة
هانوا النفوس تذلا فحباهم
قرت العيون منهم بحبيبهم
فغدا الغرام شفيعهم فتشفعوا
فهموا فهموا فى الحقيقة فأنجلى
والمقتدون على الشريعة خيموا
سهروا الدياتجى فى العلوم فأصبحوا
مثل السراة السوديين فكم بفا
حفظا لدين الله من غرناطة
بزغوا بدورا موضحين سنا الهدى
جاءوا إلى نشر العلوم فيالهم
ما بان فى أفق السعادة طالع
فى كل عصر هم أئمة وقتهم

فسلن لسان الدين أعنى ابن الخط
جمعوا الفضائل والمكارم والتقى
فالسوديون جميعهم من متلد
سل عنهم صنعا بذى يمن وعن
فلهم بها مجد وعلم ثروة
وعصابة منهم بأندلس لقد
علموا بأن العلم أوفر قسمة
خاروا انتسابهم إلى علم وما
شيم إذا عدت يباهى بعضها
خل المزايا وائت بالخلق التى
تنسى الأواخر ما الأوائل أنهجوا
فالسوديون المريون ذوو الوفا
ما كان غيرهم استحق دراسة
ومن استمد سجية من فضلهم
ناهيك ما فى الغرب إلا دارهم
لا زالت الأحقاب تبدى عزهم
سل من تشا فى بابهم فهم الأولى
أكرم بهم يا نعم ما حازوه من
هذى شعارهم وهذا دأبهم

يب وصفوة والقادري عمن مضوا
وعلى معارج نسبة الشرف استتوا
منهم بأندلس ومن يمن ثورا
شرف شهير كالظهيرة قد حووا
ومروءة وعلى حبا الخير انطوا
نسبوا لمرة من قریش واكتفوا
بالإرث من طه فحازوا واقتنوا
بانوا عن الشرف الأصيل وما انتفوا
بعضا ولكن الفعال بها نموا
كرمت وكل العالمين بها سمو
فإذا الأوائل من أواخرهم حيوا
لهم المكارم والمنابر قد علوا
فى مدرس أو جامع وهم يروا
منحوا المرید مراده ولكم حبوا
وهم بها يعسوب سر ما انقضوا
والعز يتبع شوطهم وله مشوا
سادوا وشادوا ذروة ولها ارتقوا
مجد أثيل شامخ فيه اجتبوا
ما أن يحدوا عن كريم لا ولوا

فامتاز بين معانديه وإن عتوا	زانت مدائحهم نظام محبهم
فيهم وما كل إذا مدحوا صغوا	ما كل من مدح الكرام أصاب ما
أنستك ذكر من مضى لما بدوا	لكن مناقب هؤلاء جليلة
ومقالهم ومن الجهالة قد شفوا	دلوا على الهدى القويم بحالهم
وهم هداة للأنام كما اهتدوا	فالله يحفظهم ويبقى فرعهم

قلت: حدثني بعض العدول المبرزين الأثبات من شيوخ الأعلام، أنه وقف على هذه القصيدة بخط ناظمها عند الفقيه السيد المكى بن سودة نجل قاضى الحضرة المكناسية العلامة السيد الحاج المهدي آتى الترجمة خالية من الأبيات المصرحة بنسبة المدوحين بها للشرف، وإنما هى ملحقة بالهوامش بخط غير الخط المكتوب به الأصل. هـ.

وعليه فلا ريب أن تلك الأبيات مختلفة، وما يؤيد اختلاقها ويبرهن على براءة المترجم منها قوله فى البيت الرابع والثلاثين من نفس القصيدة: فالسوديون المريون ذوو الوفا، فإنه اقتصر على نسبتهم لمرة، وقد حقق النسابون أن مرة من مشترك الأنساب كما هى فى قريش فى غيرها من قبائل العرب، وقد تقرر أن الأعم لا إشعار له بأخص معين، وإذا كانت القرشية لم تتحقق فكيف بالهاشمية التى هى أخص، وقوله أيضا قبل ذلك فى البيت الثالث والعشرين فسلن لسان الدين الخ، فإن ابن الخطيب وصاحب الصفوة والقادري فى النشر المحال عليهم لم يفه واحد منهم بكون السويين من أهل النسبة الطاهرة الهاشمية.

هذا وقد وقفت على ما يقطع دعوى كل ناعق النسبة لبيت السويين فى رسالة للعلامة الأصيل السيد أحمد بن سودة قاضى حضرنا المكناسية جوابا عن

مكتوب مخزنى صدر له فى الباب ودونك نص السؤال والجواب بعد الحمدلة
والصلاة:

«محبنا الأعز الأرضى الخلفية عم مولانا المؤيد بالله مولاي عرفة أمنك الله
سلام عليك ورحمة الله عن خير مولانا نصره الله.

وبعد: وصل كتابك معلما بأن الفقيه السيد التاودى بن سودة ورد عليك
بجريدة عرف بكتابتها عدلان يريد إثبات النسبة الطاهرة طالبا منك توجيهها لشريف
الاعتاب بقصد اطلاع العلم الشريف عليها وإمضاء مضمونها بالطابع الشريف
تسليما لأمرها، وصار بالبال، فقد وصلت وأنهيناها لعلم سيدنا أعزه الله فاستفهم
أيده الله عما كان تقدم لأسلافهم فى ذلك، وهل كانوا يتمون إليها ويدعونها لأنه
قد مضى منهم عدد من فحول العلماء كالشيخ التاودى وأضرابه ويبعد كل البعد
عدم اطلاعهم على شىء من ذلك وجهلهم به، بل قد وقع الوقوف فى عدد من
التواريخ الصحيحة على دعوى انتسابهم لمرة بن كعب وبه كنانشه وتقاييده ولا
زالت قائمة الذات إلى إلا آن.

ولو قيل قد يفتح الله للآخر ما لم يفتح به للأول، لقال بذلك والده الفقيه
السيد المهدي رحمة الله، وعمه الفقيه القاضى السيد أحمد، فهل يدعى شيئا من
ذلك أو يقول بين ذلك عن أمر سيدنا أيده الله ليظهر، وها الجريدة ردت إليك طيه
وعلى المحبة والسلام وفى ثانى عشر قعدة عام ثمانية عشر وثلاث مائة وألف».

«الحمد لله حبنا الأجل الأمجد، الفقيه الكاتب السيد الحسين بن سعيد
حفظكم الله ورعاكم، وسلامه عليكم ورحمته، عن خير مولانا نصره الله وأدام
علاه.

وبعد: وصلتني نفولتك مع ما كتب به لسيدنا ومولانا الخليفة أسمى الله
قدره وعلمنا المراد من ذلك كله، وأن نجيب عنه بما عندنا، فاعلم رعاك الله أن

الذى أدين به الله سبحانه وألقاه به هو ما كنت أسمع من أشفتى ومنهم أخونا سيدى المهدي وعمى شقيق والدى وهو السيد حمو رحمه الله، هو أن بيتنا بنى سودة يتهى إلى مرة بن كعب أحد أجداد النبى ﷺ، وعليه فما يرويه ابن أخى سيدى المهدي المذكور فالله سائله عنه يوم القيامة، وكفى حديث من انتسب إلى غير أبيه وهو يعلم فالجنة عليه حرام، اللهم إنا نبرأ إليك مما يدعيه هذا ابن الاخ وأمه قرميدية بنت هم أمى قرميدية، ولا نعلم له حجة فى ذلك لا باعتبار أبيه ولا باعتبار أمه، وبيننا وبين من يؤيده ويعضده الله تعالى .

وأما الجريدة التى أدلى بها فلا تقوم له بها حجة، لأنها مطعون فيها من وجوه كلها شرعية، إذ مبناها على هى بن بى، وقد قال التتائى شارح خليل نقلا عن التوضيح قضية والناس مصدقون فى أنسابهم وتبعه بهرام ما نصه: وهذه العبارة واضحة بالنسبة للالتحاق، وأما إن ادعى شخص أنه شريف فينبغى أن لا يصدق، فكتب عليه العارف بالله سيدى عبد الرحمن الفاسى فى حواشيه على المختصر ما نصه، فقول التتائى: فينبغى أن لا يصدق، يعنى حماية لجانب النبى ﷺ وغيره، فهو موافق لما نص عليه غيره من العلماء .

وكفى هذا فقها قاله وكتبه مشهدا به على نفسه فى ثالث، حجة الحرام تتم عام ثمانية عشر أحمد بن الطالب بن سودة، ولا أقول السورى لأنه نسبة إلى قرية باليمن، مع أن سكنى أسلافنا غرناطة ثم بفاس زيادة أسلافنا قدموا فى جند الشام زمن بنى أمية إلى الأندلس، فنزلوا إلى البيرة ثم انتقلوا إلى غرناطة ثم إلى فاس وقاها الله من كل باس» من خط من كتب من خطه بحروفه وناهيك به حجة .

وفاته: توفى شهيدا رحمه الله بالطاعون الذى كان عام أربعة وثلاثين ومائتين وألف، ودفن بروضة المولى عبد الله بن حمد الولى الشهير آتى الترجمة بالمباح الموالى لكدية العشاق، كما وقفت على ذلك ببعض التقايد الموثوق

بصحتها، بخط العلامة المتفنن أبي العباس أحمد بن محمد الأغزاوي الشهير
بالجبلي المكناسي المترجم فيما مر.

٢٧٢ - محمد بن الكبير العوفى.

حاله: فقيه متفنن كاتب موثق فاضل خطيب مصقع ولى خطبة جامع بريمة
من حضرتنا الهاشمية المكناسية.

مشيخته: أخذ عن والده وغيره ممن هو فى طبقته.

وفاته: توفى بعد المترجم قبله يليه بأيام قلائل مطعونا أيضا، ودفن بمباح
ضريح ابن حمد المذكور آنفا.

٢٧٣ - محمد فتحا بن أحمد بن محمد بن الولي الصالح أبى يعقوب
يوسف بن على الحاج المدعو بروكشة^(١) بفتح الباء وكسر الراء وسكون
الكاف الرهونى.

حاله: حامل لواء تحقيق الفقه المالكي فى زمانه، مرجوع إليه فى تمييز لجينه
من لجينه، ورد فروع لأصوله، أحد أفراد رجال الديار المغربية علما وعملا وفضلا
وصلاحا وتقى وهديا وتواضعا وورعا ونسكا وصلابة دين، وضبطا وإتقانا ومعرفة
وتحريرا وتحجيرا ونقدا، وقبولا وردا، له مشاركة تامة وباع مديد، انتهت إليه رئاسة
الفتيا فى زمنه ببلاد الهبط، وكان له القدم الراسخ فى إدراج الجزئيات تحت
الكليات، والتصرف فى المذهب بقواعده، ينسب الأقوال لأربابها على طريق
المتقدمين، وحاشيته على الزرقانى وبنانى أعظم دليل على تضلعه فى الفروع
والأصول ومديد باعه، وسعة اطلاعه، وبلوغ الغاية القصوى فى إصابة المرمى،

٢٧٣ - من مصادر ترجمته: إتحاف المطالع فى الموسوعة ٧/ ٢٤٩٣.

(١) فى إتحاف المطالع: «المدعو بروكشة».

والاقتدار التام على الخوض فى عباب الفقه المالكى، ومعرفة أسرار منطوقه ومفهومه، وتفوقه على كثير من تقدمه وعاصره، وكان سريع الدمعة دائم الخشية والذكر والتهجد بالأسحار، محبا للصالحين منحاشا لأهل الفضل والخصوصية من المتقين لا تأخذه فى الله لومة لائم، وبذلك نما حاله وتم أمره وأثمر غرسه.

وكان أكثر مقامه بوزان، وقد خطب بها بمولاي سلامة بن محمد بن عبد الله بن مولانا إسماعيل أول جمعة عندما بويج له بها وذلك يوم الجمعة متم رجب الفرد الحرام عام ستة ومائتين وألف، وكان المتولى حمل راية بيعته سيدى على بن أحمد بن الطيب الوزانى المتوفى يوم الثلاثاء تاسع ربيع الأول عام ستة وعشرين ومائتين وألف، وأعانه على ذلك جماعة أبناء عمه وسيدى على بن ريسون، ودامت دولة المولى سلامة بوزان شهرين، أفاض فيها الأموال الطائلة والملابس الفاخرة على أهل وزان، ثم خلع نفسه وخرج فارا من وزان ناجيا بنفسه ليلة السبت تاسع عشرى شعبان عام ستة ومائتين وألف على ما فى تاريخ الضعيف، ويأتى إيضاح ذلك بحول الله وقوته فى ترجمته وفى القسم الدولى.

ثم إن المترجم قد استوطن مكناسة مدة، وكان محل استقراره بها بمدرسة الخضارين كما يشير إليه ما يأتى عنه، وذلك مدة نقل شيخه الجنوى إليها.

ومن فوائد المترجم فى حاشيته على الزرقانى وبنانى ما قاله فى قول المتن فى باب قصر الصلاة ولا تنقل بينهما ولم يمنعه ولا بعدهما ونصه، انظر هل يدخل فى النقل بعده أى بعد الجمع ليلة المطر سجود التلاوة، كما إذا قرئ الحزب على الوجه المعتاد بعد الجمع بالمسجد، وقد وقعت هذه المسألة بمكناسة الزيتون زمن قراءتى فيها على شيخنا الجنوى بمدرسة الخضارين، فمن الطلبة من ترك السجود، ومنهم من سجد، ثم تنازعا بعد الفراغ فى ذلك، ثم تكلموا أو بعضهم معى فى ذلك فقلت لهم: ترك السجود أولى، فلما أصبحنا سألت شيخنا الجنوى، فقال:

السجود أولى فقلت له: لم؟ فقال: لأنه أرفع رتبة من مطلق النوافل، بدليل أنه يسجد بعد الصبح قبل الإسفار وبعد العصر قبل الاصفرار، فقلت له: ولم لا يسجد بعد الإسفار والاصفرار؟ فقال: لأن الكراهة إذ ذاك أشد، فقلت له: فإذا لم يفعل ذلك لشدة الكراهة فهنا أخرى لمنع النفل بعد الجمع، فقال لى: من قال بالمنع؟ فقلت له: المواق نقلا عن عرفة والزرقانى، فأمر طيب الله ثراه بإحضارهما فأحضرا، فوجد الأمر كما قلت فسكت فسكت فأنفصل الأمر على ذلك، ولم أزل بعد أبحث على النص فى ذلك البحث الشديد، وأطلبه الطلب الأكيد، إلى وقتنا هذا فلم أجد من تعرض لذلك أصلا، والظاهر عندى أنه لا يفعل لما ذكرته، ولأن القول بأن سجود التلاوة كمطلق النفل لا يفعل بعد الصبح ولا بعد العصر قوى. هـ وقد تابعه مختصره فيما استظهره والله اعلم

مشيخته: أخذ عن الشيخ التاودى ابن سودة المرى المتوفى يوم الخميس تاسع عشرى حجة عام تسعة ومائتين وألف عند صلاة العصر ودفن من غده بعد الظهر، سمع عليه موطأ الإمام مالك بقراءته عليه، وصحيح الإمام البخارى بعضه بقراءته وجله بقراءة غيره عليه وهو يسمع، وسمع منه مواضع من التفسير وشيئا من صحيح الإمام مسلم، وشيئا من لامية الأفعال لجمال الدين بن مالك فى التصريف، وذاكره فى عدة مسائل فقهية وأجازه عامة.

وأخذ عن الشريف أبى عبد الله محمد بن الحسن الجنوى المترجم قبل، وهو عمدته وعليه معوله لازمه فى الحضر والسفر، ومن ذلك ملازمته له بمكناس لما أسكنه السلطان بها بقصد بث العلم ونشره فيها كما تقدم، قرأ عليه التفسير إلى سورة الرعد، وصحيحى البخارى ومسلم بقراءته عليه، والأربعين النووية، ومختصر الشيخ خليل غير ما مرة قراءة تحقيق وتدقيق، ورسالة ابن أبى زيد القيروانى، والمرشد المعين لابن عاشر، والتحفة لابن عاصم، إلا أنه لم يختمها

عليه أيضا، وألفية ابن مالك غير مرة، ومقدمة الشيخ ابن آجروم، وتلخيص المفتاح، وجمع الجوامع لابن السبكي إلا شيئا يسيرا من آخره، والحكم العطائية كل ذلك قراءة حسنة ذات أبحاث راقية، وتحريرات فائقة، كما صرح بذلك كله المترجم عن نفسه في ديباجة حاشيته على بناني والزرقاني قال: ولقد من الله عليّ بمعرفته وصحبته وخدمته سفرا وحضرا زمنا طويلا، قال: ومن أعظم منن الله عليّ أن غطي عنه مساوئ الكثيرية، وذنوبى الغزيرة التى لا يعلمها إلا الله تعالى، فكان يحبنى حبا شديدا، ويظهر ذلك. هـ وأجازه عامة.

وأخذ الطريقة الوزانية عن سيدى على بن أحمد بن الطيب الوزانى وكان من خاصته الملازمين له المثهتكين فى محبته من غير غلو ولا تفريط شأن العلماء العاملين.

الآخذون عنه: أخذ عنه السلطان العادل مولانا سليمان بن محمد بن عبد الله وقرظ له حاشيته على البنانى والزرقانى وكفى كلا منهما شرف بصاحبه، وأخذ عنه أديب الرباط العلامة ابن عمرو، وقاضى العدوتين ومكناسة العلامة السيد الطيب بن إبراهيم بسير وجماعة من الأعلام.

مؤلفاته: ناهيك منها بحاشيته على الزرقانى وبنانى الموسومة بأوضح المسالك وأسهل المراقى، إلى سبك إبريز الشيخ عبد الباقي، وحاشيته على الشيخ ميارة الكبير للمرشد المعين، وأظنها لم تكمل، ومجموعة خطب، والتحصن والمنعة، ممن اعتقد أن السنة بدعة، وإظهار ما يفكر أهل الفطنة، ليعرض على ذوى الذكاء والفطنة، وهذا أدرجه فى حاشية الزرقانى، إلى غير ذلك مما هو مدرج فى الحاشية المذكورة وما هو مستقل بنفسه.

نثره: من ذلك قوله فى استدعائه الإجازة من شيخته التاودى ابن سودة ولفظه: الحمد لله الذى لا يعزب عن علمه مثقال ذرة فى الأرض ولا فى السماء،

الذى من استند إليه ارتقى فى ذروة الكمال وسما. والصلاة والسلام على أشرف خلقه سيدنا محمد أجل من أسند عنه الرواة والعلماء. وأفضل من ارتوى من رشح علومه وحكمه الأولياء والحكما. وعلى آله وأصحابه الذين نقلوا من أقواله وأفعاله وتقريراته ما أزالوا به عنا كل غشاوة وعماء، صلاة وسلاما دائمين ما أرسلت السماء قطرا وبدا بها صحو أو غما، والرضا عن ساداتنا التابعين لهم بإحسان وكل من انتسب إليهم إلى يوم الدين وانتمى.

وبعد: فليتفضل سيدنا وسندنا ووسيلتنا إلى ربنا الحبر الهمام، ذو الثبات والرسوخ شيخ الشيوخ الجهابذة الأعلام، الذى ألفت إليه العلوم كل زمام، فالناس له تابعون وبه مؤتمنون وهو الإمام، أبو عبد الله سيدى محمد التودى ابن سودة المرى، لازال الكريم بنفائس المعارف إليه يقرى، بالإجازة لهذا العبد الضعيف، الذى قطع عمره فى البطالة والتسويق محمد بن أحمد بن محمد بن يوسف الحاج الرهونى، وهو وإن لم يكن لذلك أهلا، فاقبلوه منكم وفضلا، كى تهب عليه نفحاتكم العظمى، ويستوجب بذلك من الله مزيد الرحمى، ويرتفع بالإسناد إليكم قدر هذا الخسيس، وكيف لا وأنتم القوم لا يشقى بكم الجليس، أجازكم الكريم بأنفس ما أجاز به وفده المقربين، وأطال بكم النفع للخاصة والعامه من المسلمين، بجاه سيد الأولين والآخرين، وأختم استدعائى هذا بما قال القائل:

بقيت بقاء الدهر يا كهف أهله وهذا دعاء للبرية شامل

ولادته: ولد فى ذى القعدة الحرام عام تسعة بتقديم المثناة وخمسين ومائة

وآلف.

وفاته: توفى بعد فجر يوم السبت ثالث عشر وقيل موفى عشرى رمضان

سنة ثلاثين ومائتين وآلف، ودفن يسار محراب روضة شيخه سيدى على بن أحمد المذكور بوزان، رحم الله الجميع بمنه آمين.

٢٧٤ - محمد بن عبد الوهاب أجانا.

حاله: شيخ علامة مشارك نبيل ذكره السلطان أبو الربيع سليمان فى عناية أولى المجد.

مشيخته: أخذ عن أبى عبد الله محمد بن عبد السلام بن محمد فتحا الفاسى المتوفى بمرض الاستسقاء يوم الأربعاء ثانى عشر رجب سنة أربع عشرة ومائتين وألف عن نحو خمس وثمانين سنة.

ولم أقف على تاريخ وفاته.

٢٧٥ - محمد بن عمر الصنهاجى الأصيل المكناسى الدار.

أحد موالى أمير المؤمنين السلطان مولانا سليمان.

حاله: فقيه كاتب مشارك علامة محرر.

مشيخته: أخذ عن السلطان العادل مولانا سليمان وغيره، ذكره الزيانى فى الجمهرة، ولم أقف على تاريخ وفاته.

٢٧٦ - محمد بن حمادى الصنهاجى الأصيل المكناسى الدار.

حاله: فقيه علامة تولى قضاء الحضرة المكناسية.

مشيخته: أخذ عن أعدل الملوك، مولانا سليمان، صرح بذلك الزيانى فى جمهرته، وعن غيره من الأعلام ولم أقف على تاريخ وفاته.

٢٧٧ - محمد السلاوى أحد موالى السلطان مولانا سليمان والدك عن والد.

حاله: فقيه كاتب، نشأ بيت الإمارة وغذى لسان الأدب الغض، ولاء السلطان المذكور كاتباً بديوانه الملوكى، ثم رقاها إلى الوزارة، ثم إلى الإمارة فى

٢٧٧ - من مصادر ترجمته: إنحاف المطالع فى الموسوعة ٧/٢٤٩٤.

الثغور البحرية والقبائل الفحصية ثم لقبائل العرب من المضربة اليمينية، ثم جعل له النظر والكلام إبراما ونقضا مع نواب وسفراء أجناس النصارى ولم يزل يتقلب فى المناصب العظام، ومعارفه وصدقه وإخلاصه تقدمه إمام، إلى أن لبي داعى مولاه.

مشيخته: أخذ عن مولاه أمير المؤمنين مولانا سليمان كما صرح بذلك الزيانى فى جمهرة التيجان، وعن غير واحد من جلة شيوخ وقته.
وفاته: توفى بمكناسة الزيتون عام ثلاثين ومائتين وألف.

٢٧٨ - محمد الزرهونى الأصل الفاسى الدار.

حاله: فقيه كاتب، رقاہ السلطان المولى سليمان من الكتابة إلى عمالة وجدة وأعمالها، ثم عزله وردة للكتابة ببساطه الملوكى، ولم يزل بها إلى أن نقله الله إليه.

مشيخته: أخذ عن السلطان المولى سليمان كما لصاحب جمهرة التيجان وغيره من أعلام وقته.

وفاته: توفى بفاس عام ثلاثين ومائتين وألف.

٢٧٩ - محمد بن الطاهر بن محمد بن محمد فتحا بن السعيد بن محمد بن محمد فتحا بن قاسم بن مولاى الحسن بن سيدى يوسف.

نجل مولانا على الشريف من شرفاء بوسلام، أحد قصور ملوية.

حاله: فقيه علامة مشارك نقاد، مدرس فريد عصره، وأعجوبة دهره،

٢٧٩ - من مصادر ترجمته: إتحاف المطالع فى الموسوعة ٧/٢٥٣٩.

محقق إمام فى سائر الفنون عقليها ونقلها، ماهر فى التفسير والحديث وعلوم العربية، كثير المطالعة، غزير الاطلاع، محبوب مسموع الكلمة، محب فى الأولياء والصالحين المجاذيب والسالكين، صلب فى دينه، يقال: إنه كان يظعن ويقيم بكتبه العديدة النفيسة وكانت نحو أربعين جملا.

وكان ذا جاه ووجاهة، وهمة جاوزت الجوزاء، ونزاهة، قال فى الشجرة الزكية: استورزه إمام وقته مولاي عبد الرحمن ونوه به ولازمه فى حضره وسفره. هـ.

أخذ مبادئ العربية بسجل ماسة، ثم ارتحل لفاس واستوطنها، وكانت سكناه بزقاق الحجر منها حسبما أخبرنى بذلك بلدنا حفيده، ثم استوطن مكناسة الزيتون مدة مديدة، ولازال عقبه بها إلى الآن، وكانت سكناه بها آونة بحومة زقاق القرمونى، وأخرى بحومة حمام الجديد.

مشيخته: أخذ عن سيدى حمدون بن الحاج ومن فى طبقتة، وشاركه فى الأخذ عن الشيخ التاودى، واعتمد السيد عبد القادر بن شقرون المتوفى زوال يوم الخميس حادى عشر شعبان عام تسعة ومائتين وألف، والشيخ الطيب بن كيران.

الآخذون عنه: أخذ عنه السيد الطالب بن الحاج، وسيدى التهامى بن رحمون، وأجاز للأخريين عامة بتاريخ فاتح رجب عام ستة وثلاثين ومائتين وألف، ومولاي الزكى صاحب الشجرة الزكية، ومولاي الصديق، ومولاي الحبيب أبناء مولاي هاشم بن محمد الكبير.

وفاته: توفى بمراكش منتصف جمادى الأولى عام ثمانية وأربعين ومائتين وألف، ودفن بضريح مولاي على الشريف مع عمه رحم الله الجميع بمنه.

٢٨٠ - محمد بن منصور الفويسى المراكشى.

ذكره الضعيف فى تاريخه وحلاه بالأديب، وقال: إنه توفى بمكناس فى شعبان عام ثلاثة ومائتين وألف.

٢٨١ - محمد بن الطيب الشريف الحسنى العلوى البلغيشى.

حاله: فقيه عالم محقق عدل رضى وجيه، بركة فاضل منور السريرة وقور معتقد، على الهمة، صلب فى دينه، من أهل زاوية زرهون، تولى نيابة القضاء بالزاوية المذكورة من عام خمسين إلى ستين ومائتين وألف، ونسخ البخارى وغيره بيده، وبه اشتهر عقبه بأولاد ابن القاضى، وببلده الزاوية الإدريسية، توفى ودفن بالظهير المقبرة المعروفة بها.

مؤلفاته: منها شرح على الحكم العطائية فى جزئين وقنت على جزء منه بخط يده.

وفاته: بعد الستين ومائتين وألف، إذ تاريخ زمام تركته ثانى ربيع النبوى عام ثلاثة وستين ومائتين وألف.

٢٨٢ - محمد بن إدريس بن محمد العمراوى الوزير الأديب الكبير.

حاله: فقيه أديب شهير، ناظم ناثر، إمام الصناعتين، وحامل لوائهما بدون مين، تزرى ببديع الزمان بدائعه وأوابده، وتخجل الفتح بن خاقان رقائقه وفرائده. حلاه بعض حذاق الكتاب من معاصريه بما لفظه: رئيس الكتاب. الأخذ بحلقة الباب، الصدر الذى لا يحسن فيه التأخير، والحبر الذى لا ينبغي أن يعامل باليسير، برع فى الأدب، وساد بالحسب والنسب. أخلاقه تنبئ عن نسبه، وشيمه تفصح بعراقة حسبه، كان ذا همة عالية وسلامة صدر عن الحقد خالية، يكافئ المسىء بالإحسان، ويعامله بما يناسب من الامتنان، ذا وجه وسيم، وثغر بسيم،

ومروءة ورزائة، وعفاف وصيانة، يحلم إذا أودى، ويجيب بالسيادة إذا نودى، ويكرم نزله ويواسيه، ويتفقد أحواله ويدانيه، سهل المنال، لين المقال، صاحب همة عالية، ومائدة بأنواع الخيرات وافية، جاهد أولاده فى تعليم القرآن والعلم، ودربهم على الاحتراف بالحلم، أشد الخدم اعتناء بخدمة مولاه، راع وحافظ لما تولاه، ناصح فالح، قادح مادح، إذا أطلق عنان القلم فى القرطاس، أتى بكل غريبة وحجج مضيئة كالنبراس، لا يتوانى فيما أسند إليه من العمل، ولا يتراخى بطول الأمل، حنكته التجارب والخطوب، وعلمته المحن كل مكروه ومحجوب، هـ مختصراً.

وكان له معرفة بالحساب والتعديل والنحو واللغة والعروض والأدب، منحاش لجانب الله، محب فى الصالحين وأهل الفضل والدين، زوار لهم، متطرح على أعتابهم، يحب السماع ويستنشق به ويرتاح له.

وكان فى أول أمره ينسخ الكتب ويؤدب الصبيان، ثم انحاش إلى أبى القاسم الزيانى وصار ينسخ له مؤلفاته فى الدولة العلوية وغيرها، ثم وقعت بينهما وحشة أوجبت انقطاع المترجم عن الزيانى، ثم عادت الوصلة بينهما على ما كانت عليه قبل حسبما أوضح ذلك الزيانى فى بعض كتبه، وهو الذى قدمه إلى سيدنا الجد من قبل إلام السلطان الهمام، مولانا عبد الرحمن بن هشام، أيام خلافته بفاس إثر خمود نار ثورة أهله على السلطان العادل مولانا سليمان ولم يزل يقربه ويصطفيه.

ثم لما جلس على كرسى الخلافة بعد عمه السلطان مولانا سليمان أبقاه من جملة كتبته، بل رأسه عليهم لما رأى من حسن عقله وديانته، ثم استوزره فقام بشئون مأمورية وظيفه أحسن قيام لما أسند إليه الرياسة، واختص بالتدبير والسياسة، وصار لا يدخل إلا من بابه، ولا تنال الرغائب من غير ميزابه، واستمر

على هذا الحال، مرضى المقال، مجاب السؤال، إلى سنة ست وأربعين فعزل فى شوال منها عن الرياسة والكتابة، وأمر بلزوم داره وانقطع عند الوارد والصادر.

ثم سجن ونهب وثقل بالحديد، وأصيب بالتكال الشديد، وجفاه القريب والبعيد، إرضاء للأوداية الذين أوغروا قلب السلطان عليه، وصرحوا بأنه السبب الوحيد فى إيقاد نيران الفتى بينهم وبين السلطان أبى زيد مخدومه المذكور، وأنهم لا يرضخون للطاعة ما لم يقتص منه، ولا يرضون وساطته ولا يقبلون دخوله فى أمر ما من أمورهم.

ثم بعد مدة سرح من السجن، وبعد أيام خرج بقصد زيارة مولانا عبد السلام بن مشيش فوشى به بعض الحسدة للسلطان وقرر له أن مقصوده بهذه الوجهة هو الهرب بمال كان دسه، والاستيجار بذلك الضريح، فوجه السلطان فى إثره من رده على عقبه، ثم امتحن محنة أشد من الأولى، فبقى بفاس مدة يلتجئ إلى الله تعالى ويتعلق بأوليائه الصالحين، إلى أن أشار عليه من يشار إليه بالخير والصلاح بالتوجه لمكناسة الزيتون، والسلطان إذ ذاك بها، فذهب إليها واحترم بضرخ جده الأملاك مولانا إسماعيل.

ولما بلغ خبره للسلطان أمنه وأمره بالطلوع لشريف أعتابه، فاستكتبه أولا مع وزيره الفقيه السيد المختار الجامعى، ولم يزل فى ترق ودنو إلى أن رده لئصبه وأعطاه الطابع وعزز له الوزارة بالحجابة، وذلك سنة إحدى وخمسين، ولم يزل على وظيفته بعد عزيزا مكرما، ملحوظا معظما، إلى أن استهل هلال المحرم من سنة أربع وستين فمرض اثنى عشر يوما وقضى نجه على ما سنذكره بعد رحمه الله.

وكان من عادته أنه يلازم الجلوس بباب القصر السلطانى حتى فى الأعياد وأيام البطالة، يذهب أرباب الوظائف والخدم لدورهم، ويبقى هو بالباب لا يبرح، فإذا تم أشغاله نام هنالك، ولا يذهب لبيته إلا فى أوقات محدودة، أو حاجة أكيدة، ويقول: الأيام حبالى لا يدرى ما تلد، فرما يحدث أمر وأكون غائبا.

وكان ذا ملكة واقتدار على الاشتغال، يَسُدُّ سَدًّا أربعة إذا اجتهدوا، وكان ينسبط إلى الكتاب ويمازحهم قصداً لإدخال السرور عليهم، وكان إذا تحدث مع جلسائه في فن التوحيد أحجم، وقال: كان شيخنا سيدي محمد الحراق يقول:

نحن في شرعة الغرام أذله إن أقمنا على الحبيب أدله

ويقول: يكفيننا قول من قال: اللهم إيماناً كإيمان العجائز، وكان يقنع فيه بالتقليد ويكره الخوض فيه، ويقول: الخوض فيه مما يوقع اللبس في ذهن العاجز، وكان لا يرى في غالب أوقاته غير كاتب أو مطالع أو مصل، وكان محافظاً على الطهارة كلما أحدث توضأ.

قال أبو عبد الله أكنسوس: وجدت بخطه يعنى المترجم في ذكر بعض آبائه الكرام محمد بن إدريس بن محمد بن إدريس بن محمد بن إدريس ثلاث مرات، فقلت له: ما هذا التكرار؟ فقال: هكذا بخط والدي السيد محمد بن الإمام إدريس ابن إدريس بن عبد الله الكامل، بتكرير محمد بن إدريس في عمود آبائنا تبركا بالجد المذكور، قال: فقلت لوالدي: هذا النسب صحيح؟ قال: هكذا كان آبائنا يتتسبون، وكانت عندهم ظواهر الملوك المتضمنة التعظيم والاحترام، وضاعت لهم في بعض الفتن الواقعة في باديتهم بعد انتقالهم لفاس هـ.

قال: وكان مقام سلفهم بقبيلة زمور من بني عمرو منهم من عهد قيام مغراوة على الأدارسة واختفاء الأدارسة في أعمار القبائل هـ.

قلت: وقد وقفت على تحليته وذكر نسبه وبعض آبائه في رسوم أنكحة بعض أولادها هكذا: «العالم العلامة، الصدر المكين الدراكة الفهامة: الوزير الشهير، الأديب الكبير، الذي نظم درر الفصاحة في أسلاكها، وضم درارى الأدب في أفلاكها، وأسكت كل لسان ببلاغته وأعجزه وأخجل، المرحوم المنعم بفضل الله عز وجل، سيدي محمد بن الفقيه الناسك الأجل، الواعظ المحدث المبجل، سيدي إدريس بن الخير الأَرْضِي، سيدي محمد بن المكرم المرتَضِي، سيدي إدريس بن سيدي التهامي بن سيدي علي بن سيدي محمد بن البركة الشهير الشريف المكين

الأثور المرفوع نسبة إلى أحد ولدى مولانا وسيدتنا فاطمة الزهراء البتول، سيدنا ومولانا الحسن أحد ريحانتي الرسول، أبي الحسن سيدى على الشريف الإدريسي الحسنى الشهير بالعمراوى الزمورى البويحياوى .

وكذلك عثرت على بعض الوثائق بيد أحفاده أحدها رسم يتضمن معرفة الشهود السيد أحمد بن يحيى ومن عطف عليه من المتعاشرين مع بنى عمر من البربر المستقرين بالدروج بأنهم يعرفونهم على أتم وجوه المعرفة وأكملها وبها ومعها يشهدون ويتحققون انتسابهم للجانب العلى، واتصال نسبهم للسيدة فاطمة الزهراء تاريخ الشهادة رابع محرم عام ستين وتسعمائة، وبعدها أعمال بعض القضاة لها منهم على بن حماد الحسنى، وقاضى سلا، بتاريخ سادس عشر جمادى الثانية عام ثلاثة وخمسين ومائة وألف وغيرهم من القضاة المنظمس شكلهم، وبهذا الرسم بتر وانكماش .

والثانى ظهير إسماعيلى نصه بعد الحمدلة والصلاة والطابع السلطانى بداخله
إسماعيل بن الشريف الحسنى :

«كتابنا هذا أسماء الله تعالى وأعز أمره . وأطلع فى سماء المعالى شمسه النيرة وبدره، . . . بيد حملته الشرفاء أولاد سيدى أحمد بن يحيى الحسنى وهم السيد يخلف . . . عبد الملك بن أحمد، والسيد محمد بن أحمد، والسيد العميرى ابن أحمد، والسيد منصور بن أحمد، وكافة إخوانهم القاطنين بقبيلة بنى عمر يتعرف منه بحول الله وقوته، ونصره ومعونته، أنه لما ثبت عندنا، واتضح لدينا، وأنهم شرفاء يتسبون للشجرة النبوية وييدهم رسوم وبراوات الملوك المتقدمة على . . . فى ذلك وأسبلنا عليهم أودية التوقير والاحترام، وحملناهم على كاهل المبرة والإكرام، . . . عما يطالبون به العوام، بحيث لا . . . أو يحدث لشملهم . . . ولا زيادة . . . معارض يعارضهم ولا منازع ينازعهم، ومن نازعهم من قبيلة بنى عمر ولا غيرهم يخاف على رقبته، والواقف عليه يعمل به والسلام فى أوائل ربيع

النبوى عام عشرة ومائة وألف» وبعده شهد على الطابع الشريف صدره عدل فقبل، وانظر اتصال المترجم بهؤلاء المشهود لهم.

ودار سكنى المترجم بمكناس كآنت أولاً بحومة حمام الجديد، ثم عوضت لبنيه من بعده بأخرى أحسن بحومة تبيريرين لا زالت تعرف باسمه إلى الآن.

مشيخته: منهم أبو عبد الله بن محمد بن الطاهر بن أحمد الحبابى رئيس الموقتين بمنار القرويين، والفقيه الأزمى، والسيد حمدون بن الحاج، والسيد محمد اليازغى، والعلامة سيدى محمد بن الطاهر العلوى المترجم فيما مر وغيرهم ممن هو فى طبقتهم، وأخذ عن الشريف سيدى الطيب الكتانى، والشريف سيدى عبد القادر العلمى دفين مكناسة الزيتون، وسيدى محمد الحراق، وامتجاز سيدى عمر ابن المكى الشرقاوى.

شعره: له شعر كثير، كالدرد النثير، جمع بعضه ولده الكاتب الأديب الحاج إدريس المترجم فيما سبق فى ديوان يقع فى سفرين وقفت على أولهما يتتهى بحرف النون، قال أوله: إنه كان لوالده القدم الراسخ فى موالة أهل البيت الشريف ومحبتهم، والانقطاع إليهم وخدمتهم، من عصر الشيبية إلى الشيخوخة والوفاة، وأنه كانت تصدر منه فى أغراضهم أشعار رائقة، وقواف فى أمداحهم رائقة، وعقود جواهر فى تعداد وقائهم متناسقة، غير أنه لشغله بالخدمة، وأداء حق النعمة، لم يحتفل بجمعها، ولا ابتغى غير الآخرة من نفعها، ففترقت أوراقها شذر مذر، وحجب تعاقب الليالى محاسن تلك الغرر، فشرح الله الصدر لجمع ما بقى منها فى بطون الأوراق، وصدر أهل الأذواق، مما رقى وراق، وأنه لما رأى ذلك من أكد الحقوق، والإعراض عن تلك البقية ضرب من العقيرق، فجمع منها علالة^(١) بين أمداح نبوية، وتوسلات وهبية، وفوائد عظيمة، وتيجان ملوكية،

(١) العلالة: بقية كل شىء.

وحقائق سلوكية، ونسيب وغزل، وجد في المسامرات وهزل، وقدمه هدية لمخدومه
السلطان مولاي الحسن رحم الله الجميع .

ومن جيد شعره قوله من صدر ميلادية :

فأسمع مشتاق إلى أنبائه	أعد الحديث عن الحمى وظبائه
والنازلين الجذع ابن جرعائه	وصل الحديث عن اللوى وعقيقه
ومجال أفراس الهوى وظبائه	فهناك معترك النواظر والنهى
فتكت عيون العين فى أحشائه	كم من صريع هوى بأفنية الحمى
لما سقاه الوجد من صهبائه	ومتيم لعب الغرام بقلبه
قاده مرسله العيون لدائه	وأسير وجد فى إسار جمالهم
مثل الشهيد مضرجا بدمائه	أن القتل من الغرام ودائه
ومررت ما بين العذيب ومائه	يا صاح إن وافيت منزلة اللوا
يمررن حول الحى فى أرجائه	ولقيت أسراب الطباء رواتعا
فلكم كمى صيد فى أحيائه	فاحفظ فؤادك من ظبا تلك الطبا
وتنشق الأرواح من تلقائه	وإذا بدا سلع فعرج نحوه
وصل السلام على الحمى وظبائه	وإذا مررت بحى قوم حيهم
واحطط رحالك خاشعا بفنائيه	واخلع نعالك فى مقدس وادهم
طاب الوجود بطيب طيب ثنائيه	فهناك طابت طيبة من طيب من
وأجل من لاذ الورى بعلائيه	وهناك روضة خير من ركب المطا
غمر الوجود بجوده وعطائه	وهناك قبر المصطفى من فضله

وهناك مَنْ أسرى الإله بذاته
وحباه قريبا لا يضاهاى وخصه
وأراه من آياته وصفاته
وكساه من إجلاله وجلاله
إلى أن قال يذكر السلطان:

فاق الشواقب بالمناقب والحلى
قد فاخر الأعصار عصر وجوده
غمرتنى أنعمه التى قد أعجزت
وأيت من حر الكلام بمدحه
وجلوت عذراء المدائح غادة
أهدى القريض لها عقود جواهر
وأتى بكاملها الرفيع لكامل
والله أسأل بالنبي محمد
ويديم نصرته ويثبت عزه
صلى عليه الله ما حىى الحيا
وعلى الأماجد آله وصحابه

ليلا فنال الفوز فى إسرائه
بمصون سر الحب فى إيحائه
ما كلت العقلاء عن إحصائه
ما حارت الأفكار فى إنهائه

وزرى بطيب المسك طيب ثنائه
وتنافس الأملاك فى استصفائه
شكرا فقامت لها ببعض أدائه
خلع الجمال عليها حسن رواه
وشى حلاها الفكر من إنشائه
نظمت على همز الروى وهائه
بحلى الكمال سما على أكفائه
فى أن يمتعنا بطول بقائه
وعلاءه ويثيبنا برضائه
وترنم الحادى بحسن غنائه
والتابعين الحق من خلفائه

وقوله يمدح السلطان مولانا عبد الرحمن بن هشام ويذكر إجراءه الساقية

المسماة بتسلطانت حوز مراکش إلى الغراس والجنات السلطانية:

والحسن مقصور على مواجهها
كالشمس طالعة لدى أبراجها
ترمي فريد الدر من أمواجهها
حلت بها الأعطاف من أثباجها
تعبت ملوك الأرض فى إخراجها
وتفيض غمر النيل من أفواجهها
كالغصن بين وهادها وفجاجها
وأنتك واهبة حلال زواجها
وليهنها أن صرت من أزواجها
نشرت ذوائبها على ديباجها
وجناتها وجرى على إدراجها
لكنه صرح بغير زجاجها
بدم العدا إذ أدميت للجاجها
قانى الدماء يسيل من أوداجها
غرقت بحار الأرض فى عجاجها
لتنال بعض الصيب من ثجاجها
مرهوبة تستن من إزعاجها
والسابقون رضوا ببعض خراجها
وفتحت مغلق نهرها وشراجها

وردت وكان لها السعود مواجهها
وبدت طلائع بشرها من قبلها
وتسير ما بين الأباطح والربى
وتصوغ من صافى النضار سبائكها
هبطت إليك من الجبال وطلما
وأنتك راغبة تجر ذيولها
تنساب مثل الأفعوان وتثنى
خطب الملوك نكاحها فتمنعت
فلتهنك الخود الرفيعة منصبا
حمراء عباسية بدوية
وافتك وافدة صبغ الحيا
فكانها بلقيس جاءت صرحها
حاكت لك السيف الصقيل مضرجا
فكأنما ذبحوا بها زمرا فذا
علمت أناملك الشريفة أبحرا
فأنتك طالبة الأمان لنفسها
لبتك إذ سمعت نذاك وأقبلت
ونزعتها بالقهر من غصابها
حليت مراكشا بدر عقودها

وحللت ما قد عز من أرتاجها
حلتها بالأقراط من أزواجها
ويحار رسطاليس في استخراجها
وزرى بطيب المسك طعم مزاجها
ما عاجلوا المرضى بغير علاجها
وحكى لباب الشهد حلو مجاجها
غلبت عذوية مائها لأجاجها
وعن الغناء ينوب صوت لجاجها
ويحار إبراهيم في إهزاجها
روض المسرة إذ أته بتاجها
وأرت نجابة دوحها ونتاجها
في زهرها الزاهى وفي أبراجها
من نورها كالمسك فى آراجها
فى مائها وكلائها ونتاجها
ومطالع الأقمار من أحداجها
فتمت بنجم جمالها ونعاجها
والمرشد الهادى إلى منهاجها
نحو العدا تستن فى أفواجها
نحو العدا كالشهب تحت عجاجها

وجلبت منها للرعية نفعها
كم من مزارع أخصبت وحدائق
يعلى على الإسكندر استدراكها
نالت من النيل المقدس شعبه
لو يعلم الحكماء ما فى مائها
فاق الرضاب حلاوة وعذوبة
لو مازجت ماء البحار بمائها
يغنى عن السكر طعم زلالها
تنسى الغريض ومعبدا نغماتها
حلت لنا دار الهناء وخصصت
أحييت نبات الأرض فى جنباتها
حيث الحدائق شاكلت زهر السما
نسجت زرابى فى الفلا مبثوثة
حفت بها حلل الأعارب رغبة
جعلت بساحتها ملاعب خيلها
وأنامت الأنعام حول فسيحها
يا أيها المحيى شريعة جده
والباعث الجرد السلاهب ضمرا
تهدى أستها ولع سيوفها

تجتاب باسمك كل خرق سبب
الله يسر ما تروم أما ترى
لو شئت من زهر الكواكب وصلة
كم أمة شقيت بسيفك إذ عثت
وقبيلة تبعت سبيلك فاهتدت
ومرد لعب الهوى بضميره
ومحب حق قد جذبت بضبعه
تقد الوفود عليك طالبة الغنى
فتنال غاية قصدها ولو انها
عمت مواهبك الأنام فمالها
أنزلت رحلى فى حماية مالك
ولئن لجأت فقد لجأت لسيد
طود الجلالة أصل كل فضيلة
خذها أبا زيد نتيجة فكرة
طالت فطابت كالمثوه باسمها
والبس من المدح المنظم حلة
واسلم لدهر أنت شمس زمانه
وقوله فى العنب:

وتعود بالإفلاج عند معاجها
عقم المنى عادت إلى استتاجها
لهذاك رافعها إلى معراجها
أخنى عليها الدهر باستدراجها
حاطتها حارسة العلا بسياجها
أرضته خطية القنا بزجاجها
فجته أيدي المكرمات بساجها
تزجى الركائب تحت نبهم داجها
نادتك لبها ندى أفلاجها
إسآدها يهدى إلى إدلاجها
سامى المناقب والحلى وهآجها
كشاف معضلة الورى فرآجها
بدر الخلافة فى الورى وسراجها
بكرآ تهز العطف فى ديباجها
إن شئت سحر البابلى فناجها
قد طرزت واعطف على نساجها
ولأمة أنت الكفيل بحاجها
لها خدور لصون الحسن والحسب

قد ربيت فى مهاده ما يحركه
 وأرضعتها ثدى السحب درتها
 فأصبحت بعد ما تمت رضاعتها
 تكاد تسقط سكرها فى أريكتها
 فيها لأهل التقى شكر ومهمله
 وقوله يداعب الشريف الفكه الظريف مولاي الحجازى العلوى الذى كان
 المولى عبد الرحمن يتأنس بمداعبته وكان قد مات له غلام يسى بيدق وجارية
 تسمى شويطرة:

هى الأيام تفجع بالمصاب
 تكدر بالمنية كل عيش
 وتختلس النفوس ولا تبالى
 رمت عن قوس نبعثها سهامها
 أصابت بيدقا ورمت جهارا
 فهذا كان يتبعنى نهارا
 فتحسن عشرتى وتقم بيتى
 وذلك كان يحفظ لى مغيبى
 وكان الصدق شأنهما ولكن
 أأضحك بعد نيل الموت منى
 وقد علقت شويطرة المنايا
 وتمزج حلو نعمتها بصاب
 وتولع بانتهاب واغتصاب
 وتستلب النفس ولا تحاب
 أتت من لم يكن لى فى حساب
 شويطرة ولم تشفق لمآب
 وتلك خديمتى عند الإياب
 وتحرسه وتغسل لى ثياب
 وأمتعتى ويحرس حول باب
 جيوش الموت تولع بالمرغاب
 وأنعم بالطعام وبالشرب
 وجاورت البويدق فى التراب

آسى وعلى الإله أرى احتساب
وأحذق من يجيب إلى خطاب
وأحبسها لأنسى فى اغتراب
بكارتها فيرجع لى شباب
فإنى بعدها حلف اكتئاب
فؤادى من هواها فى عذاب
من الرحمن مع حسن المآب

فأفجعت الفؤاد بها وحسبى
وكانت أنفس الأشياء عندى
وكنت أعدها لأمور نفسى
وأطمع فى اقتضائى لافتضاضى
فوا أسفا على ما فات منها
مضت عنى شويطرة وأبقت
وإنى أرتجى خلفا قريبا

وقوله وقد وصله كتاب، من شأنى يريد السباب، فسد فى وجهه الباب:

على جهة التعرض لى فى كتابه
ولكن أغض الطرف دون جوابه
وليس يحوم العيب من حول بابه
يقدر حشا المغتاب لى فى قرابه
فأنت الذى أحوجبتنى لجوابه
فأنت طرقت الليث فى وسط غابه
وقلت لك التوفيق عند اجتنابه
وردت لجاجا فى عظيم اغتيابه
ولم يتحرج من قبيح اكتسابه
سيطره من لم يكن فى احتسابه

ألا أيها الرامى بسبابه
رويدك عندى للسفيه مثالب
رميت امرءا لا يعلق الذم ثوبه
ولى من لسانى صارم الحد فأتك
فإن مضك الذم الذى أنت أهله
وإن مزقت أسمال عرضك نفثى
نهيتك عن أمر تبينت غيه
فأليت أن لا ترعوى لنصيحة
إذا المرء لم يقبل نصيحة مشفق
فدعه وأحداث الزمان تنوشه

وقوله:

فهوى الصب هواها وصبها
ونفت عنه العنا والوصبا
من لمى ثغر الأقاح الأشنبا
وأنت صبحا تشكى الوصبا
وجرت طلقا بأكتاف الربا
نازعتها برد خز وقبا
وغدت تهدي إلينا السلبا
منذ اهدت من مواليه نبا
سكنوا إلا استطاروا طربا
بشذا فاق العبير والكبا
جاورت جيرة سلع وقبا

ذكرت ريح الصبا عهد الصبا
ما سرت إلا وسرت قبله
باكرت روض النقاد وارتشفت
صافحت زهر اللواغب السرى
جررت ذيل دلال سابغا
شويشت أغصان بان عندما
سلبت من كل نور نفحة
جددت وجدا لنجد والحما
ما هفت يوما على القوم وقد
وأنت من طيها فى حياها
كيف لا تسمو على الطيب وقد

وقوله:

كأنى لم أومن بيوم حساب
ولم أتخذ عقبى وحسن مآب
وأعرض عن تقوى ونيل مثاب
به خبط عشوا فى هوى وسراب
بياض مشيى فى سواد شباب

مضى فى المناهى والملاهى شبابى
ولم أدخر زادا ليوم مقامتى
أنافس مثلى فى البطالة والهوى
وأسريت فى ليل الجهالة خابطا
أنعم عيشا فى الورى بعد ما بدا

وقوله:

وأنفع النفثات السحريات رقى
وأكبر السحر تأثيراً وأصعبه
قاض على الكل مقبول وقد شهدت
لم يهرم الدهر ما أثنى على هرم

وقوله:

أما الرسوم فلم ترق لما بى
ولقد وقفت بها أكفكف عبرتى
وأسائل الربع المحيل تولها

وقوله:

أريد إقامة الحجج المواضى
وأدحض بالحقيقة كل وغد

وقوله وقد كان فى سفر مع السلطان ماراً ببلاد زمور الشاح فبدا سرب من

نسائهم متعرضات للسلطان فاستنشده بعض الرفقاء فأنشده بديهة:

أطباء زمور سلبتم مهجتى
وهتكتم بالقهر حصن تنسكى
شنت علينا بالنواظر غارة
كفوا الحاظكم الكحيله وارددوا
أولا أيحوا للشفاه شفاهها
ولتستحلوا لثم تى الوجنات
بقنا القدود وصارم اللحظات
بجيوش حسن خريده ومهات
فأخذتم الأبواب فى الثارات
أسلاب الباب على المهجات

قالت أفى شرع الغرام تحكم
نحن الملوك على الملوك وإنما
الجور عدل عندنا والظلم حـ

أرايت منحكم على الفتيات
أحكامنا بالقهر والغلبات
ق بيننا والذنب كالحسنات

وقوله فى معنى التغزل والوداع . وعرض لذلك داع . وتخلص منه لمذح

السلطان :

عرضت لنا كالظبية المغناج
هيفاء فوق قضيب بان أطلعت
ورنت بعين مهاة رمل أودعت
لضعيف ذاك الجفن صولة قادر
خرسى الخلاخل والسوار وقرطها
يشكو لليل الشعر مدمج خصرها
والعين من فرط السقام شكت لنا
أعدى سقام جفونها جسمى كما
إن مت من فرط الغرام فقاتلى
دينى على ظبيا تهن مواعد
كم من شفا بين الشفاء لذى الجوى
أصف الدواء لذى الهوى وأظنتى
إن التى سفكت دمي بلحاظها
حيث فأحيت صبها بمكحل

تختال فى حلل من الديقاج
بدر التمام بليل شعر داج
فتنا تنسى فتنة الحجاج
فى العاشقين كصولة الحجاج
والخلى مهما مشت كثير لجاج
ما مسه من ردفها الموج
ما يشكيه الخصر من إدماج
قلبي بنار الخد ذو إنضاج
غيد الغوان بكل طرف ساج
بالقرب منهام الغرام علاج
ودواء صب فى لذيذ نتاج
من لحظ عين العين لست بناج
وسبت فؤادى بطرفها المعتاج
أحوى ووجهه أبلج وهاج

بمفلج لمدامة مجاج
والظعن فى الإلجام والإسراج
والعين تسخو بمد مع ثجاج
نعس الشفار ومقول لجلاج
ومدامع تستن كالأمواج
وطووا بدور التم فى الأحجاج
ليت الغراب مقطع الأوداج
وكلفت بالتأويب والإدلاج
فلكم قضينا بربعه من حاج
وتزيح عنى الهم حين تناج
أوقاته للأنس ذات نتاج
فجلت جيوش نواب ودياج
تجلى على النغمات والأهزاج
صبهاء صافية بغير مزاج
غير الوفا فى الحب من منهاج
فى شط بحر زاخر عجاج
أمواجه تلتاح كالأبراج
لعلمت كيف تلاطم الأمواج
تبدو لدى آفاه كالتجاج

وتبسمت فأرتنا سمطى جوهر
لم أنس وقفة عيسها يوم النوى
والقلب من ألم الفراق على لظى
تشكو النوى لمحبتها بلواحظ
ساروا فكم من مهجة فى إثرهم
هم أودعوا قلبى الجوى إذ ودعوا
نعب الغراب بينهم فتفرقوا
بانوا فبان تصبرى من بعدهم
سقبا لمنزلة اللوى من معهد
أيام تسعدنى سعاد بقربها
والدهر غض جفون كل مكاشح
كم ليلة طلعت طلائع أنسها
إذ نطلع الكاسات فيها أنجما
وندير من خمر الصبابة بيننا
لا نقتفى غير العفاف ولا نرى
وعشية رقت وراقت منظرا
يبدو فتحسبه سماء أفرشت
لو كنت شاهده وقد هب الصبا
والشمس ناشرة دوائب شعرها

وتزين صفحته بمذهب نورها
والموج أمثال الكتائب يرتمى
تهدى إليه بنفسجا من مائها
ويكاد يحكى الملك الرضا
المالك الميمون طائره ومن
ما عابد الرحمن إلا رحمة
وقوله:

قالوا أنراك عدلت عن سنن الهوى
فأجبتهم برد الزمان أصابني
وقوله:

ترقرق في وجه الصباح صبوح
وعاودنى للأنس عيد مسرة
ولم أر مثل (المأمونية) معهدا
هو السهب للشهب الزواهر مطلع
قباب كأبراج السما ومنازل
بها للظباء الكائنات ملاعب
وقد صفقت تحت الظلال مذائب
ظللنا بها والسحب ينثر دره
تلون فيه الجو كالدهر بشره

فيهز عطف التيه عقبى الداج
ويغير نحو الشط في أفواج
فيرده متكسرا كالعلاج
في جودها لو كان غير أجاج
حياه وجه السعد بالأفلاج
ظهرت لحسم ضلالة وعلاج

مذ حدث عن نظم القريض ونسجه
فجمود نار قريحتي من ثلجه

فبان به اللهم عنى سرورح
به لعهود الأنسات فتوح
بأكنافه تغدو المنى وتروح
وللفضل فيه والجلال وضوح
خلال بروج قد علت وصرورح
سمت ولربيات الجناح جنوح
وساحت فصاحت في الغصون صدوح
وللغصن فيه والأضات طموح
يمارجه تحت الغمام كلوح

وللريح فى تلك الخمائل زفرة
وللكأس فى كف السقاة تبسم
فلا زال مأوى للملوك وللعلا
وقوله:

بنفسى روض من جمال جلوته
سقاء حيا حتى ارتوى ورد خده
وغرد ورق الحلوى من فوق قامة
فعانقت منها الغصن يهتز بأعما
وقوله:

دعا داعى الشريعة للجهاد
فما هذا التناقل والتوانى
وكم هذا التغافل والتعامى
وقال من مولدية:

يا نسمة هبت مع الأسحار
وتقر من أهل المحبة أعينا
حيث بأنفاس الخمائل أنفسا
وافت تجر من الدلال ذبولها
تروى أحاديث العقيق وحاجر
فتسوق للصب المشوق صبابة

كزفرة صب قد عراه نزوح
وللشرب تقطيب لها وكلوح
تقرر فيه للسرور شروح

وقد غفل الواشون عند صباح
حياء فحيانا بشفر أقاح
سمت فوق ردف كالكتيب رداح
وقبلت منها البدر غب ليح

فلبوا مهطعين إلى الجلاذ
وحزب الشرك يضرب فى البلاد
وقد حفت بكم زمر الأعادى

تحبى القلوب بعرفها المعطار
لم تكتحل بعد النوى بغيرار
تشرى اللقا بنفائس الأعمار
وهنا وتسمح أوجه النوار
عن بان نجد عن شذا الأزهار
وتشب فى الأحشاء جذوة نار

وتبث عن عرب برامة خيموا	سرا تزهره عن الإضممار
تتمایل الأشجار عند سماعه	طربا وتفصح ألسن الأطيبار
لم تدر دارين لسالب مسكها	طيب الأريج ولا ظفير ظفار
لم لا تفوق وقد تلقفها الصبا	وروى شذها نسائم الأسحار
وأنت على دار الحبيب فأذنت	منه بقرب مسرة ومزار
وتوافق السعدان فارداد العلا	فصل الربيع ومولد المختار
شهر به اهتز الوجود بأسره	لظهور سر الله فى الأسرار
وسرت مسرته على طول المدى	وتجددت بتجدد الأعصار
لاحت بغرته السعود وأشرقت	فرحا بوسطاه سنا الأنوار
وتزينت فيه الجنان وحوورها	وتبرزت بمنصة استبشار

وقال من قصيدة يهتئ بها مولانا على بن مولانا سليمان بدار أسكنه فيها
والده السلطان رحمه الله وقد جمع فيها العلماء والأعيان، لقراءة ختمات من
القرآن، وكان ممن جمعته تلك الجملة، وانخرط مع أولئك الجملة، :

حياك حياك رب العرش يا دار	ودار مع ساكنيك العزم ما داروا.
ولن تزالى بإذن الله دار على	والمجد والجود والعلياء عمار
دار تود الشموس لو تحل بها	وتحسد النازلين فيها أقمار
شيدت بها غرف من فوقها غرف	وقد جرى تحتها كالخلد أنهار
بها سواری عواری كالجوار بدت	عليها للحسن والإتقان أنوار
قد نمقت بيديع الحسن ساحتها	كأنها الروض والألوان أزهار

فى خصة فىها للرائىن أسرار
وليس يذكر للرهراء أخبار
فىها مدى الدهر للرحمن أذكار
دهراً لكفاء لها فى الناس تختار
فنعمن من حلها ونعمت الدار
أن قد غدا صنوه الأسمى لها جار
كذا لىال الوصال فىها أقصار
وللمصلين بالتسبىح إظهار
لىست تحاكىها قىنة وأوتار
وللمدائىح إقبال وإدبار
كأنهن قنا سنانها النار
إن الدجا من جىوش النور فرار
مثل النجوم لها فى اللىل إزهار
فىرجع الطرف عنها فىه إحسار
وللورى ببىدعى الحسن إقرار
وللبها منك إىراد وإصدار
لما ثوى بك من للمجد مختار

جرى بها سلسل مثل اللجىن بدا
فما البىدعى بىدعى عند رؤىتها
أست على اللىن والتقوى ألىست ترى
عذراء قد بهرت حسنا وقد عنست
فكفؤها المرطفى الأسمى أبو حسن
وزادها شرفا فخما إلى شرف
بتنا بها لىلة ما كان أقصرها
للقارئىن لىلى أرجائها
بنعمة تدهش الألباب مطربة
للند والعود فى أرجائها أرج
وللشموع سطوع فى مجالسنا
قابلن جىش اللىجى ففر منهزما
وللمصابىح فى تأنىقها عجب
نردد الطرف فى أرجائها عجباً
ىقول مبصرها من حسن بهجتها
یا روضة الحسن منك الحسن مسترق
أنت التى جمعت للحسن أجمعه

وقال يهنئ أخاه في أله الفقيه النزيه السيد محمد الشرفى بعرس:

هنيئًا أبا عبد الإله لك البشرى
وهذى رياض الحسن تزهو أريضة
فرد من زلال الود غير مكدر
فقد وصلت من بعد طول تشوق
سرت وظلام الليل أرخى سدوله
عجبت لشمس زارت البدر فى الدجى
حكى ظبية وعساء جيدا وناظرا
تشوق منها القرط صوت خلاخل
وقد غردت من فوق غصن قوامها
تريك عقود الدر عند ابتسامها
ولا عيب فيها غير سقم جفونها
وغير حديث قد حكى السحر رقة
فواصل بها وصل السرور ودم على
وخذها كما شاء الوداد خريدة
ودونكها كالروض قد نشر الحيا
ففتق من صوب الكمام أزاهرا
ونادت طيور الشكر فوق غصونها

فهذا زمان السعد قد أظهر البشرى
وهذى بشارات السعود أتت ترا
وجل برياض الحسن واقتطف الزهرا
غزال بليل الشعر قد أطلعت فجرا
وزارت على بنعد الديار لنا بدرا
وعهدى بأن الشمس لا تدرك البدرا
وأزرت بقدر الغصن والصعدة السمرا
فأرسل للإتيان بالخبر الشعرا
حمام حلى آذنت باللقا جهرا
وتسفيك من سلسال ريقتها خمرا
وكفل رداح ثقله أنحل الخصر
له فى سويدا قلب سامعه مسرا
ذرى المجد والعلياء مرتقيا فخرا
تفوق الذى أعطيت فى وصلها مهرا
بأرجائه من دمع ديمته درا
فأعبت الأرجاء من طيبها نشرا
هنيئًا أبا عبد الإله لك البشرى

وقال يتغزل:

وبحسن قد كالفضيب الزاهر
كدجنة فاعجب لحسن باهر
وردية ذات الأريج العاطر
يشفى الحشا من كل داء ضائر
والذ من رشف الرحيق لخطارى
وجلبت لى من شقوة يا ناظرى
وحصلت فى شبكات ظبى نافر
ورميتنى فى بحر حب زاخر
ما بين جيش قواضب وبواتر
بظبا ظباء لم أجد من ناصر
بشفا شفاه اللعس تحت غدائر
لمتيم فى حاجز بمحاجر
بشفار الحاظ رمت بخناجر
فغدا أسير عوامل ونواظر
وشددن أسر وثاقه بمغادر
فتاكة بشفار شفر فاتر
طرفى بطرف بنابلى ساحر
والسحر أيد جنده بعساكر

سحرتك بالطرف الكحيل الساحر
وبغرة كالفجر تحت ذوائب
وبنقطة مسكية فى وجنة
وبريقها المعسول إلا أنه
ريق أعز على من نيل المنى
ماذا وكم أوقعتنى فى حسرة
ولكم جمحت بتيه ميدان الهوى
ولأنت يا قلبى فكم أصليتنى
أدخلتتى فى وسط معركة الهوى
وتركتتى فى حى ليلى مثخنا
يا سعد هل لى فى الهوى من سعد
أم هل بنجد هواهم من منجد
فتكت عيون العين فى أحشائه
وسطت عوامل قدهن بقلبه
أوثقنه بجبال وعد مخلف
نفسى الفداء لظبية فتانة
نامت نواظرها وقد سلبت كرى
وغدا الجمال بأسره فى أسرها

تسبيحها سبحان ربي الفاطر
مكسورة من كسر طرف كاسر
من تحت ليل ذوائب وغدائر
بالسحر ترمى كل صب ناظر
يروى فيسند ساحر عن ساحر
حب القلوب ولم تخف من زاجر
ناهيك من حسن بهى باهر
ومحصب الأحشا رمت من حاجر
بجمالها ومهيما فى سائر
فاعجب لعاذل ذى غرام عاذر
غابت شواهدة بوجه سافر
بالشعر حتى عاد عند أوامرى
فاقت قلائده بدر فاخر
والكاس نجم فى سماء أزاهر
قطعنا ألد من المدام الدائر
ثغر وشعر مع عقود جواهر
وزمان أنس بالأوانس زاهر
من كثرة الأشواق بين محاضرى
لزماننا الماضى بوصل حاضر
ويكفر الماضى بحسن الآخر

فإذا بدت سجد العيون لحسناها
وترى القلوب خواشعا لجمالها
شمس على غصن تكون فى نقا
نصبت قسى حواجب موتورة
فكأنما هاروت عن أجفانها
ورعت رعاها الله فى ربع الحشا
غيداء قد ورثت محاسن يوسف
وتوطنت بالمنحنى من أضلعى
فغدوت ما بين الأنام متيما
وغدا عدولى عاذرا فى حبها
كم من عدول فى الهوى ومكاشح
ولكم رقيب فى الهوى ألفتة
ولكم نظمت سلوكه فى عادة
ولكم ليال قد جلوت فريدة
ومديرنا رفع العقيرة منشدا
يشدو فيبدو الدر من أصدافه
سقىا لأيام الوصال وقربها
إنى لأذكره فأحسب أننى
وأقول للأيام هل من عودة
فعماء يظهر لى المتاب بعودة

وقال يمدح سيدى محمد بن السلطان الموالى عبد الرحمن وكان إذ ذك

خليفة والده بمراكش وولى عهده ووجهها له سنة ١٢٦٢ مع ولده الحاج إدريس:

عرضت وجيرتنا على أوفاز
هيفاء يعطفها الدلال فتثنى
هزت من القد القويم مهفهفا
حكمت بحلية الدماء ومادرت
وقضت علينا بالوفاء ولم تدن
بانث فقلبي خافق ومدامعى
تلك الطباء طباء رامة قد غدت
من كل قاصرة تطول إذا رنت
تبدى التأنس بالنسيب وطالما
جور الحسان على الكرام وظلمهم
ما ذاك إلا أن أنصار الهوى
ملك الجمال على القلوب محكم
تعنو لهيبته الرقاب كما عنت
علم تفرد بالجلالة والنهى
زان الرياسة بالسياسة والعلا
وسما إلى رتب الكمال بعزيمة
فاق الثواقب بالمناقب وارتقى

فى سرب عين بالنسيم جواز
فرحا ويكسوها حلى الإعزاز
ومن اللحاظ الدجع حد جراز
أن الشريعة لم ترد بجواز
فى مطل موعدها لنا بنجاز
مرمضة والصبر فى أعواز
فى جيش أرباب الغرام غواز
حزب الكمأة وهى فى تجواز
أعيت مكايدها على الغناز
عدل بلا شكوى ولا اشمئزاز
فى صولة تخشى وفى إعزاز
وجيوشه من أفخذ الأوشاز
لمحمد المحمود ذى الأحراز
وغدا لخصل السبق ذا إحراز
بسخائه والوعد بالإنجاز
لا تثنى وبصـارم هزهاز
عن طيب أخلاق وطيب نجاز

ساويت بين الصقر والخزباز
كلا ولا كل النسيم حجازى
ما صيد باشقها كصيد الباز
إجلاله فى موقف الإعجاز
فوجدت بسط القول كالإيجاز
ما إن لفضلك فى الزمان موازى
ردت أبى النفس كالجلواز
وسواك سام السرح فى الأجراس
وقضى لوعده علاكم بنجاس
لما اكتفى منها سوى بمجاز
بذكاء فهم رائد وحزاز
والسبق فى الميدان يوم براز
ونظقت نطق مصدق ممتاز
ومشاهد مشهودة ومغاز
للمارقين وسيف كفك غاز
تذر الكمأة الصيد كالحرار
مشهورة بالفتك فى الشراز
والضرب فى الأعناق والأجواز
جهزتها لحلاك خير جهاز

قل للمحاول شأوه أقص فقد
ما كل برق لاح برق تهامة
والطير يظهر فى المطاعم فضلها
حاولت مدح محمد فأقامنى
وأطلت فى أوصافه متطفلا
يا مفردا جمع الفضائل كلها
أرهقت أرباب الضلال بصولة
وأسمت سرحك فى رياض سعادة
وكساک والدك الرضا حلل الرضا
أدركت فى التقديم كل حقيقة
سأقت أرباب العلوم ففقتهم
فلك اليد البيضاء فى أنواعها
فسعيت سعى موفق ومسدد
كم فتكة بكر لسيفك فى العدا
كيف النجاة وسيف سعدك طالب
قدت الخميس إلى الوطيس بعزيمة
واسود حرب غابها سمر القنا
لا يعرفون سوى التقدم فى الوغا
وإليها أبكار فكر غضة

تاهت على شعر العراق لطافة
يهوى الرقيق الطبع رقة طبعها
قد جئت بالدر النفيس مفصلا
ولطالما طلب الغواة ذخائري
سمحت بها الأفكار وهي لواعب
وأنتك عفوا حرة من حرة
أنى يعارض الغوى وقد غدت
حصتها بعلاك خير تيممة
ترمى نجوم سمائها حرسا لها
ويحوط حوزة سرها ذو مرة
ولكم دعي رام عجم عقودها
أسدى وألمح في مجال غروره
والشعر يعرف قدره من حاكه
دم في ذمام المجد محروس العلا
وقال:

وزرت بأهل الري والأهواز
ويعدّها الجهال في الألفاز
عقدا وما أنفقت من أعواز
حرصا ففاقوم نفيس ركاز
فأتت بغنة قينة ميجار
والحر لا يحتاج للمهماز
بصفات حمدك في صوان طراز
من كيد كل مكاشح هماز
شهباً لحرق الكاشح اللماز
فكانه باز على قفاز
والدر لا يمتاز للبزاز
ما حرفة الصواف كالقزاز
نساجه أدري من البزاز
في نعمة موصولة بمفاز

فألروض قد أهدى حلاه وخزه
قد أحسنت أيدي السحائب طرزه
فتحت رقى كتز الغمام كتزه
ما أوضحت لس الكمام رمزه

نادى السرور بسعدكم فتنزهوا
بسط الربيع به بساط زبرجد
قد كان كتزا في التراب مطلسما
أبدت خبايا الأرض من بركاته

تهدى بدائعهم وتنشر بزه
أعلامه يبدى علاه وعزه
من رام شأو سناه منها عزه
وشتائه يوم الفخار وبزه
فأشب نرجسه وشيب لوزه
أرجا سرى أحيا الفؤاد وهزه

طلعت طلائعهم بكل ثنية
وجيوشه النوار تظهر فى الربى
ملك الفصول له التقدم بينها
فخر الزمان بصفيه وخريفه
متصرف فى الأرض عند وروده
تتنفس الجنات فيه أما ترى

وقال:

أعرضن عند الجواز
فى مهجتي بالجواز
وكل شفر جراز
لدى فؤادى مغاز
وهن حلف اعزاز
إلا اللقا والتجازى
إلى (الشريف الحجازى)
يقضى بحسن نجاز
فهو بها ذو امتياز
ما أن له من مواز
كل فصيح مماز
إن صراح فى الأفق باز

ما للظباء الجواز
فتكن بى فمن أفتى
بكل قـد قنائة
لهن فى كل يوم
قد طال للعين جور
ولا شفاء لقلبي
سأشتكى الظلم يوما
فهو فى الحب قاض
قد حاز كم من خصال
ففى الفصاحة فرد
إن قال أسكت قهرا
وهل لديك صـراخ

أقسم بالبیت حقا

ما إن رأیت ظریفا

وقال يتغزل:

ألا خبروا ذات الخلاخل والقرط

لقد أودعت قلبی وربك لوعة

تمیس كخوط البان غازله الصبا

رمتنی بسهم الغنج عن قوس حاجب

وما كان الحب إلا بنظرة

عجبت لها مذ ورد الحسن خدها

وحلت بقلب المستهام وأهلها

وقال:

أبصر مقلتی فريد جمال

ظبی أنس قد قلبی بلحظ

همت فيه لما تطلع بدرا

وبالصفاء والحجاز

مثل الشریف الحجازی

بأنى ملك للجمال بلا شرط

غداة بدت بين الوشاحين والمرط

وتسفر عن بدر وتفتقر عن سمط

فأصمت فؤاد المستهام ولم تخط

وتبتدئ النيران من ضرم السقط

وزينة كف المحاسن بالنقط

بذات الغضا ما بين نعمان وأسقط

قد سبى مهجتي بشجر الرباط

حل فى حبه على رباطى

فوق غصن هفا بـ(برج السراط)

وقال مجيبا لبعض أهل الرباط، ممن كان له به معاشرة وارتباط، وضمنها

مساجلة ومداعبة فى عتاب، وملاما على تقصير فى كتاب:

فأنهلتنى كأس الوداد على شحط

صبا للصبأ النجدى ذو اللمم الشمط

كأنك قد عاطيتنى كأس إسفنت

أتانى نظام منك كالدر فى السمط

وذكرنى عهد الصبا ولطالما

هزرت به عطفى ارتياحا ونخوة

ودبت حميا لفظه فى مفاصلى
وقرظت أرضا بالجهد تشرفت
أما فى رباط الفتح للفتح آية
ولكننى أملى عليك دعاة
وأبديت فى حكم الغرام تلونا
كأنك فى هذا خليع صبابة
أراك استباك البحر والموج والهوى
وقابلتنى لما نأيت بجفوة
أما هذه شهران مرت ولم يجئ
إلى أن أتت من بعد نأى رسالة
وجئت بها بدعا لفرط اختصارها
ولولا اتضاح الصفح فى صفحاتها
لأرسلت من عتبى إليك كتابا
ولولا الحياء من صفى أبى العلا
لم يراعى السرى فى الأرى واغتندى
حماك حماه من سماع يراعى
وقم فى مقامى عنده وارع وده
وكن شاكرا للفضل والفصل ذاكرا
فلا زلتما فى نعمة وسلامة

جررت بها من نشوة طربا مرطى
وحلت من العلياء فى موضع القرط
لمن يفهم المعنى المراد من الربط
تلوح كأخت الظبى تختال فى الربط
فطورا أخو ضبط وطورا أخو خبط
يشبب بالسودان طورا وبالقبط
وهمت هيام البط بالماء والشط
ولم تجر فى شرع الوداد على شرط
رسولكم لا بالسلام ولا الخط
خبطت بها عشواء فى مضمير الخبط
ولم تسم الأخبار والود بالضبط
وما قد حواه الصدر من غرر البسط
مجللة بالزعف والبيض والخطى
أخى المجد والعليا والخلق البسط
على البعد يغرى الكف بالقد والقط
فلا ترع بعد مربع الأثل والخمط
وراع رعاك الله مالى من قسط
عهودى ولا تصبح لذاك أبا غمط
بجيد كما حلى المكارم كالسمط

وقال من قصيدة:

وأخفت بأفلاك السعود جمالها
عليها الغواني الحافظات حجالها
أم الشمس أبدت في السحاب اعتدالها
فأخفت لنا شهب السما وهلالها
تجل عن التمويه من أن ينالها
وقد سلبت غض الغصون اعتدالها
تأمل ترى أسلاكها وفصالها
تود ذوات الحسن منها دلالتها
تروم يبذل الروح منها وصالها
بأفاقها والنور يبدو خلالها
فأهدت إلى نفس المحب خبالها
إلى القلب من قوس اللحاظ نبالها
تهد من الشم الرواسى جبالها
وقد سئمت نفسى الغداة مصالها
تصدى لها واشى الهوى فأمالها
من الوجد هل تسلو الجياد اختبالها
وقد جدل النوم الثقيل رحالها
يروم من الحسنة قهرا منالها

بدور أعارت للبدور كمالها
حوى كل خدر بدر تم وأسدلت
فقلت أفجر قد تبلج ضوءه
فقبل بلى شمس الجمال تطلعت
تأمل ترى حسن البداوة ساذجا
تعلم منها الظبي حسن تلفت
تشابه حسنا ثغرها وعقودها
وفى الكلة الحمراء بيضاء غادة
لديها قلوب العاشقين أسيرة
عجبت لها والليل أرخى سدوله
نظرت إليها نظرة يوم حاجر
وأخرى بأكتاف العقيق فأرسلت
فعدت وفى قلبى من الوجد لوعة
وعاشت لما منت من الوصل برهة
إذا أزمعت وصلى نجازا لوعدها
وإن رمت سلوان الهوى قال قائل
سموت إليها بعد هده وهجعة
فقلت ألس أنت أم أنت فاتك

وقالت لَعَا لو كان غيرك قالها
بفودك صبح الشيب ينفى اتصالها
وعدت على نفسى أفبح حالها
بمن يبتغى الأخرى ويبغى كمالها

وقال يصف أهل الزمان، وأن الإنسان لا يسلم منهم كيفما كان:

وغى إذا ما ميز الناس عاقل
إلى نحو ما عاب الخليفة مائل
وإن عاينوا شرا فكل مناضل
ولا فيهم عن زلة متغافل
حسيبا يقولوا إنه لمخاتل
وسموه زنديقا وفيه يجادلوا
وليس له عقل ولا فيه طائل
مثلة بالعى بل هو جاهل
لما عنه يحكى من تضم المحافل
يفاخر بالموتى وما هو زائل
كبيض رماد ليس يعرف خامل
من السحت قد رابى ويس المآكل
حقيرا مهينا تزدره الأراذل
وشحة نفس قد حوتها الأنامل

فقلت لها إنى محب فقههت
أتهوى وصال الغانيات وقد بدا
فأبت ولم تعلق بكفى ريبة
أشيب وعيب إن ذا غير لائق

أرى الناس قد أغروا ببغى وريية
وقد لزموا معنى الخلاف فكلهم
إذا ما رأوا خيرا رموه بظنة
وليس امرؤ منهم بناج من الأذى
وإن عاينوا حبرا أديبا مهذبا
وإن كان ذا دين رموه ببدعة
وإن كان ذا زهد يسموه نعجة
وإن كان ذا صمت يقولون صورة
وإن كان ذا شرفويل لأمه
وإن كان ذا أصل يقولون إنما
وإن كان مجهولا فذلك عندهم
وإن كان ذا مال يقولون ماله
وإن كان ذا فقر فقد ذل بينهم
وإن قنع المسكين قالوا لقله

يطالب من لم يعطه ويقااتل
أناه من المقـدور حظ ونائل
وإن لم يجد قالوا شحيح وباخل
وإن أجملوا فى اللفظ قالوا مبادل
وإن عف قالوا ذاك خبيث وباطل
ولكن لإفلاس ومائم حاصل
وذاك رياء أنتجته المحامل
ولاعب ذا الآداب قالوا مداخل
وكان خفيف الروح قالوا مثاقل
وكان ذا ثبت يقولون ناكل
لشر الذى يأتى وما هو فاعل
بمن يتعمده الردى والغوائل
لما هو من شر المآكل آكل
وذو حسد قد بان منه التحامل
فإن الذى تخشى وتحذر قائل

وإن هو لم يقنع يقولون إنما
وإن يكتسب مالا يقولوا بهيمة
وإن جاد قالوا مسرف ومبذر
وإن صاحب الغلمان قالوا ألا بنت
وإن هوى النسوان سموه فاجرا
وإن تاب قالوا لم يتب لزهادة
وإن حج قالوا ليس لله حجه
وإن كان بالشطرنج والنرد لاعبا
وإن كان فى كل المذاهب نافذا
وإن كان مقداما ما يقولون أهوج
وإن يعتلل يوما يقولوا عقوبة
وإن صح قالوا ليس لله حاجة
وإن مات قالوا لم يمت حتف أنفه
وما الناس إلا جاحد ومعاند
فلا تتركن حظا لخيفة قائل

وقوله مادحا السلطان المذكور ومهتئا له بشامخ تأييده لما خرج جيش الوداية
عن الطاعة، وشقوا العصا ونبذوا يد الجماعة، وظهرت له مخايل الإعراض من
جلالته قبل النكبة، واستجماع الهزير للوثبة، وكثرت به الوشايات، ودبت له
عقارب الإذايات، فخرج له المدح بالعتاب. وذكره بصالح خدمته لتلك الأعتاب،
وما يغنى الدفاع إذا تمكنت الأسباب، وإلى الله المرجع والمآب:

حباك الله نصرًا مستبيناً
وإسعاداً وتمكيناً مكيناً
وأودى به البغاة المعتدين
غزوت حبالك الفتح المبين
فعاون الله للذمت وكليناً
فقم بالله ربك مستعينا
وكان لهم بمكرهم مهينا
مكأيدهم وعادوا صاغرينا
وأضحوا ما أتوه ناكرينا
ومن في حزبهم والمسلمينا
إلهى أنت خير الناصرينا
على هلك البغاة المارقينا
ويشفى صدور قوم مؤمنينا
ونصرة دين رب العالمينا
والحق فعلهم بالمشركينا
بغاة على جهاد الكافرينا
وليسوا فى الأنام بمعجزينا
بغدرهم أمير المؤمنيننا
وذكرا سائرا فى الغابرينا

أمولانا أمير المؤمنيننا
وزادك رفعة وعلو شأن
وحكم سيف عدلك فى الأعادى
فإنك غالب بالله مهما
كفاك به اعتصامك كل عاد
فقد حان حين مهلكهم ونادى
ولو لم تغزهم لكفاك ربي
وقد فشلت رياحهم وخابت
وقد ساموا كبارهم هوانا
وقل لعبيد سيدنا البخارى
ثقوا بالله واعتصموا وقولوا
فأنت ملاذنا وبك استعنا
سيخزيهم وينصركم عليهم
ولا تخشوا فأنتم فى جهاد
فإن الشرع فى الباغين أفتى
وقدم أهل مذهبنا جهادا ال
وحكم الشرع فى الأعداء ماض
فقد شقوا العصا وبغوا وخانوا
فكم من مثلهم صاروا حديثا

وإن البغى مرتعه وخيم
فهم أهل الردى إن لم يتوبوا
وأنتم أهل مكرمة وحلم
يزيد الله أهل العفو عزا
أمير المؤمنين إليك أشكو
وأكبرها صدودك لا لشيء
وإهمال الخديم وذاك عار
فلا كتب تسر ولا سلام
وإصغاء السماع إلى أعاد
وقد أشفوا صدورهم وأضحوا
وكم قاسيت بعدك من أمور
بكيث لها دموع دم ولما
وضاقت هذه الأرضون عنى
فلو كان الممات يباع يوما
ولكنى سأسأل عفور ربى
وأرجو الحق يبدى الحق حتى
فإن الله لا يخفاه شيء
وهل يخفاكم أمرى وأنى
وأفئيت الشبيبة فى رضاكم

عقوبته معجلة يقينا
ولم يأتوا لحكمك، طائعيننا
وعفو عن جميع المذنبينا
كما بحديث خير المرسلينا
أمورا خلفت قلبى حزيننا
سوى زور الوشاة الحاسديننا
على أهل الوفاء الأكرمينا
به يحيى المشوق إليك حيننا
حسبتهم للملك ناصيحيننا
بنا بين البرية نمامتيننا
يكاد الصخر منها أن يلينا
أجد بين البرية راحميننا
لزور المترين المفتريننا
لكنت لكأسه فى الشاربينا
فإن الله خير الراحميننا
يريك الأصدقاء والكاذبيننا
وليس يضيع صدق الصادقيننا
خدمت جنابكم تسعا سنينا
ولم أمدد لغيركم عيوننا

ولست بناشئ في الخائنين
فأبدوا من مكايدهم فنونا
لكنت بمكرهم في الهالكينا
فلا تسمع كلام العار فينا
وتأباه قلوب العارفين
فعاملنا بذلك ما حيننا
على حسن المذاهب ما بقينا
وحسن تقدمي في الناصحين
عرفت ولا رضيت سواها دينا
يزيد علا بنار الموقدينا
لملتزم لخصرتك الحينا
يكن لك فهو خير الناصرينا
محمدنا شفيع المذنبينا
وآل والصحابة أجمعينا

ولم تكن الخيانة من فعالي
ولكن ضاق بي الأعداء ذرعا
فلولا حلمك البادي علينا
فديتك إن غدوت بعيد دار
فشيمتك الكريمة ذاك تأبى
وحسن الظن خلقتك قد عهدنا
فرجع حسن ظنك بي فلإني
وتعلم حالتي وصلاح أمرى
فما بدلت بعد البعد حالا
أنا الياقوت في طبع ونفع
وإني إن عدت عنكم عواد
وأسأل ربنا في كل وقت
بجدك سيد الأكوان طه
عليه صلاة ربك مع سلام

وقوله مخاطبا الأمير المذكور وقد بلغه أن أعداءه نسبوا له عنده الخوض مع
من خاض من أهل فاس في الفساد عند خروج الوداية، وتجردهم للفحش
والإذاية، وكان السلطان يعرف براءته ودينه، ويورده من حسن الوداد معينه:

إذا أنت بالحال الخفى عليم
والزور في خلق الورى معلوم

مولاي إني بعهد ودك واثق
قد أكثر الواشون من بهتانهم

ليس الملام عليهم فيما أتوا
إني صبرت على المكاره حسبة
وكفى بعلم الله واسع قول من
حسدوا الفتى إذ لم ينالوا سعيه
خافوا فضيحتهم بردى فأنبروا
إني ليحجزنى الوفاء عن الجفا
فالود باق والمحبة غضة
إن كنت ختتك فى المغيب فخانى
وإذا سمعت بما يسىء سماعه
إنى سعيت ولا أزال بفضلكم
وبذلك نفسى وما ملكت لأجلكم
ولسوف تتضح الحقائق جهرة
وإذا علمت بحالتي ولم تصخ
إن صح لى منك الوداد فإنه
ظنى الجميل بكم لحسن وفائكم
أنا عبد إحسان له بولائكم
وعليكم حفظ الوداد لأنكم
حاشاكم أن تشمتوا الأعداء بى
والله أسأل أن يدوم لملككم
بالمصطفى وبآله وصحابه

بل من يصيخ إلى الوشاة ملوم
والله يعلم أننى مظلوم
قبلى وظلم الحاسدين قديم:
فالقوم أعداء له وخصوم
للسعى فى هئكى وذلك لوم
والدين عما زوروا والخيم
والصدر من داء الفساد سليم
حال المصاب الصبر والتسليم
أملت أن لو حل بى المحتوم
أسعى لنيل طلاحكم وأروم
وصبرت حيث المستعين عديم
ويلوح من أسرارها المكتوم
للحاسدين فأمرهم معدوم
حسبى وحسب الحاسدين الشوم
ولدينكم ولفضلكم معلوم
كولاء سلمان له التقديم
أهل الوفاء وعبدكم مكروم
أو أن يساء على الوفاء خديم
النصر والتمكين والتعظيم
فعليهم الصلوات والتسليم

وقوله فى حالة سجنه، وفقدان أمنه، يتضرع للسلطان فى إقالة عشرته،
واستنقاذه من نكبته :

الحلم شيمة أهل البيت والكرم
والرفق ينشأ منهم والحنانة مع
حسن الوفاء وحسن العهد شأنهم
لا يؤسبك من غير عقابهم
خلائق ورثوها عن أب فأب
أقررت بالذنب والغفران يشملنى
وقد جعلت شفيح الخلق كلهم
ياسيدى عابد الرحمن عفوك عن
قد تاب توبة صدق من جنائته
عامله لله وأعتقه ورق له
قد عم حلمك كل الناس من كرم
لا زال ملكك فى عز وفى شرف
بجاه جدك خير الخلق قاطبة
والآل والصحب ما هبت بجاههم
وما سرى فرج للمستجير بهم
وقال وهو بحال الاعتقال، وكان الحكيم محمد يفرح رحمه الله رمز له
بمقال، وأوضح له لغز فال، فكتب له يستدعيه، كى يستفيد منه ما يعيه :

عسى نفحة من حضرة القدس تسرح
وتأتى بتفريج وأمن وبسطة
لقد غاب عنى النهار وضوؤه
لئن صدر عنا النهار وضوءه
عليه سلام الله ما هب ناسم
وقال:

الا عطفة يا آل بيت محمد
أضر به ثقل الحديد ويرده
يحاكى الذى الموصول معنى وصورة
وقال:

ألا يا سيد الشفعاء غوثا
وآله الثقاف وعظم حزن
دعاك وإنه فيك ذو يقين
وأنزل رحله بك مستجيرا
عليك اله فى القرآن صلى
وقال من قصيدة:

أسيدنا إنى بعفوك لاأثد
تكدر عيشى مذ رأيتك معرضا
فإن كنت قد أذنبت فالعفو واسع
وفى سارعوا خير لمثلك نيله

فيزهو بها قلب المعنى ويفرح
ويصدق ما قال الموفق يفرح
فلا سره يبدو ولا الكتب تشرح
فبعد غروب الشمس مسرى ومسرح
وما دامت الأرواح فى الكون تسرح

على ضائع فى السجن من غير فائدة
وهذى الليالى بالبرودة شاهدة
هبوا صلة بالفضل منكم وعائدة

لعان قد أضر به الحديد
يخر لبعضه البطل الشديد
يعالجه بك الفرح العتيد
فداركه بجاهك يا حميد
وسلم إنه الرب الحميد

من العتب أو من ظنة وملال
وأسهرت فى عد الذنوب ليال
وفى العتب للأحرار ضرب نكال
وأخذك بالآداب خسير منال

يافهم حال أو بلحن مقال
رقابهم يوم الفسخار نعال
فإني إن تولوا المبرة غال
وداء عفاكم رينا المتعال
وسابقت في الميدان كل مغال
صباح مشيبي في سواد قذال
خبير بواش في الأنام وقال
ولست بحزب المبطلين أبال
فلا تجعلني بعدها في شمال
وبالرعى للخدام خير موال
ومن خلقك المحمود حسن فعال
وتمنحنا فضلاً غير سؤال
وتلك لعمرى شيمة المتعال
وأنتم - حفظتم - تعلمون بحال
ولى ذمة منكم وحرمة وال
وأمدح من والاكم وأوال
أنافس في أمداحكم وأغال
بحمدكم فاقت سلوك لآل
ولا تقطعونى بعد طول وصال

وسر العلا والود يظهر للفتى
فلا تشمت الأعداء بى بعد ما غدت
ولا ترخصوا عرضى لهم بصدودكم
ولا تجمعوا هجرا على وغربة
خدمتكم عشرا سنين أعلها
قطعت بها شرخ الشباب وقد بدا
ومثلى محسود عليكم ومثلكم
إذا ما حوت نفسى رضاك فحسبها
وقد كنت فى يمينى يديك جعلتنى
وأنت بتتميم الصنائع كافل
وعودتنا من حسن عهدك شيمة
تسائل عنا حيث غبنا وتعتلى
وتولى الذى تلقى البشاشة راضياً
ولم يك عن سوء يظن تأخرى
وإنى لمولاكم وكاتب سركم
أعداى الذى عاداكم وأذمه
وإنى لعمر الله حسان مدحكم
وقللت جيد الدهر كم من قلادة
فلا تحرمونى قربكم بعد نيله

ولا تطردونى بعد ما بعلاكم
بقيتم بقاء الدهر كهفًا لأهله
بجاه رسول الله جدك أحمد
عليه صلاة الله ثم سلامه
وقال:

لمكناسة الزيتون عرج على صحب
وحى به من صفوة الود جيرة
وأوطان أوطار سقى ربعها الحيا
وقال:

نأت قوت قلبى فالصبابة عائدة
قد استأنفت نفسى لمكناسة هوى
وقد كان قبل بالقديمة لى هوى
وقال:

أحن إلى ثغر الرباط وأهله
وأصبو إليه كلما عن ذكره
وما ذاك إلا أن قلبى ساكن
متى تجمع الأيام بينى وبينه
ويبدى الرضا والشوق منا تعانقًا
فأجنى ثمار الوصل من روضة المنى

عرفت فأنتم سادتى وموال
وهنيتم النعمى بغير زوال
شفيح الورى السامى بكل كمال
وآل وصحب ماجدين وتال

وخيم به فى ذروة السعد والرحب
كرام السجايا عاكفين على الحب
وطيبها العرف الأريج من القرب

وزائدة فى حرقرة القلب زائدة
لواذع شوقى نحوها متزايدة
ولكن نفسى باخذيدة واجدة

حنين غريم للصبابة والوجد
صبابة قيس أو مضاض إلى هند
لدى سكن فيه قريب على بعد
وأشكو إليه ما لقيت من البعد
بصدر إلى صدر وخذ إلى خد
وأسقى كئوس الأئس من خمرة الود

وقال:

أخلى بالحمراء هل شفكم بعدى
وهل عهدكم باق كما قد عهدته
وهل عهدكم صافى المناهل سلسل
فإنى وإن شطت بى الدار عنكم
فإن تدعوا فى الشوق أبعد غاية
سلوا الليل عن وجدى بكم وصبابتى
أكن الجوى والدمع ييدى سرائرى
عسى نفحة أو لمحة من جنابكم

وقال وقد لقي بعض السلويين فسألهم عن أدباء بلدهم فأخبروا عنهم
بالعجب فشوقه لرؤيتهم والرواية عنهم فأنشد:

أهل سلا إنى مشوق لربيعكم
وما هو إلا الدر نظم عندكم
وللقلب سرفى سماع حديثكم
لألقط من أشعاركم حلية النحر
ولا غرو يلفى الدر فى ساحل البحر
ليعلم كيف النفث فى عقد السحر

وقال على شاطئ البحر بسلا فى ٢٠ محرم سنة ١٢٣٨م وكان قد توجه مع
وفد إعلام، ذوى آراء وأحلام، قاصدين السلطان المولى سليمان فمكثوا بالعدوتين
مدة، وخامرهم شوق جاوز حده:

عرانى من ذكر الأحبة وحشة
لطيف سرى بالوهم وهنا خياله
عجبت له أنى اهتدى ومتى ارتقى
تضاعف وجدى عندها ونأى صبرى
فزار على بعد وقد كان لا يسرى
إلى وكم من مهمه بيننا قفر

اشتياءًا وكم دمع على أثره يجرى
وعيني حديث السهد تروى عن الزهري
إلى خضرة أو بالتعجب فى البحر
وصرت كمثل مطفىء الجمر بالجمر
سيجمعنا بالقرب من حيث لا ندرى

كم صدت صبابسهم الغنج والخور
والقلب منزلة تعزى إلى القمر
يا منية القلب والإسماع والبصر
ولا مؤنس غير رنة الوتر

فذكرتنى أصوات النواعير
من نحو فاس وإن عز الخطا طيرى
ولا شراب سوى ماء الخطاطير
أهل الحضارة فيها والقناطير
فلا مجاز سوى على القناطير
مثل الدنانير فى زى النواوير

بظل المشرفية والعوالم

وولى فكم نار توقد فى الحشا
فبت وجنبى عن قتادة مسند
فقلت أسلى الهم عنى بنظرة
فما زادنى إلا اشتياقًا كلاهما
لعل الذى كان التفرق حكمه

وقال:

يا ظبية الأنس ذات الدل والخفر
تخذت قلبى كناسًا تنزلين به
متى أفوز بوصل منك مفردة
ولا رقيب سوى كأس نروقها

وقال:

حنت لأحمال أثقال النوى عيرى
يا عيرى حثى الخطا واستنشقى أرجا
فما مقامى بأرض لا أنيس بها
إيه فما البعد عن أرض بها سكنى
فى كل قطر بها روض وساقية
تلقى بها أوجها راق نضارتها

وقال:

رأيت العز أجمع والمعالي

وضرب الخيل المذاكى
وإن خطابهم بلسان سيف
إذا أبدى على الراحات وعظا
ومرهم بندق الجعبات شاف
إذا ومضت بوارقه وحنث
رقت روح الكمأة إلى التراقى

وقال:

عسى نفخة الألفاظ يهدى نسيمها
فإنى بباب الله أنزلت حاجتى
وجاه رسول الله أفضل شافع
فما خاب من إفضاله متوسل
ومالى مع حسن الرجاء وسيلة
وقولى وقد ضاق الخناق ضراعة
ألا يا رسول الله غوثاً لضارع
وإنى وإن علقت كفى بصاحب

وقال:

حيث فأحييت بروج اللطف والفرج
صباً صباً كل صب نحوها شغفا
عجبية الصنع لو مرت على جدث

وتسليط الرجال على الرجال
لأفصح من مخاطبة المقال
هدى رشداً وأنقذ من ضلال
لأهل البغى من مرض الخبال
رعود الوند من طلب التزال
وطار القلب من خوف اغتيال

شذا فرح يشفى القلوب شميمها
وفى فضله آمال نفسى أسمىها
إلى الله فى حاج لعبد يرومها
به فهو مقبول المساعى عظيمها
سوى دعوات بالخضوع أديمها
مقالة مكسور الجناح هضمها
فإنك محمود الخلال كريمها
وقربى بباب الله لست أريمها

وانشقت من شذاها أطيب الأرج
إذا هفت أذهبت ما كان من حرج
أحييت به ميت الأشباح والمهج

حرا لأطفأ ما تلقى من الوهج
عان لعالجه الرحمن بالفرج
شذا به يدرك الإفراج كل شج
ما فواح العنبر الشحري فى أرج
وحنوة وعبير عبهر بهج
إذا سرى سرقا من نشرها الأرج
من نحو طيبة مأوى صاحب الفرج
لأجله واكتست من نوره البهج
من اهتدى لسبيل الرشد والفلج
حتى استضاءوا بصبح منه منبج
عند الإله وأوقاها بمترعج
وفاز بالتوبة الخالصاء والعلاج
من سيد الرسل والخيرات منه تجى
فمن علاه رقى لأرفع الدرج
لكل فرد بذاك الجاه مندرج
فى كل ضيق بإذن الله منفرج
أو استجرنا ننال الأمن فى اللجج
وافتح بجاه الرسول كل مرتج
وقدره أرفع الأقدار والحجج

ولو سرى نفس منها على كبد
ولو تنسم يوما عرفها دنف
وافت وقد حملت من كل نافحة
فى ضمنها من ربي نجد وجيرته
جاءت بنشر الخزامى فى تنفسها
فلو درى مسك دارين بهبتها
وهل يقاومها طيب وقد نفحت
محمد صفوة الأكوان من خلقت
ما زال يدعو إلى الرحمن حتى هدى
وكانوا من قبل فى ظلماء مجهلة
خير الوسائل أركاها وأشرفها
به توسل آدم فنال عـلا
وكل فضل بدا فى الكون منشؤه
وكل من نال تشريفًا ومكرمة
عمت شفاعته دنيا وآخره
بالمصطفى كل صعب يستلين لنا
وباسمه إن دعونا يستجاب لنا
فسل بجاه النبي كل ما أمل
فجاهه عند رب العرش ذو عظم

بجاهه دافعاً للضييق والخرج
ناديت يا أزمتي بالمصطفى انفرج
فليس إلا على علياه منعرج
وإن غدا عن سبيل الرشد ذا عوج
فى سكرة الجاه محسوداً على الهوج
فى كل ممشى إلى نيل الدنا وميج
رأساً برأس ولم أحصل على خرج
لباب خير الورى بمنطق لهج
وأى قلب بذكر الحب لم يهيج
ونحن من خدع الأيام فى وهج
قالت نعم برجاء المصطفى فلج
وكيف وهو بكل المكرمات حج
لحضرة الله والمغبون فى هوج
باللطف بادر إلى أبوابها ولج
أثر الثقات وإن أصبحت ذا عرج
وابك الذنوب بدمع غير ممتزج
بالمصطفى ولتقل بمنطق هزج
وكل قلب بذكر الله مبهيج
وستر لطف بسر العطف متمسج

إنى نزلت حماه الرحب محتيمياً
وإن عـرتنى من الأيام نازلة
وإن تخوفت مكرماً أو خشيت أذى
فلن يخيب امرؤ حط الرحال به
أستغفر الله مما ضاع من عمر
وما اقترفت من الأوزار مشتغلاً
يا ليتنى قد خلصت من حبالتها
وليس لى عند حسن الظن أو لجأى
يهيج الوجد شوقى من تذكره
أقول للنفس إذ جد الرحيل بنا
قدمت شيئاً تنالين الأمان به
ما خاب قاصد خير الخلق من مضر
كم ذا التوانى وركب القوم قد سبقوا
فإن حضرة خير الخلق قد فتحت
وسر على نهج أهل الخير مقتفياً
وتب إلى الله واضع فى القبول له
والجأ إلى الله فى التوفيق مبتهلاً
يا رب بالمصطفى والآل عترته
دارك عبيدك يا رب بمرحمة

واحفظه فى أهله وماله أبداً
وصل رب وسلم دائماً أبداً
والآل والصحب والأخيار أجمعهم
وارض عن الأولياء الصالحين فهم
إنى بكم يا رجال الله فى وزر
وقال:

والله لولا سبعة أرجو بها
ما قمت فى باب الخلافة أمرا
إبلاغ حاجات وغوث مؤمل
وعلاء إسلام وبث نصيحة
وقال:

أدر كاس البشارة يا نديم
وقابله بإقبال ورفق
علمت بأننى عبء لمولى
يعود على الجناة بفضل حلم
أضعت الحزم من جهلى فأغضى
درى إنى سبيل رضاه أقفو
فلم يهمل لحسن العهد أمرى
ولولا فضله ما كنت شيئاً

وامددهم مدد الخيرات فى فرج
على حبيبك هادى الخلق للنهج
فالكون من نورهم فى منظر بهج
حصنى وأمنى وهم بين الورى سرج
فدار كونا بخير الخلق بالفرج

نيل المفاز ورحمة الرحمن
أو ناهيا فى خدمة السلطان
ودفاع مكروه وبذل أمان
وإعانة الإخاران والأخدان

فقد رضى الإمام على الخديم
وعاتبه معاتبه الكريم
سما بالفضل والصدر السليم
إذا صدقوا ويعفو عن المظلوم
وأدبنى بتأديب كريم
فعلمنى وناهيك من عليم
وأجرانى على العهد القديم
ولكنى انتسبت إلى عظيم

إذا ظفرت يدي برضاه عنى
وإن آنتت منه وحاش غيرا
أدام الله رفعمته وولى
وأسأله رضاه فى رضاه
بجاه جده المختار من قد
سلام الله والصلوات تترا
وآل والصحاب ومن تلاهم
وقوله متغزلاً:

حوراء لو نظرت إلى صم الصفا
ولو انتمت يوماً لعزة حسنها
وقال:

من لى بأهيف أحوى الطرف أحوره
بدر ولكن قلبى من مطالعه
رفعت راية حبى إذ خفضت له
لو لم يكن مفرداً فى الحسن ما كتبت
لو لم يكن حبه قد حل فى خلدى
أقول للنفس إذ لج الغرام بها
وقال:

أحب القدود الهيف والأعين النجلا

حصلت على الكرامة والنعيم
يلملنى مملمة السليم
كرامته على النهج القويم
وفوراً بالنجاة من الأليم
حبا الرحمن بالخلق العظيم
على عيائه من رب رحيم
على نهج الصراط المستقيم

عادت كثيراً باللحاظ مهياً
لا ترتضى غير النجوم قبلاً

ممزق الود حلو الوعد كاذبه
ظبى ولكن فؤادى من ملاعبه
قدرى فجاد بجرى عن نواصبه
يد العذار سطوراً حول شاربه
ما بت ليلى أرعى فى كواكبه
أما ترين الجوى الذى كواك به

وأهوى الثغور البيض والساعد العبلا

وأهفو لذات الردف والعطف إن مشت
فيا رب نعمنى بإدراك غادة
وقال:

وافت تجر من الدلال ذيولا
هيفاء تخطر فى برود شبابها
وتهز مرط قوام قد مثمر
وقال:

سل الرواة عن نفثات شعرى
وكم أظهرن جودا من بخيل
فإن الشعر فى التحقيق سحر
ولى فى نظمه القدم المعلى
فأنظم حين أنظم رائعات
وأرفع بالمديح مقام قوم
وأحمل بالهجاء منار قوم
ولى قلم به بأس شديد
يلين بالبلاغة كل قاس
ويترك ضربه الأقران صرعى

تحمل ضعف الخصر من عظم ثقلا
فإنك يا مولاي عودتنى الفضلا

ومن الهوى تجرى إلى خيولا
فتزيد نظرتها المحب ذبولا
بدرا كسا بدر السماء أفولا

فكم أبرأن من قلب سقيم
وكم أولدن من بكر عقيم
كما قد جاء فى الأثر الكريم
وأسرار تغيب عن العليم
تفوق الدر فى العقد النظيم
وإن كانوا ذوى أصل لئيم
وإن كانوا ذوى قدر عظيم
يثلم حده حد الصريم
ويسحر بالبيان لهى الصريم
لدى الميدان بالضرب القويم

نثره: من ذلك فى ظهير شريف، علوى منيف، أصدره السلطان مولاي عبد
الرحمن لولده ولى عهده سيدى محمد معلماً له بما أتاح له المولى من الفتح

والظفر بمردة قبيلة زمور الشلح فى واقعة سنة تسع بتقديم المثناة على السين وخمسين ومائتين وألف، تلك الواقعة التى فات منهم فيها الأحزاب، وتقطعت بهم الأسباب: «ولدنا الأرضى الابن الأرشد، سيدى محمد أصلحك الله وسلام عليك ورحمة الله تعالى وبركاته.

وبعد: فقد كنا أردنا الإبقاء على قبيلة زمور رحمة وإشفاقاً، وحملهم على الاستقامة بالإرهاب من الشدة فى بعض الأمور هداية وإرفاقاً، فلم يرد الله بهم خيراً لفساد نيتهم، وخبث طويتهم، واتكأهم على حولهم وقوتهم، فما رأوا منا ميلاً وسداداً، إلا ازدادوا شدة وفساداً، ولا أظهرنا لهم عظة وإرشاداً، إلا أظهروا تطاولاً وعناداً، وما أخرجنا المحلة المنصورة عن الركوب إليهم إبقاء وإلفاء، إلا ظنوا ذلك عجزاً وضعفاً، قد طمس الإعجاب منهم بصرا وسمعا. ولم يروا أن الله قد أهلك من قبلهم من القرون من هو أشد منهم قوة وأكثر جمعاً:

إذا أنت أكرمت الكريم ملكته وإن أنت أكرمت اللئيم تمردا
ووضع الندى فى موضع السيف بالعلا مضر كوضع السيف فى موضع الندى
فلما رأينا لجأهم وعماهم، وعدم رجوعهم عن هواهم، وأنهم لم يعتبروا
بجلائهم عن بلادهم، ولا بما أصابهم من الفتنة فى أنفسهم وأولادهم، ولم يروا
ما نهب من زرعهم القائم والحصيد، ولا ما استخرج من مخزونهم الكثير العتيد،
رأينا قتالهم شرعاً، وجهادهم ذبا عن الدين ودفعاً، فاعتمدنا على حول الله وقوته
وأمرنا بالزيادة عليهم فى الأخذ والتضييق، والمبالغة فى النهب والتحريق، وتركهم
محصورين فى أوعارهم، ومقهورين فى أوكارهم، إذ رُبَّ مطاولة؛ أبلغ من
مصالوة، فتوالت عليهم الغارات، وتتابعت عليهم النكبات، لا يجدون إلى الراحة
سبيلاً، أينما ثقفوا أخذوا وقتلوا تقتيلاً، ففى كل يوم تثر العوالى رءوس

رؤسائهم، وتختطف أيدي المنايا أهل بأسائهم، وكلما زادوهم إقبالاً وطلباً، ازدادوا توغلاً في الجبال هرباً. حتى نهكتهم الحرب، وضرستهم موالاة الطعن والضرب، وضاع بالحصار الكسب والمال، ولحق الضرر الأولاد والعيال، فجعلوا يرحلون لقبائل جوارهم، طالبين لحفهم وجوارهم، وبلغ البئس فيهم غايته، وأظهر الله فيهم آيته.

وهم في خلال هذا كل حين يتشفعون، ويتذللون في قبول توبتهم ويتضرعون، ونحن نظهر لهم التمتع والإبابة لنبنى أمرهم على أساس الجد، ونجازيهم على ما ارتكبوه من خلف الوعد، فلما أنجزت القهرية فيهم وعدّها، وبلغت العقوبة فيهم حدّها، قابلنا إساءتهم بالإحسان، ورعينا فيهم وجه المساكين والنساء والصبيان، فولينا عليهم منهم ثلاثة عمال، ووظفنا عليهم خمسين ألف مثقال، وشرطنا عليهم تقويم مائتين من الحراك مثل قبائل الطاعة، والتزام الصلاح والخدمة جهد الاستطاعة، فقاموا بذلك أحسن قيام، وأعطوا المراهين في أداء المال بعد أيام، وكان أخذهم بعد تقديم الأعدار، وتكرير الإنذار، وعفونا عنهم عفو غلب واقتداء، ورب عقاب أنتج حسن طاعة، وتوبة نصوح تداركت ما سلف من التفريط والإضاعة، وفي الناس من لا يصلح إلا مع التشديد، وربك يخلق ما يشاء ويفعل ما يريد:

وما عن رضا منها عطية أسلمت ولكنها قد قادها للهدى القهر
أردنا بها الإبقاء فازداد عجبها وأد بها التشديد والفتك والأسر

ولو قيدوا النعمة بالشكر لأنموا الزوال، وإذا أراد الله بقوم سوءاً فلا مرد له وما لهم من دونه من وال، والسلام فاتح رجب الفرد الحرام عام تسعة وخمسين ومائتين وألف.

وقوله في مقامة:

«الحمد لله . حدثنا فتح بن سلامة، عن نصر بن كرامة، قال: ألقى السعد ببرده، وألقى بحلو عيشه وبرده، وبوأنى من حمى الخلافة العلوية العلية ظللاً، وألقى كفى فى خدمة الحضرة المولوية العبد الرحمانية حبلاً، فى دولة علوية أعلى العلامها، وحمى الإله حماها، عقد السعد على العناصر عقدها وذمامها، واليمن قد واخاها، فبلغت بطلعتها أمنها ومرامها، وتوصلت لمناها، وبني الأئمة من قريش مجدها ومقامها بين الورى وعلاها، حموا الشريعة بالسيوف وأوضحوا أعلامها وتوروا بسناها، فكنتم منتظماً فى سلك كتابها، ومعهود فى خدمة اعتبارها، وصحبت ركاب مولانا العلى العلوى، وجيشه المنصور المولوى، فى إحدى قدماته من الحوز، فى سفر أسفر طالعه عن وجه الظفر والفوز:

فى عسكر ملاً القلوب مهابة والأرض خيلاً بالعوارف يفهق
للفتح والتمكن فيه دلائل وعليه ألوية السعادة تخفق

نهض لها أيده الله غرة ذى الحجة متم عام ناشر، والسعد لمعهد العنانة ناشر، والرعب يقدم جنوده، والسعد ينشر ألويته وبنوده، والنصر تحت ظلال أعلامه، وحفظ الله من خلفه وأمامه:

والدهر معتدل الآناء مقتبل والشمس حلت ببرج السعد والشرف
ومطارف السندس بالآفاق قد نشرت، وجنود النور حشدت ألوانها وحشرت:

والأرض تجلى عروساً فى ملابسها وشت حلالها يد الأنواء بالزهر
والنسيم قد عطر بنشره الأودية، وغازل الأغصان فنازعها المطارف والأودية،
وجر ذيل دلالة فى الآكام والأودية.
والريح تلطم أرداف الربى مرحاً وتلثم أوجه الأرهار

ومناير الأغصان قد قامت بها خطباء مفصحة من الأطيّار
والسن الحال تهدي إلى التفكير في مصنوعات الله وترشد، وكأنها تتمثل
بقول أبي نواس وتشد:

تأمل في نبات الأرض وانظر بدائع ما بها صنع المليك
عيون من لجين شاخصات على أطرافها الذهب السبيك
على قضب الزبرجد شاهدات بأن الله ليس له شريك
والناظر الأديب المتأمل، ينشد قول المجنس الممثل:

إن هذا الربيع شيء عجيب تضحك الأرض من بكاء السماء
ذهب حيث ما ذهبنا ودرء حيث درنا وفضة في الفضاء
والجيش المنصور بحر متلاطم الأمواج، يسير فيملاً الفضاء ويغص الفجاج،
ويقيم فيكون هالة على بدر سعود وشرف، وسور حفظ لا يعرف له طرف، قد
رصت صفوفه، وتعددت ألوفه، وتنوعت أجناسه وصنوفه:

من كل أبيض قد تقلد أبيضاً عضبا وأسمر قد تقلد أسمرا
والخيل تمرح في أعتتها، وتمضى في الخيلاء على سبتها، قد خليت من
الأسلحة بما راق وراع، وأعجز وصفه ألسن اللسن وأهله اليراع:

مؤصلة من ذى العقال وداحس وآل الوجيه والنعامه والخيفا
فمن أشهب لبس النور رداء، وسابق البرق عداء:

فكانه في حليه وسلاحه صبح تقلد حلية الجوزاء
ومن أدهم خلع الليل عليه إهابه، وأثبت بين عينيه شهابه:
فكأنما لطم الصباح جبينه فاقصص منه فخاض في أحشائه

واحمر فأما وصفه فمطهم عتيق، وأما لونه فعقيق، واصفر كأنما صيغ من ذهب، أو خلق من لهب:

ألقى الأصيل عليه من نضارته غلالة وشت الظلما حواشيها
ومن أزرق قد تسربل حلة السماء وتحلى بالنجوم، أو رام استراق السمع
فرمته بشهب الرجوم:

عطايا أمير المؤمنين ويره بأجناده والبر بالجند يحمده
ملك حليفاه التوكل والرضا وأوصافه علم وحلم وسؤدد
يصاحبه أمن ويمن ورحمة ويعضده فتح ونصر مجدد
فتى المجد أما هديه فموفق رشيد وأما رأيه فمسدد
به الدين سام والشريعة غضة تروق وركن المجد عال مشيد
وإن له فى مقعد الحكم حكمة يحل بها فى الله طورا ويعقد
فلا زال محمود المساعى مؤيدا يغور ثناه فى البلاد وينجد

فسرنا تحت ظلال العدل والأمن، نستجلى كل حين من غرته الميمونة طالع
الفتح واليمن، ونرقل فى أردية المعالى الضافية، ونكرع فى بحار الجود الصافية،
ونتمسك من النجح بالعهود الوافية، ونرتع فى روض الأمانى والعافية:

وقد بدت لنا وجوه الهدى مسفرة ولاح نور الفلاح

فلما خيمنا بشاطئ وادى العبيد، قابلنا بوجه الجبار العنيد، وأبدى من مده
آية الإعجاز، وقال بلسان حاله لا مجاز لا مجاز، واستعان من ثلج الجبال
بالمذاب، فأرانا بحراً طامى العباب:

نهر يريك السهم سرعة جريه والبحر عمقا والشفير سعيراً

فليسلم النفس المرید عبوره إن لم يكن لطف الإله ظهيراً
فأحجم عن عبوره القوم، واستبشر بالزبون العارف بالسباحة والعموم، وبات
الناس فى الآراء يترددون، ولقصص الناجين والغرقى يعدون، وقصارى أمنية كل
واحد عبور ذلك الصراط، والانتظام فى سلك الناجين والانخراط، حتى أنشد
بعضهم واستحسن، وتمنى ما تمنى الحسن:

ألا ليت شعرى هل أبيت^(١) ليلة بسهب الثنين أو بسهب بنى ورا
وهل تعبرن نهر العبيد ركائبى وهل أتركن دايا وأدواءها ورا
فلما تبلىج أدهم الليل عن أشهب الصباح، وحيعل الداعى بحى على
الفلاح، وتولت نجوم الليل تقفو إثره، وغدت سيوف ذكاء تخرق ستره، وأدى
الناس النفل والفرض، وأشرقت بنور ربها الأرض.

ولاحت لنا شمس النهار كغادة بدا حاجب منها وضنت بحاجب
صدر الإذن المولوى بالعبور، وقدم له الصبور فالصبور، وجعل فاتحة ذلك
نجمه الأسعد، وفرعه الأنجب الأصعد، سيدنا ومولانا محمد، تفاؤلاً لتستحسن
العاقبة وتحمد، وكان قد تقدم الأمر المطاع بإعداد المعادى، للإعانة على عبور ذلك
العدو العادى، فلم يكن إلا أن عبر الأول مكتفياً بالمختصر عن المطول، وظهر من
لطف الله وسعادة مولانا ما عليه المعول، وحمد الناس الله على ما سهل من ذلك
وخول، وتتابع العبور على الريح والأعواد. مع سلامة الأنفس والأزواد. وشاهد
الناس لجيش مولانا المنحى، شبه ما ظهر من الكرامة لعبد الله بن الحضرمى، ولا
غرو أن يعطى التابع حكم المتبوع، ويظهر للعيان حقيقة ما هو مروى ومسموع،
ولله قوم يسعدهم ويسعد بهم، ويظهر عنايته على من تعلق بسببهم.

(١) تحرف فى المطبوع إلى: «أبين» وهو غير صحيح عروضياً، والبيتان من بحر الطويل.

وإذا السعادة أحركت عيونها نم فالمخاوف كلهن أمان
واصطد بها العنقاء فهي حباله واقتد بها الجوزاء فهي عنان

ولما خيمت الجموع بالعدوة الأخرى، ورأوا السلامة غنيمة وذخرا، وعان
الناس ما تعودوه مع أمير المؤمنين من النجاة والصعود، والفوز المشهور المشهود،
والتيسير المعلوم المعهود، هنا بالسلامة بعضهم بعضاً، وجعلوا ذلك بينهم سنة
وفرضاً، فلا تلقى غير حامد وشاكر، ومقر بنعم الله ذاكراً، واتسع لديهم المجال،
فى الروية والارتجال، فمن ناظم وناثر، ومقصر ومكاثر. ومن قائل:

أرى نهر العبيد غدا عنيدا يعاملنا بجور واشتطاط
عبرناه على خطر وخوف على غير اختيار واحتياط
وذللته الإله لنا فسـرنا من الريح المسخر فى بساط
يهنىء بالعبور البعض بعضا كأننا قد عبرنا على الصراط
ومن متمثل فى عبور الوادى . على المعادى:

لئن كنا ركبنا ضلالا فى الله إنا تائبونا
فأخرجنا عن المرغوب منها فإن عدنا فإنا ظالمونا
ومن منشد، وإلى لطف الله مرشد:

عبرت نهر العبيد قهرا على بساط من الهواء
ولما حمد الناس الإيراد والإصدار، واستقرت بهم بعد العبور الدار، وشكروا
على فضل الله إمامهم، وجعلوا القبيلة التادلية أمامهم، وذكروا معاهد البلد
ورجالها، وأطالت الألسن فى ذلك مجالها، وأوضحوا بذكر كراماتهم غرر السيادة
وأحجالها، فقام زعيمهم، فقال: يا قوم إن الشعر ديوان العرب، ووسيلة لقضاء

الأرب، ومفتاح لكنوز الأسرار، ووصلة إلى عطف الأبرار، وولية للفضلاء والأحرار، تنفعل النفوس الكريمة لنشيدته، وتعنو الهمم العلية لبديعه ومشيدته، وترتاح إليه الطباع العربية، وتهتز له النفوس الأبية، فتستجلب الأرباح بتقليد أعلام فريده، وتستحلب أخلاف الفضل بحديثه الغض وجريده:

فكم شفح القريض فنال سعدا وقرب للسيادة من قصى
وكم أغنى أخا فقر وأقنى وكم أعلى أخا قدر ذنى
وحسبك آية إكرام كعب وما قد نال من عطف النبى

فهل فتى منكم يورى فى مدحهم زنده، وينفق على أخوته مما عنده، ويجلب للجميع ببديع الاستلطاف، ورفيع الاستعطاف، ما تفيض به أبحر المواهب، وتستجلى به وجوه المذاهب. فقال أحدهم أجل، وقام وارتجل:

أرجال تادلة إليكم عزمتى تسمو وعطفكم الذخيرة والسنا
أنزلت رحلى فى حمى عرصاتكم فعلى الكرام لضيْفهم نيل المنى
فتعطفوا لتزيلكم وتلطفوا ونداكم يقضى بإدراك الغنى

فقالوا لقد دعوت منهم مجيباً، وسترى من سر الله عجيباً، غير أنك اقتصرت واختصرت، وقصرت لما اختصرت، فهلا آثرت من نحن جميعاً تحت ظلاله الوارفة، وخصصت من ملكنا بفضلته تالد المجد وطارفه، واستجلبت فإن المولى، أحق بالأثرة وأولى، مع أن نواله للبرية شامل، وأفضل ما به يدين الإنسان الله ويعامل، وقد أفصح عن ذلك وأعرب، أثر الدعاء إذا كان أعم كان إلى الإجابة أقرب، فأنشد فتى وما روى، وأنقع غلة السامعين وروى:

أرجال تادلة الأكا	رم أنتم خير الرجال
واليكم تنمى العوا	رف والمعارف والمعال
ولديكم يرجو المؤم	ل عطف أرياب الكمال
هذا أمير المؤمنين	من بحيكم حط الرحال
متفينا من ظلكم	وعلاكم ضافى الظلال
وقراه نيل العطف من	كم والقبول والوصال
راج منكم فتحا ونص	رأ ظاهرين بلا قتال
وصلاح أحوال الرعد	ية فى مقام وارتحال
ومنال تيسير المقام	صد كلها فى كل حال
فلأنتم أسمى الوسا	تل فى السؤال والابتها
ولأنتم الحصن الحصي	ن إذا طغا خطب وهال
ولأنتم العضد القو	ية والقواضب والنبال
وحماكم الحرم الأمي	ن لذى اعتلاء واعتلال
ما أمكم متوسل	بعلاكم إلا ونال
كلا ولا انتصر امرؤ	بجنا بكم إلا وصال
فلتقبلوا ولتقبلوا	بالفضل يا أهل الكمال

إلى أن قال: فلما أكمل الإنشاد، وأشاد من المفاخر ما أشاد، بلغت النفوس مرادها، واستحسنوا ختام المجلس بذكر أهل الفضل والنسك، واستنشقوا مسك ختامه وكان ختامه مسك.

بعض ما قيل فيه: من ذلك قول الأديب الشيخ بدر الدين يوسف المدني لما وفد على حضرة السلطان سنة ١٢٥٧:

شنت أسماعى بقول مطرب
لاطفتنى وجبرتنى وسررتنى
ورضاك حسبى فى الفخار فكيف إذ
ما كنت أهلاً للثنا كلا ولا
أنتم أولو المجد الذى يأوى إلى
وبحلية العلم الشريف وبالتقى
فلكم بدا الفضل المبين وغيركم
وعقود درك سيدى جمع الثنا
شكراً فإن جميل برّك قد حوى
حليت منى عاطلاً وذكرت مـ
لن أستطيع لك الجزا لكن من
فاعذر وإن قابلت درك بالحصا
وعليك من محض الوداد تحية

لله درك من بليغ معرب
ولقاء شمس علاك غاية مطلبى
ألبستنى حلال الثناء الأطيب
جيدى لذاك العقد بالمستوجب
بيت على هام السمك مطنب
والحلم زينتم جلال المنصب
مستنجع لوميض برق خلب
فيها وكان الفخر حال المطنب
رقى وضاق بنيل كفؤك مذهبي
نى خاملاً وأزلت حالك غيهبى
بالوسع جاد فذاك غير مؤنب
هذا مقام العائذ المستعتب
أذكى وأشهى من سلاف الأكوّب

وفاته: توفى ضحى يوم الإثنين الرابع من المحرم الحرام فاتح سنة أربع وستين ومائتين وألف.

٢٨٣ - محمد أبو عبد الله بن على بن حرزهم المكناسى أصلاً ومنشأ وداراً.

حاله: فقيه أستاذ حافظ، أعدل أديب خطيب بجامع مكناسة الكبير، كان

قد حاز قصب السبق في ضبط القرآن وحسن الصوت، فكان يخطب بأمر المؤمنين مولانا سليمان، هكذا ذكره أبو العباس الأغرأوى الجبلى في بعض تقايدده.

٢٨٤ - محمد فتحا بن أبى سالم عبد الله بن الطاهر الشريف الأمرانى.

والد المولى الكامل المتقدم الترجمة، وقد تقدم رفع نسبهم الكريم فى ترجمة ولده المذكور.

حاله: علامة مشارك، خطيب مصقع، صالح عابد، ذاكر ناسك، فاضل جليل القدر، ولد بأفران ونشأ بزرهون، وقرأ بفاس وسكن مكناسة الزيتون، وتولى خطبة الجامع العتيق بها، وكان لا يخطب بخطب غيره ينشئ كل جمعة خطبة بحسب مقتضيات الأحوال، وكان ناصرى الطريقة ناهجاً نهج السنة والجماعة فى سائر شتونه.

صاهره السلطان أبو الربيع سليمان بيته المصونة السيدة أم هانى، وكانت صاحبة عابدة ناسكة، تقرأ دلائل الخيرات، والورد الناصرى، لم يكن فى وقتها أجمل منها، فما مات والدها السلطان أبو الربيع ولم يكن دخل بها بعلمها هم السلطان بعده أبو زيد بن هشام بالعقد عليها لنفسه، فلما بلغها الخبر ذهبت إليه وقالت له: يا فلان، اتق الله فإن هذا لا يحل، ألسنت تعلم أن والدى كان زوجنى من الأمرانى، فتراجع وأمر بزفافها لزوجها المذكور ودونك نص عقد الصداق:

«بسم الله الرحمن الرحيم، وصلى الله وسلم على سيدنا ومولانا محمد المصطفى الكريم، وعلى آله وأصحابه أولى البر والتعظيم، ومن يعتصم بالله فقد هدى إلى صراط مستقيم، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم، الحمد لله الذى خلق من الماء بشراً فجعله نسباً وصهرماً وكان ربك قديراً، والصلاة والسلام على سيدنا محمد المبعوث إلى سائر الخلق بشيراً ونذيراً، وداعياً إلى الله بإذنه وسراجاً منيراً.»

٢٨٤ - من مصادر ترجمته: إتحاف المطالع فى موسوعة أعلام المغرب ٧/٢٦١٢.

أما بعد: فإن سيدنا ومولانا أمير المؤمنين المنصور بالله . المتمسك بأذيال سنة رسول الله، المصحوب بالأمن والأمان، أبا المواهب سيدنا ومولانا سليمان، زوج بنته المصونة البكر التي في حجره، وتحت نظر أمره، سيدتنا أم هانى شقيقة سيدنا ومولانا إدريس أصلحه الله وحفظه وأقر به العين أمين للشريف الأرضى، الفقيه المرتضى، مولاي محمد بن مولاي عبد الله الأمراني لمروءته، وطلبه وقرابته ومسكته، على صداق مبارك قدره ونهايته أربعون مثقالاً سكية حلولا حضر الزوج المذكور وقبل ما ذكر وارتضاه، وألزمه نفسه وأمضاه، شاكراً فعل سيدنا وداعياً له بأن يجعل جزاءه رضا الله والنظر في وجه رسول الله ﷺ، والله لا يضيع أجر من أحسن عملاً، إشهداً تاماً وقبولاً عاماً، كما يجب على سنة المسلمين، وطريقة سيد المرسلين، شهد على مولانا دام نصره وهو على كرسى ملكه وعلى الزوج بحال الكمال من أشهاده به وعرفه في عشرى رمضان المعظم عام أربعة وثلاثين ومائتين وألف عبد ربه تعالى محمد التهامي البوري، لطف الله به وعبد ربه تعالى أحمد بو عشرين لطف الله به».

ووقفت على كتاب للوزير المختار الجامعي بعثه للمترجم يستدعيه للحضرة السلطانية نصه بعد الحمدلة والصلاة:

«سيدنا الشريف الجليل، الماجد الأصيل، والفقيه العلامة الداركة مولاي محمد بن عبد الله الأمراني سلام عليك ورحمة الله بوجود مولانا أيده الله ونصره.

ويعد: فاعلم بأن والدكم البركة مولاي عبد الله شاور عليك سيدي نصره الله فأثنى عليك سيدي غاية، وأمرني أيده الله بأن نكتب لك بأن تقدم لحضرتة العلية فبوصوله إليك جد السير ولا تتراخى بارك الله فيك، وعلى عهدك ومحبتك والسلام في ٢٣ من جمادى الأولى عام ١٢٤٧ المختار خار الله له ولطف به»:

مشيخته: أخذ عن الأزمى وغيره ممن فى طبقتة العلوم العقلية والنقلية الأصلية والفرعية، أخبر المؤرخ الثبت الفقيه القاضى حينه بقبيلة بنى حسن السيد عبد الحفيظ الفاسى أن نجل المترجم العلامة مولاي الكامل حدثه أن والده المترجم حدثه أنه قرأ مختصر الخليلى على شيخه الأزمى فى أربعين يوماً فى كل يوم يقرأ الشيخ درسين أحدهما صباحاً والآخر مساءً فى كل درس نصف حزب، وأخذ الطريقة الناصرية عن الشيخ أبى بكر بن على الناصرى، عن والده على المذكور عن والده سيدى يوسف، عن ابن عبد السلام بنانى، عن أبى العباس أحمد بن ناصر، وأخذها أيضاً عن والده عن سيدى على بن يوسف المذكور وعن غيرهما.

وفاته: توفى بفاس متم سنة خمس وسبعين ومائتين وألف، ودفن بالزاوية الناصرية هناك.

٢٨٥ - محمد بن العربى بن عمر الصنهاجى أصلاً المكناسى داراً ومنشأ.

حاله: فقيه صوفى منور السريرة، درقوى الطريقة، لقنه إياها الشيخ المحبوب المدعو بأيوب.

مؤلفاته: منها تقييد على الأبيات الثلاثة المنسوبة للإمام الجنيد وهى:

توضاً بماء الغيب إن كنت ذا سر	وإلا تيمم بالصعيد أو الصخر
وقدم إماماً كنت أنت إمامه	وصل صلاة الفجر فى أول العصر
فهذى صلاة العارفين بريهم	فإن كنت منهم فانضح البر بالبحر

وقفت على مبيضته فى نحو الكراسية فرغ من تبييضه ليلة الأربعاء ثانى شهر رجب عام أربعة وسبعين ومائتين وألف.

الإقبار.

حاله: من أهل المشاركة فى العلوم، ومن يشار إليهم فى تحرير المنطوق منها والمفهوم، حصل على الإجابة والإتقان، وأصبح علما يهتدى به، قوى العارضة، جيد النظم والنثر، ماهر فى علم الطب وخواص النباتات، تقى نقى، هين لين، صالح خاشع متواضع، انتقاه سيدنا الجد السلطان المولى عبد الرحمن بن هشام لنفسه وحرمه وجعله الطبيب الخاص به، له فيه الثقة الكاملة، يعتقده ويعظمه ويقدره، ويأتمنه على حياته، لا يفارق على أباه، يظن بظعنه ويقيم بإقامته.

وكان رحمه الله مغرمًا بحب الصالحين وأهل الفضل، معتقدًا خصوصيتهم متسببًا ظاهرًا وباطنًا إليهم، وعلى الأخص العارف الكامل أبو محمد عبد القادر العلمى فكان ملازمًا لخدمته، فانيًا فى محبته. مستغرق الأوقات فى مجالسته. والثناء عليه والحض على صحبته. والعض عليها بالنواجذ، وقفت على عدة مكاتيب له أصدرها لخاصة أصدقائه بما ذكر ودونك بعض نصوص بعضها ومن خطه نقلت:

عوض أخى وولدى حقًا وصدقًا، الطالب السيد الهادى بصرى أصلحك الله وحفظك، وسلام عليك ورحمة الله عن خير ولله الحمد.

وبعد: فقد وصلنى يا أخى كتابك، وأفهمنى مضمونه خطابك، وقد لوحث إشارتك، ووضحت عبارتك، وإنى وأنت يا أخى كلمحة برق فى بعض العوالم، غير أن الله تعالى تفضل علينا جميعًا بنفحة كرمه تسمت نسمات طيبها العاطر فى مظهر منة العلمية، فاستوجبت منا جميعًا أن ننفق بضاعة عمرنا فى أداء شكر من بسط ضياء شمس وجودها علينا جميعًا، ومتعنا بوسع كرمه اللدننى فيه حتى شملتنا مبرته فأوسعنا خاطره رضى الله عنه بالتنزل الرحمانى الربانى، حتى إنه

رضى الله عنه مع ثقب نوراية كوكبه الدرى فى بسط خلقه معنا جميعا كأحدنا، وأحنى وأشفق علينا جميعا من والدينا، يهتم لما أهمنا وما يهمننا أكثر من اهتمامنا لأنفسنا.

وهذا الأمر يا أخى فى كثير من المعارف والأحباب صار كعنقا مغرب فى زماننا، بل وفيما قبله فى غالب غابر القرون الماضية، فلم يبق لنا جميعا يا أخى والله إلا حصر الشوفة القلبية والقالبية فى انتظار كرم الكريم فيمن أظهر لنا كرامته، وأوسعنا مبرته، ففيه بربنا وربنا غاية المنى، وشفاء الضنا، وفى إقبالنا بالله عليه تسهيل المقاصد، لكل قاصد، وسترى أنت وأنا وجميع أهل محبته رضى الله عنه من فضل الله ورحمته ما لم يكن لنا فى حساب، فالله يا أخى معنا حيثما كنا حاضر لا يغيب، ودائم الحياة لا يموت، وعلى ما يشاء قدير لا يعجز أبداً.

هذه مذاكرة معك فيما لا يخفى عليك، والحمد لله يقننا الله وإياك بكمال اليقين، وطوى طويتنا وطويتك على إخلاص الموقنين، ورزقنا وإياك شكر الصابرين وتوبة الصديقين إلى الآخرة.

وما أوسع يا أخى حلم الحليم، ورحمة الرحيم، وإن ربي لطيف لما يشاء، ولا تغفل يا أخى عنى وعسى نصر من الله وفتح قريب، متعنا الله جميعاً يا محل إخوتى فى مطالعة كتب محاسن قدرته، ومحاضرة أنس بشائر ذخائر مبرته، فيما تفضل الله علينا به، فجعله لنا قدوة الاهتداء، وجمعنا به إليه فصار لنا خير دليل عليه، وبالْحَقِيقَةُ كان الله ولا شىء معه، وفى قريب يرى عبد الله حسن الشفاء والعافية بالضامن الملى جل وعلا، وطالع يا أخى والخير العظيم فى قراءة ما شاء الله من القرآن العظيم بالترتيل والتأمل، وفى الأسحار ربيع الأبرار، وملازمة ما تيسر من دلائل الخيرات بالتأمل التام أيضاً، تستلزم جلب المسرات، ودفع المضرات

بمئة الله، واذكرنا بقلبك لله وعلى المحبة والسلام فى سابع عشرى محرم عام ثلاثة وستين ومائتين وألف هـ. من خطه.

فانظر هذا النفس النفيس، وتأمل ما منحه صاحبه من الرسوخ وثبوت القدم فى توحيد الله وانغماسه فى بحر الحقيقة الذى هو عبارة عن مقام الإحسان من الله علينا بالولوج فيه على أكمل الحالات وأرضاها لله وكم للمترجم من رسائل على هذا المنوال.

مؤلفاته: منها رجزه المسمى رياض الأتس والفكر والقلب فى التصوف والنصائح والمواعظ والرقائق وأحوال طريق القوم وآدابها، وسيرة شيخه العلمى وأوصافه من نشأته إلى وفاته ومعاملة أصحابه وما تلقاه منه من الحكم والأسرار والآداب، يزيد هذا الرجز على ثلاثة آلاف بيت قال فى طالعته:

سبحان من كون ما أرادا تكوينه إعدامًا أو إيجادا
والكون محتاج إليه وفقير لفضله سواء صغير وكبير
وفى تسميته يقول:

سميتها رياض أنس الفكر والقلب كى يروى بنيل الشكر
لله فى مستودعات الإنسان من فضله جل بمحض الإحسان
وفى بعض أوصاف شيخه المذكور قال:

والجذب معه نحو أربع سنين ويعضنا به من المستيقنين
ومع ذا بسائر الأذكار يصدع بالليل وبالنهـار
حتى قضى بفجر يوم الاثنين ليلة يوم سادس وعشرين

شعره: من ذلك قوله متوجًا بحروف حسبنا الله ونعم الوكيل:

وساتر منه يرعاه من سائر الأدوا
يكدنا بسوء فى مكايده يهوى
مجير لنا وقاصد الشر لا يقوى
حماك فلا تلمم بساحتنا بلوى
وتصرفيها إلى نهايتها القصوى
يروم أذانا فاقدنا نيل ما يهوى
إلى جنة الفردوس يا سامع النجوى
وبالفضل تؤويننا إلى ذلك المأوى
لنا منك تحمينا من الضر والأسوا
ولكن من الغفران أوزارنا تطوى
وخيرك يا ربى يزيد ولا يطوى
وتنقذنا من المهالك والأهوا
ومن كادنا رغباً على أنفه يلوى
ولولا رضاك ما على نيلها نقوى
ولا الشكر وديننا وما قدرنا يسوى
وهيهات يحصى الرمل أو تحصر الأنوا
كفيلاً لنا أشهى من المن والسلوى
تبر به من دون سؤال ولا شكوى
وفضلك مع رضاك من أعظم الجدوى

بحفظ الحفيظ من أذى الغى والأعدا
حفظنا وعين الله تكلؤنا ومن
سلمنا من الآفات والله ناصر
بك الله لذنا واعتصمنا وحسبنا
نواصى العباد فى يدك زمامها
أجرنا من أيدى الجائرين ورد من
أعدنا من الخذلان وأجعل مآلنا
لو المجد ملجأ اللاتذنين فكن لنا
لنا كنت قبل الكون فاجعل عناية
أسأنا وحمل الوزر أثقل ظهرنا
هداك لنا المطلوب منك مع الرضى
ومجدك ياذا النول حتى تصوننا
نصول بك اللهم فاحم جنابنا
عوائدك الحسنى لنا قد تكاثرت
موائدك العظمى إلينا تواردت
أيقوى جميع الخلق شكراً لبعضها
لك الحمد حمداً بالمزيد على المنى
ونشكرك اللهم شكر موفوق
كفى بك برا واهباً متفضلاً

يوارى جميع العيب سترك منة
لو أذى بوجهك الكريم وقدرك الـ
بجاه عظيم الجاه أعظم شافع
عليه الصلاة والسلام مع الرضا
وقوله:

وسيلة خير بالخيار محبره
مشيش أبو بكر على وحرمة
محمد إدريس فإدريس كامل
وبالخل فى ذات المهيمن يخلف
وأسلافه الغر الكرام ومن لهم
كمثل عبيد القادر العلمى ومن
وكل محب مخلص فى جميعهم
بصفو اليقين الراسخين به فهم
تجلى لهم نور الرسول وسره
فيا ربنا بالفضل عامل جميعنا
إليك بجاه الأصل والفرع كن لنا
وصل وسلم ثم بارك على الذى
وأصحابه والآل مع كل تابع

فللذنب أول الصفح يا رب والعفوا
عظيم التماسا للإجابة والدعوى
ومن شربوا من هديه المشرب الصفوا
على حزبه الألى فضائلهم تروى

بعبد السلام للرسول مشوره
وعيسى وسلام ومزور حيدر
وبالحسنين أختم بدور منوره
أخى ابن مشيش فى الطريق المبرره
من أخلافهم وأولى المعالى المقرره
له الله بالمختار فى الحب خير
من أهل القلوب النيرات المعمره
سرايرهم لله فيه محرره
فنالوا الكرائم العظام المسطره
وصير لنا الخيرات منك مسخره
وللشيخ والأحابب دنيا وآخره
أتى رحمة للعالمين مبشره
ولله أبحر المواهب زاخره

وقوله:

يملح ابن مشيس الرشاد وحمدان حامد رب العباد
ومن نوره منهم فى ازدياد بنجله قاسم المستشاد
ضياه بمكناسة فى اتقاد بعبدك يا قادر يا جواد
تفضل علينا بعير نقاد بفضل مديد ليوم المعاد
فترجوك والمصطفى خير زاد لنيل الرضى وكمال المراد

وفاته: توفى بمراكش عام واحد وسبعين ومائتين وألف ودفن بضريح مولانا على الشريف رحم الله الجميع.

٢٨٧ - محمد بن عبد السلام بن عبود أبو عبد الله المكناسى أصلاً ومنشأ
السلامى الدار والمدفن.

حاله: صوفى ينحو منحى أرباب الحقائق، فصيح اللسان ذو ذكاء وحذق تام، كان لهجاً بالقرآن، متديراً لمعانيه، مستشهداً به فى كل أحواله، حاد المزاج ضيق العطن، قل ما ترى العين مثله فى حاله، تجرد على طريق أهل التجريد، ولازم العبادة على الحالة المعروفة عند كمل الطائفة الدرقاوية من رفع الصوت بالهيللة فى الطرق، ووضع السبح المتنوعة فى العنق.

ثم رحل إلى فاس واشتهر اسمه بها، وأخذ الطريقة عنه بعض المنقطعين بها والراجلين إليها، ووقع بعض الإنكار عليه من أفرادها، ولم يزل يلقتن أذكاره بها إلى أن أخرجه منها قاضيها أبو التقى الهادى الصقلى المتوفى بالمدينة المنورة بعد أدائه فريضة الحج وزيارته لجدته صلى الله عليه وآله وسلم فى محرم الحرام عام أحد عشر وثلاثمائة وألف، ودفن ببقيع الغرقد رحمه الله.

٢٨٧ - من مصادر ترجمته: سل النصال فى موسوعة أعلام المغرب ٢٩٤٨/٨.

فتوجه المترجم إلى ثغر سلاً، واعتنى به عاملها إذ ذاك الخير الناسك الطيب الذكر الحاج الطيب الصيحي مع بعض المحبين له، واشتروا له داراً قرب المسجد اتخذها زاوية لنفسه، ووقعت له مع معاصره علامه سلا، ومؤرخها سيدى أحمد ابن خالد الناصرى مراسلات بمناسبة ما كان الناصرى المذكور ينكره على الطرق، وبالأخص على الطائفة الدرقاوية، وجهها له فى معرض النصح له والتحذير من الإنكار على أهل النسبة، فلم يحتفل أبو العباس طبق ما أراد المترجم لعلمه بطرق الإنكار، وأما أنكرته الشريعة لا محاباة فيه، ولم تزل زاوية المترجم مزاراً للوافدين على سلا المنتسبين لطريق القوم رضوان الله عليهم، والمترجم فى كل ذلك لائح عليه أثر الجذب، كثير النطق بذكر هادم اللذات إلى أن أجاب داعى مولاه رحمه الله ورضى عنه.

مشيخته: أخذ القرآن بمكناسة الزيتون عن أبى العباس أحمد الأعرج والمكى القصرى، وأبى عبد الله بن عزوز الحسونى، وقرأ العلم بها على أبى عبد الله بن عزوز المدعو الهويج، وسميه ابن الجيلانى السقاط، والمختار الأجرأوى، وأخذ الطريق الدرقاوية عن الحاج محمد العياشى أبى الشمع المكناسى المتوفى سنة أربع وتسعين ومائتين وألف، عن سيدى مالك الزرهونى، وأخذ أخيراً عن أبى عبد الله محمد العربى المدغرى العلوى وعنه تلقى الحفيظة الدرقاوية.

الأخذون عنه: أخذ عنه الطريقة الدرقاوية على قاعدة أهل التجريد جماعة منهم العلامة أبو بكر بن محمد التطوانى السلاوى قاضى قبيلة زمور الشلح المتوفى بسيدى سليمان من بنى حسن سنة سبع وثلاثين وثلاثمائة وألف ١٣٣٧، وأخذ عنه الطريقة العلامة المشارك الميقاتى الفرضى سيدى المهدي متجينوش الرباطى، والعلامة المحقق شيخنا سيدى أحمد بن الجيلانى الأماغرى النماسى، وصديقنا المؤرخ القاضى سيدى عبد الحفيظ الفاسى فى آخرين.

آثاره: له رسائل عدة على نمط رسائل مولاي العربى بعث بها لبعض مريديه
والمحبين له، ورسائل فى كراريس بعث بها إلى العلامة الناصرى، أخبرنى من
وقف على بعضها، وأشعار ملحونة ومرتزة كما أخبرت من طريق البعض ولست
على يقين، كما أن له رسالة بعث بها إلى أبى عبد الله الحجوى.

وفاته: توفى فى رابع ربيع الأول عام أربعة وأربعين وثلاثمائة وألف.

٢٨٨ - محمد الوزير أبو عبد الله بن محمد بن عبد الله غريظ.

يدعى الفقيه بوغنبور الأندلسى الأصل المكناسى النشأة والدار، الفاسى النقلة
والإقبار.

حاله: قال حفيده صديقنا الأديب الكاتب أبو عبد الله محمد بن
الوزير الصدر المفضل غريظ فيما ترجمه به ومن خطه نقلت: رجل الوقار والجد،
أصيل السؤدد والمجد، شاعر تنبع الحكم من لسانه، وتمد أكف التسليم لإحسانه،
كاتب حسن الشمائل، ذو رأى لا متأود ولا فائل، وحال عن العرض الزائل مائل،
وخط تحسده الخمائل، ويحفه القبول عن اليمين والشمائل، وتتهج العيون برونقه،
وتتعطف النفوس لنسقه، كما قال المتنبى وأبلغ به من قائل:

من خطه فى كل قلب شهوة حتى كأن مداده الأهواء

وله يد فى الرباعيات والأزجال، وحظوة لدى بلغاء صلحاء الرجال، كالولى
الصالح السمى، سيدى عبد القادر العلمى، والولى المجدوب الذى لا زالت
كراماته تبدو، سيدى حفيد بن عدو، وذى الأحوال الباهرة والمدد العرفانى،
مولاي الطيب الكتانى، قدم من مكناسة مسقط رأسه، ومنبت غرسه، إلى فاس
مطلع شمس، بعد أن حصل من العلم قدرًا كافيًا، وورد من الآداب منهلًا صافيًا،
فاستكتب لعاملها الودينى مدة ولايته، اقتصر على صروف الدهر براية رعايته، إلى
أن عزل العامل لسيئة اجترحها، وفتنة اقتدحها.

قيل: إنه عبث بنسوة بعض الأعيان، وأطاع فيهن داعى انعصيان، فاستجار أزواجهن بمن لهم كلمة مسموعة، وأسرة مجموعة، من الشرفاء الطاهرين أهل العدو، وأثاروا ما لهم من نجدة ونخوة، فخرجوا عن طاعته وتمالخوا على الفتك به، وأعلنوا بعد صلاة الجمعة بحرم مولانا إدريس نور الله مضجعه بلعن القائد وسبه.

وخشى السلطان مولانا عبد الرحمن أن يتسع الخرق بسببه، فأطفأ النار بحبسه، وسد ثلثة الهيعة برأسه، وحمل إلى سجن المدينة، بهيئة مهينة، وولى على أهل فاس القائد الأحمر، فأذاقهم البلاء الأكبر والوبال الأمر، ونفى بعض أولئك الشرفاء إلى مرسى الصويرة جزاء على فعلتهم الخطيرة، ونقل الوزير المذكور لأعبائه، مؤمناً من ملامته وعتابه، وأدرجه فى خاصة كتابه، وأغناه الله بالبحر على النهر، ومكث على ذلك حيناً من الدهر، ولما كان فذ أهل أهل طبقتة فى الاختصار، والتجافى عن الإسهاب والإكثار.

كان الإمام المذكور يؤثره لذلك بتنقيح واختصار ما استطوله، وتوضيح ما أشكله، فيرتب فصوله، ويلغى فضوله، ويبقى محصوله، ويغص به من يجر فى مقام التشمير ذيوله، ثم ولاه الصدارة فأوسع لها درعه، واستفرغ فى إدارتها وسعه، ولما رأى أن هذا المنصب محك القول ومحط الأهواء، وهدف سهام الوشاة والأعداء، صاحبه على غرر. وإن استخرج منه الدرر. ومعتقده فى هم وتعب، وإن افترش السندس ومشى على الذهب، فهو كراكب الأسد، يخافه الناس وخوفه منه أشد:

قرب الملوك يا أخوا البدر السنى حظ جزيل بين شدى ضيغم

قدم للسلطان طلب إعفائه. واعتذر بأنه ليس أهلاً لهذا الأمر ولا من أكفائه. لكبره وضعفه عن تحمل أعبائه. فقال الملك ما معناه: مالك أيها الرجل كلما أردنا لك رفعا ونفعا. أظهرت إباء ودفعاً؟ أما الكبر والضعف. فكلنا بذلك الوصف. فاصبر واحتسب. في مصالح الأمة على ما لا تحب، فأجابه بما معناه: يا مولانا إنى لا أصلح أن أكون رئيساً معلماً، بل يجب أن أكون مرؤوساً مسلماً، ثم أعفى بعد مراجعة، وعتاب في طيه منازعة.

واستشاره السلطان فيمن يولى هذا المحل بعده، ويطوقه عقده، فأشار بجماعة كلهم للتقديم طامح، وللانتخاب لامج، ولسمك تلك المرتبة بسنان أمله رامح، حتى وقع الاختيار، على الفقيه الكاتب أبى عبد الله الصفار، وهو إذ ذاك متعلق من المسكنة بسبب، عاطل إلا من العلم والكتابة والأدب، فأنته الوزارة على قدر، تقود البذور والبدر، وبقي المترجم له محفوظ الحرمه، كاتباً مستشاراً فى كل مهمة.

ثم استوزر لأمير المؤمنين سيدى محمد زمن استخلافه عن أبيه ولخليفته بفاس إلى أن خبت ريحه، واشتمل عليه ضريحه.

ومن مناقبه المحموده. ومآثره التى هى على هامة الاعتبار معقوده، أن السلطان مولانا عبد الرحمن قدسه الله لما جرى عليه من الجيش ما جرى، واعترى عيبه من التشريد ما اعترى، بعد أن تفانوا على حماية جنابه، وتباروا فى التزام ركابه، حتى تغير شكل موكبه، ونهب ما عدا علمه المقدم ومركبه، واشتد عليه الظمأ، حتى لا ساقى ولا ماء. التفت فلم ير سواه، فاستدناه وآواه، فأسقاها بخفه حتى أرواه. ودخل صحبته إلى مكناسة الزيتون، فأحله حبث تجله العيون، واستنجد بأفكاره على استتاج أطواره، حتى أدبر جيش الفتنة بسنان قلمه ويفصل رأيه، فاعترف بمزيد فضله وحميد سعيه.

ولم تزل تلك اليد محفوظة له ندية، متلوا حديثها في جميع الأندية،
وحضر مع أمير المؤمنين سيدى محمد زمن خلافته، بوصف القيام بوزارته، فى
الليلة التى أسفر عن وجه النصر صباحها، وكسر سورة الخسر ربحتها، ليلة أجلب
الحاج عبد القادر بن محبى الدين على ملحته بخيله ورجله، وألقى بكيده وحيله.

أخبرنى من سمعه أنه قال: لما انسدت جلايب الظلام، وتكافأ الساهرون
والنيام، وابتسم ثغر البسيط لبكاء الغمام، جاء المذكور بمن اقتفاه من صحبه،
المستمتين لإعلاء كعبه، فأطلقوا على سمت المحلة من الرصاص شؤبوا، وعبابا
مشبوا، بعد أن أوقدوا ناراً على متون الركاب، وشردها بين الأخبية والأطناب،
فامتلات القلوب والجوانح قرحاً، والجوانب قتلى وجرحى، وصارت الجيوش
السلطانية ترمى بعضها، وتهم أن توسع فى الفلاة ركضها، حيث لم تدر للعدو
ناحية، ولا شعرت بالدهاية، ولسان حال الزعيم يقول رب حيلة، أنفع من قبيلة.

ثم نودى بالنهاى عن الركوب، والصبر على الأمر المكتوب، فراجع الطبجية
إلى المدافع ففجروا منها بحاراً ذات أمواج، اهتزت لها الجبال والفجاج، وتلتها
شهب منقضة من أفواه المكاحل، كحلت بميل الردى كل مدبر وواحل، فشرق
الزعيم، لا يلوى على حميم، وأصبح جمعه كسيراً، ووزيره البوحمدى أسيراً،
فى جماعة من تلك الفئة، التى كانت نحو الألفين وخمسمائة، ووجد على
أصحابه أقبية الحرير، والعمائم الموسومة بالتذهب والتحبير، إغياء منه فى الترفيه،
وزيادة فى الأثرة والتنويه، وكان ذلك فى المحرم فاتح عام أربعة وستين ومائتين
وآلف. هـ بمعناه.

وعلى الإجمال ففضل هذا الوزير عند أهل الفضل معلوم، وأثره فى صحف
المفاخر مرسوم، ولولا تمسكه بذيل العفاف، وقناعته من الدنيا بالكفاف، وانقباضه
عن غير من ترجى بركته، وتحض على السكون حركته، لسا رصيته مسير

الشمس، وأشير إلى محله بالخمس، وتغنت طيور الطمع بمدحه، وغما نتاج النفاق
بسرحة. وما أحسن قول ابن الحسين:

وإذا خفيت عن العيون فعاذر أن لا تراني مقلة عمياء

مشيخته: أخذ عن السيد اليمنى بو عشرين أصول الخط، أخذ إحكام
وضبط، وعن العارفين الجليلين الشريف سيدى عبد القادر العلمى وسيدى حفيد
بن عدو وغيرهم ممن يقتدى به علما وعملا:

شعره: من ذلك قوله مجيباً أبا عبد الله أكنسوس وقد أبدع فى ترصيع
نفائس الحكم، وأتقن وأحكم:

من أوتى الدين على القدر مغبوط وغيره معلوماته أغاليط
والنقط ليس يزيد الحرف تكريمة كم مهمل دونه ما هو منقوط
والجد ليس بمجد من مقاصده يلقى بها عند الانتقاد تخليط
وأحمق الناس من قد غره عرض به الذهاب والاضمحلال مربوط
وليس يسلم فى حال القيام به من ذى قلبى قوله بالزور مخلوط
ومن عجائب ما أبداه ذا الوقت أن يعز شرط ولا يعز مشروط
ومن تحقق فيه ثمة لم يفز بمشروطه لا شك مغموط
يا فاضلا فوق هام المجد أخصمه ماذا يكافى به ثناك غريط
ألبستنى منه أبهى حلة فغدا بها لنفسى تفريج وتنشيط
كأننى قد شربت فى معتقة ما أن يمس بها الأعضاء تثبيط
لله من قطعة عنى قطعت بها موصول هم به الفؤاد مضغوط
ما حاك نجل الحسين مثل بردتها ولا ابن حجر إذا ما كان تمليط

من حلى شعرك حر الشعر تقريط
يرى وهو بعقد منك معلوط
يمناك من كلفها بالخير مبسوط
بمثل من فيه إنسراط وتقريط
للدهر يوماً على عليك تسليط

كل المسامع تهوى أن تكون لها
وكل جيد مجيد قد تشوق أن
تنشيه ثم توشيه الأنامل من
بمثلكم دولة الأشراف تفخر لا
وأنت غرة هذا العصر دمت وما
وقوله:

ولا تغترر منهم بمن لك بصبصا
كماكمه فيما نص عنه وأبرصا
وفاته: توفى بفاس عام ثمانين ومائتين وألف ودفن بالمسجد المجاور لضريح
الولى الأشهر سيدى على أبى غالب وكتب على قبره هذا البيت^(١) المضمن تاريخ

عبيد العصا فاضرب منهم كل من عصى
وإن كنت فى شك فجرب تجدهم

وفاته:

ووزر صاحبه بالعفو منسوخ

فرش السعادة فى ذا القبر تاريخ

هـ من فصول الجمان، فى أبناء وزراء وكتاب الزمان، لأبى عبد الله بن

المفضل غريط المذكور.

قلت: وقد كان المترجم زاهداً ناسكاً، حدثنى ولده الفقيه الكاتب السيد
المهدى وزير الشكايات فى العهد العزيزى سابقاً ووزير الخليفة السلطانى بمراكش
حينه، أن فريقاً من قبيلة عبدة وردوا عليه ذات ليلة بأمة وحمل سكر وجراباً من
الريال الدور وهدية إليه مدة وزارته، فرد ذلك عليهم وعنفهم وقسم لهم بالله أنه
لا يسمع منهم كلاماً إلا إذا حملوا هديتهم، فلم يسعهم إلا الامتثال، ولما حملوا

(١) فى هامش المطبوع: «البيت لولده السيد محمد».

هديتهم قالوا له: إننا نأمل أن ترفع شكايتنا للجلالة السلطانية بطلب رفع ضرر عاملنا فلان، وكامل العامل من خاصة المولى عبد الرحمن، فأجابهم بأن السلطان لا يقبل فى ذلك العامل كلاً لإفراطه فى محبته ولكن لا بد لى من أن أبلغ كلامكم لمحله، ولما كان الفجر توجه لشريف الأعتاب طبق عادته ولما أخبر الأمير بحضوره وجه عليه، وقال له: يا فقيه أراك لا تنفع نفسك ولا تنفع غيرك، فقال له: يا سيدى ماذا فعلت؟ فقال له الأمير: الهدية التى رجعت البارحة على أصحابها لم تحزها لا لنفسك ولا لبيت المال، وكان اطلاع السلطان على ما حصل غريباً إذ لم تكن له عيون للمراقبة مبثوثة تراقب الأمور ثم تطلعه عليها بسرعة فائقة.

وللمترجم أيضاً:

وعار على الحر المقام ببلدة يكون بها نذل العبيد شريكاً

قاله لما أخرج عن منتصب الوزارة، وأكثر عبيد البخارى من التعريض به وإظهار الشماتة وحاول التنقل من مكناس لفاس، وله شعر جيد فى احتلال تلمسان وتطوان.

٢٨٩ - محمد أمراج المكناسى الأصل الفاسى النقلة والدار.

حاله: فقيه صوفى تال لكتاب الله ذو ذوق عجيب، وإدراك مصيب، له معرفة كاملة بالرقائق وطريق القوم ودقائقها متأدب بأدابها، ولوع بحضور مجالس العلم، متقشف معرض عن زهرة الدنيا وزخارفها، كثير الخمول متجرد لا يتشوف لما فى أيدى الناس، ولا يرضى بالدون، لباسه لباس الزهاد والبهايل، إلا أنه لا ينقع فى الأسواق ولا يدعى لنفسه مزية، وربما سأل الناس إذا دعت الضرورة لقمع سطوة الجوع.

كان فى ابتداء أمره يحترف بصناعة الدباغة بجد واجتهاد وحزم وعزم، يلبس الثياب الرفيعة، ذا تودة ونخوة وافتخار، طوفا على حلق العلم، وكراسى الوعظ، متبعاً للسنة مستحضراً للسيرة النبوية، حافظاً للأمداح المصطفية، يحفظ جل ما فى سيرة الكلاعى من الأشعار، قال الزبائى فى سلوك الطريق: إنه سمع منه أنه يحفظ من كلام ابن الفارض ستة آلاف بيت، وكثيراً من كلام الششتري وغيرهما من كلام الصوفية.

مشيخته: أخذ عن سيدى محمد جسوس الحكم العطائية، وكان يباحته ويعجب الشيخ بأبحاثه ويستحسن سؤالاته، وأخذ عن أبى محمد العربى بن أحمد ابن محمد فتحا بن عبد الله معن وغيرهما رحمهم الله جميعاً بمنه.

٢٩٠ - محمد بن هاشم العلوى الحرونى المكناسى الدار والإقبار.

حاله: فقيه بركة عفيف منيف، أستاذ فاضل جليل، محب فى الصالحين معتقد لهم، صاحب الولى الكامل سيدى عبد القادر الشريف العلمى وانتفع به واغترف من بحر معارفه، حدث عنه أبو عبد الله محمد التاودى السقاط الفاسى فى رحلته الموسومة بالمنح الوهية، فى الرحلة الحجازية، أنه أخبره أنه سمع من الشيخ يعنى العلمى المذكور أن كل سارية من سوارى جامع الزيتون الشهير بولى وأوصاه بزيارة المسجد المذكور والمواظبة عليه، وأنه ذكر له أنه لازم الإمامة به فى الصلوات الخمس أربعين سنة احتساباً بالله تعالى، وأنه صلى به الضحى مرة وسأل الله بجاء النبى أن يجمع بينه وبين صاحب الوقت بالمسجد المذكور، فإنه لا يخلو من حضوره هناك وفق ما تلقاه من الشيخ المذكور، قال: فلما فرغت من الصلاة والباب مغلق وإذا بسيدى قدور بسارية بالقرب منه فأتى إليه فقال هو هذا الذى طلبت، يشير إلى نفسه.

مشيخته: أخذ عن مولاي عبد القادر العلمى وغيره.

وفاته: توفى فى ثالث عشرى قعدة الحرام عام خمسة وثمانين ومائتين وألف
ودفن بضريح سيدى الحاج القدوة من الحضرة المكناسية.

٢٩١ - محمد بن محمد بن التهامى بن حمادى الحمادى المدعو السريح
المكناسى.

حاله: فاضل وجيه نزيه، فقيه مدرس نفاع، حافظ حجة لافظ، متضلع
مطلع متقن، شهد له بالتبريز جماعة من الأئمة الأعلام المقتدى بهم فى الحضرة
الفاسية، وقفت على موجبين متضمنين للشهادة له بالاشتغال بالإفادة والتصدي
للتدريس نص الأول منهما:

الحمد لله، يشهد من يضع شكله إثر تاريخه بمعرفته للفقيه الأنجب سيدى
محمد بن الفقيه الأمد سيدى محمد المكناسى، المعرفة التامة بها ومعها، يشهد
بأنه مشتغل بتدريس العلوم مدة تزيد على ثمان سنين، فمن علم ذلك قيد به
شهادته مسئولة منه فى حادى عشر من شهر الله المحرم من عام أربعة وسبعين
ومائتين وألف عبيد ربه أحمد بن محمد المرينسى، ومحمد بن الحاج، وعمر بن
سودة، والحاج محمد الفيالى، ومحمد البدرأوى ويناصر النسب، وحفيد
الأمرانى، وعلال المرينى، وأحمد بن الحاج، وحفيد بن محمد -أسنى، كل هؤلاء
العشرة من الأعلام المحققين المدرسين بكلية القرويين عمرها الله بدوام ذكره.

ونص الثانى:

الحمد لله الذى اختص بفضله ورحمته من شاء، وأقدره على التصرف
بالإخبار والإنشاء، وتوجه بعقل الكمال والتشريف، وحلاه بعد التنكير بأداة
التعريف، والصلاة والسلام على سيدنا محمد مادة الوجود، ومعدن الفضل
والكرم والوجود، صلى الله عليه وعلى آله النجباء الأقطاب، وأصحابه الذين آتاهم
الله الحكمة وفصل الخطاب.

وبعد: فإن ماسكه الفقيه الحبي العفيف النزيه، العالم الوجيه، سيدى محمد ابن الفقيه العلامة الأريب، الحافظ الحجّة الصدر الخطيب، سيدى محمد بن الحمادى المكناسى ممن تصدر هذه مدة مديدة، وسنين عديدة، لنشر العلم والتدريس والتعليم، وتصدر بين الصدور للتبليغ والتفهيم، وأنفق يواقيت عمره فى حل المقفلات، واستعمل دقائق فكره فى النتائج والمقدمات، وسبر أقسام المسانيد والعلل والألقاب، وكشف عن وجوه مخدرات المعانى والبديع النقاب، واقتنص من المهمات شواردها، واقتنى من النكت فرائدها وفوائدها، وسائر أرباب البلاغة فى مجالها حتى ظهر أنه من أفضل رجالها، مع ماله من الحياء والمروءة والاستكانة، وعدم الدعوى والمحافظة على دينه والصيانة، لكن قد تقرر واشتهر، وعلم لدى الخاص والعام وانتشر، أن الاهتمام بالرزق والكد على العيال، يخل بالجد والاجتهاد فى نشر العلم فى الحال والمآل، ويوجب الفتور والكسل والكساد، ويقطع الإنسان عما هو بصدده من نفع العباد.

ومقصود مولانا أيدى الله، وأدام وجوده وعلاه، كثرة نشر العلم وتكثير طالبيه، وصيانة أهل العلم عما يدنس حرمتهم وحفظ ذويه، فمن المستحسن بالنظر والقياس، أن يقوى على نشر العلم بمرتب من الأحباس، ليحصل غرض مولانا من تكثير العلماء فى الناس، وأن يعان بما يكون سببا له فى كثرة اجتهاده، أبقى الله مولانا رحمة لعباده، آمين. وفى مهل رمضان الأبرك عام خمسة وسبعين ومائتين وألف عبيد ربه تعالى أحمد بن محمد المرينسى وفقه الله بمنه، وعبد ربه أحمد بن أحمد بنانى ستر الله عيبه آمين.

رحل المترجم لأداء فريضة الحج وزيارة خير الأنام سنة أربع وتسعين ومائتين وألف وهو من جملة الأعلام الذين شهدوا بصحة نسب الشرفاء الدباغيين المنتقلين للحجاز ورفع له لخير الأنام.

مشيخته: أخذ عن والده ومن فى طبقته .

الأخذون عنه، ممن أخذ عنه الشيخ عبد الكريم الكتاني والاد صديقنا المحدث
أبى الإسعاد عبد الحى، وشيخانا أبو عبد الله محمد فتحاً بن قاسم القادري،
والمرحوم أبو محمد عبد السلام الهوارى قاضى فاس، وأبو العلاء إدريس بن أبى
العشرين .

وفاته: توفى بالحجاز عام حجه المذكور رحمه الله .

٢٩٢ - محمد بن الهادى بن عبود المكناسى النشأة والدار والقرار والإقبار .

حاله: فقيه عالم، عدل نزيه، تقى نقى، مدرس فاضل واعظ خطيب بليغ،
من أهل الخير والصلاح والزهد والرغبة عن الدنيا وزخرفها، سرادكاً للأحاديث
النبوية وبالأخص صحيح الإمام البخارى فى الأشهر الثلاثة رجب وشعبان
ورمضان، ذو صوت حسن لا يمل سامعه، تولى الإمامة بالمسجد الأعظم،
والخطبة بمسجد باب البراديين، ونيابة القضاء عن السيد العباس بن كيران والحاج
المهدى ابن سودة .

وقفت على رسم مسجل عليه بتاريخ ثالث رمضان عام ثمانية وسبعين
بتقديم السين على الموحدة تحت ومائتين وألف محلى فيه بالعلم والإمامة
والتدريس والنبيل والنزاهة .

وآخر بخطه وشكله بتاريخ ثالث شوال عام تسعين بتقديم المثناة على السين
ومائتين وألف يتضمن تحبب الحاج محمد بن يعيش البخارى قائد مشور السلطان
إذ ذاك جميع النصف الواحد من العرصة الكائنة بسيدى عبد العزيز من ناحية حارة
بنى موسى من الحضرة المكناسية على من يقرأ ذخيرة المحتاج بمسجد الشافية من
روى مزيل قرب داره هناك، كل يوم بعد الفجر وقبل صلاة الصبح إلا أن القراءة
صارت اليوم قبيل العصر وشرط المحبس يلبى ذلك .

وفاته: توفى بعد التسعين بالحضرة المكناسية، ودفن بمسجد أبي العباس أحمد الشلبي بالصف الأول منه .

٢٩٣ - محمد العياشى بن المكى بوشمعة^(١) المكناسى .

حاله: فقيه فاضل صوفى عالى الهمة منحاش إلى الله دال عليه فى سره وعلانيته، ملازم للذكر وتعمير الزاوية الدرقاوية فى سائر الأوقات، محافظ على صلاة الجماعة، إذا رئى . ذكر الله، يحض أصحابه ورفقاه على الذكر والمذاكرة فى أحوال السلف الصالح، والتأسى بأقوالهم وأفعالهم، مشغول بقراءة الحكم العطائية، والمباحث الأصلية، ورسائل مولاي العربى الدرقاوى .

وكان يسرد صحيح البخارى مع جماعته فى الأشهر الفاضلة الثلاثة رجب وشعبان ورمضان، ويحتفل لختمه كل سنة، وكان كثير السياحة، رحل إلى حج بيت الله الحرام، مجلسه مجلس علم وخير وخشية، وكان يكتبه بعض شيوخه بعيش القلوب، وكان يقول كثيرا: لا يعتبر فى الفقير المقال ولا الكرامة، وإنما يعتبر فيه الحال واتباع السنة، ولما حضرته الوفاة ازدحم الفقراء أتباعه عليه وأكثروا الإلحاح عليه فى الدعاء لهم، فكان جوابه ما معناه دعونى الله الغنى .

مشيخته: أخذ عن الولى الصالح السيد مالك الغرباوى دفين زاوية مولاي إدريس الأكبر من جبل زرهون وعن غيره .

الآخذون عنه: منهم السيد محمد بن عبود المكناسى الأصل والنشأة السلوى الدار والاستيطان وخلق .

مؤلفاته: منها تفسير قوله تعالى: ﴿ ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا

٢٩٣ - من مصادر ترجمته: إتخاف المطالع فى موسوعة أعلام المغرب ٧/ ٢٦٥٧ .

(١) فى المطبوع: «بوالشمع» والمثبت من إتخاف المطالع .

فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ وَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ إِذْنِ اللَّهِ... ﴿٣٢﴾ [سورة فاطر آية ٣٢]، وشرح على الصلاة المشيشية حل فيه ألفاظها.

وفاته: توفى فى حجة الحرام سنة أربع وتسعين ومائتين وألف.

٢٩٤ - محمد بن المجذوب ابن عزوز يدعى الهويج بالتصغير المتكاسى.

حاله: فقيه علامه، جليل مشارك نقاد، دراکة، نبيل عدل مبرز مدرس نفاع، تحرير ذو خط بارع، وربما قال الشعر وإن كان لا يحسن دهناعته ولا يجيد، وسيمر بك بعض شعره.

مشيخته: أخذ عن ابن عمه العلامة السيد فضول بن عزوز، وعمن فى طبقته، وشاركهم فى بعض مشايخهم كالحاج المهدي ابن سودة، والسيد مبارك، وابن كيران رحم الله الجميع.

الأخذون عنه: أخذ عنه العلامة السيد الغالى الستيسى، وشيخنا العلامة الناسك سيدى محمد العرائشى، والفقيه السيد محمد الواستري، وعمنا مولاي عبد القادر، وسيدنا الوالد، وقاضى أحواز مكناسة الحالى السيد أحمد الناصرى وجماعة.

شعره: من ذلك قوله:

تبسمت الأيام واحتفت سعدها	وقد لبست من كل حلى زيهجرا
دنا قطف آمال لصب له رنا	بلحظ ذكى قد ألهب من الكرا
تفتحت الأزهار فى كل شارع	وفاح لها ريح بمسك تعطرا

وقال:

إليك رسول الله أرفع حاجتى
ومنك رسول الله أرجو قضاءها

وأنت لها يا سيد الناس كلهم
وأنت لها يا من يقول أنا لها
وأنت الذى ترجى لكل عزيمة
وأنت الذى تحبى القلوب فتهتدى
وأنت الذى لولاك ما كان مهتد
وأنت الذى أوليت كل فضيلة
ومن سرك الأسرار فاض عبابها
ومن روضك الزاهى الأزاهر فتحت
ومن برك الطامى الحياض تدفقت

إذا عقدت يمينك فيهم لواءها
إذا نكصت رسل الأنام وراءها
إذا قطعت نفس المرید رجاءها
بأنوارك الحسنى وتجلو جلاءها
ولولاك لم تدر النفوس اهتداءها
فلا نعمة إلا وصلت عطاءها
ومن نورك الأنوار تبدى ضياءها
ومنه استمدت حسنها وبهاءها
فله ما أحلى وأعذب ماءها

نشره: من ذلك ما خاطب به تلميذه عمنا مولاي عبد القادر: سيدنا الشريف، العالم المنيف، ذا الأرج الأدبى العاطر، مولانا عبد القادر، أسعد الله صباحك وشرف أيامك، ونشر فى ميادين المجادة أعلامك، وسلام على شريف سيادتك ورحمة الله.

وبعد: فنحب حضورك ختام الخلاصة، ليكمل سرورنا بلا خصاصه، وأعط حامله عروش إقامة، أمدك الله بسر الاستقامة.

وفاته: توفى يوم الاثنين رابع حجة الحرام سنة سبع وتسعين ومائتين وألف، ودفن بزواية سيدى على بن عبد الرحمن أمام فرن الكدية حذو حمام مولاي عبد الله بن حمد.

٢٩٥ - محمد بن محمد بن أحمد المصمودى.

حاله: فقيه موقت، متقن محقق، حيسوبى، نبيل فاضل.

مشيخته: أخذ عن الموقت الماهر السعيد السعيدى المدعو الفاسى آتى
الترجمة .

الأخذون عنه: أخذ عنه السيد محمد بن سميه بصرى صاحب إتخاف أهل
الهداية، علم التوقيت علما وعملاً وغيره .

٢٩٦ - محمد بن الهادى الشريف الحسنى العلوى حفيد السلطان مولانا
سليمان نزيل مكناس ودفينها .

حاله: فقيه أستاذ مجود مقرئ له معرفة شافية بعلم القراءات وإتقانها
وتوجيهها، انتهت إليه رياسة ذلك الفن فى زمن، حكى عنه أنه سئل عن الإشمام
والروم، فأجاب سائله عن ذلك بالأبيات الآتية، ولما تم الأبيات ذهب للحجج
وأمره بقلع نثيته ليتمكن من النطق بالإشمام على حقيقته، وقد كان مدرراً يعلم
الصبيان ويرشد الشيوخ الأساتيد نفع الله به خلقاً .

الأخذون عنه: منهم العدل البركة سيدى محمد بن الرضا الطاهرى ومنه
استفدت ترجمته، وآخرون:

شعره:

يا سائلى نظما على الإشمام	والروم فاستمع أخى كلامى
الرفع فيه الروم والإشمام	والخفض بالروم فقط يرام
النصب لا روم ولا إشماما	فى مذهب القراء خذ أحكاما
وفى عريض شكل قل بالمنع	وهاء تأنيث وميم الجمع

٢٩٧ - محمد بن سميه بن العناية ابن فقيرة الأنصارى المكناسى .

حاله: فقيه علامة، متقن محرر متبحر، مدرس نفاع، ذو سر وبركة، لقى

الشيخ الرباني أبا العباس أحمد التجاني وصحبه وانتفع به، وكان من أخص أصحابه.

مشيخته: أخذ عن الشريف القاضي مولاى أحمد بن عبد المالك العلوى المطغرى، وعن السيد العباس بن كيران وطريق القوم عن أبى العباس التجانى.

الآخذون عنه: منهم أبو حامد العربى بن السائح العمري الشرقاوى دفين الرباط، وناهيك به مفعرة للمترجم، والسيد المختار الأجرأوى وجماعة، حسبما أفادنى بهذا كله حفيده الفقيه السيد أحمد الكاتب الأول بالصدارة حينه ولم أحفظ وفاته.

٢٩٨ - محمد بن محمد المترجم قبله يليه ابن محمد بن فقيرة.

حاله: أستاذ فاضل مقرئ، مجود متقن، حسن التلاوة، أخبرنى ولده أنه أخبره أنه حفظ قراءة البصرى قبل بلوغه.

٢٩٩ - محمد الأمرانى.

حاله: فقيه علامة معدل ماهر، ذكره خاتمة المحققين ذو الباع الطويل فى سائر الفنون والعارضة العريضة أبو إسحق إبراهيم بن عبد القادر التادلى الرباطى فى إجازته لأبى عبد الله محمد بن خليفة المدنى آتى الترجمة قائلاً فى حقه: كان آية فى علم التعديل، كان يجرى إلى المدرسة العنانية بمكناس يقرأ معى كل يوم منهاج ابن البنا فى التعديل الذى لا أصعب منه فى كتبه هـ.

وناهيك بهذه الشهادة من هذا البحر المتلاطمة بالتحقيق أمواجه فى حق المترجم، وكفاه فخراً وشرفاً كون أبى إسحاق هذا من تلاميذه.

وقد ذكره أيضاً فى فهرسته التى لا تزال مسودة بخطه بما نصه: وكان شيخنا الشريف سيدى محمد المرانى السجلماسى المكناسى المجاور الآن ١٣٠٦ بأهله

وأولاده بالمدينة المنورة غاية فى المسكنة والصمت، لا يتكلم إلا نى علم أو ذكر، ولا يعلم سوى التعديل والتوقيت والحساب والكيمياء، والغالب الأول، كان شديد النصيحة فى التعليم، سافرت من فاس لأجله بمكناس فقعدت فيها شهرين فى دار ساداتنا الكرماء العلماء دار العلم والولاية والكرم سيدى بصرى نفعنا الله به، وقرأت عليه المنهاج لابن البنا فى التعديل إلا قليلا بلا مطالعة منه.

ثم تلاقينا بشيخنا الشريف المذكور المكناسى بالمدينة أيام مجاورتنا بها، فوجدته ملازما للمسجد لا يخرج منه إلا الحاجة، لا يعرف ولا يخالط أحداً فى غير علم، فقرأت عليه شيئاً من ذلك أيضاً وأخذنى لبيته وأكرمنى وأعطانى تقويم كسوف بعمل يده فى قطعة كاغد بعمل المنهاج وغريتم يتحير الماهر فيه، وأتقنه رضى الله عنه كل الإتيان، ربما يبقى غيره فى استخراجة نحو شهر فأخذته لمكة، وأطلعت عليه تلامذتنا الشرفاء الذين قرأنا معهم التعديل باللمعة فتعجبوا من ذلك ووضعه ورصدوا وقت الكسوف كما هو مؤرخ فى القطعة المذكورة فصادف الوقت واليوم وصلينا مع أهل مكة صلاة الكسوف عقب صلاة الظهر بالخطبة. هـ من خط من نقل من خط التادلى مباشرة، وكذلك عدة من شيوخ أبى إسحاق المذكور تلميذه العلامة الشريف الربانى سيدى محمد بن الحسنى الرباطى فيما كتبه بكناشته ترجمة لشيخه أبى إسحاق رحم الله الجميع.

الآخذون عنه: منهم أبو إسحاق التادلى وناهيك به.

٣٠٠ - محمد الزهنى الزرهونى.

من أهل زاوية مولانا إدريس الأكبر.

حاله: فقيه عدل رضى من وجوه أعيان عدول الزاوية، تولى نيابة القضاء بها عن قاضى وقته.

٣٠١ - محمد فتحا الأمراني.

يدعى البيصارة بيباء موحدة مفتوحة بعدها ياء ساكنة ثم صاد مفتوحة مشبعة فراء فهاء.

حاله: فقيه علامة،، نحريز ماجد، أصيل ألمعى، نبيل عدل، مبرز، كان يتعاطى الشهادة بسماط العدول، دين فاضل مشتغل بما يعنيه.

مشيخته: أخذ عن الحاج المهدي ابن سودة، والسيد العباس بن كيران، والحاج مبارك الفيضى وغيرهم من الجهابذة النقاد.

٣٠٢ - محمد بن على النيار أبو عبد الله الأندلسى القصرى مولداً ومنشأ المكناسى داراً ووفاة.

حاله: صالح بركة، منقطع إلى الله تعالى، هذا ما وقفت عليه من ترجمته.

٣٠٣ - محمد بن محمد بن الجيلانى بن المعطى السقاط الأندلسى الأصل المكناسى النشأة والدار والإقبار.

وجزم بعضهم فى نسبه غير هذا بما لا أتحمقه والله أعلم.

حاله: فقيه علامة مشارك، مدرس نفاع، عدل رضى، مبرز خاشع، ذاكر ناسك، صالح أواه، ذو دين متين، وإقبال على الله فى كل حين، وخشية وحشمة ووقار وسمت حسن، تولى نيابة القضاء، وإمامة مدرسة الشهود، ثم إمامة المسجد الأعظم وكان من صدور مدرسيه مشاراً له بالخير والفضل، متبرك به فى السر والعلن، منظور إليه بعين الإجلال والإكبار، وكان ذا صوت حسن له حلاوة، عليه طلاوة، يسرد ذخيرة المحتاج بالمسجد الأعظم فما تسمع الأذان أحلى من صوته بها، وكانت بينه وبين الشريف البركة المعتقد المشهود له بالمعرفة والفضل العلامة المتضلع أبى مروان عبد الملك الضرير محبة ووداد.

٣٠٣ - من مصادر ترجمته: إتحاف المطالع فى موسوعة أعلام المغرب ٨/ ٢٧٦١.

حدثني ابن عمنا العلامة المفضل مولاي عبد السلام بن عمر العلوي، أن شيخه المولى عبد الملك رحمه الله، كان يقول له: ربما حملني على السفر لمكناس زيارة ولدنا ابن الجيلاني، كان ملازماً للمولى عبد الملك المذكور مدة رحلته في طلب العلم بفاس، وأنه ربما سمع شيخه يقول للمترجم: ستكون رأس علماء مكناسة فكان كذلك، كان في وقته من هو مشهور بالعلم والتحقيق، ولكنه لم تكن له منزلة صاحب الترجمة في الإقبال على الله والشهرة بالديانة، وأنه وقعت له معه كرامة، وذلك أنه أي المترجم توجه لزيارة مولانا إدريس الأكبر وهو - أعني ابن عمنا، المذكور - إذ ذاك صغير يحفظ شيئاً من المختصر الخليلي، فسأل عنه بعد دخوله لدارهم هل قرأ شيئاً من العلم، فأخبروه أنه يحضر بعض المجالس، فذكر له بعض الأمثلة وطلبه في إعرابها فأعربها له، فسكت قليلاً ثم قال: أنت سنعطيك شريفة بفاس وتكون من أهل فاس أو من علمائها، شك المحدث، قال: وما خطر لي شيء من ذلك قبل، ثم كان ما أخبر به كما أخبر.

ومن إفادته ما حدثني به ابن عمنا العلامة الثبت سيدي محمد بن أحمد العلوي قائلاً: إنه حدثه تلميذ المترجم شيخنا ابن عبد السلام الطاهري عاشر شعبان عام ثمانية وثلاثين وثلاثمائة وألف سماعاً منه، أن التجربة العادية حكمت بأن رابع شوال إن كان هو الجمعة أو السبت أو الأحد، فإن صابئة صيف العام تكون تامة كاملة، وإن كان الاثنين فالصابئة على النصف، وإن كان الثلاثاء فعلى الثلث، وإن كان الأربعاء فعلى الربع، وإن كان الخميس فإنما يرجى لطف الله وقد جربها الشيخ زروق السنين الطويلة فوجدها صحيحة.

مشيخته: أخذ عن شيخ الجماعة السيد مبارك الفيضي، والقاضيين السيد العباس بن كيران، والسيد الحاج المهدي ابن سودة، والسيد الهادي بادو، والمولى عبد الملك الضرير، ومن في طبقتهم من شيوخ فاس ومكناس.

الآخذون عنه: منهم شيخنا القاضى سيدى محمد بن عبد السلام الطاهرى،
وشيخنا سيدى محمد القصرى، والسيد التهامى بن عبد القادر لسوسى، والغالى
الستيسى وغيرهم من الأعلام.

وفاته: توفى صبيحة يوم الجمعة ثالث ربيع الثانى عام واحد وثلاثمائة
وآلف، ودفن بضريح السيدة العلمية من حومة حمام الجديد با-حضرة المكناسية،
ولم يتخلف أحد من وجوه أهل البلد وأصحاب الحிثيات وأعيان رؤساء البساط
الملوكى عن تشييع جنازته.

٣٠٤ - محمد بن عبد الله الغريسي المشرى الحسنى نزيل معسكر.

حاله: كان فقيهاً نابغة، نبيلاً قاضياً، رحالة شاعراً دراكة، وجيهاً، ورد على
أمير وقته مولانا عبد الرحمن بن هشام فى سنة خمسين ومائتين وآلف لدار المملكة
مكناسة الزيتون.

آثاره: لم أقف على شىء من آثاره إلا على قطعة شعرية ألفيتها على ظهر
كتاب بخط بعض الأثبات، نظم فيها صور الشغار الثلاث ونصها على ما فيها:

غريس خلا مذ غاب عنه الإمام	عليه من الله الرضا والسلام
وقد صار مفتى الوقت من آل واشق	عليه من الطود العظيم سلام
مررت به يقرى الشغار كنائم ثم أيقظته سلام
فلم يدر ما قد قاله فى منامه	ولا ما عراه يقظة أم منام
فقلت له والقوم محذقة به	كحوض بلا ماء عليه زحام
فهاك نظاما ما فى الشغار وحكمه	نظاما بديعا ما حكاه نظام
فإن صرحوا بالمهر قل ذلك جمعه	وإن سكتوا فهو الصريح الحرام

وإن قرنوا بين السكوت وضده
 فهذه أصول للشغار ثلاثة
 وحكم الجميع الفسخ ما عدا جمعه
 وقيل بمهر المثل مثل صريحه
 ولا مهر من قبل البناء في ثلاثها
 كذا فصل الأشياء يا جاهلاً بها
 وصل في بلاد الله تلو أئمة
 وقل لهم يا آل ودي تكرموا
 وراقب فجر شمس علومهم
 ولم يبق يا من في دجا ظلماته
 وجانب مزاج الأذلين من الملا
 وسلم لأهل العلم تسلم ولا تكن

٣٠٥ - محمد الخرزة .

رفيق المترجم يليه .

حاله: فقيه كاتب نشيط نبيل، ورد على المولى عبد الرحمن بن هشام رحمه
 الله في سنة خمسين ومائتين وألف، صحبة صديقه سيدي محمد بن عبد الله
 الغريسي .

٣٠٦ - محمد بن عبد الله بن محمد الطاهر بن عبد القادر بن عبد الله بن

فخر الملوك مولانا إسماعيل .

حاله: من أنجب أقرانه وأفقههم وأجلهم وأفضلهم وأبرعهم وأتقنهم، نسخ

بخطه البارع كتبها عديدة حديثة وفقهية ونحوية، وكان من أهل الفضل والدين المتين والاشتغال بشأنه.

مشيخته: أخذ عن السيد الطاهر بوحدو، والسيد فضول بن عزوز، والسيد محمد الهويج، والسيد فضول السوسى وغيرهم، وحفظ القرآن وجوده على سيدنا الجد المولى عبد الرحمن بن زيدان.

ولادته: ولد بمكناس بدارهم من الستينية سبع ذى القعدة الحرام سنة ستين بتقديم السين على المثناة فوق ومائتين وألف حسبما وقفت على ذلك بخط يد والده.

وفاته: توفى فى متم ربيع الثانى عام أربعة وثلاثمائة وألف، ودفن بروضة سيدى عمرو الحصينى الشهيرة بالحضرة المكناسية.

٣٠٧ - محمد بن الأمين السيد المعطى المسطارى المكناسى النشأة والدار.

حاله: فقيه عدل، مبرز موثق ماهر، فرضى جليل، أديب بل ناظورة الأدب، ومصدر مفاخر لسان العرب، بارع القلم واللسان، له فى الارتجال أكبر باع وشان، جامع لأشتات معانى الكلام فى بديع خطاب، مجيدا فصيحاً دون عى ولا إغراب، يراعه يسيل أدبا، وفكره يبدى عجباً، له اقتدار تام على الإنشاء، صرفه الله تعالى فيه كيف شاء، من أجل ذلك كانت له المرتبة السامية، والمكانة العالية، ومزيد الحظوة والعناية لدى أفخر الملوك العظام، وسلالة آل بيت الفخام. أمير المؤمنين المقدس أبى عبد الله سيدى محمد، ونجله مولانا الحسن ذى الخلق الحسن الأحمد، أفنى رحمه الله جل عمره فى خدمتهما، والتشرف بملازمة عتبتهما، مواظبا على الكتابة فى بساطهما الملوكى من أعيان الشعراء والكتاب، محافظاً على

٣٠٧ - من مصادر ترجمته: إتحاف المطالع فى موسوعة أعلام المغرب ٨/ ٢٧٧٣.

الأداب اللائقة بذلك الجنب، مخصوصاً بمزيد الاحترام والاعتناء، أعطى اسم
شاعر الحضرة دون من عداه من الشعراء.

مشيخته: أخذ عن جلة أعلام بلده مكناسة الزيتون كالشيخ عبد الرحمن
بصرى ومن فى طبقتة.

شعره: من ذلك قوله:

عذب فتعذيب هذا الصب فيك حلا
لو قلت طأفى لظى وطئت مبتدرا
يامن إذا نظرت عيناي طلعتته
دل الكئيب على وصل فقد لعبت
ورد طيف الكرى لطرفه كرما
وارع لذمة رق يشتكى لهفا
وانظر لفرط جواه فهو متحل
لم يبق يرقب إلا لسانك ومن
انى وحقك لم أزل أقارع ما
يا من شمائله جلت فليس لها
وقوله:

وقلبك جذلان تسارع للفخر
وأما الهوى يقضى بما شاء من قهر
وأقرب ما فى الحب وقف على الجمر
مضى الحسن لا تسأل فقلبي فى أسر
ولا عذر لى دون التشبث بالرضا
وأى فتى يهوى ولم يذق الجوى

وأعذبه هو العذاب فلا تقل
ففيما مضى كان الحسان إذا رأوا
ورقوا له ثم انتحوا لوداده
فدام عليهم رونق الحسن والبها
لذاك رأيت العاشقين تميلوا
ولو عاينوا ما شتمه اليوم لم تجد
فكنت غبيا بالزمان وأهله
وصرت على حكم الغرام علامة
وقوله:

عبث النسيم بقده فتأودا
رشأ تفرد فيه قلبى بالهوى
قمر هدى أهل الضلال بوجهه
مغرى بإخلاف المواعد فى الهوى
سلبت محاسنه العقول بناظر
يا صاحى الأعطاف من سكر الطلا
قاسوك بالغصن الرطيب جهالة
حسن الغصون إذا اكتست أوراقها
إن كنت محبوبا فقلبى حاجب

مذاق الهوى عذب فكم فيه من مر
عفيفا أنالوه الأمان من المكر
ومالوا إليه ميل من شاق للبر
ونال الذى يهواهم الفوز بالبشر
بمدح شمائل المحسن فى الشعر
أديبا أتى إلا بهجوا بلا نكر
وهمت بأنسى سنين من الدهر
سميعا مطيعا صنته فى دجا فكر

وسرى الحياء بخذه فتوردا
لما غدا بجماله متفردا
وأضل بالفرع الأئيب من اهتدى
يا ليته جعل القطيعة موعدا
يصدى القلوب وباسمه يروى الصدا
ما بال طرفك لا يزال معربدا
تالله قد ظلم المشبه واعتدى
ونراك أحسن ما تكون مجردا
لك فاطمئن النوم لا تخش الردى

وقوله وقد طلب منه بعض الطلبة تخميس الأبيات الأربعة المشهورة وهى :

صبرت على النيران الخ فخمسها فى الحين فقال :

إلى الله رد الأمر وارض وقل عسى ولا تكثرت مهالك، القنط عسعسا

فكم سر مضنى حيث قال منفسا صبرت على النيران والضرب والأسا

فأبلغنى صبرى لرشف المباسم

فذو الملك ييدى ما يشا ويعيده وفى يده بسط القضا ومديده

فالصبر ما قد غاب تصيده تأن ولا تعجل لأمر تريده

وكن راحما بالناس تبلى براحم

فداج القضا بدر الرضا قد أناره وما موقد إلا سيصلى جماره

ومن ظن شرا للهوان أصاره ومن يزرع المعروف يحصد ثماره

ومن عاند الأيام ليس بسالم

فما ضل حادى البزل أحسن سوقها وما خاب والى الناس يرفأ خرقها

فتحمده نفس قد أحمد شوقها وما من يد إلا يد الله فوقها

ولا ظالم إلا سيبلى بظالم

فلما فرغ منها قال مؤذن الظهر الله أكبر، فقال للسائل: قد استجيب لك قد

استجيب لك.

وفاته: توفى أواسط جمادى الأخيرة عام خمسة وثلاثمائة وألف، ودفن

بصحن روضة ولى الله تعالى مولاى عبد الله بن حمد من الحضرة المكناسية.

٣٠٨ - محمد بن إدريس بن الطيب الواسطى المكناسى .

حاله: فقيه علامة أديب نجيب له مشاركة وخط بارع نساخ للكتب، تولى خطة الكتابة بالحضرة السلطانية وخدمها نحو الستة أشهر ثم اخترمته المنية .

مشيخته: أخذ عن السيد الطاهر بوحدو، والسيد فضول بن عزوز، والسيد فضول السوسى، والسيد محمد بن الجيلانى السقاط، ومن فى طبقتهم من أهل التحقيق .

شعره: من ذلك قوله:

يا من يرى ذلى وضعفى وغربتى	إنى بيبابك واقف يا عمدتى
يا من تفضل بالوجود على من	بعد انعدام مكونا من نطفة
يا من تكفل لى برزقى مذ أنا	طفل صغير إلى انقضاء مدتى
يا من يتوب على العصاة بمنه	إنى سألتك أن تمن بتوبتى
مالى سواك وسيلة فلإن رجعت	ت من ندائى خائبًا يا سواتى

وفاته: توفى بعد الثلاث مائة وألف .

٣٠٩ - محمد بن الخليفة التونسى الأصل المدنى الدار، المغربى الرحلة والجوار، المكناسى الإقبار، يعرف فى تونس بالرقاع .

حاله: فقيه علامة، مشارك ناقد، راوية مسند متقن، رحال، ناظم ناثر، مجيد ناثر، مجيد فى الصناعتين، ماهر مقيد جماع، قلّ بلد إلا وله فيه أثر، وعنه بها أخذ، وله كثير من التقايد والإنظام، ذو همة عالية فى جمع الكتب واقتنائها، وبذل الأمور فى استنساخ الغريب منها، حتى تجمع له من ذلك عدد وافر .

٣٠٩ - من مصادر ترجمته: إنحاف المطالع فى موسوعة أعلام المغرب ٨/٤٠٤ .

رحل فى صغره إلى المدينة المنورة وأقام بها مدة فى طلب العلم وخدمته حتى برع وفاق، ثم رحل إلى مصر وتونس والقيروان والجزائر وفاس ومراكش والصويرة وآسفى والرباط ومكناسة الزيتون وبها كانت منيته كما يأتى، ووقفت فى دفتر مرسى ثغر الصويرة على ظهير حسنى لأنائها نصه بعد الحمدلة والصلاة والطائع:

«خدامنا الأرضين، أمناء مرسى الصويرة المحروسة بالله، وفقكم الله وسلام عليكم ورحمة الله.

وبعد: فنأمركم أن تتركبوا الطالب محمد بن خليفة المدنى مع صاحب له واصلين للإسكندرية من غير كراء يلزمهما، والسلام فى ٧ شعبان عام ١٣٠٨»، وقد ذكر فى فصل الصوائر المختلفة من باب الصائر من الدفتر المذكور المبلغ الذى أُرِكِبًا بِهِ «القيقه الشريف محمد خليفة مع صاحبه بريال ٤٠».

مشيخته: أخذ بالمدينة عن الشيخ أبى خضير الدمياطى المدنى، وأبى حفص عمر بن إبراهيم برى المدنى، والمفتى محمد بن عمر بالى المدنى الحنفى، والسيد جعفر البرزنجى، وأبى المحاسن محمد بن خليل الطرابلسى.

وبمكة عن الشهاب دحلان، والشيخ محمد حقى النازلى، صاحب خزينة الأسرار والشيخ رحمة الله الهندى صاحب إظهار الحق.

وأخذ بمصر عن الشيخ عبد الهادى الأبيارى، والشمس الأنبانى، والشيخ إسماعيل الحامدى وغيرهم.

وبالقيروان عن الشيخ الصدام، والشيخ محمد بهاها الصغير.

وبتونس عن الشيخ سالم بو حاجب المتوفى فى الرابع عشر من رجب عام اثنين وأربعين وثلاثمائة وألف، والشيخ الطيب النيفر المتوفى فى رجب عام أربعين وثلاثمائة وألف، والشيخ الطاهر جعفر.

وبالجزائر عن المفتى الشيخ على بن الحفاف، والشيخ على بن موسى.

وأخذ بفاس عن سيدى جعفر الكتانى، وولده سيدى محمد، وقاضيه
حميد بنانى، وأبى محمد عبد الله بن خضراء السلوى، وأبى محمد عبد الهادى
الصقلى، وأبى محمد عبد الله بن إدريس البدرأوى وغيرهم.

وأخذ بالرباط عن أبى إسحاق إبراهيم التادلى وتديج فيه مع قاضيه سيدى
أحمد بنانى.

وأخذ بمراكش عن الحاج محمد أزنيت، وأبى حامد العربى بن السائح،
وأبى العباس أحمد الوعزوفى التنانى الصويرى وغيرهم من شيوخ المشارق
والمغرب، وجل هؤلاء أجازه عامة ومنهم من تديج معه.

الأخذون عنه: أخذ عنه السيد أحمد بن العباس البوعزاوى، والشيخ فتح
الله بنانى الرباطى، وأخوه أبو محمد زين العابدين وغيرهم.

مؤلفاته: منها رسالة فى جدار المحراب أهو من المحراب، وفى صورة أنه من
المحراب فالمصلى بحذاء المحراب إذا لم يسجد فى المحراب فهل يكون مصليا
خارجه أو يكون مثل مصلى سجوده فى المحراب وقدماه خارجه، وعلى تقدير أنه
يعد مصليا خارجه فهل يكره.

شعره: من ذلك قوله مقرظاً رسالة شيخه الشيخ عمر بربى المسماة رسالة
الأفراح والبشائر، لطالب العلم والمجاهد والحاج والزائر، فى نحو الكراسة:

يا مغرماً بمنصب الدنيا ارعوى	أو ما دريت بموتك المستقرب
فالعلم أنفس منصب فى دارك الـ	أخرى فما لك نحوه لم تذهب
أو ما ترى البرى كيف زهت له	أيامه وحبى بأصفى مشرب
ترك المناصب واستعد لنصرة الد	ين القويم وذاك أعظم مأرب

ولئن تخلى عن مناصب أرخت

برسالة الأفراح أكد منصب

٧٧١ ٣٢١ ٢٧ ١٨٢ ج ١٣٠١

وقوله فى تقرّظها أيضاً:

لله درك أيها المفضال إذ

أبديت لؤلؤ ففكرك السماح

وأجلت ففكرك فى فرائد سنة

فجمعت منها نزهة الأشباح -

وجنيت من روح البيان دقائقا

تورى الجهول محجة الأفلاح

وأزلت عن غرر الأدلة برقعاً

حتى غدت فى غاية الإيضاح

واخترت أقوى حجة تتلى بها

أبكت كل معارض ملحاح

قد كان يبطل حكم هجرتنا التى

أفصحت عنها أكمل الأفصاح

يا زائرین عليكم بزيارة الـ

برى مولى البر والإصلاح

عمر العمر للمدينة بالتقى

والعلم معجز السن المداح

يا حادياً عرج بساحته وقل

نقديه بالأجسام والأرواح

إذ قد أفاد جنانه ولسانه

وبنانه بنظيرة المصباح

أضحت به مفتاح كل عويصة

لكنها تسمو على المفتاح

بعذيب مشربها فارخ طاب لى

من مبدع لرسالة الأفراح

ونظمه رسالة الجانى، ومزيلة ترح العانى، فى مدح القطب الصمدانى،

مولانا أحمد التجانى، بها أبيات سبعمائة.

وقوله معارضا قول من قال:

فإن إعارتى للكتب عار

ألا يا مستعير الكتب دعنى

وهل أبصرت محبوبا يعار

فمحبوبى من الدنيا كتابى

ومن خطه نقلت :

فما بإعارة للكتب عار

ألا يا مالكا للكتب عرها

فمحبوب الأحبة قد يزار

لئن أحببت من دنيا كتاب

وقول من قال :

واجعل العذر جوابا

لا تعيرن كتابا

إن فى الرهن صوابا

واقبض الرهن عليه

بقوله :

لا يك العذر جوابا

عرا لى الخل كتابا

لا ترى فى ذا صوابا

واترك الرهن عليه

أنت ضعيف الصحابا

فإذا خالفت قولى

وفاته: توفى سن الخمسين بمكناسة الزيتون بالعلى الذى بالزاوية التجانية

منها ربيع الأول عام ثلاثة عشر وثلاثمائة وألف، ودفن بروضة الشيخ محمد بن

عيسى خارج باب السبية أحد أبواب العاصمة المكناسية.

٣١٠ - محمد بن العربى المنونى المكناسى الأصل والنشأة والدار والإقبال.

حاله: فقيه علامة، مشارك مدرس، خطيب مفوه، تقى نقى، عدل فصيح

خلو الشمائل، حسن الصوت لا يمل سامعه، كان الناس يأتون لسماع قراءته

وسرده الأحاديث والواعظ والأمداح المصطفية من الحومات البعيدة عنه لما رزقه من

الحلاوة والطلاوة، وتأثير ما يخرج من فيه بالقلوب التأثير العجيب.

وكان ميالا لجناب الله محبا في المنحاشين إليه، ملازما للتدريس، وغالب
تدريسه كان بزواية شيخه التجاني، وكانت له معرفة بعلم الأسماء والأوقاف، وكان
من يرجع إليه في الطريقة التجانية غير متغال ولا متنطع فيها ولا متقول على
الشيخ رضى الله عنه ما لم يقله، ولا ملصق به ما هو برىء منه براءة الذئب من
دم يوسف، بل كان لا يحيد فيها عن نهج السنة الذى بنيت عليه، مقتد فيها بقول
الشيخ: ما سمعتموه منى فزنوه بميزان الشرع، فما وافق فخذوه، وما خالف
فاضربوا به وجه الحائط، شأن السلف الصالح، تولى آخر عمره عدالة المرس
المخزنى الذى تجبى إليه الأعشار.

مشيخته: أخذ عن العلامة ابن الجيلانى السقاط وهو عمدته، وعن أبى
العباس قاضى الحضرة المكناسية السيد أحمد ابن سودة المرى، وعن الشيخ السيد
المفضل بن عزوز، وعن أبى حامد العربى بن السائح العمرى، دفين الرباط،
وتلقى منه فوائد عملية مشافهة مدة مقامه بمكناس وغيره ومراسلة، وعن غيرهم
من حاملى لواء التحقيق والإتقان من علماء وقته.

الأخذون عنه: أخذ عنه شيخنا وابن عمنا مولاي الحسن بن اليزيد العلوى
المحمدى، والشريف الفقيه العدل سيدى محمد بن إدريس الإدريسي الشيبهى،
والفقيه الشاعر العدل السيد عبد القادر بن أحمد العرائشى، والأستاذ الفقيه
النجيب السيد محمد فتحا بن العربى بن شمسى وجماعة.

وفاته: توفى ثالث جمادى الأولى عام ستة عشر وثلاثمائة وألف، ودفن
بضريح العلامة الصالح سيدى يوسف الخطيب من حومة براكاة نفتح الباء وتشديد
الراء مشبعة.

٣١١ - محمد بن أحمد بن المكى السوسى.

حاله: فقيه نجيب، علامة فاضل، عدل مبرز، مدرس نفاع، قليل العبارة، لا يستطيع أن يعبر عن مقصوده كما يريد، كثير الانحياش لجانب الله، محب فى أهل الخير والدين، زوار للصالحين، وكان فيه انقباض وضيق صدر حتى ربما يقع له ذلك بأدنى سبب فى مجلس درسه فيقوم قبل تمام الدرس مغضبا منقبضا، وكان يفر من كل هرج ويحب العزلة.

مشيخته: أخذ عن عمه السيد فضول، وعن قاضى الحضرة أبى العباس أحمد السودى المرى وغيرهما ممن هو فى طبقتها.

الآخذون عنه: أخذ عنه أخوه شيخنا السيد محمد فتحا السوسى، وابن أخته مولاي إدريس بن عمر المطهرى، وشيخنا أبو على الحسن بن اليزيد وجماعة من نجباء وقته.

وفاته: توفى فى أواخر عام ستة عشر وثلاثمائة وألف.

٣١٢ - محمد بن محمد فتحا المتونى الحسنى المكناسى النشأة والدار والوفاة.

حاله: عدل رضى، فاضل من أهل الخير والصلاح، كثير الاعتناء بمطالعة كتب القوم والمذاكرة فيها، حسن السمات والهيئة والمروءة، وافر الحياء، هين لين، عالم بالحساب والتوقيت بالمسجد العتيق من حضرتنا المكناسية كأبيه وجده من قبله، ثم رشح لنظارة الأحباس الصغرى مدة، ثم كاتباً بالحضرة السلطانية زمن السلطان المقدس مولانا الحسن برد الله ثراه ببنيقة الداخل من الأعتاب المولوية، ثم

٣١١ - من مصادر ترجمته: إتحاف المطالع فى موسوعة أعلام المغرب ٨/ ٢٨١٦.

٣١٢ - من مصادر ترجمته: إتحاف المطالع فى موسوعة أعلام المغرب ٨/ ٢٨١٥.

بعد وفاة السلطان تنازل عن خطة الكتابة ورجع لوطنه مكناسة، وتصدى لتعاطي خطة الشهادة بسماط العدول إلى أن لبي داعي مولاه.

وفاه: توفي رحمه الله في سابع جمادى الثانية عام ستة عشر وثلاثمائة وألف، ودفن بضريح سيدي غريب من حومة الأنوار بمحروسة مكناسة.

٣١٣ - محمد أبو عبد الملك بن زيدان.

ابن جد العائلة المالكة الأعلى المولى إسماعيل السلطان الأعظم الطائر الصيت في المشرقين والمغربين.

حاله: فقيه خير دين ناسك، متواضع كريم الأخلاق، ذاكر تال لكتاب الله له معرفة كافية بالفقه والعربية، ومزيد تثبت، لا يرى نفسه شيئاً ولا تهمة زهرة الحياة الدنيا، راض بما قسم له، كان يؤدب الصبيان في آخر عمره، وعليه حفظت القرآن وجودته، تخرج على يده عدة من حملته، وكان له خط بارع، ومعرفة بالرسم والتجويد.

والله ما خرج من الدنيا حتى كاشفني بأمر جاءت بعد وفاته وفق ما أخبر، من ذلك أنه ورى لي محذرا إياي من بعض أبناء العم، وقال لي ما معناه: ما لي ولفلان عينه لي مهما أغمضت عيني في هذه الليلة يقف أمامي يريد كيت وكيت ثم يأخذه رحمه الله مثل السنة ثم يستيقظ يكرر مقالته.

ومن ذلك أنه ورى لي بانقضاء أجله، وأنه يموت صبيحته قائلاً جاءني الآن الشيخ فلان رجل صالح عين لي اسمه وناولني مفاتيح وشيئا آخر وقال لي: خذ أجرك فقد تم بناء دارك.

ومن ذلك أنه حدثني بتشاجر عظيم بين رجلين كانا على قلب واحد إذ ذاك

٣١٣ - من مصادر ترجمته: إتحاف المطالع في موسوعة أعلام المغرب ٨ / ٢٨٢٠.

فوقع بينهما من التشاجر ما أخبرني به، وتصدى كل منهما لإذاية صاحبه كما تصدى لإذائتي من حذرني منه بكل ما فى طوقه فكفانى الله شره، وأوقفنى سُبْحانه على ما دسه لى بخطوط يده بعد وفاته سامحه الله، وجزاه على إذائته لى بالجنة، والكل حدثنى به قبيل انسلال روحه بنحو ثلاث ساعات برَد الله ثراه.

مشيخته: أخذ عن شيخنا أبى عبد الله القصرى، والطاهر بوحدو، والمفضلين ابن عزوز، والسوسى، وأبى عبد الله الهويج، وشيخنا أبى عبد الله محمد بن عبد الهادى الفيلىلى، وشيخنا المعطى بن عبود، وقرأ القرآن والتجويد على والده، وأتقن حفظه على شقيقه الأستاذ أبى محمد عبد القادر.

الأخذون عنه: منهم عمنا المولى الطاهر حفظ عليه القرآن العظيم، والمولى الطيب بن عبد الله المترجم فيما سلف، والمولى العربى بن إبراهيم بن عبد الله وجماعة من حملة القرآن، وعليه حفظت الكتاب الميين، وجملة من المتون، وعليه تعلمت أحكام الوضوء والصلاة ومبادئ النحو، رحمه الله وجزاه عنى أفضل ما جزى به أباه عن ولده.

وفاته: توفى بعد طلوع شمس يوم الثلاثاء سابع عشرى حجة الحرام متم عام سبعة عشر وثلاثمائة وألف، ودفن بروضة ضريح الولى الكامل أبى زيد عبد الرحمن المجذوب جوار ضريح جده الأكبر السلطان الأعظم مولانا إسماعيل، حيث مدفن سلفه.

٣١٤ - محمد أبو عبد الله السوسى الأصل.

حاله: أستاذ مقرر مجود يحفظ العشر ويحرره، حافظ متقن ماهر، له معرفة بعلم النار، أخبرنى من شاهد مباشرة عمله لذلك من أهل العدل الثقات الأنبات، وأنه خرج بمحضره سبيكة فضة خالصة، وكان يستحضر الألفية، وابن

عاشر، وصدراً من المختصر الخليلي، ولا مية الشاطبي، ودالية أبي العباس بن المبارك، ومنظومة ابن الجزري في التجويد وغير ذلك.

وكان خيراً ديناً فاضلاً، تقياً نقياً، زكياً مرضياً، كثير التلاوة لا يعرف كلاً ولا مللاً، قدم مكناسة الزيتون بعد الحادية عشر من القرن الرابع عشر، وأقام بها مدة ودخل الأستانة والجزائر وغيرهما في طلب علم النار.

مشيخته: أخذ عن شيخنا العلامة أبي الفضل الفاطمي الشراذي، ولازم دروسه بفاس نحو ستة أعوام، وأخذ القراءات السبع عن المتبرك به الشيخ الزوين، والعشر الكبير عن القاضي الفلاق، والولي الصالح ابن يرمق.

الآخذون عنه: منهم صديقنا الأستاذ المقرئ المجود أبو عبد الله محمد بن أحمد الحميدى، أخذ عنه العشر الكبير.

٣١٥ - محمد أبو عبد الله الرفي.

حاله: علامة مشارك، أستاذ مجود يحفظ السبع ويتقنه، فاضل زكى، كان يؤم بمسجد باب عيسى، وكان العلامة الناسك أبو عبد الله محمد جنون لا يبغى بالصلاة خلفه بدلاً إذا كان بمكناس، يأتى الصلاة خلفه من حومة أبي العباس أحمد بن خضرا، ف قيل له فى ذلك، فقال: إن نفسى تطمئن بالصلاة خلفه لما اجتمع فيه مما تفرق فى غيره، فإنه عالم بأحكام الصلاة، عارف بفن التجويد، كذا حدثنى الفقيه الحميدى المذكور فى الترجمة قبله يليه قائلاً هكذا: حدثه شيخه بل شيخ جماعة الأساتذة المقرئين بالعاصمة المكناسية أبو الحسنات الدربى بن شمسى، وهو ثقة صدوق، أخبر عن مشاهدة، ويكفى صاحب الترجمة فخراً شهادة أبى عبد الله جنون له.

٣١٦ - محمد بن الهادي فرمُوج الصنهاجي الأصل المكناسي النشأة والدار
والإقبار.

حاله: عدل مبرز فقيه، نبيه مدرس، تولى نيابة القضاء عن العلامة أبي
العباس ابن سودة المترجم فيما مر، وكان تدريسه بالزاوية المعروفة بزاوية حمادشة.
مشيخته: أخذ عن شيخ الجماعة السيد مبارك الفيضى، وعن السيد المهدي
ابن سودة، والسيد الهادي بادو، ومن فى طبقتهم.
الآخذون عنه: أخذ عنه السيد محمد الزيانى، والسيد عبد القادر الريو،
والسيد قاسم بن حمدوش.

وفاته: توفى فى جمادى الأولى عام ثمانية عشر وثلاثمائة وألف، ودفن
بالزاوية الناصرية من الحضرة المكناسية.

٣١٧ - محمد بن المهدي المنونى الحسنى المكناسي.

حاله: فقيه مجود مرتل له الطولى فى معرفة الرسم وتعليم الصبيان، وإفادة
المقرئين، لا يرى فى غالب أحواله إلا تاليا أو ذاكرا أو معلما، وقور مهاب، معتقد
عند الخاصة والعامة، محبوب لديهم، متبرك به، اتخذ عدة مكاتب لتعليم القرآن
العظيم عامة وخاصة، ونفع الله به أقواما، ثم رشحه السلطان مولانا الحسن
لتأديب بناته بداره المحروسة المحوطة، وأفاض عليه من سجال البر والإحسان ما
هو له أهل، ورتب له أحسن قيام إلى أن لى داعى مولاه وانتقل لما اختير له رحمه
الله.

الآخذون عنه: منهم شيخنا الشريف سيدى الحسن بن اليزيد ختم عليه
ختمات من القرآن، وغيره ممن لا يعد كثرة.

٣١٦ - من مصادر ترجمته: إتحاف المطالع فى موسوعة أعلام المغرب ٨/ ٢٨٢٣.



الخليفة سيدى محمد الأمرانى

وفاته: توفى فى حجة الحرام عام اثنين وعشرين وثلاثمائة وألف، ودفن بضريح الولى الصالح سيدى محمد فتحا الغمارى حذو سيدى عمرو بوعودة، من حومة حمام الحرة من الحضرة المكناسية.

٣١٨ - محمد بن الشريف الفقيه العدل مولاى عمر بن هاشم العلوى المدغرى.

حاله: فقيه وجيه عدل رضى، من صدور العدول، وأعيان الأشراف، ملحوظ بعين التبجيل والتكريم بين قومه، كريم السجايا، سمح الأخلاق، فاضل نبيه، كان يتعاطى خطة الشهادة بالزاوية الإدريسية مدة، ثم رشحه أبو العباس بن سودة للنيابة عنه فى القضاء بالزاوية المذكورة إلى أن أعفى.

مشيخته: أخذ عن العلامة الصالح المتبرك به مولاى عبد المالك الضرير، وعن غيره ممن هو فى طبقتة.

وفاته: توفى زوال الاثنين ثانى جمادى الثانية عام اثنين وعشرين وثلاثمائة وألف، ودفن أمام الخارج من باب جامع الموتى بالمزاراة الفوقية من الزاوية الإدريسية.

٣١٩ - محمد بن سميه بن هاشم العلوى الحرونى المدعو الشيخ التيكر.

حاله: فقيه نبيه، مسن بركة نزيه، ذاكر متبتل، محاضر مستحضر، مقبل على شأنه، خلع لباس الدعوى وارتدى برداء الخمول والوقار، له اليد الطولى فى نسج الأزجال الملحونة على أبداع منوال وأحسن أسلوب، وكان يميل إلى التقشف، ولباس ما خشن من الثياب، وربما احترف بخدمة حب الزيتون و«بصره زيتا».

عنَّ له يوما من الأيام لدى الوزير الصدر غرض من أغراضه الشخصية فذهب إليه لمحل مأموريته بالحضرة السلطانية، فوجد معه جلة أعلام منهم

أبو محمد العربي بن السائح، وجماعة يتجاذبون أطراف المذاكرة إلى أن قال بعضهم لمزيتة عليه السلام، والمترجم وراء الباب مع أوباش الشرطين غير مبالي به، وعليه أثواب رثة وسخة، فناداهم قائلاً: يا فقيه المزية لا تقتضى التفضيل، فبهتوا وانقطع حديثهم، وصار بعضهم ينظر لبعض فقال لهم الوزير وهو إذ ذاك موسى بن أحمد: ما لكم سكتكم؟ فقال المترجم مجيباً له من وراء الباب بقوله تعالى: ﴿وَوَقَعَ الْقَوْلُ عَلَيْهِمْ بِمَا ظَلَمُوا فَهُمْ لَا يَنْطِقُونَ﴾ [سورة النمل: آية ٨٥].

فاستدنوه إذ ذاك منهم، وقالوا له مثلك لا يجلس هنالك، وسألوه عن حسبه ونسبه وأين قرأ، وعمّن أخذ فعرفهم بذلك وشاركهم في المذاكرة، فقالوا له: بين لنا معنى كون المزية لا تقتضى التفضيل، فقال: إن الوزير رعاه الله وأعز أوامره له من نفوذ الكلمة والأوامر المطاعة ما لا يحتاج إلى إقامة دليل عليه، إذ قد ميزه المولى تبارك وتعالى بجعل سر كلمة التكوين بين شفتيه، أرايتم لو أمر بضرب أحدنا أو سجنه وإخراجه من هذا البساط مذموماً مدحوراً لامثل أمره على الفور ونفذ بالفعل وفق ما أمر به، فهذه مزية له امتاز بها دوننا وهي لا تقتضى تفضيله، بل منا من هو أفضل منه، فأنصت الكل لمقاله وأنصف، وله بالفضيلة الجميع اعترف، وأقدوه قدره، وقضى الوزير في الحال أمره، ثم إن المترجم تخلى في آخر عمره عن جميع الأشغال الدنيوية، ولازم الضريح العلمي، واشتغل بعبادة ربه حتى أتاه اليقين، ولم يزل نهما يتطلب العلم ويحضر مجالسه ويذاكر أهله إلى أن ختمت أنفاسه رحمه الله.

مشيخته: أخذ عن السيد المفضل بن عزوز، والسيد فضول السوسى، والسيد المختار الأجرأوى، والسيد محمد بن الجيلانى السقاط، والسيد أحمد ابن سودة المري، والحاج المختار بن عبد الله وشاركهم في جل شيوخهم، كالسيد مبارك بن عبد الله الفيضى، والسيد الهادى بادو، والسيد المهدي ابن سودة، والسيد العباس ابن كيران.

وفاته: توفى رحمه الله بالحضرة المكناسية فى يوم الجمعة تاسع عشر حجة الحرام، متم عام ثلاثة وعشرين وثلاثمائة وألف، ودفن بالزاوية الكتبية بالصف الأول منها.

٣٢٠ - محمد القصرى شيخنا أبو عبد الله العبدري^(١) المكناسى الأصل والاستيطان والوفاة.

حاله: فقيه علامة مشارك، مدرس نفاع، كان فى أول أمره يحترف بعمل الخبز، ثم أقبل على التعلم بجد واجتهاد حتى وجد ضالته المنشودة، فأكب على التدريس بحزم وعزم، وكانت له ملكة كاملة يقتدر بها على التدريس بدون مطالعة، وكان مقترا عليه فى الرزق، ثم رشحه السلطان المولى عبد العزيز لإقراء إخوته وأعمامه ونفذ له مؤنة ضافية طعامية يومية وشهرية، تحسنت بها أحواله المادية، ثم حالت الأحوال وأسقطت عنه تلك المؤنة ورجع لأشر مما كان عليه، ولم يزل صابرا محتسبا إلى أن لقي الله مع همة عالية، ونفس آبية.

مشيخته: أخذ عن العلامة السيد فضول بن عزور، والعلامة السيد فضول السوسى، والعلامة السيد محمد بن الجيلانى الساقط وهو عمدته وغيرهم ممن هو فى طبقتهم.

الآخذون عنه: أخذ عنه قاضى الأحواز المكناسية أبو العباس الناصرى، والعلامة السيد محمد الواسترى، وشيخنا السوسى، والفقير السيد محمد فتحا بن مبارك الهلالى، والفقير مولاى إدريس بن عمر المطهرى، ووالدنا المقدس، وشيخنا أبو على الحسن بن اليزيد، وجامع هذا الديوان عفا الله عنه وغيرهم من أعيان نجباء فقهاء مكناس.

٣٢٠ - من مصادر ترجمته: إتحاف المطالع فى موسوعة أعلام المغرب ٨/ ٢٨٤٣.

(١) فى الإتحاف: «العبدوى».

وفاته: توفى ليلة الاثنين خامس صفر الخير عام أربعة وعشرين وثلاثمائة
وآلف، ودفن بضريح سيدى الدغوغى من حومة جامع الزرقاء.

٣٢١ - محمد بن عبد الواحد بن محمد بن محمد بن عبد الواحد بن عبد
الله بن محمد بن عبد القادر النقيب بن عبد الواحد بن الولي الصالح
المتبرك به حيا وميتا أبى العباس أحمد الشيبه.

دفين روضة رأس التاج المعروفة اليوم بروضة عمرو الحصينى، إحدى
الروضات الشهيرات بالحضرة المكناسية، وإلى أبى العباس هذا يتسب كافة
الشبيهين.

وهو ابن عبد الواحد بن عبد الرحمن بن أبى غالب بن عبد الواحد بن
محمد بن على بن عبد الواحد المجاهد، وهو أول نازل من الجوطيين بمكناسة،
وفيه يجتمع الشبيهون والطاهريون.

وهو ابن عبد الرحمن بن عبد الواحد بن محمد بن على بن حمود بن يحيى
ابن يحيى مرتين بن إبراهيم بن يحيى الجوطى على قول ابن القاسم بن إدريس
الأزهر، باني مدينة فاس ودفن بها ابن إدريس الأكبر بن عبد الله الكامل بن الحسن
ابن الحسن بن على وفاطمة الزهراء ابنة سيد المرسلين ورسول رب العالمين، مولانا
محمد الصادق الأمين، صلى الله عليه وآله وأصحابه والتابعين، الشريف الحسنى
الإدريسى الجوطى الشيبه من أهل زاوية جده مولانا إدريس الأكبر رضى الله عنه
وأرضاه.

حاله: فقيه علامة، مشارك محاضر، ممتع، باقعة فى السياسة والكياسة،
كان إليه المرجع فى الفتوى بالزاوية الإدريسية، ويده أزمة نواب قضاتها، وعليه

٣٢١ - من مصادر ترجمته: إنحف المطالع فى موسوعة أعلام المغرب ٨ / ٢٨٤٤.

التعويل فى التعديل والتجريح، وعند إشارته يقف الولاة وغيرهم من الأكابر فى كل مهم، مع السمى الحسن، والهدى المستحسن، والدين المتين، والأخلاق الحسنة، والكرم المبذول، والتحبب إلى أهل الخير ومواليتهم والسعى فى مرضاتهم ومعاملة كل فريق، بما هو به خلىق، مع المبادرة إلى كل فضيلة، والتخلى عن كل رذيلة، مرت عليه سنون عديدة وهو لا يرى إلا فى مسجده أو فى داره ولا تراه خارجا عنهما إلا فى النادر لموجه القوى.

أما الولاى فقد كان تاركا لحضورها، عكس عيادة كل مز له حق يقتضيها من المرضى، ولا يكاد يتخلف عن حضور جنازة تجده فى كل ذلك من أهل الرعىل الأول، ولقد كان الإمام فى الخمس بالضريح الراشدى، والواعظ الوحيد بالمسجد الجامع من بلده إثر صلاة الصبح يصعد كرسى الوعظ وهناك ويشنف آذان السامعين برقائق التفاسير القرآنية، وجوامع الكلم المصطفية، ونافع معارف السادات الصوفية، فترتاح لذلك القلوب وتنشرح الصدور لحسن تحبيره، وتمكن تصديره.

ولقد كان مع هذا كله لم يترك نصيبه من الدنيا يحسن تدبيرها، وخصوصا الفلاحة، وقد كان قائما بحظ وافر منها، وسيطا بذلك فى الثروة وتنمية العقار، وفذاً واحداً فى الجاه وعلو المنزلة، وخصوصا بعد وفاة مشاركته فى الصدارة وكمال المنزلة ابن عمه العلامة مولاي الفضيل.

حدثنى ابن عمنا العلامة الأعد سيدى محمد بن أحمد العلوى أنه شاهد يوم موت المترجم رجلا كان يشار له بالخير يقول خطابا لبعض الحاضرين إنه - يعنى صاحب الترجمة - من أهل الخير والصلاح، قال محدثى المذكور: ومن قرائن ذلك أنه لما بقى لموته نحو عشرة أيام صمم العزم على أنه حان وقت لقيه لمولاه تبارك وتعالى، وتجرد من كل العلائق وأوصى وحبس وأعتق وأعطى وقسم على أولاده حتى فراشه ولباسه، ولم يبق فى محل سكنائه إلا الفراش الذى هو

راقد عليه والثياب التي هو لابس لها، وودع أحبائه ومعارفه من حضر منهم بالمشافهة ومن غاب بالمكاتبة، وهياً نعشه وعين صدقة أيام مآتمه، ومن يغسله، ومن يصلى عليه، ومن يلقيه في قبره إلى غير ذلك، وصار بعد ذلك لا يأذن لمن ودعه في الدخول عليه، ويقول: قد ودعته في الله، واختلى تلك المدة بربه لا يدخل عليه عند الحاجة إلا ولداه الفقيه المولى على والفقيه سيدي محمد، إلى أن انتقل لوطن الرحمة محمود المساعي.

وأنه شاهد يوم وفاته جماعة من سعاة أهل بلده سيكون عليه ويقولون مات أبو الدراويش، كان يعطينا ويفعل معنا.
وبالجملة فالرجل لم يترك بعده يبده مثله رحمه الله.

وكان سكنى هذه الشعبة الشبيهية التي منها المترجم أولاً بكناس، ثم انتقل جلهم لجوار ضريح جدهم بزواية زرهون، وبقي البعض إلى الحين الحالي بحضرتنا المكناسية، صانها المولى من كل بلية.

مشيخته: أخذ عن العلامة سيدي أحمد المرينسي، والعلامة الحاج المهدي ابن سودة، والعلامة سيدي الحاج عمر ابن سودة، والعلامة الحاج أحمد بن سودة، والعلامة ابن عبد الرحمن الحجرتي وغيرهم ممن هو في طبقتهم.

الآخذون عنه: منهم ابن عمنا العلامة مولاي عبد السلام بن عمر العلوي المدغري، وابن عمنا النقاد الأعد الثبت السيد محمد بن أحمد، والعلامة سيدي الفاطمي بن الفضيل الإدريسي، وولداه مولاي على وسيدي محمد وغيرهم من أهل العلم والدين.

مؤلفاته: له تقييد في أدب زيارة الأولياء والترغيب في ذلك، وآخر في جواز تأخير السحور إلى طلوع الفجر، وطرر على صحيح البخاري من كتاب

التفسير إلى الختام وغير ذلك حسبما أخبرنى بذلك ولده الفقيه العدل مولاي على
قائلا: لازال الكل تحت يدهم فى مسوداته لم يخرج.

وفاته: توفى سحر ليلة عيد الأضحى متم عام أربعة وعشرين وثلاثمائة
وآلف، ودفن بترتبه التى أعدها لنفسه أعلى الظهر بالتصغير، الروضة الشهيرة
خارج باب زاوية زرهون رحمه الله رحمة واسعة.

٣٢٢ - محمد بن محمد فتحًا المتقدم الترجمة ابن عبد الله بن الطاهر
الشريف الأمرانى.

أمه بنت السلطان المولى سليمان.

حاله: فاضل وجيه نزيه، نسيب حسيب نبيل، سياسى ماهر، داهية عاقل،
حنكته التجارب وحنكها، فارس شجاع، خبير بالأمور، بصير بالعواقب، كان
السلطان المولى الحسن اصطفاه وقربه وصاهره بشقيقته المصونة السيدة أم كلثوم،
وكانت أحب الناس إليه يجير من أجارت، ويجيبها لما أشارت، وبسبب ذلك
حظى المترجم لديه بكل عناية، واختص لديه بكل حظوة ورعاية، فكان يتسد به
للطواف بالنواحي والنظر فى أمر القبائل وإصلاح أحوالهم وجمع الموظف عليهم،
وتأديب من ارتكب العصيان منهم، وتعيين من يصلح لهم من العمال، وإصلاح
ذات بينهم، فكان يقضى تلك المآرب المولوية على أحسن وجه تارة بالسياسة،
وتارة بالقوة حسبما تشهد بذلك أعماله فى القصابى وملوية رنواحي ريز وآيت
يوسى وأولاد الحاج وآيت يزدك وقبائل الريف وغيرها.

وقف على عدة ظهائر ملوكية علوية فى التنويه بقدره وقدر عائلته الكريمة
والحض على احترامهم وتبجيلهم وتوقيرهم واعتبارهم، منها ظهير حسنى منيف
ودونك نصه بعد الحمدلة والصلاة والطابع الشريف:

٣٢٢ - من مصادر ترجمته: إتحاف المطالع فى الموسوعة ٨/ ٢٨٧٨.

«يعلم من كتابنا هذا النافذة أوامره، المسفرة عن وجوه الحق بواطنه وظواهره، ويتعرف من فحوى خطابه، لمن أمعن النظر فى أساليبه وأسبابه، أننا بحول من له القوة والحول، والمنة والطول، أقررنا حملته أبناء عمنا سيدى محمد ابن المرحوم بكرم الله مولاي محمد الأمرانى وشقيقه مولاي عبد السلام، ومولاي الكامل على ما ألفوه من جانبنا العالى بالله، وجانب أسلافنا قدسهم الله، من التوقير والتعظيم والاحترام، ومزيد القرب والاجتباء والإكرام، وزدناهم على ذلك توقيرا واحتراما وعناية وتعظيما بحيث لا يسام جانبهم باهتضام. ولا يعاملون إلا بالجميل والإعظام، وأبقيناهاهم فى ذلك على عادتهم المألوفة، وطريقتهم المعروفة، من التحرير من جميع الكلف المخزنية، والوظائف السلطانية، وجعلنا أمور زكواتهم وأعشارهم بيدهم جريا على عادتهم إقراراً تاماً، نأمر الواقف عليه من عمالنا وولاة أمرنا أن يعمله ويعمل بمقتضاه؛ ولا يحيد عن كريم مذهبه ولا يتعداه، صدر به أمرنا الشريف فى حادى عشر جمادى الأولى عام تسعة وثلاثمائة وألف» هـ.

وكان السلطان المذكور يقدمه للشئون ذات البال، ويعتمد على سياسته ودهائه ويعترف له بذلك، ودونك نص اعترافه له بما ذكر بعد الحمدلة والصلاة والطابع الشريف الذى نصه (الحسن بن محمد الله وليه ومولاه):

«الفقيه الأرضى القاضى السيد عبد الوهاب البادسى سددك الله، وسلام عليك ورحمة الله.

وبعد: وافى كتابكم بتيسير ما وجه لأجله ابن عمنا الأرضى سيدى محمد الأمرانى، على أقصى الأمانى. مثنيا عليه بحسن السياسة ولطف التدبير. وجميل المباشرة والعقل الكبير. فنعم هو كذلك ونحن نعرفه منه سدده الله والسلام فى سادس عشرى حجة الحرام عام واحد وثلاثمائة وألف» هـ.

وكان يأخذ برأيه فى مهمات الأمور ويعتمده وله الوثوق التام بصدقه وأمانته قامت لدى الخاص والعام على ذلك براهين ساطعة، فكم جهاز الجيوش الهامة ذات العدة والعدد، وعقد له عليها وأسند إليه أمرها، وقصر النظر فيه عليه، وبالجمله فقد كان له لديه جاه ووجاهة ومكانه لم يلحقها غيره، يرافقه فى الأسفار. ويخصه ببث الأسرار. حتى إنه كان كلفه بالنظر فى كل ما ينسب لفل ذة كبده وأعز أبنائه لديه وولى عهده من بعده السلطان السابق مولاي عبد العزيز، ودونك نص الظهير الصادر له فى ذلك بعد الحمدلة والصلاة والطابع الكبير:

«يعلم من كتابنا هذا أعلى الله مقداره. وأجرى على فلك الإسعاد مداره. أننا بحول الله وقوته. وشامل يمنه ومتمته. كلفنا ابن عمنا الأرضى سيدى محمد الأمرانى بالنظر فى كل ما ينسب للولد عبد العزيز أصلحه الله من الماشية والحرث ونحو ذلك مما تنتجه المواشى من الغلة كالصوف والسمن والتناج ونحو ذلك، وكذلك الحرث بحيث يكون بصيرة فى الكل يعرف الداخل والتناج والغلة وما زاد وما نقص حتى لا يضيع شىء منه، ويعلمنا عن ذلك بما ظهر له فيه من صلاح أو ضده، وكذلك فى عمل المكلفين به، وما يرى فى ذلك من استحسان وتسديد أو غير ذلك، لنامر فيه بالمقتضى والسلام صدر به أمرنا المعتز بالله تعالى فى خامس محرم الحرام فاتح عام أربعة وثلاثمائة وألف»هـ.

وقد اقتفى أثر هذا السلطان العظيم المقدار فى تبجيل المترجم وإجلاله وندبه للمهمات وترشيحه للملمات، بنوه الملوك الجلة من بعده ووجهه المولى عبد العزيز لقبيلة الأحماس وطنجة وتطوان لما تفاحش أمر الريسونى بتلك النواحي، ولو تتبعنا خصوص ما بمكتبتنا من الأوراق الرسمية المتعلقة بمأمورياته لجاء فى مجلدات، وإليك مثالا منها كتبه له أحمد بن موسى باقعة الوزراء وداهية الصدور والرؤساء:

«محبنا الشريف الأرضى، سيدى محمد الأمرانى أمنك الله وسلام عليك

ورحمة الله عن خير مولانا نصره الله.

وبعد: وصل كتابك أحدهما بتاريخ رابع عشر شهر التاريخ، والثانى بتاريخ
خامس عشر منه أخبرت فى الأول بأنك لما حللت المحلة السعيدة ألفيتها بخير،
غير أن فساد الأعشاش وملال ومن شوكتهم اشتدت شوكتهم وكثرت آراؤهم فى
تعمير موسم طبق ما تقدم الإعلام به بعد ما كان أخبر عمال الأعشاش باضمحلال
أمره، وأن الفساد تمالثوا واجتمعوا بسوق أولاد محمد ونادوا بعمارته رغما على
كل أحد، وصار الفساد يسرى، وأن العمال لم يغنوا فى ذلك شيئا ولم تظهر لهم
خدمة ولا نتيجة، وأنك لما رأيت ما هم عليه من الرعب خاطبت قواد أولاد مراح
والشبانى والبرهمى بإنهاض حركتهم حلة ومحلة امام المحلة لعزمك على الرحيل
غد التاريخ والتخيم بطالع السلطان قرب بلاد الأحلاف والأولاد بعد مفاوضتك
فى ذلك، مع عمال الشاوية المخيمين بالمحلة وجوابهم لك باستحسان ذلك وعدم
المصلحة فى طول مقام المحلة، وأن بسبب ذلك استطال الفساد حتى صاروا
يزحفون لقرب المحلة، واشتد طمعهم فيها وسرى ذلك لغيرهم من القبائل التى
كانت تنالها الأحكام، فامتدت أيديهم لنهب السبل وقطعها على المارة، وأن من
المتعين إنهاض محلة القرب للتخيم بقربكم وتجديد شريف الأمر للجوار بشد
العضد والتضييق بالفساد حيث لازال لم يظهر أثر منهم عدا أولاد عبدون الذين لم
يقصروا فى ضرب الخزازرة.

وأن من المصلحة تعجيل نهوض الركاب العالى بالله لتدارك رقع أولئك
خرق أولئك الفساد، وجعل ذلك بيت القصيد، ذاكراً أن من هون أمر تلك الناحية
وسهل أمرها، فقد خان وغش الجناب المعترز بالله.

وأخبرني في الثاني بنهوضهم يوم التاريخ المذكور بالمحلة السعدية وتخييمكم بطابع السلطان قرب دار الحاج عبد القادر الخلفى وقرب الأولاد وتلقيه لكم مع قواد الأولاد والخدمين الإبراهيمى والشبانى بعدد وافر معتبر من الخيل، مظهرين الفرح والسرور، وتخييم بعض حلة أولاد مراح مع حلة الشبانى والإبراهيمى بقرب المحلة، ذاكرًا أن هذا النهوض يكون بحول الله سببا فى إخضاد شوكتهم وتفريق جمعهم الفاسد، وأنه ظهر بسببه أثر الخير، وطلب منك، عمال الأعشاش الزيادة بالمحلة لقصبة المعاريف قرب دار ولد توزرت، وأشار عليك البعض بالتخييم بدار ابن أحمد، حيث إن بعض أولاد محمد نازل بقربها، وأنت كتبت لأعيانهم وكبرائهم بما تقتضيه المصلحة من التأليف المشوب بالإرهاب مع التأمين عليهم، وأنه إن أفاد ذلك فيهم فذاك المراد، وإلا فلا بُدّ من الزيادة بالمحلة السعيدة للتخييم بأحد المحليين المذكورين إظهارًا للسطوة المولوية عليهم، وصار بالبال بعد اطلاع العلم الشريف، فقال دام علاه: أما ما كانوا توافقوا عليه من عمارة موسم الفساد إلخ فقد كان بلغ شريف علمه ذلك وصدر الأمر بالبحث عن حقيقة ذلك، وأما ما خاطبت به أولاد مراح ومن ذكرت معهم من إنهاء حركتهم حلة ومحلة أمام المحلة السعدية بقصد التخييم بطالع السلطان، فقد استحسنه مولانا دام علاه وعده من الخزم، وأما ما أنتجتة مفاوضتك مع عمال الشارية من تعيين نهوض المحلة الغربية للتخييم قربكم إلخ، فقد صادف الحال أن الأمر الشريف صدر لمولاي الأمين بالنهوض بها والتخييم بمائة بير وبير من بلاد الحلايف من زعير فى الحدود بينهم وبين الأعشاش، ولا يكون الأوصل وجدد له شريف الأمر بالتضييق بهم فقد جدده لهم وأكد عليهم فيه، وها مكاتبه الشريفة بذلك تصلك طيه لتوجهها لهم على يدك، إلا أنك لم تبين المراد بالتضييق هل بشد الوطأة عليهم فقط كما أمروا الآن أو بضربهم فلتبين ذلك.

وأما ما ذكرته من المصلحة في تعجيل نهوض الركاب الشريف فقد تقدم لك الإعلام بما ظهر منهم، فلتمض على ذلك.

وأما ما أشرت إليه من عدم تهوين أمر تلك الناحية، فسيدينا أيده الله من ذلك على بال، وسيحكم الله في كل فاسد بباهر قدرته.

وأما نهوضكم وتخييمكم بالمحل المذكور، فقال أعزه الله جعله الله نهوض يمن وظفر وسلامة.

وأما ملاقة من ذكر من الخدام للمحلة السعيدة بعددهم وعددهم فقال نصره الله: ذاك المراد منهم أصلحهم.

وأما ما ذكرت من ظهور أثر الخير بسبب نهوض المحلة فقال أعزه الله: كمل الله بخير وحكم سيف عدله في رقبة كل باغ، آمين.

وأمامه طلبه عمال الأعشاش من نهوض المحلة لقصبة المعاريف وما أشار به الغير من نهوضها لدار ابن أحمد، فقال نصره الله: الحاضر بصيرة، والذي تقضيه المصلحة من التخييم بأحد المحليين يرتكب.

وأما ما كتبت لهم به إلخ فقد استحسنه دام علاه.

وأما ما ذكرته من كونهم إن لم يظهر منهم انقياد فلا بد من الزيادة لأحد المحليين المذكورين إلخ فقال دام علاه: العمل على ذلك ولا تغيب خيرا وعلى المحبة والسلام في ٢٠ ربيع الثاني عام ١٣١٥ أحمد بن موسى بن أحمد لطف الله به.

وقد استخلفه السلطان مولانا عبد الحفيظ بثغر الدار البيضاء ودونك نص ظهير التولية بعد الحمدلة والصلاة والطابع الكريم:

«يعلم من كتابنا هذا أعلى الله قدره، وأعز أمره، أننا بحول الله وعونه جعلنا ماسكه ابن عمنا الأرضى سيدي محمد الأمراني خليفة عن جانبنا العالی

بالله بالدار البيضاء المحروسة، وأقمناه مقام عمنا مولاي الأمين فيما كان له من التكليف هنالك، والنظر في أمور المخزن ومباشرة المصالح المنوطة بتلك الناحية، فنأمره أن يجرى في ذلك على ما يراد من المقابلة بجهد واهتمام، وعدم ارتكاب ما يخل بالمصالح في نقض أو إبرام، كما نأمر من يقف عليه من خدامنا وولاة أوامرنا الشريفة أن يعرفوا قدر ما أسندناه إليه من ذلك التكليف، وطوقناه من ذلك الوظيف، والله يلهم الجميع رشده والسلام، صدر به أمرنا المعترز بالله تعالى في ثامن عشر حجة الحرام عام ستة وعشرين وثلاثمائة وألف هـ.

وأقره على ذلك هنالك السلطان المعظم مولانا يوسف، وزاد بأن جمع له بين الخلافة عنه والعمالة هناك، ونص الظهير الشريف الذي أصدره له في ذلك: الحمد لله وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه (يوسف بن الحسن بن محمد الله وليه) ومن تكن برسول الله نصرته إلى منتقم:

خدامنا الأرضيين أهل الثغر البيضاء كافة، وفقكم الله وسلام عليكم ورحمة الله.

فقد اقتضت المصلحة العامة اجتماع ووظيفتي خليفة حضرتنا الشريف وعامل البلد في ذلك الثغر في يد واحدة، وعليه فقد أعفينا خديمنا الطالب محمد الجباص من التكليف هنا كم ووظفناه بالوزارة الكبرى، وأسندنا لابن عمنا الأرضي سيدي محمد الأمراني الوظيفتين المذكورتين وأمرناه بالقيام بشئونهما، فنأمركم أن تسمعوا وتطيعوا فيما يأمركم به من أمور خدمتنا الشريفة أسعدكم الله به وأسعده بكم ووفق الجميع لما فيه رضاه، والسلام في متم رجب عام ١٣٣١ هـ.

ولم يزل قائما بأعباء تلك المأمورية أحسن قيام إلى أن قبضه الله إليه.

وهو الذي ترأس جيوش الحماية عند مقدمها لفاس، ثم لماكناس عند انتصار السلطان مولاي عبد الحفيظ بها على باغية البرابر زمن قيامها عليه بمكناس على ما

سنوضحه بعد بحول الله، ولولا حسن سياسة المترجم لأصبحت مدينة مكناسة في خير كان.

مشيخته: أخذ العلم عن شيوخ عصره والطريقة الناصرية عن سيدي محمد ابن أبي بكر الناصري، والعلامة الصالح سيدي محمد بن طلحة النسب بمراكش، وهو عن سيدي علي بن يوسف.

ودلائل الخيرات عن والده، وعن خاله الشريف الفقيه الناسك مولاي يوسف بن الأمير مولانا سليمان عن والده الأمير المذكور عن والده الأمير العظيم الشأن مولانا محمد بن عبد الله.

كما أخذه أيضاً عن ابن طلحة المذكور، وكان أخذ السلطان المولى سليمان له عن والده ومناولته إياه له وما معه من الأحزاب بالمسجد الأزهر المعروف بجامع الأروى من القصة السلطانية المكناسية عام ستة وتسعين ومائة وألف.

كما أخذ دلائل الخيرات عن الشيخ عبد الكبير بن المجذوب الفاسي، وكل ما له فيه رواية من الأذكار والأوراد والدعوات.

ولادته: ولد في ربيع الأول عام تسعة وأربعين ومائتين وألف، حسبما وقفت على ذلك في ظهير أصدره سيدنا الجد السلطان مولانا عبد الرحمن بن هشام في جواب لابنة عمه والدة المترجم الشريفة المصونة السيدة أم هانئ بنت السلطان الأعدل سليمان عن إعلامها إياه بازدياد المترجم عندها، وإليك لفظه بعد الحمدلة والصلاة والطابع الفخيم.

«بنت عمنا لال أم هانئ سلام عليك ورحمة الله.

وبعد: وصلنا كتابك وعلمنا بالولد المتزايد لك جعله الله مبارك الناصية، وها أمرنا يوافيك للأمين السيد المعطى المزطاري بأن يدفع لك أربعين مثقالاً عُنِّي بها عن الولد، وقد سميناه محمداً والسلام ٢٣ ربيع الأول عام ١٢٤٩هـ.

وفاته: توفي بثغر الدار البيضاء ضحوة رابع عشر رمضان عام واحد وثلاثين
وثلاثمائة وألف، وحمل في سيارة لفاس ودفن من غده بروصتهم الشهيرة حذو
الزاوية الناصرية هنالك.

٢٢٣ - محمد بن العباس المكناسي النشأة والدار والإقبار.

حاله: فقيه نبيه لودعي، فاضل دين خير ذاكر متعبد، مشرف على تاريخ
المتقدمين ووقائعهم وطرق أخبارهم، حبيت إليه العزلة، له اليد الطولى في علم
الأوفاق وسر الحروف واستخدام الجان، تواترت عنه في ذلك وقائع، أخبرني من
وثقت بخبره عن أخذ عنه أنه سمع من بعض خاصة المترجم المعروفين بالصدق
ومتانة الدين أنه كان كثيرا ما يخرج مع المترجم لاسترواح النفس خارج البلد في
بعض الأصائل ويتحرى الأماكن الخالية من الناس، ثم إنه في بعض الأيام نسي
المخبر لبدته له كان جالسا عليها مع المترجم لم يتذكرها حتى رجع وفارق المترجم،
ثم لما خرجا على عادتتهما من الغد، واما الجلوس بحث الشيخ تلميذه عن اللبدة
فأخبروا بتلفها، فسكت الشيخ، ثم من الغد وجدوا اللبدة عند الشيخ، فظن
التلميذ أن الشيخ هو الذي كان أخذها بقصد أن يياسطه ويختبر ذكائه، فبحثه من
أين له بها فقال له: إن الذي وجدها هو الذي أتى بها إلي، وذلك أني لما أخبرتني
بضياعها توجهت إلى الله ببعض أسمائه فما أتممت ذكرى حتى أتاني فلان وطرق
الباب يازعاج واضعا يده على إحدى عينيه وهو يتألم أشد الإيلام^(١)، فقال: يا
سيدي نزل بي حالا ما تراه من غير سابقة سبب، ووقع في نفسي أن شفائي لا
يكون إلا على يدك، فقلت: اذهب اتنى باللبدة التي أخذت من المحل الفلاني،
فأتى بها مسرعا بعد أن أبدى أعدارا، وبمجرد ما مكنتي منها زال ألمه بإذن الله.

(١) في المطبوع: «أشد الامام» ولا وجه له.

وكان مقصودًا للرقيا يرقى المصابين بالمس وسائر ذوى العاهات، فيحصل لهم الشفاء بإذن الله تعالى وسر الله فى صدق الطلب.

وكان مدررا يعلم الصبيان، له ملكة على التدريب وقدرة على حسن التعليم، وجد واجتهاد لم يلحقه أحد فى ذلك.

رحل إلى الحج وزيارة خير الأنام مرتين، ولقى كمل المشايخ بالحرمين، وأفاد واستفاد، وكان كثير الولوع بمطالعة مقامات الحريرى لا يخرج من داره إلا لمكتب تعليمه أو لأداء الفريضة جماعة، أو لاسترواح النفس عند سأمها.

مشيخته: أخذ عن الشريف سيدى إدريس بن إدريس البوعناني علم الأوفاق وتوابعه وغير ذلك من العلوم الدينية والأدبية، وعن غيره من أئمة عصره.

الآخذون عنه: أخذ عنه الفقيه السيد محمد بن العربى غريط أحد الكتاب بالصدارة سابقا بالحضرة السلطانية، ومحتسب فاس الجديد حالا، وسيدى مشيش الومغارى، وسيدى عبد القادر بن بنعيسى آل الشيخ الكامل سيدى محمد بن عيسى أخذ عنه أصول الخط ومبادئ العرايية والفقه وعليه حفظ القرآن العظيم كما أخبرنى بذلك هو نفسه.

وفاته: توفى فى صفر عام واحد وثلاثين وثلاثمائة وألف، ودفن بروضة الشيخ الكامل حذو الجدار عن يمين الداخل الصحن الضريح المذكور رحمه الله.

٣٢٤ - محمد بن أحمد حلام المكناسى.

حاله: فقيه وجيه عدل رضى، من أعيان العدول المبرزين وأعرفهم بالتوثيق وأعلمهم، له يد فى عدة فنون وبالأخص النوازل الفقهية.

مشيخته: أخذ عن قاضيها العلامة السيد أحمد بن سودة، والسيد فضول السوسى، والسيد فضول ابن عزوز، وشيخنا الحاج المختار بن عبد الله وغيرهم.

وفاته: توفى أواسط جمادى الأولى عام واحد وثلاثين وثلاثمائة وألف.

٣٢٥ - محمد يدعى منصور أبو منصور أبو عبد الله المرابط بن محمد بن عبد الله القادر بن محمد بوعزة بن سميه بن الولي الصالح السيد سعيد ابن عبد السلام آل الولي الكامل أبي عثمان سعيد بن أبي بكر المَشْنَزَائِي.

دفين خارج باب الخميس من الحضرة المكناسية.

حاله: مجذوب ساقط التكليف، ذو كشف واضح، وأحوال خارقة، تَقْدُ الناس لزيارته والتبرك به ولا سيما النساء، يكاد مجلسه أن لا يخلو منهن، يسمى كل من يدخل عليه في الغالب باسم منطبق عليه غير اسمه، إما تلميحاً لبعض أجداده أو عائلته أو وظيفه أو وظيف يرشح له استقبالا، وكان ولوعا بشرب الأتأى ولو بالماء البارد.

كان في أول أمره يؤدب الصبيان بمنار جده أبي عثمان سعيد، ثم انتقل منه إلى قبة الذكر من الضريح المذكور التي بها ضريحة الآن، ثم بعد ذلك اشتغل بقراءة دلائل الخيرات وكان محبا في الصالحين معتقدا في كل من يشار له بخير، كثير التردد لسيدى عبد القادر العلمي، ثم من بعده لسيدى عبد الكريم بن الرضى الوزانى، لازمه مدة، قيل: إن سبب جذبه أن سيدى عبد الكريم ألبسه يوما من الأيام قميصا له فغاب من حينه عن حسه، ثم بعد لازم بيته وشاع أمره واتضح كشفه وكثر معتقدوه، وصار الناس يقصدونه في المهمات والمدلهمات فيفرج الله عنهم الكروب وينيلهم المأمول، ودام على هذا مدة ليست بالقصيرة، ثم انتقل لضريح جده ولازم عتبة بابه لا يخرج إلا في النادر لباب الضريح، ثم في آخر عمره صار يطوف على أضرحة بعض الصالحين وبالأخص ضريح الشيخ محمد بن عيسى، وكان يدخل ضريحه راكبا دابته، زرته مرارا، وكان يناديني قبل الاحتلام بالمزوار مولاي على بن المتوكل، ولم يزل يناديني بهذا الاسم إلى أن لبي داعي

مولاه، وكان ربما أقسم على الله فأبره، يورى فى كلامه للزائرين بمقاصدهم وما يعقل توريته إلا العالمون.

مشيخته: قرأ القرآن وحفظه على المسن البركة المدرر السيد عبد القادر المدعو هويضرة البخارى والأسرار والمعارف عن سيدى عبد القادر العلمى، وسيدى عبد الكريم بن الرضى وغيرهم من الكمال.

وفاته: توفى ظهير يوم الأحد ثانى عشرى ربيع الثانى عام أربعة وثلاثين وثلاثمائة وألف، ودفن من يومه بضريح جده فى قبة الذكر، ولم يتخلف أحد من العلماء والأعيان الفضلاء فمن دونهم عن تشييع جنازته رحمه الله ورضى عنه.

بعض ما قيل فيه من المديح: من ذلك قول ابن عمنا النابغة مولاي عبد السلام المحب آتى الترجمة وذلك عام ١٣٢٣:

طول عفت آياتها أدمع الطل	وطال على أشخاصها العهد بالظل
طول لسلمى لائحات رسومها	كما لاح وشم الواشحات على رجل
ولم يبق من آثارها غير ما بدا	على الخد من خيلان أو حديق نجل
تمشى بها الآرام كالروم فى الضحى	فيحسبها المتتاب من عدد النمل
بأتلع يغلى المسك فى عقد نحره	فيغلو إذا أهريق صائكه المغلى
وأحور مخضوب الأكارع والشوى	خضيب بلا حنا كحيل بلا كحل
تهيج به هوج الرياح لواقحها	فتعقب من نكبائها المحل بالمحل
ولو جادها من جود منصور مناظر	لأسمع فى أرجائها دوى النحل
هو الوابل الهطال والأسد الذى	يحامى بلا ظفر ويصمى بلا نبل
هو ابن أبى عثمان والوارث الرضا	وهل يرث الليث الهصور سوى الشبل

وأسراره مثل الكواكب فى الليل
وأطيبها والطيب فى الفرع بالأصل
فحنوا فإن الأم تحنو على الطفل
برابط راج منكم صلة الوصل
على نصه فى الشوق صرت لدى شغل
وأصبح فى مكناس حطت بكم رحلى
ومغنى الهدى واليمن والخير والفضل
عطاء بلا من وجود بلا مطل
فما سرت من أهلى إلا إلى أهلى
وعطرت من مسك الختام به قولى

مناقيه كالشمس فى رونق الضحى
وفرع على أقوى الأصول نباته
أمولانا يا منصور إنى رضيعكم
وإنى بلا ريب محبكم الذى
وإنى لخفاق الجناح إليكم
فياليت شعرى هل أبيتن ليلة
بمغنى السنا والعز والسعد والهنا
بعود بلا تدخين ماء بلا قذا
وإنى إذا ما سرت نحو حماكم
عليكم سلام الله ما فاح ذكركم

٣٢٦ - محمد فتحا ابن عمنا مولاي على بن الكبير العلوى الإسماعيلي.

حاله: أستاذ فقيه عدل رضى^ع؛ نزيه وجيه نجيب، كثير الاطالعة لا يمل من
السرد حتى يمل السامع، معمر للمساجد، متقن لعبادته، ربما تحرى الناس الصلاة
خلفه لتطويله فى السجود والركوع، وكان يتعاطى خطة العدالة، ولم يزل يتعاطى
الإشهاد حتى لبي الدعى.

مشيخته: أخذ عن السيد فضول ابن عزوز، والسيد المهدي الوزانى، والسيد
أحمد بن الجيلانى الفيلالى، وسيدى أحمد بن الخياط، والحاج المختار بن عبد الله
وغيرهم.

وفاته: توفى متم شوال عام ستة وثلاثين وثلاثمائة وألف، ودفن بضريح
سيدى الورزىغى من حومة قعروردة، إحدى حومات مكناس الشهيرة.

٣٢٧ - محمد بن عبد السلام الطاهري.

شيخنا قاضي مكناس.

حاله: فقيه مشارك، مدرس مفت موثق نقاد، متضلع حسن الإدراك، متواضع، يعرف من أين تؤكل الكتف، له معرفة كاملة ومهارة كافية في صناعة القضاء، وكان مجلسه تحقيق وتدقيق، وكان تمتع المذاكرة مع إنصاف واعتراف بالحق حتى للمبتدئين من الطلبة.

تصدر للعدالة بسماط الشهود، وتولى إمامة مدرسة الشهود المعروفة بالفيلايلية والنيابة في القضاء عن أبي العباس ابن سودة مدة مديدة، ثم استقل بالقضاء في الدولة الحفيظية، وصدراً من الدولة اليوسفية، وأخر عن خطة القضاء يوم الأحد الآخر من شعبان عام ستة وثلاثين وثلاثمائة وألف، وتولى بعده أبو العباس بن أبي بكر عواد السلوى.

مشيخته: أخذ عن العلامة السيد محمد بن الجيلاني السقاط، والعلامة السيد فضول ابن عزوز، والسيد المختار الأجرأوى، وأبي العباس ابن سودة وأجازته الأخير عامة.

الأخذون عنه: أخذ عنه شيخنا أبو عبد الله العراثشي، وشيخنا السيد محمد فتحا السوسى، ومولاي إدريس بن عمر المطهري، وابن عمنا مولاي على ابن الشاد الأمراني، والحاج الجيلاني بن الباشا حم بن الجيلاني، والسيد محمد بن مبارك الهاللي، وجامع هذا الديوان، ونقيب الأدارسة الحالى المولى راشد، والسيد العباس المسطاري وجماعة.

مؤلفاته: منها نظم رسالة الوضع، وحاشية على ورقات إمام الحرمين في الأصول، وكنت القارئ بين يديه زمن تأليفه إياها للمتن المذكور بشرح المحلى، وحاشية السيد عبد الله بن خضراء السلوى، وكان كثيراً ما يتتقد كلامه، وتوليف

فى جواز العمل فى الصوم والإفطار وغيرهما من الأمور الشرعية بالتلغراف،
وتقييد فى جواز إنشاد شعر فى خطبة الجمعة، وسببه أنه كان أنشد بيتا من الشعر
فى خطبته الأولى بعد بيعة السلطان مولاي عبد الحفيظ فسأله بعض تلامذته، هل
إنشادها إياه منصوص عند الفقهاء؟ فكتب فى ذلك التقييد المذكور.

وفاته: توفى غروب الشمس يوم الأحد رابع شوال الأبرك عام تسعة بتقديم
المثناة على السين وثلاثمائة وألف، ودفن من غده بالزاوية الكتبية من الحضرة
المكناسية.

٣٢٨ - محمد بن حمدوش المكناسى الخزرجى.

حاله: فقيه أديب، ناظم نائر، وقفت على عدة أشعار له، ومع الأسف قد
أتى التلف عليها وصيرها فى خبر كان لا يمكن تلفيق بيت منها على وجهه، ولم
أقف على تاريخ وفاته، ولا على شىء زائد على ما ذكر فى ترجمته.

٣٢٩ - محمد بن إدريس سميه بن عبد السلام ابن يوسف البوعنانى.

المكناسى النشأة والدار والإقبار.

حاله: فقيه وجيه، نزيه ماجد جليل خير دين خاشع ناسك تقى نقى مبجل
فاضل معتقد ذو شبية منورة متبرك به مقصود للرقيا، له معرفة بالأوقاف وخواص
الأسماء وكان مدررا يعلم الصبيان القرآن الكريم فنفع الله به وتخرج عليه من
حملة القرآن عدد وافر.

الأخذون عنه: منهم العلامة مولاي الكامل الأمرانى وأخوه مولاي عبد
السلام والسيد محمد السوسى والأستاذ العشرى السيد علال بن صالح، وقد
تقدمت تراجم بعض هؤلاء كما أخذ عنه غيرهم ممن لا يكاد يعد كثرة.

وفاته: توفى عام ثمانية وثمانين ومائتين وألف بالعاصمة المكناسية.

٣٣٠ - محمد أبو عبد الله الرجراجي المكناسي.

حاله: قال في حقه بعض تلاميذه: الفقيه الأوحد، العلامة الفهامة الأماجد، شيخنا وبركتنا.

ولم أقف على زائد يتعلق بترجمته غير ما ذكر، وغير رثاء أبي عبد الله بن حمدوش المترجم فيما مر لم تُبق يد البلا منه غير قوله:

من للمجالس بعد فقد محمد كهف العلوم وعمدة الإقراء
من للمنابر والمحابر بعده من للفصاحة حالة الإلقاء

٣٣١ - محمد دعي حمود بن محمد بن العربي بن محمد فتحا بن العربي.

المكناسي النشأة والدار والإقبار.

حاله: فقيه عدل رَضِيّ، مبرز موثق ماهر محقق، ناقد فاضل زكي، تقى نقى، ذو خط بارع ومروءة ودين متين، يقصده الوجهاء والأعيان وذوو الحشيات للإشهاد فيما يعرض لأمانته وكامل معرفته وتحريره، وكان يسر: بالمسجد الأعظم الذخيرة المعطوية، والتفسير، وكان يجيد قراءة ذلك ويفهمه الخاص والعام، حسن النعمة، حلو القراءة، متواضع هين لين، وكان مرشحا لإقراء أصناء السلطان مولانا الحسن بداره العلية المحنشة، كما كان مرشحا لإقراء أبناء عمه مولانا العباس.

مشيخته: قرأ القرآن على البركة السيد محمد بن الحاج أغربي، والعلم على السيد المفضل ابن عزوز، والسيد محمد بن الجيلاني السقاط، والسيد أحمد بن سودة المري، وشاركهم في شيوخهم كالقاضي السيد المهدي ابن سودة وعن غير هؤلاء.

الآخذون عنه: أخذ عنه عم مولانا المنصور بالله مولاي أبو بكر بن الحسن

حفظه الله والشريف الفقيه العدل مولاي على بن الشاد الأمراني آتى الترجمة،
والشريف الفقيه مولاي أبو بكر بن العباس وغيرهم.

وفاته: توفى بمكناسة عام أربعة عشر وثلاثمائة وألف.

٣٣٢ - محمد الشريف الأصيل ابن الحاج عبد الله بن البركة مولانا أحمد

الوزاني.

المكناسى الدار والإقبار.

حاله: زكى ذكى، حىى أريحى، مهذب هين لين، ذو أخلاق نبوية،
وأحوال مرضية، فقيه نبيه، فاضل صالح فالح، بشوش صادق اللهجة من الذين
يمشون على الأرض هونا وإذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاما، والذين إذا رءوا ذكر
الله، وكانت له معرفة بالأوقاف والتنجيم، وإلمام بالنحو والفقه والحديث، مشتغل
بما يعنيه، تارك لما لا يعنيه، مائل إلى الخمول، رحل لفاس فى طلب العلم ولازم
بجد واجتهاد حتى فتحت له النجابة أبوابها، وأدخلته النباهة حجابها، ثم عاد
لمسقط رأسه وأقبل على شأنه حتى أتاه اليقين.

مشيخته: أخذ عن شيخنا أبى محمد عبد السلام بنانى وهو عمدته، وعلى

غيره من الأعلام.

وفاته: توفى ليلة الأربعاء ثامن عشرى رمضان عام واحد وأربعين وثلاثمائة

وألف، ودفن بروضة أسلافه من الحضرة المكناسية.

٣٣٣ - محمد بن أحمد أبو عبد الله الوزانى الأصل المكناسى الدار

والإقبار.

حاله: فاضل ناسك ذاكراً معتقداً، ذو دين متين، مشتغل بما يعنيه، مقبل

على شأنه، معظم لأهل البيت النبوى محب لهم، استوطن أولا بمدشر موساوة

أحد مداشير جبل زرهون حتى عرف بالموسوى، ثم انتقل لمكناس وبقى بها معظمًا ملحوظًا عند سائر الطبقات إلى أن لقي ربه، وكان ولوعًا بالرماية مسدد الرمي ماهرًا في صنع البارود، وكان يلقن أورايد سلفه الوزانيين.

الأخذون عنه: فممن أخذ عنه شيخنا أبو عبد الله محمد بن الحسين العرائشى لقنه الصلاة المنسوبة للعارف أبى محمد التهامى بن محمد الوزانى، وهى: اللهم صل على سيدنا محمد وعلى آله صلاة أهل السماوات والأرضين، وأجر يا رب لطفك الخفى فى أمرى وأمر المسلمين يكررها، مرات ١٢٩ حسبما قرأت ذلك بخط شيخنا المذكور.

وفاته: توفى بين العشاءين من ليلة الاثنين ثامن محرم عام خمسة وأربعين وثلاثمائة وألف، ودفن حذاء ابن أخيه المترجم قبله يليه يوم الاثنين المذكور بزوايتهم الشهيرة، وحضر تشييع جنازته جمهور أهل البلد وغيرهم.

برد الله ثراه آمين.

٣٣٤ - محمد اليزناسنى.

٣٣٥ - محمد غازى.

٣٣٦ - محمد القباب.

٣٣٧ - محمد بن عزوز.

٣٣٨ - محمد الغمارى.

٣٣٩ - محمد الإسحاقى.

٣٤٠ - محمد دادوش.

٣٤١ - محمد الزرهونى الفقيه الأستاذ.

- ٣٤٢ - محمد الزولاني.
 ٣٤٣ - محمد الجراري.
 ٣٤٤ - محمد اقلال.
 ٣٤٥ - محمد المطاعي.
 ٣٤٦ - محمد البوعصامي.
 ٣٤٧ - محمد بن محمد البوعصامي.
 ٣٤٨ - محمد مخلوف الأستاذ.

لم أقف على ترجمة واحد من هؤلاء الخمسة عشر، غير أنهم كانوا من العلماء المدرسين بالجامع الأعظم الذين يقبضون المرتب العامي، كما ذلك بحسابات النظار المعاصرين لهم بتاريخ عام تسعة وأربعين ومائة وألف وفتح الخمسين، لغاية أوائل محرم الحرام فاتح واحد وخمسين، وربما كان ذكر بعضهم قد تقدم في التراجم السالفة.

٣٤٩ - مالك ابن العناية بن المفضل بن خدة الغرباوي الزاوي قرارا ومدفنا.

مشيخته: أخذ عن مولاى العربى الدرقاوى.

الأخذون عنه: أخذ منه سيدى إدريس بن الشريف جد ابن عمنا العلامة سيدى محمد بن أحمد، ومولاى الفضيل الشيبهى خطيب الحرم الإدريسي، وأخوه سيدى أحمد، وجل أعيان شرفاء الزاوية الإدريسية فى وقته، ولم أحفظ وفاته، بيد أنه كان حيا سنة ست وخمسين ومائتين وألف، وضحىه بالزاوية الدرقاوية قرب مزارة الضريح الإدريسي.

٣٥٠ - المختار بن الحاج الحبيب الأجرأوى.

حاله: فقيه صالح ناصح مرشد علامة متبحر، متضلع نقاد، مشارك محقق، متقن حافظ لآفظ، زاهد ورع، حجة جدا، واجتهد فى قراءة العلم وإقراءه والعمل به، ما شهد قط ولا أفتى ولا تعاطى سببا دنسويا حتى قضى نحبه، قلما تجد أحدا فى وقته لم يقرأ عليه، ختم المختصر إقراءً دون قراءته هو على غيره إحدى عشرة مرة، تسع منها بالقطب الدردير، واثنان بالخرشى، وكان يحفظ لتسهيل وغيره من مطولات الشروح.

حدثنى بعض العدول ممن كان يلزم درسه أنه اشترى يوما كتابا فى النحو مبتور الأول والآخر لم يدر ما هو، فجاأ به إلى شيخه صاحب الترجمة يسأله عنه، فلما اطلع عليه أخبره أنه تسهيل ابن مالك، وأنه كان يحفظه عن ظهر قلب منذ عصر قديم.

وحدثنى شيخى أبو عبد الله بن الحسين العرائشى أن بعض الطلبة طلب من المترجم أن يقرأ معه تلخيص المفتاح فقال له إن شئت أقرأ معك النصف الأول فذاك، لأنه الذى قرأته على أشياخى، وأما النصف الثانى فلا أقدر على قراءته معك لأنى لم أقرأه عليهم، وذلك غاية الورع، وكان إماما بمدرسة الشهود ثم رشح للإمامة بالمسجد الأعظم.

مشيخته: أخذ عن شيخ الجماعة الحاج مبارك الفيضى، والسيد المهدي بن سودة، والسيد العباس بن كيران، والسيد محمد بن محمد بن العناية بن فقيرة.

الأخذون عنه: أخذ عنه شيخنا القاضى محمد بن عبيد السلام الطاهرى والسيد الغالى ابن المكى السنتيسى وشيخنا أبو عبد الله محمد القصرى وشيخنا

٣٥٠ - من مصادر ترجمته: إتحاف المطالع فى موسوعة أعلام المغرب ٧/ ٢٦٧٥.

السيد المعطى ابن عبود وشيخنا أبو عبد الله محمد بن الحسين العرائشى وغيرهم
من أعيان العلماء النقاد.

وفاته: توفى رحمه الله يوم الأربعاء سادس ربيع الثانى عام ثلاثمائة وألف
ودفن بروضة سيدى عمرو الحصينى وراثه تلميذه السيد الغالى الستيسى بما
لفظه:

يا لهف نفسى على قوم عهدتهم	كانوا هم جنة من سواء أغيار
جادت بهم راحة الأيام فانبلجت	شمس السرور بهم من كل أقطار
من كل مكرمة عضوا بناجذهم	على فريدها فى المنظر الفار
علم وحلم وزهد عفة وتقى	جميل ظن وصبر ثم سجوار
كفاك بأعلم منهم فقه مختصر	ونحو ألفية من خير خيار
إذا أساء إليهم فاحش صفحوا	وعن قبيح يفض طرف أبصار
لو أن رضوى أتى مع ضعفه ذهباً	إليهم أدبروا هم أى إدابار
لعلمهم أن مولاهم مطهرهم	لم تلتفت نفسهم لفتا لأكدار
وكيف والله ذو الأنعام ملبسهم	من التقى لبس أخيسار وأبرار
يرون كل محب مخلصاً ومقا	ويسترون مساويه بأستار
لكل نائبة يولى الزمان بها	صبر جميل إليها منهم سارى
لا يعذب العيش إلا فى جوارهم	وكان طول على من أهمم جارى
بيناهم كالذى قد قص وصفهم	مستوطنون سواد وسط إصار
إذ صاح فينا غراب البين يندبنا	من قد ألفنا بهم من كل أوطار

فأصبحت كائنات الكون قائمة أين الذى حبه فو، طى أسرارى
 أين الذى أمت الطاعات أمته قد أوهتها عبادة بأسحار
 يا عين فابك عليه غير مصحية واستفرغى الجفن منك كل أقطار
 واستبكه كل عين مدمعا هطلا واستمطريه كثيرا سحب أقطار
 يا عين فابك فيما أنت باكية فلا أمنت، المكروه والعار
 فلست أرضى به جبا سواه عدى أن يبدل الله مختارا بمختار

هـ من خطه وقد أثبتاها على ما بها تتيما للفائدة.

٣٥١ - المختار بن الباشا عبد الله بن احمد^(١) السوسى الأصيل، المكناسى
 الدار والإقبار، الصدر الأعظم.

حاله: عالم علامة فاضل نحري، مشارك بشوش، كريم الأخلاق
 والسجايا، حسن السمات والبزة، كثير الصمت، هين لين، لطيف المحادثة، أديب
 أريب ناقد بصير سياسى ماهر، كاتب مجيد راوية للشعر وأمثال العرب، متمتع
 المجالسة والمذاكرة، مدرس نفاع، يتلقى بحث الطلبة فى درسه بكل إنصاف.
 استوزره السلطان مولانا الحسن مع ولده مولاي عمر مدة خلافته بفاس،
 وكذا مع ولده وخليفته مولاي محمد وجعله السلطان المولى عبد العزيز وزيرا لعمه
 وخليفته بفاس مولاي عرفة.

ثم لما توفى الشريف مولاي الطاهر البلغيشى الكاتب الأول بالصدارة العظمى
 اختاره ابن عمه الوزير الصدر أبو العباس أحمد بن موسى المار الترجمة للتولية
 مكان المتوفى المذكور، حذرا من اطلاع الكتاب الأجانب على سره.

٣٥١ - من مصادر ترجمته: سل النصال فى موسوعة أعلام المغرب ٨/٢٨٩٨.

(١) فى المطبوع: «أحمد»، والمثبت رواية سل النصال.

ثم رشح للصدارة العظمى بعد وفاة ابن عمه المذكور وذلك فاتح عام ثمانية عشر، ثم عزل وأخبر ذى الحجة من السنة المذكورة، وأخرج من مراکش وسلب مما كان خرج به من ماله بعد مبارحته بأهله لها، وذلك أنه رجع يوما من دار المخزن فى موكب وزارته فوجد كل ما بداره محمولاً والنساء ينتظرنه بالباب، وكتيبة من الخيل فى انتظار وروده لتذهب به لمكناس، فأركب نساءه وسافر صابرا محتسبا، ومن الغد أدركته كتيبة أخرى بالطريق وفى معيتها مكلف من قبل المخزن للإتيان بجميع ما خرج به من مال و متمول، فسلب من ذلك كله على وجه التعنيف والانتقام.

قيل: أخذ له من خصوص الناض ستون ألف ريال، وصدرت الأوامر المخزنية فى اليوم نفسه لفاس بإحصاء جميع ما لديه بها وحياسة ذلك لجانب المخزن منفذ الأمر الصادر، وهو فى ذلك كله يقرأ قوله تعالى: ﴿قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكُ الْمُلْكِ...﴾ [سورة آل عمران آية ٢٦] الآية ولما وصل رباط الفتح أنزله عامله على يده ومنعه من التوجه لمكناسة، وبقي فى حكم الاعتقال بالرباط مدة، ثم غرب لتطاوين تبكيئا له، وأقام بها مدة ينشر العلم، ثم أذن له بالتوجه لبلده مكناسة، ولما حل بها أقبل على نشر العلم وبثه فى صدور الرجال غير مبال ولا مكترث بما امتحن به من العزل وسلب بعض أمتعته.

ثم فى أول تسعر نيران الفتنة البربرية فى الدولة الحفيفية وذلك فى ربيع الأول عام ثمانية وعشرين وثلاثمائة وألف، سلبه البرابر بمقربة من فاس جميع أمتعته وأثائه، ولم يتركوا له ولا لعياله وصغار أطفاله زائدا على ما يستر العورة المغلظة، حيث إنه كان قادما من فاس لمحل استيطانه بمكناس بعد أن باع كل ما كان له بفاس من العقار وما لا يحتاج له من الأثاث، فرجع لفاس على حالة تخجل المروءة والإنسانية، وأقام بها مدة، ثم رجع لمكناس وأقام بها إلى أن وافته منيته، وقد كف بصره فى آخر عمره رحمه الله فصبر وشكر.

مشيخته: أخذ عن العلامة المحدث أبي محمد عبد القادر العراقي الفاسي المتوفى بالإسكندرية في ربيع الأول عام ثمانية وثمانين ومائتين وألف وأجازه عامة، وعن جنون مختصر الرهوني، وسيدى إبراهيم التادلي المتوفى في سبع عشر حجة الحرام متم عام أحد عشر وثلاثمائة وألف برباط الفتح، والقاضي العلامة سيدى أحمد ابن سودة، والسيد فضول السوسى، وأجازه عامة وقفت على إجازته له بخطه وهى عندى يظهر مما سطره فيها أنه يرى أن الإجازة شهادة وليس الأمر كذلك كما هو مقرر مشهور، وعن السيد فضول بن عزوز، وشاركهم فى مشايخهم، وأجازه سيدى على بن ظاهر المدنى عامة عن الشيخ عبد الغنى بن أبى سعيد الدهلوى بأسانيده المفصلة فى اليانع الجنى، وأبو العباس أحمد بن زينى دحلان صاحب الشهرة العظيمة وأجازه عامة.

الآخذون عنه: منهم شيخنا ابن عبد السلام الطاهرى، أخبرنى أنه قرأ عليه درسا أو درسين فى الخزرجية، وشيخنا العرائشى، وعمنا وشيخنا مولاي عبد القادر بن زيدان، وسيدى محمد بن عبد الله بن الطاهر المترجم فيما مر، والسيد الجيلانى بن حم، والسيد محمد بن حلام والمولى راشد بن على الشببى نقيب الأدراسة الحالى، والمولى إدريس بن عمر المطهرى، وجامع هذا الكتاب، وأجازنى رحمه الله عامة وغير من ذكر بفاس ومكناس وغيرهما.

وفاته: توفى بمكناس أواسط شعبان الأبرك عام خمسة وثلاثين وثلاثمائة وألف، ودفن بالزاوية الكتبية من حومة صدراتة.

٣٥٢ - المكى ابن القاضى أبى القاسم العميرى.

حاله: فقيه علامة نبيه عدل رضى مبرز مفضل، ماجد زكى، من صدور أعيان عدول سماط مكناسة ووجهائها الموثوق بدينهم وأمانتهم.

٣٥٢ - من مصادر ترجمته: إتحاف المطالع فى موسوعة أعلام المغرب ٧/٢٤٦٧.

مشيخته: أخذ عن والده ومن عاصره من الأعلام الجلة.

وفاته: توفى أواخر محرم أو أوائل صفر عام أربعة عشر ومائتين وألف، إذ قد كان بقيد الحياة ووقع الإشهاد عليه بوصية في عشرى محرم من العام، وقومت داره بعد وفاته في سابع صفر كما برسم الشهادة على العراف.

٣٥٣ - المكى بن المختار الحناش.

حاله: فقيه علامة مفوه جليل عدل رضى كان يتعاطى الشهادة بسماط العدول من أعيان وجوه صدور عدول الحضرة المبرزين وقاداتها الأخيار المعترين، وقفت على نسخة رسم بشهادته بتاريخ سادس شوال عام خمسة وستين ومائتين وألف، وتولى النيابة بالحضرة عن قاضى وقته.

وكان أوحد زمانه فى الأدب والإنشاء نظما ونثرا، نساخا للمكتب، شديد المحافظة والضبط والإتقان، حتى انتقاه سيدنا الجد السلطان مولانا عبد الرحمن بن هشام لنسخ مهم الكتب بحضرتة السلطانية.

ويقال: إنهم أشرف أدراسة من ذرية مولانا عبد السلام بن مشيش، وإن سبب ورودهم لمكناسة هو أن لصا سرق جدهم الأعلى وهو إذ ذاك صبى يقرأ بالمكتب وأتى به لحضرة فاس زاعما أنه ابن له، والصبى ينفر منه ويفند دعواه إلى أن علم بذلك أولو الأمر وافترض اللص، فأبق ناجيا بنفسه، ولما فشا الأمر وبلغ سيدنا الجد الأكبر مولانا إسماعيل وجه على الصبى واستفسره عن حقيقة الأمر فأخبره بالواقع فأبقاه بشريف أعتابه، وأدخله المكتب من جملة أبنائه ثم بعد قلائل جاء بعض أقاربه يتطلب أثره فدل عليه، فأتى الأبواب السلطانية فأخرج له الصبى فتعارفا، وحن كل منهما للآخر، ولما تيقن السلطان صدق الواقع أمر الولد بالتوجه لذويه فامتنع الصبى من الذهاب لما رآه من البرور به والإحسان إليه، فأبقاه السلطان

من جملة أبنائه، وكبر في عينه وأحسن لأهله وأكرم مشواهم ووفادتهم عليه، فرجعوا لأوطانهم مبتهجين، ويشكر صنيع السلطان لهجين.

ثم بعد مدة ورد والده بسائر أهله واستوطن مكناسة الزيتون، فقبلوا بكل اعتبار من لدن الجلالة السلطانية، وقلدوا الوظائف العالية المناسبة لهم كالكتابة والنساختة والدأ عن والد، إلى أن انقرض عقبهم والبقاء لله وحده، ولم يبق لهذا العهد من نسلهم غير امرأة مسنة تناهز التسعين، ومنها استفدت بعض الترجمة بواسطة والدها من غير نسبها، وإلى الله علم تفاصيل الحقيقة.

شعره: من ذلك قوله كما بكناشة أديب الرباط السيد محمد بن عمرو:

لما حللتكم جنب اليم أمكم	وقبل الأرض مسرورا بكم وربا
وصار يهدى إليكم من ذخائره	وصاب بالحوث إكراما لكم وحبا
أعداه جودكم حسن شدوكم	فاهتز لقرب منكم راقصا وحبا

وقوله:

محيك شمس الضحى المشرقة	به حدقات الورى محدقة
وأسهم لحظك ترمى الحشا	تخالها شهب السما المحرقة

وقوله:

يا من إذا الصبح أقبل	حكى ضياء جبينه
ومن إذا الليل أسبل	حكى سواد جفونه

وفاته: توفى في حدود السبعين ومائتين وألف.

٣٥٤ - المكي بن أحمد السوسى والد السيد فضول.

حاله: فقيه عالم عدل زكى مدرس، كان يتعاطى خطة الشهادة بسماط العدول.

مشيخته: أخذ عن والده وغيره من مشايخ عصره.

الآخذون عنه: أخذ عنه ولده السيد فضول ومن فى طبقته، ولم أحفظ وفاته.

٣٥٥ - المكي أبو زكري المكناسى الأصل والدار.

حاله: فقيه كاتب بَدّ، حلاه الزيانى فى الجمهرة فى عدد الذين لازموا الأخذ عن مولانا سليمان فى المقام والترحال، ولم أقف له على ترجمة.

٣٥٦ - منانة مزوارة المكناسية.

حالتها: مجذوبة ساقطة التكليف، تخرج فى أسواق مكناس بادية فى قشابة خضراء منقبة بثوب أبيض أو أحمر، كثيرة الوقوف عند باب المسجد الأعظم، وربما جلست ببعض الدكاكين تكلم الناس بكلام لين غالبا، ولها مكاشفات كالشمس الضاحية، تقول للناس: أعطنى كذا يكن لك كذا، هذه كانت حالها إلى أن لبت داعى مولاها.

قال الزبادى كنت أزورها كلما دخلت مكناس تبركا بها وبدعائها ولما قرب أجلها لقيتها بقبة السوق فسلمت عليها فقالت لى: إنى قد تزوجت جئت تحضر عرسى، فقلت: نعم، فقالت: عاهدنى على ذلك، فقلت لها إن شاء الله تعالى ولما رجعت إلى فاس مرضت وفى أثناء مرضى رأيت فى المنام أنى بمكناسة الزيتون وجزأت جنازة عظيمة معها خلائق عديدة فسألت عنها، فقالوا: منانة مزوارة، فقلت فى ذلك المنام: الحمد لله الذى أكرمنى بحضور هذه الجنازة المباركة وتبعتها

حتى دفنت بروضة السيدة العلمية، واستيقظت ومن الغد وبعد الغد دخل بعض الفقراء وذكر لى أنه جاء من مكناسة وبلغنى السلام عن الإخوان هناك فسألته عن السيدة المذكورة، فقال لى: توفيت بالأمس رحمة الله عليها، ودفنت بروضة السيدة العلمية، وكانت لها جنازة عظيمة، فكان يصف لى وأنا أنظر فى ذلك.

وفاتها: توفيت سنة أربع وتسعين ومائة وألف.

٣٥٧ - المصطفى الشريف العلوى المدغرى ابن محمد الكبير بن عبد الرحمن بن محمد، عبد الله بن محمد بن طاهر بن قاسم بن عبد العزيز بن الحسن بن يوسف بن مولانا على الشريف.

حاله: علامة مشارك، له معرفة بعلم الأوفاق وتجويد القرآن، حسن التلاوة خلو الشمائل، كريم الأخلاق، له معرفة بعلوم القراءات درس ابن برى وختمه مرتين، ثم حدث به مثل جذب واعتراه قلق وضيق صدر، فصار يطوف على أضرحة الصالحين ويتطرح على أبوابهم ويدعو بقوله: اللهم إنى أسالك بمشاهدة أسرار المحيين، وبالخلوة التى خصصت بها سيد المرسلين، حين أسريت به ليلة السابع والعشرين، أن ترحم قلبى الحزين، وتجيّب دعوتى يا أكرم الأكرمين، ويكتب ذلك فى أوراق ويلصقها بجدران أضرحة الصالحين، ولم يزل ذلك شأنه حتى تيسرت له أسباب السفر لبلاده بالصحراء، فوجد شيخه العارف بالله مولاهى المهدي نزيل أبار فى مرضه الذى مات به، فلازمه إلى أن انتقل لوطن الرحمة محمود المساعى، وكان يحدث عن شيخه المذكور أنه لما قربت وفاته أكثر من تلاوة قوله تعالى: ﴿... أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ...﴾ ﴿٥٤﴾ [سورة الأعراف آية ٥٤] ثم بعد وفاة المولى المهدي رجع لمكناس، وأقبل بكليته على القراءة تعلمًا وتعلِيمًا، ثم رحل لفاس وأخذ عن جهابذة نقادها الأعلام، ثم رحل لبلاده رذلًا آخر العهد به.

مشيخته: أخذ عن ابن الجيلاني السقاط، والسيد فضول بن عزوز، والسيد محمد بن التهامي الوزاني، وشيخنا البركة أبي عبد الله محمد بن قاسم القادري والسيد التهامي جنون، وأبي عبد الله محمد بن عبد الواحد ابن سودة المدعو الجلود، والشريف القاضي مولاي محمد، والشريف سيدي جعفر الكتاني.

وأخذ القراءات عن الأستاذ العلامة أبي عبد الله محمد التهامي بن الطيب الغرفي.

الأخذون عنه: أخذ عنه شيخنا العرائشي، والسيد محمد الواستري، والسيد أحمد ابن فقيرة وغيرهم.

نشره: من ذلك قوله في خطبة شرحه على منظومة الهلالي بالدعاء بأسماء الله الحسنى ولفظه: الحمد لله الذي تعرف لعباده بصفات الاتحاد والانفراد، وهياً بتوفيقه من شاء لطاعته فقاموا بالجد والاجتهاد، وكشف عن بصائرهم بنور الهداية والرشاد، نحمده على ما أسدى، ونشكره على ما أولانا قديماً وعهداً، وصلاته على سيدنا محمد نور الهداية والهدى، وعلى آله نجوم الاهتداء، وأصحابه أئمة الإقتداء، وبعد فهذا شرح لدعاء الهلالي، بأسماء الله الكبير المتعالي.

مؤلفاته: منها شرحه على نظم أبي العباس أحمد بن عبد العزيز الهلالي في الدعاء بأسماء الله الحسنى عنون هذا الشرح بالمنة الإلهية، في شرح الأسماء الهلالية، ودونك مطلع النظم المشروح:

إذا نابني خطب وضاق به صدرى تلافاه لطف الله من حيث لا أدري
ولاسيما إذ جئته متوسلاً بأسمائه الحسنى المعظمة القدر

٣٥٨ - المعطى بن العناية البخارى الغربوى السفىانى المعتكى من اولاد

علال.

حاله: ناسك فاضل جليل، له مهارة تامة فى التوقيت والتعديل والحساب وما يرجع لتلك الفنون، يحسن كل ذلك ويتقنه إتقاناً تاماً، وكان يحفظ قراءة ابن كثير حفظاً متقناً، كثير التلاوة والذكر، مشغول بما يعنيه، تارك لا لا يعنيه، وكان سيدنا الجد السلطان مولانا عبد الرحمن بن هشام نظمه فى سلك موقتيه الملازمين له حضراً وسفراً بعد أن كان مستخدماً لديه فى جملة أصحاب فراشه المولوى، وكان يجله ويقدره قدره ويرضى أمانته حتى إنه رشحه لإقراء بناته، ولما كبر سنه ووهن عظمه تقاعد عن الخدمة السلطانية، واستقر بمحل استيطانه مكناسة الزيتون، فنفذ الله به وبمعلوماته أقواماً.

مشيخته: أخذ عن البحر الزاخر السيد عبد الرحمن بن محمد فتحا بصرى المكناسى وغيره.

الآخذون عنه: منهم الطالب بوعدة بن العربى الفشار، والعدل الطالب صالح الحلمونى المترجم فيما يأتى وجماعة من مهرة الحيسوبيين وأهل الميقات.

وفاته: توفى فى ربيع الثانى عام ستة وسبعين بموحدة ومائتين وألف، ودفن بروضة الولى الصالح أبى العباس أحمد المعروف بالضاوى من سوق الغزل الواقع خارج باب بريمة من حضرتنا المكناسية.

٣٥٩ - المعطى الشاوى المسكينى القرقورى نزيل مكناسة.

حاله: يحب فى الله ويغض فيه لباسه حائك صوف وبرنس منه وقميص وعمامة صغيرة ذو أتباع وعيال، نفقته من الفيض الوهيبى، نزيه على الهمة، كثير الخشية، لا تأخذه فى الله لومة لائم، له مشاركة فى فنون شتى، وأكثر دروسه فى التوحيد.

وكان فى أول أمره منعزلا عن الناس، مشتغلا بعبادة ربه فى خلوة بعيدة عن رهطه وعشيرته ثم فى بعض الأيام خطرت بباله مسألة اعتقادية حيرت ذهنه وعسر عليه فهمها، فرحل لفاس بإشارة من بعض أهل الخصوصية الربانية، ولازم العلامة الصالح الحاج محمد جنون مختصر الرهونى، ومن عجيب الاتفاق أنه أول ما حل بفاس حضر درس جنون المذكور ووجده يقرر المسألة التى أشكلت عليه، وكانت سبب رحلته فلازمه مدة حتى مهر وحصل غاية منيته فى فنون شتى، ثم رحل لبلده وتصدر للإفادة وأقبل على التدريس، وأسس زاوية للإلقاء الدروس، وإفادة الناس، فاشتهر صيته، وأقبل الناس عليه من كل صوب.

ثم مر السلطان المولى الحسن فى بعض حركاته على زاويته فلقبه واعتنى بشأنه ورفع المغارم وسائر الكلف المخزنية عن أقاربه وسائر المتعلقين بأذياله، فاشتد لذلك غيظ عامل بلده حسدا من عند نفسه، ولم يزل يضم له سوء وينصب له حبال المكاييد حتى قبض عليه وأودعه السجن ومكر به، ولما علم بذلك السلطان المذكور قبح فعل ذلك المتولى الخبيث، وسب وجدع وقرع ووبخ، وأمر بتسريحه حالا والإتيان به إليه على كاهل المبرة والإكرام لحضرته المكناسية، فأقام بمكناس واشتغل بالتدريس وإفادة الناس مدة، ثم رجع لبلده، ثم نقل لسطات بقصد تولية القضاء بها وبها كانت منيته.

وقد ظهرت له مدة مقامه بمكناس كرامات، وخوارق عادات، لازال المسنون يتحدثون بها، من ذلك ما أخبرنى به بعض من وثقت بخبره من الآخذين عنه الملازمين له أنه كانت عنده آتية من العود أعدها لطعام الأضياف تسع ملء الكفين مرتين، وكان يطعم منها العدد الوافر من الناس ولا تنفذ، وأنه جاءه رجل بولديه يدعو له فقال له: ارجع بولدك فإنه ولى من أولياء الله تعالى فكان الأمر كما قال، نشأ ذلك الصبى فى عبادة الله تعتقده الخاصة والعامة ويتبركون به، ولم يحفظ عنه

ما ينقم عليه فى أمر دينه، وأنه كتب له بعض أهل مكناس كتابا فأجابه بقوله: أخانا فى الطين، فقيل له: لم لم تقل له أخانا فى الدين؟ قال: ما شهدنا فى وصفه إلا الأخوة فى الطين، ولا أثر عليه من الدين، فاستقرت أحوال الرجل فوجد كما قال، وكان لا يأكل طعاما حتى يعرف حال صاحبه فإن كان من أهل الظلم والتعدى رده عليه، ثم إنه أكل يوما مع العلماء طعام السلطان فندم وبكى واستغفر الله من ذلك.

مشيخته: أخذ عن مختصر الرهونى.

الآخذون عنه: منهم السيد الطاهر السوسى وهو مخبرى بهتل ترجمته.

٣٦٠ - المعطى بن محمد بن الهادى بن عبود المكناسى.

حاله: عالم خاشع ناسك ورع، ذو عفة ووقار وهيبة، محب فى النبى ﷺ وآله، وسائر المتعلقين بأذياله، فاضل متبتل، واعظ خطيب مصقع، مدرس نفاع، عدل رضى، عارف بالتوثيق ماهر، كان إمام المسجد الأعظم وخطيب مسجد البراذعين، سرادقا للذخيرة المعطوية، وتفسير الثعلبى، وسيرة الكلاعى النبوية، وصحيح البخارى فى رجب وشعبان ورمضان، مستحضرا لأحاديثه تولى نيابة القضاء بالحضرة المكناسية، ورحل إلى الحج وزيارة خير الأنام عام ستة وعشرين وثلاثمائة وألف.

مشيخته: أخذ عن والده، وعن السيد فضول السوسى وهو عمدته وشاركه فى مشايخه كالشيخ مبارك شيخ الجماعة، والسيد العباس بن كيران، والسيد المهدي ابن سودة.

الآخذون عنه: أخذ عنه سيدنا الوالد، والشريف سيدى محمد بن إدريس

٣٦٠ - من مصادر ترجمته: إنحاف المطالع فى موسوعة أعلام المغرب ٨/٢٨٦٧.

الشيبي، والسيد عبد القادر بن أحمد العرائشى، والسيد الغالى الستيسى، وكاتب هذه الأحرف، والفقير الكاتب السيد أحمد بن محمد بن فقيرة والنقيب سيدى مشيش بن المختار الشيبي، ومولاي إسماعيل بن عبد الرحمن العلوى، وجماعة من أعيان أهل العلم.

شعره: من ذلك قوله من قصيدة قرظ بها همزيتى الموسومة بكفاية المحتاج، فى مدح صاحب اللواء والتاج.

أعد المديح بزینب الزیدانى
فألوقت أبرز نعمة الزيدانى
كم أشعلت فى مهجتي حرقا وكم
سدلت على مآزر السلوان
برزت فأدهشت العقول بحسنها
ورمتهم بدوابل الأجفان
إلى أن قال:

همزية همزت عقولا وارتقت
بفصاحة وبلاغة وبيان
إلى أن قال:

لا زلت فى فلك السعادة ساميا
تجلى عليك فضائل الرحمن
وفاته: توفى ليلة الثلاثاء آخر يوم من حجة الحرام متم عام ثلاثين وثلاثمائة وألف.

٣٦١ - مغيث أبو الفضائل زغبوش القرشى.

حاله: فقيه عدل صالح، نبيه كامل ناصح، عابد سالك ناسك متبرك به فالح، ذو مواهب سنية، وأحوال مرضية سنية، وقفت على تحليته فى بعض العقود القديمة بالذكى العابد، الناسك المجاهد، قدوة العباد، وعلم الزهاد، قطب العارفين، وغوث المستغيثين، من ظهرت بركاته، وبانت مآثره وكراماته.

لا زال ضريحه مزارة مقصودة للتبرك إلى الحين الحالى موقعه قرب باب
البرادعيين من هذه الحضرة المولوية المكناسية، وقد غابت عنى وفاته بعد مزيد
البحث والتنقيب، بيد أنى وقفت على عقد صداق لبعض عقبه مرفوع فيه نسبة إلى
المرجم بتاريخ أحد عشر ربيع الثانى عام سبعة عشر ومائتين وألف، صاحب
الترجمة هو الجد الحادى عشر له، وفى ذلك دلالة على تقادم عصره.

٣٦٢ - المفضل بن أحمد الفلوسى الزرهونى الوربى الأصل المكناسى النشأة
والدار.

حاله: من صدور أعلام الدولة الإسماعلية، ودولة ولده مولاي عبد الله،
وحفيده سيدى محمد رحم الله الجميع.

فقيه عالم، أصبح علمه واضح المشاعر والمعالم، خاتمة المحققين، وأوحد
النقاد المحررين المدققين، منع وأجاز، وتصرف فى الحقيقة والمجاز، وجاز إلى
بيوت الدراية على أوثق مجاز، حتى تصرف فى طرفى الإسهاب والإيجاز، ووعد
العقول بسحر بيانه فاختار الإنجاز، وكان من العدول المبرزين، والقادات المميزين،
فى طبقة أبى القاسم العميرى، والطالب بوعدان وغيرهما من أمثال الجهابذ وكان
يتعاطى خطة الإسهاد بالأحباس وغيرها بتاريخ خمسين وواحد وخمسين وأثنين
وخمسين بعد مائة وألف حسبما وقفت على عقود بإشهاده فى الأزمنة المذكورة.

مؤلفاته: منها شرح على همزية البوصيرى سماه الفوائد الفكرية ومن فوائده
فيه لدى قول المتن:

والأقاويل عندهم كالتماثيـ
ل فلا يوهمنك الخطباء

ما نصه: وقال آخر يعنى من العلماء ما من شىء إلا يمكن استخراجه من
القرآن لمن فهمه الله تعالى حتى إن عمره عليه السلام كان ثلاثا وستين استنبط من آخر

سورة المنافقين لأنها رأس ثلاث وستين سورة، وعقبها بالتغابن 'ظهوره بفقده ﷺ
وتوجد نسخة منه بمكتبتنا عتيقة في مجلد في غالب الظن أنها بخط مؤلفه.

٣٦٣ - المفضل بصري.

وقفت عليه في زمام المدرسين بالجامع الأعظم من الحضرة المكناسية الذين
يقبضون المرتب العلمى بتاريخ خمسين ومائة وألف، وكذا عام واحد وخمسين،
ولم أقف على شىء من ترجمته.

٣٦٤ - المفضل بن العدل الزكى السيد الهادى بن أحمد بن المجذوب صنو

العارف بالله سيدى الطيب بن على بن عبد الرحمن بن على بن

عزوز.

دفين زغوان، بلاد قرب تونس كما بخطه.

حاله: بحر علم متلاطم الأمواج، ينسل الناس للالتقاط من فرائد فوائده
فرادى وأزواج، فقيه جليل عالم بالتفسير والحديث والسير والفقہ والأصول وعلوم
البلاغة، ماهر مهارة كاملة فى جميع تلك الفنون وغيرها عدا العروض وقرض
الشعر، مقتدر مستحضر، متقن للقواعد غواص على درر المعانى واستخراجها من
أصدافها بذهن ثاقب وفكر كشاف، عارف بإدراج الجزئيات تحت الكليات، فصيح
اللسان، ثبت الجنان، سريع الإدراك والجواب، مع إصابة صوب الصواب، شديد
الولوع بالمطالعة، وقفت على عدة من كتبه الطبعية لا تكاد تجد حرفا واحدا فى
الغالب إلا وأعادته بقلمه.

تولى نيابة القضاء ببلده مكناسة، وانتهت إليه رياسة النوازل والأحكام فيها،

٣٦٤ - من مصادر ترجمته: إتخاف المطالع فى موسوعة أعلام المغرب ٨/٢٨٢٦.

ثم رشح للقضاء ببلد القصر، وتقلد به تلك الخطة التي هو أحق بها وأولى، وذلك عام واحد وثلاثمائة وألف.

وكان خروجه من مكناس مسقط رأسه لمحل مأموريته القصر الكبير في السادس عشر من ربيع الثاني عامه، ودامت توليته للقضاء ستة أعوام، ولم يشغله القضاء عن التدريس والتقييد، تخرج عليه قادات أجلة، وكانت دروسه للمتمتهين أفيد ما خاض في مسألة الإقرار فيها فنونا وأتى بما يبهر العقول، من منقول ومعقول فيبرز المعقول، في قالب المحسوس بأسهل عبارة وأبدع أسلوب، له من المقدرة على التصرف في الكلام والتفنن في أفانين التعبير وتنويع الأمثلة ما أبهت كل معاند، لا يخشى أحدا، ولا يراقبه لين العريكة، يتواضع مع العالم والجاهل، يتدنى بالسلام كل من لقيه عرفه أو لم يعرفه، يياسط الصغير والكبير، قليل السعد مع الولاة وذى الحشيات، صادق الفراسة.

اجتمع يوما مع جمع حفييل من أعيان الأعلام في وليمة وقد تأخر بعض الأعلام المعزومين عن الوقت الميعن للحضور فيه، فسأل عنه رب المنزل فأجابه المترجم بقوله: إنه يطالع مسألة ليلقيها علينا، فلما جاء الفقيه واستقر به الجلوس، والتفت إلى المترجم وقال له أيها الفقيه ما معنى قوله تعالى: ﴿... وَالشَّجَرَةَ الْمَلْعُونَةَ فِي الْقُرْآنِ...﴾ [سورة الإسراء آية ٦٠] مع أن الشجرة لا تكليف عليها، فلا تستحق اللعن الذي هو الطرد عن رحمة الله، فنظر القوم بعضهم إلى بعض تصديقا للفراسة، ثم أجابه المترجم بما معناه في الآية احتمالان: الأول أن يكون اللعن بمعنى الذم مجازا لا بمعنى الطرد، وهي أى الشجرة شجرة الزقوم قد ذمها الله تعالى فهي مذمومة، الثانى أن يكون المجاز في الإسناد أى الملعون أكلها وهو الكافر قال تعالى: ﴿إِنَّ شَجَرَةَ الزُّقُومِ ﴿٤٣﴾ طَعَامُ الْأَثِيمِ ﴿٤٤﴾﴾ [سورة

الدخان]، فلما فرغ المترجم من تقرير الاحتمالين قال السائل المذكور: والله أيها الفقيه إن هذا هو الذى قالوه فضحك الحاضرون وعلموا صدق فراسة المترجم.

وقد سأله يوما بعض الجلة من أعلام فاس بمجلس عاملها إذ ذاك السيد عبد الله بن أحمد عن قوله تعالى: ﴿... فَكَسَوْنَا الْعِظَامَ لَحْمًا...﴾ [سورة المؤمنون آية: ١٤] والحال أن العظام مكسوة لحما وجلدا فسكت المترجم، فقال له السائل: أنظرك إلى أن تطالع؟ فقال له المترجم: لا تنظرني، فلا أخرج من المجلس إلا بعد أن أجيبك، وبأثر ذلك قدمت لهم حريرة^(١) فتركت أمامهم إلى أن بردت يسيرا أو جعلت جلدا فنظر المترجم إلى السائل وقال له: ما على الحريرة من الجلد هو حريرة أو غيرها؟ قال: حريرة، فقال له: قد أجبتك فاستحسن السائل جوابه.

وسأله هل قرأت بفاس؟ فقال: الناس يشدون الرحلة إلى فاس بقصد القراءة على أعلامها، وأنا فاس شدت إلى الرحلة حتى قرأت، ف قيل له: وكيف ذلك؟ قال: أعلم أهل فاس السيد العباس بن كيران جاء قاضيا لمكناس فأخذت عنه، ثم لما قبضه الله إليه خلفه السيد الحاج المهدي ابن سودة، فكان مضارعا له فى سعة العلم والإدراك، وربما فاقه فأخذت عنه كذلك، ولم أحتج إلى ذهاب لفاس، فهذا هو الجواب، فاستحسن منه ذلك.

والذى يظهر لى أن الإشكال فى الآية المتقدمة غير وارد، وذلك أن الآية إنما سبقت للاستدلال على باهر قدرة الله تعالى وإلزام المنكر لإحياء الموتى الحجة، ولم تسق لبيان التشريح واستيعاب الأجزاء التى يتركب منها الإنسان، ويمكن أن يقال على تسليم ورود الإشكال إن العظام مكسوة باللحم لا بالجلد واللحم هو المكسو بالجلد، فوقع الاقتصار على المباشر غالبا.

(١) فى هامش المطبوع: «الحريرة دقيق يطبخ بلبن أو دسم قاله فى القاموس».

أو تقول فى الآفة حذف الواو مع ما عطفف واللله تعالى أعلم؁ وإنما قفدت بقولى غالبًا لأنه ربما باشر الجلد بعض العظام والنادر لا حكم له .

هذا وقد مدح المترجم غير واحد من الأعلام فمن ذلك قول بعضهم وقد ختم صحفح البخارى :

جاءت بوصل قرة الأعلان	ذات الجمال الیوسفى الفتان
جاءت تمیس كأنها بدر الدجى	فى غاية الإشراف واللمعان
أهدت لنا من عطفها روحا سرى	كالروح فى الأحشاء والجثمان
أفنى فؤادى حبها ولطالما	كابدت فىه مرارة الهيمان
یا لائى فى حبها ومعنى	دعنى فما منها قسیت كفانى
لو عاینت عیناك ما عانیته	لغدوت فى أسر الهوى متفانى
لكن فؤادك منه خلو لم یذق	ما ذاقه الحذاق من الحان
أهل الهوى أهل الوفا أوصافهم	محمودة من سالف الأزمان
كف السبیل إلى السلو وقد حوت	رقى وأفنت مهجتى وجنانى
فهى المنى وهى الهنا وهى الغنى	وهى الشفا مما برا وعنانى
لا یسلنى عنها سوى ختم البخا	رى عند طود الخیر والعرفان
الفاضل العلم المفضل من غدا	فى النيل مشكرر بكل لسان
الفاضل بن الفاضل بن الفاضل	بن الفاضل بن الفاضل الربانى
الطیب العطر الهمام المرتضى	شمس الهداة السادة الأعلان
العالم العلامة البحر الذى	جلت مناقبه عن الحسبان

وكماله من غير ما برهان
سى وسيلتى ومنيتى وأمان
ركن المنيع مؤسس الأركان
أسمى يعزز فى الوجود بثنان
بحماه فى سر وفى إعلان
فى غاية الإحكام والإتقان
كبرى فلا تحتاج للتبيان
وعلت معاليه على كيوان
كرم ومن حسن ومن إحسان
تبغيه من فهم وسبك معانى
بلطائف ودقائق وبيان
والوقار هناك رأى عيان
ر المشرق ألتلألئ النورانى
وتتوجت بمفاخر التيجان
وبدت بجامعنا الكبير الشأن
وأزال ما بالقلب من أدران
كل الورى قاصيهم والدانى
من سائر الأغيار والحدثنان
ومن عـز ومن سلوان
جادت بوصل قرة الأعيان

ذاك الذى صحت دلائل فضله
الألمعى اللوذعى الأريحيـ
هذا هو القدر الرفيع وذا هو الـ
هذا ابن عزوز وحاش جاهه الـ
هذا هو البر الزكى المحتمى
أخلاقه محمودة أحكامه
آدابه غـرا وآية فضله
همم له شما سمت أسمى السما
ما شئت من حلم ومن علم ومن
فالزم مجالسه السنية تلق ما
وتجد بها بحرا يموج ذكاؤه
وترى الفصاحة والصباحة والسكينة
وترى الختام الأسعد الباهى المنيـ
ختم شريف طابت الدنيا به
ختم شريف أشرفت أنواره
له ختم خصنا المولى به
عمت مواهبه وعم نواله
فالله يحفظ ذا الهمام وجاهه
وينيله ما شاء من خبر وإقبال
ما ضاع مسك ختامنا الزاهى وما

وقول آخر:

تفتّر عن در زها وجمان
أرجاء بالإشراق واللمعان
ذاك المحيا الفائق الفتان
عرفا ذكيا عم بالسوان
سقط العشاء بها على سرحان
وترى الغواني نخوة الميسان
بدر الدجى وخرائد الغزلان
ب إلى حمى الإسعاف والإذعان
رقت فراقت مهجتي وجنان
وتسربلت بلطائف الإحسان
ز الراسيات بلازم الإمكان
منها شاهدنا باهر البرهان
للإفك هاذى قرة الأجفان
للفاضلين بدرة العرفان
س من هبتك قلائد العقيان
وهنائة ما إن لها من ثانى
علم الأجاود غرة الأعيان
تدقيق والتحقيق والتبيان

زارت فأزرت بالنقا والبان
غيد تلالاً نورها فأضات الـ
حيث فأحيت كل صب هام فى
فاستنشقت أرواحنا من روحها
بزغت من الفلك المضى لكنها
ظلت تقد العاذلات بقدها
أنى يماثل حسنها وجمالها
عجبا لريم راضت الأسد الغضا
لما درت أن أرقنتى بالنوى
إذ طوقت حلى المكارم والوفا
وتتوجت بشراف أخلاق تهـ
وأرت بمعصمها المسور آية
خل العواذل لو تسارع غيهم
هذى التى منها الصباحة أفصحت
هذى ذكاء فريدة العقد النفيد
هذى التى زفت لكفو شاقها
بدر سما فوق السما بصباحة
قد فاق أهل الفقه بالتوفيق والـ

جذب الشوارد من علوم أحجمت
وأتى الحديث بعفة ونباهة
وأماط عنه خماره فأقره
فعنا له التحرير والتقارير والد
وغدا يعرف بالثقات عن الثقات
بفضيلة التدريس والتدريب في
هل كل من أقرأ البخارى راق من
ما مثل قاضينا ابن عزوز المفضل
أعطاه ربي رفعة وسيادة
أو ما هو ابن الأوليا وكريمهم
أو ما مواهب ربنا هذى التى
خال الصفا فتواصلت أمداحه
لو لم يكن أهلا لكل جليلة
لما تصدى للحديث ففاز مند
لله من ختم بمسجدنا المع
حضرتة أهل الفضل يا بشراهم
إن ابن إسماعيل نور يهتدى
لم الأحاديث الصحاح وجاء فى
فهو الرشاد أمن بغاه فانتهج

عنها الليوث فقادها بعنان
فجلى عنا الأصدقاء والأدران
قاعا قريرا فى قرى الأذهان
تصدير فى سر وفى إعلان
بنقله من غير ما ديوان
أحكامه شهدت له الثقلان
يصغى إليه فمال كالسكران
حسن روض عاطر فينان
وكلاءة من صولة الأزمان
هذا المهذب سيد الأقران
ظهرت عليه من رضى الرحمن
فى كل قلب نير ولسان
ما أوتى الفصل المزيح الران
ه السامعون برقة وحنان
ظم ليلة القدر ارتقى لعنان
فازوا برأفة ربنا المنان
بكتابه فى حالك الديجان
أبوابه بمفاتح الإيمان
بسبيله تحظى بأى معان

تخذ الأساتيذ العظام أئمة
ملكوا زمام العلم والتقوى فمن
غرفوا من اليم الخضم شهامة
حياتهم المولى الذى سناهم
وأمدنا من عطفهم بالمبتغى
سبحان من يعطى لكل ما نوى
من يرتجى مدد النبى محمد
وعلى الصحاب وآله ما قيل قد
وقول آخر:

حديث الصبا رويته عن قرنفل
عن الآس والنسرين والياسمين عن
عن الملك عن عرف البنفسج عن سنا
عن الجزع عن نشر الخزامى فلعلع
عن الشعب عن جيران ساكنة الحمى
عن الشوق عن قلبى عن الوصل عن لقا
عن الفجر عن صبح تلتته لويلة
فناهيك من صبح تلالاً نوره
تاب جليل أظهر الله سره
تفرد بالإسناد عن ستة هم

أكرم بهم من ستة تيجان
يقفو طريقهم اكتفى بأمان
فسقوا معينهم لذى الإمعان
لحبا الرضا وعناية الرضوان
من مالك الملك العظيم الشأن
ويقيل عشرة ذا الأسير العان
صلى عليه الله كل أوان
زارت فأزرت بالقنا والبان

عن الورد عن زهر الربيع المفضل
أكارم زهت بالقيقلان وصندل
رياض أنيق فيه راق تغزلى
فربيع بنى سعد خيام التجلل
حمى له فى كل المسالك موئلى
حبائب منهم الغزالة تجتلى
تنزلت الأملاك فيها من العلا
بختم البخارى فى ضحاه المهلل
فخص به التعظيم فى كل محفل
ذوو العزم فى أبناء أكرم مرسل

حباهم من أولاهم كل رفعة
فسادوا جميع الناس حيث تأهلوا
فجاه ابن إسماعيل سيدنا الرضا
لذلك مزاياه توالى وأنهجت
فقراؤه والسامعون كفاهم
أما ثملوا لما سقوا جام عطفة
فيا آل بدرها مشوقكم رجا
فأنتم وقاية الضعيف وأنتم
فمنوا وجودوا واعطفوا وتفضلوا
فإني مكظوم وحالي ما خفى
وها بالبخارى جئتكم متوسلا
وبالجامع الكبرى التى ضاع نشره
من امتاز فى هذى البلاد بيره
ولا غرو إن الفرع يتبع أصله
تشبث صان الله ربي شبابه
فأصبح يقفو نهجه بدراية
وأوضح أبواب الوصول لفهم ما
فإدراكه لا يمتطيه مشارك
أنور الدياتجى لا برحت مفضلا

ويوأهم من فضله كل منزل
لجمع صحاح حبها كل أمثل
محمد التحرير دون مترا على
لنا سبيل الإرشاد رأد تأمل
تغشاهم الإشراق من نوره الجلى
أصارتهم فى زمرة الحزب الأول
بجاهكم يحظى بكل مؤمل
وسيلة أندادى عليكم معول
على عسى ما هال قلبى ينجلى
على علمكم يا جيرة الجانب العلى
فحاشاكم تشنوا على توسيلى
بها عند تدريس الفقيه المبجل
وصار نجيبا فاق كل مفضل
وكيف وهذا من سلاله أفضل
بمن سن إيضاح الحديث المسلسل
ففض وثاق القفل عن كل معضل
تقاصرت السباق عنه بأجمل
فيال ابن عزوز الزكى المفضل
بريئا نزيها عن أذى المتقول

مراقى العلا عنها تراءت بأسفل
وعلمًا بأحكام الكتاب المفصل
كما زكريا قد أجيب بأنبل
فترغم من شانك بالعز الأكمل
تحلت بعقدها النفيس المكلل
وأصبح منها الجيد غير معطل
بما ترتوى منه فلإنك منهلى
وفاز بمجد فى البرايا مؤئل
سناك بمكناس جدير التهلل
من الصمد الأعلى إليه تبتل
ويا كاشف البلوى دعائى تقبل
تخللتها فى سابق ومؤجل
فقد طل فى الأهواء قدما توغلى
تجاوز إذا الصفح العظيم التفضل
وأصحابه أولى الرضا والتوكل
حديث الصبار وتيه عن قبرنفل

وقاك الذى رقاك أسنى منصة
وتوجك التقوى لتزداد عزة
وأعطاك من يحيى النبى إجابة
ولا برحت عليك يبرق سعدها
وهاك أبدر التم منى خريدة
بختم البخارى ضمت الحسن والبها
بها فكرتى رامت قبولاً فجد لها
وإنك ممن حاز علما وسوددا
فإن تفتخر فاس بأعلامها فها
فلا شك هذا الختم مفتاح رحمة
أيا يا عالم النجوى ويا سامع الدعاء
وجد واعف وارحم وامح كل جريمة
وأخلص لوجهك الكريم مدائحى
وعن أمة الهادى الشفيح محمد
وصل عليه يا كريم وآله
صلاة تناجى بالبشائر من يقل

إلى غير هذا مما لو تتبعناه لجا فى مجلد ضخم ولكن ما لا يمكن كله لا
يترك كله .

مشيخته: أخذ عن شيخ الجماعة فى وقته بالحضرة المكناسية السيد مبارك بن

عبد الله الفيضى المترجم سابقا، والسيد العربى بصرى المدعو قطيطة، والسيد المهدي بادو، والسيد المهدي بن سودة، والسيد العباس بن كيران وغيرهم من الفحول النقاد.

الآخذون عنه: أخذ عنه شيخنا الحاج المختار بن عبد الله، وشيخنا أبو عبد الله محمد بن عبد السلام الطاهري، وشيخنا أبو عبد الله محمد القصرى العبدري^(١)، وأبو عبد الله المدعو الهويج، والعلامة السيد التهامى بن عبد القادر المدعو الحداد، والعلامة الأديب السيد الغالى بن المكى الستيسى، والشريف مولاي المصطفى بن عبد الرحمن المترجم فيما مر، والسيد إدريس بن اليزيد، والشريف سيدى محمد بن العربى المنونى، وشيخنا أبو عبد الله محمد العرائشى حفظه الله، وخلق*.

مؤلفاته: منها كشف الران، عن قلب مانع الزيارة ومفضل الوظيفة على القرآن، والنصيحة الشافية النافعة للطريقة الدرقاوية، وشرح على رجز سيدى العربى الفاسى فى الذكاة اختصر فيه شرح الزياتى، وكواكب البسملة، وشرح على أبيات الهلالى: ألا يا لطيف لك اللطف إلخ، وشرح على الألفية لم يكمل، وشرح على الهمزية لم يكمل وغير ذلك.

وفاته: توفى فى شهر صفر عام تسعة عشر وثلاثمائة وألف، ودفن بالزاوية الكتبية بحومة صدراتة من العاصمة المكناسية، وقد رمز لوفاته أحد نجباء تلاميذه وهو السيد إبراهيم بن محمد بن قاسم المسطاسى بحروف (حمدا وشكرا وزهدا حاز) من قوله:

هذا ضريح سليل الأكرمين ومن
قد فاق مجدا وعلما سائر العلما
هذا المفضل نجل القرم من فخرت
به الدنا فامتطى من فخره السنما

(١) فى الموسوعة: «العبدوى».

عبد الهاد بن عزوز وذلك من غدا وحيد الدهور مفردا علما
وإن ترد على عام القرض فابغ تجد (حمدا وشكرا وزهدا حاز) فاكتمتا
١٣١٩ ج ١٦ ٣٢ ١٢٢٧ ٥٣

٣٦٥ - المفضل بن المكي بن أحمد السوسى.

المكناسى النشأة والدار، الفاسى الإقباز.

حاله: كان رحمه الله صدراً شهيراً علاماً أصيلاً، جم التحصيل، قوى الإدراك، منطلق اللسان، مشارك نقاد، حسن العبارة، مقتدر على التفنن فى أفانين التعبير، إماماً فى العربية، ذا هبة وجلال، وحزم وعزم، لا يقدر أحد أن يكلمه فى مجلس درسه، ما سئل عن شىء إلا رد السائل مسئولاً، ذا سمت وتؤدة، شديد المحبة فى الصالحين، كثير الزيارة لهم والبحث على التمرير بهم ونشر كراماتهم، وجيهاً عند الأمراء والولاة، مبجلاً عند العظماء، مسموع الكلمة.

وكان يقرأ فى دروسه الليلية عدة مؤلفات فى مجلس واحد يتخلص من فن لآخر بأبرع تخلص وأحسنه، لا يجارى فى ذلك ولا يبارى، لا يقدر أحد من الآخذين عنه فى حلقة درسه أن يتحرك أو يتنحج أو يفوه ببنت شفة، يجلسون أمامه كأنما على رءوسهم الطير، ثم إنه ترك القراءة فى آخر عمره ولازم الوزير أحمد بن موسى إلى أن لى داعى مولاه، ثم لازم المتولى بعده المهدي المنبهي، ولم يزل يظعن بظعن السلطان ويقيم بإقامته إلى أن ختمت أنفاسه رحمه الله.

مشيخته: أخذ عن شيخ الجماعة الحاج مبارك الفيض، وأبى الإسعاد المهدي ابن سودة، وأبى اليمن العباس بن كيران، وأبى الفتوح الهادى بادو، ووالده السيد المكي وغيرهم من الأعلام.

الآخذون عنه: أخذ عنه شيخنا الحاج المختار بن عبد بن أحمد، وشيخنا أبو

٣٦٥ - من مصادر ترجمته: إتحاف المطالع فى الموسوعة ٢٨٢٩/٨.

عبد الله محمد القصرى، وشيخنا الحاج المعطى بن عبود، والعلامة الأديب السيد الغالى بن المكى الستيسى، وابن أخيه السيد محمد فتحا السوسى، وأخوه السيد محمد السوسى، والسيد الطيب بنونة، وابن عمنا سيدى الحسن بن اليزيد، والوزير أحمد بن موسى فى جماعة من الأعلام.

نظمه: من ذلك قوله جامعا بين قول الشيخين القاضيين فى مدح السفر
وذمه:

أقول وقول الحق يعظم وقعه تخالف طبع الناس مبنى الطرائق
فإن رمت تحقيق الحقائق سلمن أمورك للمولى تـكن خير واثق

نثره: من ذلك قوله مجيبا ابن عمنا الفقيه الأديب الأكتب مولاي إدريس بن عبد السلام الأمرانى ولفظه ومن خطه نقلت: هلال اليمن والسعد والسعادة، الدال مبتدأ بزوجه على خير أكمل زيادة، غصن شجرة أصلها ثابت انمحاسن بلا ريب، وجدول حديقة الفضائل السالمة من النقص فى علم الغيب، الطالع السعيد، فى أفق الرشاد والمجادة الحميد، من برع على الأقران، وانهزم بين يدي رشده حزب الهوى والشيطان، واقتنى كنز الحياء ساعيا فى المرضى بلا توانى، ولدنا حقا بمحبته الصادقة مولانا إدريس الأمرانى، لازالت الكمالات تخدم أبوابه، والسعادة ترتضى أسبابه، وأمنه الله من كل مخوف وحفظه وسلمه على الدوام، عن خير من أنام الأنام، فى ظل الأمان مولانا الإمام، أدام الله مجده وأناله جميع المرام.

أما بعد فقد وفى لذيذ خطابك المطرب، وعجيب بليغ فصيح إعرابك العرب، مقرطا به ومشنفا، حتى لم تبق فصاحتك المفحمة على الحقيقة معارضا ولا معنفا، فيا لها من جواهر استحقتها بالأصالة من أعارها، ومعارف لا ترضى بمفارقة من أثارها، فكل فضل فى العالمين، فمن فضل جدكم سيد المرسلين، عليه أفضل الصلاة وأزكى التحيات فى كل وقت وحين، فبجاهه وحرمته عند الله تعالى نسأله أن يبرد لهيب الاشتياق، بتحيات المشافهة والمعاينة وحسن التلاق،

ولولا^(١) ما جبل الله سبحانه عليه هذا الحب العزيز المثال، الذى لم ينسج على منواله فيما يظهر لأحد بمنوال، من علا قدره وطاب سره، وحسن بين الناس كغيبه علانيته وجهره، الفقيه العلامة الوزير الأرشد، الأسعد الأمجد، المستول لنا وله من المولى الكريم فى كل وقت حسن العاقبة، وكمال الحفظ والسلامة كما نسأله سبحانه أن يرزقنا وإياكم التوفيق والإعانة، ويجعلنا من أهل طاعته وطاعة رسوله ومن الحافظين للأمانة، وأن يفتح علينا وعليكم، ويرضى أفعالنا وأفعالكم، ولا بأس على الحب الأود، الأعز الأمجد، الصادق فى الود شهادة وغيبا. ولم يكن لعدو أن يثبت له عيبا، والدك حفظه الله وجعل الضيافة التى كان فيها طهورا؛ وجعل عقب ذلك سرورا وحبورا ونورا، ولما أطلعت علم الفقيه الوزير، بكتابك الحبير المنير، تهلل وجهه نشاطا، واغتبط بمثلك اغتباطا، وأعجب كل الإعجاب فأفصح فى الدعاء الحينى الأحسن، وشهد بأن هذا أفضل هدى وسنن، وعنده من خبر ضيافة الوالد ما أغنى، وهو بأموره وأمور أمثاله أعنى وأغنى وأقنى، كما ثبت عنده من نصحه وصداقته وبره ومروءته، فالحمد لله الحمد لله والسلام وفى رابع جمادى الأولى عام ستة عشر وثلاثمائة وألف المفضل السوسى لطف الله به من خطه.

وقوله من رسالة خاطب بها بعض أصدقائه المخلصين وكلفه فى النيابة عنه فى إعلام أحد تلاميذه النجباء الجللة، وهو ابن عمنا مولانا الحسن بن اليزيد العلوى بوصول رسالته التى أصدرها له ويعلمه بأنه متهمى لجوابه وللفظ الغرض منها: واعلم أن الشريف المحبوب، المخصوص من الله الكريم بأفضل موهوب، قد وجه رسالة عجيبة، ترى النفس من بلاغة تلك الرسالة، أن أجوبتها غير وافية ولا مصيبة، فهى جداول بلاغة جرت فتضاءلت البحار، وأسرار مواهب سرت فأذعنت لمحاسنها وجميل محياها الأفكار، أعنى بذلك النبات الطيب معدنه وأصله، الحسن

(١) فى هامش المطبوع: «أغفل جواب لولا صح مؤلف».

فصله ووصله، ابن من فضله من شرف سيد الورى ﷺ يزيد، وكل خطاب زورته فى نفسى ليكون جوابه كان لمبتدأ تلك الرسالة شاهدا بأن خبرها له مزيد، وربك يخلق ما يشاء ويفعل ما يريد.

ولما عزمت على ممكن الجواب فى المستقبل، عجلت لك هذه التخيرة بأنى لا أضيع فصاحته البارعة الفائقة، بل تكرم وتعز وتقبل، ولا عطر بعد عروس، وهكذا تكون طيبة الغروس، زادنا الله تعالى وإياه من الفضائل والكمال، وأصلح أحوالنا فى الحال والمآل، ولا تقصر فى إكرامه باللائق، وإنما جعلت لك النيابة عنى فى أمثاله لأنك المحب الصادق، وقد بالغ حفظه الله فى الأوصاف، فتح الله بصيرتنا وبصيرته وألهمنا الصواب وباعدنا من الإطراء والإجحاف، وجعل سلوكنا سواء الطريق، وألهمنا الرشد والتسديد والتوفيق، آمين والسلام فى ثامن شوال عام ستة عشر وثلاثمائة وألف.

وقوله فى جواب الرسالة المشار لها تبارك الذى من هيته وجلاله وعظمته سبحت بصريرها الأقلام، وخضعت لكبرياته وسبحت قدسه سطور السماء طروس الأرض ودفاتر جهابذة الفصحاء الأعلام، أرسل أفصح البلغاء وأفضل الرسل لإبلاغ ما حملة فقام به أحسن قيام، وأمر بالمستطاع من عمل البر فمن أتى به لا يذم ولا يلام، ونحمده ونشكره، ونذكر بنعماته بعض من يكفره، على ما أنعم به من الخير المزيد، المقدر فى الأزل لمن شاء من العبيد، فلا يقدر أحد منهم على نقض ولا إبرام، ونسأله الغفران لذنوب أوقفنا لباب الاضطرار، وسترها بسعة رحمته وكفى بكرمه ومته شؤم الإصرار.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة من ظن كما أمر بربه الجميل، فنال أفضل مرغوب ومسئول ومأمول من عطاء خالقه الرب الجليل، ونشهد أن سيدنا ومولانا محمد عبده ورسوله المحبوب، عين الرحمة المهداة

المبعوث ببيان السبيل الموصلة في الدنيا والآخرة لنيل كل مرغوب، صلى الله عليه وعلى آله سفينة النجاة والأمن والأمان، وصحابته الجلة الكمل المقتدى بهم في تحقيق إخلاص الطاعات وبمحبتهم الكاملة زيادة الإيمان، صلاة وسلاما نخوض بهما بحار المعرفة، ونتحلى في الدنيا والآخرة بأحسن حلة مرضية في الدين وأفضل صفة.

أما بعد فالله أكبر ولا أكبر سواه، فسبحان من صور الخلق كيف شاء فأحسن خلقه وعدله وسواه، ولا حول ولا قوة إلا بالله، الذي جعل الأسفار مطايا الرسائل، ويمكن نيل الوسائل، ومعجى مجار الفواضل والفضائل، بتوالى الغدايا والأصائل، ومظهر ما تقر به العين وتشرح به الصدور، من أسرار نتائج الأرواح أصحاب الصدق والمحبة الواصلة الموصلة لنيل الحبور، لما تضمنت أضلاعهم وانطوت عليه من خالص البر وصادق البرور، خصوصاً من طاب أصله وفضله، وقد شب حسن خلقه وكرم فعله، حائز قصب السبق في مضمار الأدب والحياء والمروءة والعفة والسماحة، من أصوله الطيبة ومعدنه المتأصل في كمال الذكاء والرجاحة، حافظ زمام اللسان، الشريف الحسى التقى التقى الملقب بالاسم الحسن، فقد أجادت قريحته اللطيفة في رسالتها كل الإجادة، وبنات شفته نثرت على الأسماع جواهر المعانى وأفادت أكمل الإفادة، فله الحمد وله الشكر والثناء الجميل، حيث أظهر بما قدره من هذه الأسفار من أولاد الروح مثل هذا القليل، وشاهدت الأبصار ما تقر به العين، وانتعشت الأسرار بما أملت فيهم فكان بمنظر منها ومسمع قبل أوان الحين، وهذا بحمد من له القدرة والحول، يجبر خواطر كراسى العلم والمسجد الكبير ويقشع عنهما سحاب توهم الحين والأين والتحسر والهول.

فحيث حللتم هناك بهذه الأحوال العجيبة، والأقوال اللطيفة المصيبة،

تراجعت أمواج هيجان الوجد، فبشروا المحبين بالقفول القريب إن شاء الله تعالى وحلول النير المنير في برج السعد، ولو تذكرت الكراسى والمسجد ما تلى هناك غير ما مرة في أسباب الخروج من الأوطان والرحاب، من سفر لتجارة أو هجرة أو زيارة أولياء أو أحباب، لذهب في الوقت ما توهم لها من الأوصاف، وسطع سرورها ولها العيش طاب، فلتذكر ما كانت تسمعه، فالعاقل اللبيب لا يتحول عما ينفعه، ولو استحضر مع ذلك ما أعد الله تعالى في المقاصد الحسنة المستحسنة، الصارفة عن العقل غفلته ووسنه، لعاد الحنين والرد عليه بالحنيب ضحكا وسرورا، واستحسنت خدمة أسكفة هذا الوزير المبارك الأرشد الأسعد، المخلص في النصيحة للمسلمين القريب والأبعد، إجلالا وإعظاما وبرورا، فلن يكافئ إحسانه إلا أن نرفع جميعا أيدي الضراعة والابتهاال، ونخلص له في ظل مولانا الإمام، نصره الله على الدوام، ما أمكن العبد من مستجاب الدعاء وأكمل سؤال.

اللهم يا ذا الطول والحول والفضل والامتنان، أحسن عاقبتنا وعاقبته وبارك في عمره وأحسن في أثرنا وأثره وافتح بصيرتنا وبصيرة تلامذتنا أجمعين، واجعلنا ممن علم فعمل، وعمل فقبل يا قوى يا معين.

وفاته: توفى بمحروسة فاس يوم الأحد سابع ربيع الثاني عام عشرين وثلاثمائة وألف، ودفن بالزاوية الناصرية هنالك رحمه الله.

٣٦٦ - المستضيء بنور الله ابن السلطان الأعظم أبي النصر والفدا إسماعيل.

صفته وحاله: أبيض اللون، حسن القد، مليح الوجه، أمه عودة الدكالية، قاله أبو عبد الله محمد بن عبد السلام بن أحمد بن محمد المعروف بالضيف الرباطي المولود سنة خمس وستين ومائة وألف حسبما قال ذلك عن نفسه في تاريخه.

كان المترجم منكوس الراية، مسيكا ذا خفة وقساوة وطيش، غير متأن ولا ناظر في العواقب، ولا متوقف في سفك الدماء، بويع له بعد أخيه أبي عبد الله محمد المدعو ولد عربية عشية يوم السبت ثالث ربيع النبوي عام واحد وخمسين ومائة وألف، وهو يومئذ بسجلماسة، فوجه له عبيد البخارى الذين سعوا في البيعة له شرذمة من الخيل تأتي به من تافيلالت وبمجرد ما اتصل به الخبر، خرج مسرعا يطوى المراحل، ولما وصل صفرو، وخرج إليه أشرف فاس وعلماؤها وأعيانها وأدوا بيعتهم له، ولما حل بفاس ولى عليها القائد أحمد الكعيدى، واستخلف الكعيدى شعشوعا اليازغى، كما عزل قاضيها الشدادى، وولى مكانه السيد محمد الدلائى البكرى، وأصلح ما كان بين الأدارسة وعامة أهل فاس هناك.

ونهب لمكناس عاصمة ملك والده، ولما دخلها كتب العبيد له البيعة العامة، ووافق عليها أهل الحل والربط ظاهراً لما كان للعبيد من الاستبداد والسيطرة، ثم وفدت عليه بها الوفود بهداياهم وبيعتهم.

وكان وصوله لمكناسة فى رابع عشر ربيع المذكور، وكان فاتحة أعماله بها بعثه بأخيه ابن عربية السلطان المخلوع قبله المذكور موثقاً بالأغلال لفاس، ومنها لسجلماسة سجيناً ينضم لغيره من الأشراف الذين بالسجون هنالك، كما وجه السيد عبد المجيد المشامرى بوطالب، والشيخ أبا زيد عبد الرحمن الشامى يسجنان بفاس الجديد، وأمر بنهب دار المشامرى المذكور والتنكيل به وسومه سوء العذاب، فامتثل أمره فيه، ولم يزل المشامرى المذكور يتقلب فى أنواع ألیم العذاب إلى أن مات، وسبب محنة الرجلين شكاية مولاى عمر الأمرانى نهب داره بفاس بتداخل الرجلين.

ثم اشتغل بالبحث على ما فى خزائن والده التى لم يلق لها بالا أحد من

إخوانه الذين تملكوا قبله لاحتياجه إلى ما يصرفه ابتغاء مرضات العبيد، ولم يترك خزيننا من الخزائن إلا ونسف ما به نسفا حتى الحديد والكبريت الذى كان يعد بآلاف القناطر وملح البارود والشب والبقم وغير ذلك مما كان مدخرا من الغنائم التى كان يغنمها والده من أجناس الفرنج، وباع ذلك كله، فلم يجد المتحصل فيه شيئا وأزال بعض السراجيب المذهبة والشبائيك، وألزم أهل الذمة بأداء ثمن ذلك.

ثم أنزل المدافع النحاسية من الأبراج فكسرها وضربها فلوسا كما فعل ذلك قبله أبو العباس أحمد بن إبراهيم السلطان العثمانى الذى هو أول من ضرب سكة النحاس الأحمر وموهها بالفضة، وكل ما ذكر لم يغن المترجم شيئا، كما أفصح بذلك الزيانى فى الروضة السليمانية وغيرها من كتبه، ثم وظف على أهل فاس أموالا طائلة عجزوا عن الوفاء بها، وألقى القبض على جماعة منهم وأودعهم السجون، وأمر ببيع عقارهم لاستيفاء ما بقى بذمهم مما وظف عليهم، وألزم التجار بشرائه، وقبض على بعض الأشراف العراقيين وهو السيد العربى بن السيد عبد الكريم صاحب الدار الكبرى بجرنيز بعد أن أوجعه ضربا، وزج به فى السجن بدعوى أن خنائة بنت بكار زوج والده استودعت عنده أموالا.

ولم يترك بابا من أبواب القساوة إلا وطرقه، فكم استصفى من أموال، وأزهد من نفوس بغير حق، وذلك ياغراء من رفيقه أبى حفص عمر الأمرانى انتقاما من أهل فاس، حيث إن داره نهبت على عهد أبى عبد الله محمد ولد عربية أخ المترجم، ولم يدافع عنها أحد منهم وولى أبا حفص المذكور على فاس، وأغرى البرابر على العيث فى الطرقات وشن الغارات على الودايا، فانقطعت بسبب ذلك السابلة، وتعذرت أسباب المعاش، وأصدر أوامره بتوجيه أخيه المولى زين العابدين سجيئا مقيدا إلى تافيلالت بعد أن ضربه ضربا مبرحا، ولولا أن العبيد وجهوا من انتزعه من يد المتوجهين وبعثوا به لأبى العباس الكعيدى بينى يازغة واستوصوه خيرا فاحتفظ به واعتنى بشأنه لهلك.

وكتب لصهره الباشا أحمد الريفى يأمره بالإيقاع بأهل تعاون لتخلفهم عن بيعته، وقد كانت بينه وبينهم عداوة وشحناء، فاغتنمها الريفى فرصة واقتحم تعاون على حين غفلة من أهلها فدمر ونهب وقتل من وجوها نحو الثمانية، ووظف على من بقى ما ضاقوا به ذرعا مما لا طاقة لهم بوفائه.

وقد كان الحوات هو صاحب أمر المترجم ولم يزل حاملا راية الدفاع عنه والسعى فى نصرته إلى أن قبضه الله إليه، وكانت وفاته فى ثامن ربيع الأول عام اثنين وخمسين بعد أن دعا المترجم عليه بالهلاك.

وفى سابع جمادى الأولى من العام سرح المترجم أخاه ابن عريبة من عقاله. وفى عاشر رجب عاثت فرقة من حجاوة وانضم إليها خليط من الرعاع وأطلقوا يد السلب والنهب فى السابلة، ولما تفاحش أمرهم أرسل المترجم عليهم القبائل المجاورة لهم، وأمر بإلقاء القبض عليهم حيثما وجدوا والبعث بهم لمكناسة.

وفى السادس عشر من شوال أمر بضرب أعناق عدد ممن وصل لحضرته المكناسية من المتمردين المذكورين، وعلقت رؤوسهم على أبواب المدينة وجدرانها، ولم يزل هذا شأنه معهم إلى أن تابوا وأتابوا.

وفى يوم السبت الرابع والعشرين من ذى القعدة الحرام وجه أخاه المولى بناصر لقتال عبدة لما كانوا عليه من التمرد والعيث فى الطرقات والاستطالة على القبائل الحوزية، فقتل منهم عددا وأرغمهم على الرضوخ للطاعة، ووظف عليهم مالا له بال، وآب لأخيه المترجم سالما غانما.

ولما كان عام اثنين وخمسين ومائة وألف، أوقع صاحب الترجمة بالباشا العياشى وتوالت الأمطار وقام الناس على ساق فى الحراثة رغما عما كانوا عليه من

الفاقة والإملاق وعدم الدواب لتوالى السنين الشهباء عليهم جلهم كان بالفتوس والأغنياء منهم حرثوا على الحمر، قال فى الدر المنتخب نقلًا عن بعض المؤرخين لقد علمت أن سبعة اشتركوا فى زوجة حمير، فحملوا عليها إحدى وعشرين وسقا، وأعطى الله تبارك وتعالى البركة فى تلك السنة وتدارك عباده باللطف بعد الشدة هـ.

وفى يوم الثلاثاء سابع عشر صفر عزل السيد محمد البكرى الدلائى عن قضاء فاس، وولى مكانه أبا عبد الله محمد بن على الشدادى، وعزل أبا العباس أحمد الصبيحى عن الإمامة والخطابة والتدريس بالحرم الإدريسى، وولى مكانه العلامة أبا المواهب عبد الكبير السرخينى.

وفى الرابع والعشرين من صفر صدر الأمر السلطانى بين العشاءين بإخراج محمد مامى من الضريح الإدريسى، وقد كان مستجيرا به، فأخرج قهراً ولما مثل بين يدى المترجم بمكناسة قتله من حينه.

وفى يوم الأربعاء ثالث ربيع الأول ألقى القبض على العربى بن عزوز ناظر القرويين لما تحقق لديه من اشتغاله بما لا يعنيه، واجتماعه مع لفيق من خاصته على الغناء والملاهى بداره، وسجنه مع جماعته ثم وقعت الشفاعة فيه للسلطان فعفا عنه ورده لمأوريته.

وفى سادس جمادى الأولى وقيل صبيحة يوم الاثنين الحادى عشر منه، نهض المترجم إسعافاً لرغبة العبيد واتقاء لشرمه لجبل فازاز فى عساكره وجنوده، حيث بلغهم أن السلطان عبد الله بويق له بمراكش وأحوازها، والحال أنه كان بعيداً عنها، وأقام المترجم بجبال فازاز مدة تئيف على الشهر، ثم اعتراه انحراف فى المزاج فانقلب لمكناس، ودخله فى عاشر جمادى الثانية، ونزلت تلك المحال

بضواحي البلد فمدت يد التعدي بالنهب والإفساد فى أجنة وبحائر البلد وأحوازها.

وفى فاتح شعبان قتل جماعة من رؤساء العبيد منهم الباشا غانم، والقائد عبد المجيد سعدون، والقائد عيسى مفتاح، وأولاد الريفى.

وفى أوائل رمضان عزل بوعزة الزيزى عن حبة فاس ووليها العدل الحاج محمد سوسان، وفى يوم الأربعاء رابع عشر رمضان أكلت قافلة بين فاس ومكناس وتعذر المرور فى السابلة من يومئذ، وفى آخر رمضان المذكور عزل سوسانا.

وفى أوائل شوال كتب لأبى عيسى المهدي الفاسى يستقدمه لحضرته للوساطة فى إصلاح ذات البين بينه وبين الباشا أحمد بن على الريفى، إذ كانت حدثت بينهما وحشة تكدر بها جو الصفا وأصبح الريفى المذكور حجر عثار فى طريق نجاح مساعى المترجم، وفى سابع شوال وجه أبا عيسى للريفى بكتاب لفظه بعد الحمدلة والصلاة:

«الأجل الأسمى، المجاهد الأحمى، أخونا فى الله تعالى الباشا أحمد بن على أمدك الله بمعوتته، وأبقاك مصونا فى حوز حمايته، وسلام عليك ورحمة الله تعالى وبركاته، وأمانه وتحياته.

أما بعد: أبعده عنك كل ما يطويه الفكر، وأبقاك سالم الأحوال فى جميع الأصال والبكر، وقوى محاسنك بالجد، ومطالعك بالسعد، أمين فلقد اتصل بمقامنا العلى بالله الفقيه الجليل، العالم النحرير النبيل، نجل السادات الأبرار، العلماء الصلحاء الأخيار، الأئمة الأعلام، والقُدوة لمن أصلح الله حاله من الأنام، سيدى المهدي حفيد نبراس أولياء الله الأصعد، القطب الأوحد، أبى يعقوب سيدى يوسف الفاسى نفعنا الله ببركاته، وأفاض علينا من بحر كمالاته، أمين يا رب العالمين.

ولما حل بنا دينا، وخاض معنا فى ماء واديننا، أجللناه وأعظمناه، وفى داخل الأحشاء جعلناه، فتفاوضنا معه الحديث، القديم والحديث، وعقدنا له مجلسين فزنا فيهما بمحاورته، وحسن محاضرتة، فألفيناه من حسن أوصافه، على طريقة أسلافه.

ولما كان من ينبوع الحكمة والعلم والصلاح، تطارحنا معه الحديث فى جانبك من إفشاء ودك وتعظيم منصبك مما هو علينا واجب ومباح، وعرفناه بما لك عندنا من المرتبة السامية، والمحبة الصافية النامية، وجلنا معه فى السر والجهر، وأطلعناه على مكنون الجوانح والصدر، لتحقيقنا فيه أن مثله ممن تذاق بين يديه الأسرار، ومن يتحمل أداء الأمانة من صدق الأخبار، وما كتمنا عنه شيئا مما هو فى الخلد والضمير، فهو يخبرك بما سمع منا ولا ينبئك مثل خبير.

فاعقد له مجلسا سريا حتى يشفيك الغليل فى جميع ما قلناه من الإبلاغ لك، فإنك تجد فى ذلك بغيتك، ومنيتك وأملك، فإنه لم ينفصل عنا حتى اتضح له الأمر ظاهره وباطنه ووقف فينا على حقيقة الحال، ونفى الظنون والشكوك والمحال، وقد وجدنا فيه من محبتك، وكمال مودتك، ما حملنا على البرور به وقربه، زيادة على الوصف الذى هو قائم به.

فقد شرح صدورنا بطيب كلامه وحسن حديثه مما نحن فيه فى جانبك أغرف.

والى إيذاعه والتحدث به من مثل هذا السيد ونشره بين أيدينا أشوق وأشوف، فإذا بلغك الأمانة التى حملناه (أتهلا) فيه واستوص به خيرا ففى مثله تنفع الصنيعة والمعروف، ولا يستوى فى إسداء النعم الشريف والمشروف.

فهذا السيد له شرف العلم وشرف الحسب وشرف الصلاح وشرف الدين، ولا يخفى عن علمك ما كان لسيدنا الوالد قدس الله روحه فى سلفه الصالح من

صدق المحبة وخالص الوداد، وجميل الاعتقاد، فكان يؤثرهم ويعظم أقدارهم، ويرفع على سائر الديار ديارهم، مع ما أكرمهم الله به من العلم والصلاح والقيام بسنة رسول الله ﷺ وإظهار معالمها، والاصطفاء لحاملها وعالمها، وتشبيدهم لبنيانها، وتدعيم أركانها، ووقوفهم في بثها وتعليمها، وحضهم على تخليصها.

فقد أعلوا منارها بوضع التأليف، وحسن التصانيف، فكثرت في ذلك دفاترهم، وعظمت عند العلماء والصلحاء والملوك وذوى السلوك مآثرهم، فناهيك بتلك الدار، وما لها من الحرمة والمقدار، حتى إن بعض علماء العصر ذكر في قوله ﷺ: لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق حتى يأتي أمر الله، وفي بعض الروايات وهم بالمغرب، قال: ولعلها أن تكون زاوية سيدى عبد القادر الفاسى من كثرة ما تواتر عنها من وقوف أهلها فى إحياء السنة، جعلنا الله وإياكم ممن يقوم بشروطها، ويختال إن شاء الله فى حالها ومروطها.

فثق بهذا السيد فى كل ما يبلغه عنا لسانه وبيانه، فهو كتابنا إليك حقيقة، وهذا الكتاب إنما هو عنوانه، ولما تحدثت معه على شأنك آليت له بأيمان غليظة على صدق ما حدثته به، ولا يعرف تلك الأيمان إلا من هو مثله، إذ لا يعرف الأشياء على حقائقها، وكشف دقائقها، إلا ذووها، ومعاده عليكم الرحمة والبركة وفى ٧ شوال عام ١١٥٢.

وفى يوم الاثنين الخامس والعشرين من شوال أتت فرقة من آيت يوسف بقصد قتال الودايا وشبت بينهما حرب مات وجرح فيها من الفريقين عدد، ونشأت عن ذلك قلاقل وفتن، وفى آخر شوال المذكور رفض عبيد البخارى طاعة الباشا الدكالى لقبح سيرته ومقابله إياهم بغاية الصرامة والأذى حتى بالقتل، وولى مكانه القائد بو عزة مولى الشربيل وكان ممن حنكته التجاريب، ومن أهل السبقية فى الخدمة السلطانية فى العصر الإسماعيلى، عصر الجد والنجدة والحزم، فقام فى

مأموريته أحسن قيام، وأحيا سياسته وتدييره ما أمكنه مما اندرس من رسوم الخلافة ونوامسها، وأمن بولاية هذا السياسى المقتدر كل من كان خائفا يترقب.

ثم اتفق الباشا المذكور ورؤساء الديوان ومن يشار إليه من الجيوش على خلع المترجم والمبايعة لصنوه أبى محمد عبد الله، وتم الوفاق على ما ذكر يوم السبت خامس عشر ذى القعدة، ولما اتصل الخبر بالمترجم بارح مكناسة ناجيا بنفسه فى شيعته وأنصاره، ويوهم أنه يريد زيارة أبى محمد عبد السلام ابن مشيش، وكان الزمن زمن برد قارص وأمطار هاطلة، ولما علم العبيد بذلك اقتفوا أثره فوقع بينهما قتال كانت الكرة فيه على العبيد، فولوا الأدبار منهزمين وسار المترجم إلى أن وصل طنجة، فاستقبله الباشا أحمد الريفى بالإجلال والترحيب، وبقي فى ضيافته أياما، ثم استنجد الباشا المذكور وصديقة السلوى فى نصرته وشد عضده حتى يرجع لمكناسة، وينكل بمن سعى فى خلعه من العبيد.

ولما تعذر ذلك وحالت الظروف بينه وبين ما يريد، طلب من الباشا الريفى أن يوجه لمراكش، فأسعف رغبته وزوده بجميع ما يحتاج إليه ويكفيه من مئونة ومال ودواب لحمل أثقاله وأثقال أتباعه، وشيعته رسله من قبيلة إلى أخرى، إلى أن قطع تلك الجبال الفحشية، ووصل إلى كارت ومنها إلى الصحراء، ولما لم يحصل على ضالته المنشودة انقلب راجعا إلى أن وصل للقصبة التى كان بناها بجبال مسفيوة بناء محكما بواسطة أخيه وخليفته بمراكش المولى بناصر.

ثم دخل لمراكش فوفدت عليه القبائل الحوزية بهداياها وبيعاتهم ما عدا قبيلتى أحمر وعبدة، ومن انضم إليهما فإنهم رفضوا طاعته ولم يبايعوه، فأرسل لهم سبخته وأمنهم إن هم دخلوا فيما دخل فيه غيرهم، فوجهوا له مائة فارس منهم ومعهم كسوة أبى محمد صالح فلما مثلوا بين يديه، قتلهم عن آخرهم وأعطى خيلهم لدكالة.

وفى عاشر ربيع الثانى من عام ثلاثة وخمسين ومائة وألف اجتمع على جيش السلطان عبد الله الذى كان بأكدير شيعة المترجم من قبائل أحواز مراكش كالرحامنة ودكالة وزمران ومسفيوة ووقع بين الفريقين حرب شديد كانت الهزيمة فيه أولا على أتباع المترجم، ثم رجعت الكرة على الجيوش التى بأكادير لاشتغالهم بالسلب والنهب ولم يأخذوا بالأحوط والحزم، فأتاهم من خلفهم خليفة المترجم صنوه المولى بناصر واستولى على جميع ذخائرهم وأمتعتهم حتى الأخبية، ثم وقعت ملحمة أخرى بين الفريقين المذكورين فى التاسع والعشرين من جمادى الأولى كانت الهزيمة فيها على المترجم وأتباعه ففر إلى القصبة التى كان بناها بمسفيوة.

وفى أوائل محرم عام خمسة وخمسين دخل المترجم مكناسة عاصمة ملك آبيه، وأتت الوفود لتتهتته وتقديم الطاعة إليه.

وفى أواخر المحرم أرسل الباشا أحمد الريفى لأهل فاس يطلب منهم تجديد البيعة للمترجم فلم يجيبوه لذلك، فاغتاظ وأضمر لهم سوءا، وخرج المستضىء لمضايقة فاس إلى أن يرضخوا لطاعته ونزل بظاهر فاس يوم الثلاثاء رابع عشرى ربيع الأول وصار يشن الغارة على البلاد.

وفى خامس عشرى الشهر وقع القتال بين العبيد أتباع المترجم ومن انضم إليهم، وبين أهل فاس وأشياعهم، وكان الحرب سجالا، ثم وافى السلطان عبد الله جيش جرار من البرابر، ولما رأى المترجم أنه لا قبل له بهم فر ليلا وحمل أمتعته وترك الأخبية مضروبة فارغة ليس بها ما يطلق عليه اسم شىء غير رجل أنهكه المرض، ولما أصبح الصباح زحفت إليهم الجنود البربرية فأخبرهم ذلك السقيم المخلف بحقيقة الواقع، وسار المترجم على بلاد شراكة والحياينة فنهبوا

الزرع والماشية، وسار على ورغة إلى أن دخل تازا ثم آب لمكناسة، ولم يدخلها لفسو الطاعون بها إذ ذاك.

وفى عشية يوم الثلاثاء الثانى والعشرين من المحرم فاتح عام ستة وخمسين ومائة وألف، نزل المترجم وصهره أحمد الريفى بالعسال من مزارع فاس قرب وادى سبو، وأعجبتهم كثرة جنودهم المجندة منقسمة على قسمين مع المترجم، وقسم مع الريفى، وفى يوم الخميس رابع عشرى الشهر وقعت مناوشة خفيفة بين محال المترجم ومحال أهل فاس.

وفى يوم السبت سادس عشرى الشهر وقعت معركة عظيمة مات فيها خلق، ولما كان زوال يوم الخميس الثانى والعشرين من صفر حشد الريفى ومتبوعه جنودهما وقطعوا قنطرة سبو، يريدون استئصال الجنود الفاسية، فقاذ الله فى قلوب شيعة المترجم الرعب بدون قتال فولوا الأدبار، ووقع فيهم الطعن والقتل فازدحموا على القنطرة وسقط فى الوادى عدد كثير منهم، وفر المترجم لبنى حسن واحتمى بهم، وسار الريفى على بلاد صنهاجة يطوى المراحل إلى أن وصل طنجة وترك جميع ما أتى به غنيمة.

ثم رجع المترجم بنواحي مكناس يأمل النصر.

وفى ثانى جمادى الثانية دخل المترجم ومن انضم إليه من بنى حسن والعييد وشرذمة من البربر وذلك على حين غفلة من أهلها، ومدوا يد النهب والإفساد، وجاسوا خلال البلاد؛ فقاومهم أهل البلد وأخرجوهم ناكصين وقتلوا منهم عددا عديدا وقاموا على ساق فى تحصين البلاد.

وفى يوم الأحد التاسع عشر من رجب نزل المترجم على الرئيس عبد الحق فنيش صاحب سلا، وطلب منه النصر فبايعه بسلا انتقاما من السلطان عبد الله كما فى تاريخ الضعيف، ثم تبع أهل سلا، فى بيعة المترجم قبائل بنى حسن وفرقة

من عبید دكالة لا غير، وقد راود أهل الرباط على الدخول فيما دخل فيه أهل سلا، فأبوا من إجابته، فحاصروهم أربعة عشر شهرا وبالغ في التضييق عليهم.

وكان ابتداء حصاره لهم في رمضان العام وألقى القبض على أبي عيسى المهدي مريئو الأندلسي الذي صار قاضي الرباط بعد أن هم بنتله، ثم سرحه وخلي سبيله لحفظه مختصر خليل.

وفي رجب الفرد عام سبعة وخمسين اتخذ السلالم وأراد التسور بها على الثغر الرباطي ليلا من ناحية البحر، ولما أحس بذلك عالج من الحرس الذي كان بالأبراج أخرج فيمن طلع نفضا مات منه خلق وكسرت تلك السلالم، وتسارع أهل الرباط لإلقاء القبض على من انفلت من الموت ممن هبط إلى مدينتهم.

وفي ذى القعدة من العام أوقع المولى عبد الله بنى حسن وقعة كادت أن تحمص منهم كل شيء بتلماغت، ففر صاحب الترجمة لمسفيوة حيث كان اتخذ بها دارا فشرده منها صنوه أبو محمد عبد الله، فذهب إلى مراكش، فوجد صنوه الذي كان خليفة عنه بها وهو بناصر قد لبي داعي الله.

وفي ثمانية وخمسين ثار المترجم بجبال مسفيوة واجتمع عليه هنالك بعض الغوغاء أيضا وسماسرة الفتن وبايعوه، فوجه صنوه أبو محمد عبد الله من يشرده ويبدد أحزابه وشبت بينهما حروب كان انطفاؤها بتشيريد صاحب الترجمة عن جبال مسفيوة، ولجأ إلى مراكش فطرده أهلها، فسار إلى دكالة فتامسنا بنى حسن، ولما لم يرفع له رأس في جهة من الجهات المذكورة صرف وجهته لطنجة وأعمالها، واستقر به الثرى بالفحص، فأقام به أياما عسف فيها أناسا منهم القائد عبد الكريم الريفى سجنه وسلمه واستصفى أمواله، فثار عليه بسبب ذلك أهل الريف وألقوا القبض عليه، وسلبوه من كل مال وتمامول وامتحنوه وأوثقوه وموا بتوجيهه لصنوه المولى عبد الله، ثم بدا لهم فسرحوه، فعند ذلك كتب لصنوه المذكور وكان يومئذ

بفاس يعتذر له عما صدر منه ويطلب منه محلاً يستقر به فأجابه بقوله: إنك لم تأت إلى ذنبا ولم ترتكب في حقى عيبا، إنما كنت تطلب ملك أيبك كما كنت أطلب ملك أبى، والآن فإن أنت أردت الخمول مثلى فأقم بأصيلا واسكن بها، فانها أحسن من دار دبيبغ التى أنا بها، وأرح نفسك كما أرحتها، وإن كنت إنما تطلب الملك فشأنك وإياه فإنى لا أنزعك فيه والسلام.

فلما وصل إليه هذا الكتاب من صنوه السلطان المذكور انتقل لأصيلا واستوطنها، واعتنى بها وأصلح منها ما يحتاج إلى الإصلاح كما أصلح دار الخضر غيلان التى بقصبتها وسكنها سنة أربع وستين ومائة وألف.

ثم اتصل به بعض الأشرار من قرناء السوء الذين يستفزههم الطمع فدلوه على التكبب بالبيع والشراء فى الزرع بجلبه من الداخلىة ووسقه للبلاد الأجنبىة فارتأى برأيه وتصدى لالتجار فى ذلك، حتى تضرر الناس ورفعوا شكاياتهم للسلطان، فصار يقصر سن الندم على إذنه له فى السكنى بالثغر المذكور، وأصدر أوامره إلى القائد أبى محمد عبد الله السفىانى بالزحف إلى المترجم وإرغامه على الخروج من أصيلا، وكتب لولده خليفته بمراكش أبى عبد الله محمد أن يبعث إليه من يعززه فى إجلاء المترجم عن الثغر، فبعث سيدى محمد رفيقه ابن عمه أبا العلاء إدريس ابن المنتصر فى مائة فارس وأمره باللحوق بالقائد المذكور طبق إشارة والده، فسار أبو العلاء إلى أن لحق بالسفىانى ونزلا على أصيلا وأرغما صاحب الترجمة على إخلائها، ولم يقبلوا منه عذراً فى التأخير، فلم يسعه غير الخروج منها.

ثم استولى أبو العلاء على جميع أمتعته وأمواله وذخائره الحرىة وغيرها، وتوجه بجميع ذلك لعمه السلطان أبى محمد عبد الله، وسار المترجم إلى أن نزل بضريح الشىخ أبى بكر بن العربى من فاس، ووجه ولده للسلطان يشكو بما فعل به خليفته ولده سيدى محمد فكان من جواب السلطان له قل لأيبك: لا سبيل لى عليه هو أعظم شوكة منى ومنك، فسر إلى بلاد أيبك وجدك وأرح نفسك من

التعب والموت قريب منى ومنك، فلما بلغه الجواب لم يسعه غير التوجه إلى صفرو، وذلك بعد أن ترك عياله بدار الشريف أبى محمد التهامى ونزل هو بدار الإمارة من صفرو.

ولما أوصل أبو العلاء للسلطان ما استولى عليه من أمتعة عمه المترجم أخذ السلطان البارود والسلاح، ووجه الباقي لربه قيل، ولما طال المشوى بصاحب الترجمة بصفرو، وبعث إلى آيت يوسى يندبهم لنصرتة، والقيام بدعوته، فتخاذلوا عنه وأحالوه على آيت يدراسن وجروان وواعدوه بإسعاف رغبته إن أجابه المذكورون لمطلبه، ولما لم تنجح مساعيه بعث من أتى إليه بعياله وأثائه من فاس وذهب إلى سجلماسة فاستوطنها، وذلك فى عام ستة وستين ومائة وألف.

وكانت أيامه كلها غلاء ووباء ونحس مستمر، وما جلبناه فى هذه الترجمة هو الزبدة واللباب مما فى توارىخ أبى القاسم الزيانى وتابعيه، وتارىخ الضعيف، وتقاييد ابن إبراهيم الدكالى، مع مزيد إيضاح وتهذيب.

وزراؤه وقضاته وكتابه وعماله: فمن وزرائه العلامة أبو الحسن على بن سعيد العميرى آتى الترجمة، ومن قضاته أبو القاسم بن سعيد العميرى والشدادى، الأول على مكناس، والثانى على فاس.

ومن كتبه أبناء الوزير الیحمدى الحسن ومحمد.

ومن عماله الباشا محمد الدكالى، والباشا عبد المالك، والباشا سالم الدكالى.

بناءاته: منها داره التى لا زالت إلى الآن بمسفیوة أحواز مراکش مع قصبته.

بعض ما قيل فيه من المدح: من ذلك قول بعض أدباء العصر ولفظه:

ظفرت فصل ونل قدرا رفيعا أتاك الملك مستمعا مطيعا

وقد حقت لك العلياء فردا
مولاي المستضى قطب المعالى
نصحت فكنت ذا حزم وعزم
إذا دعى الملوك لأى أمر
أطاع بهيبة المنصور رغما
لك الأمر المطاع فدم هنيا
وحق لمن وليت من البرايا
وينعش آمنا بل مطمئنا
لأنك للرعية خير واق
حميت بسيفك المسلول منهم
وكم أوليت ذا بؤس نعيما
تصول إذا الوغى شبت لظاها
كأنك فيهم ليث عبوس
وأعجب ما رآه الناس طرا
سحائب فى يمينك أم بحار
أقر بها الانام فكل من قد
وصار لك المدا حقا ينادى:

فطب نفسا بما تهوى جميعا
لنا بنت العلا حصنا منيعا
فمن قدام بابك لن يضيعا
وكل الكل عنه وقد أضيعا
وإن لم يجتهد فيه سريعا
ودان لك الورى ريعا فريعا
وقد خاف الحوادث أن يريعا
قرير العين لا يخشى مريعا
تدافع عنهم الأمر الفظيعة
جنابا كاد قبلك أن يضيعا
وذا بأس تغادره صريعا
على الأبطال منشرحا وليعا
يطارد من ظبا داي قطيعة
مواهبك التى جلت صنيعة
تناولت المشايخ والرضيعة
رآك غدا سمانمه ريعا
ظفرت فصل ونل قدرا رفيعا

وفاته: توفى بسجلماسة بلده سنة ثلاث وسبعين ومائة وألف، رحمه الله

وغفر لنا وله آمين.

٣٦٧ - مَسَلَمَة ويقال له بسلمة وسلامة ابن السلطان الأدهم أبي عبد الله
محمد بن السلطان أبي محمد عبد الله ابن السلطان الأفخر أمير
المؤمنين بالمغرب الأقصى أبي النصر إسماعيل الجد الأعلى.

حاله: كان جوادا كريما لا يكبر في عينه شيء من متاع الدنيا وزينتها، آية
في السخاء وعلو الهمة، بطلا شجاعا، كريم الأخلاق والسجايا، أمه شهرزاد
العليجة، استخلفه شقيقه المولى اليزيد المترجم فيما يأتى لنا بحول الله ببلاد الهبط
والجبل، وأسند إليه تدبير أمور ثغور تلك الجهة، وفوض إليه في النظر في
مصالحها فأحبه أهلها لسلوكه فيهم مسلكا حسنا، ولذلك لما اتصل به نعى أخيه
اليزيد المذكور ودعا لنفسه بايعه أهل تلك البلاد ولم يتخلف أحد منهم عن بيعته،
واتفقت كلمتهم عليه، وذلك عشية يوم الجمعة ثاني رجب عام ستة ومائتين
وآلف.

وكان حامل راية بيعته أبو الحسن على بن أحمد بن الطيب الشريف
الوزاني، وتشيع له جروان ودخيسة وأولاد نصير وآية يمور - وكانت منازلهم
بسلفات - وبنو مستارة، وأهل جبل زرهون، وزمور، وزعير.

ولما تمت له البيعة وجه ولده الرشيد وجعفرًا لتطاوين بقصد إلقاء القبض
على عشعاش وذلك يوم السبت الموالي ليوم بيعته، ولما وصلا إليه أنزلهما وبالحق
في إكرامهما ونجا بنفسه ليلا إلى جبل العلم واستجار بضريح أبي محمد عبد
السلام بن مشيش، فرجع الولدان المذكوران لأبيهما وقصا عليه القصص، وفي يوم
الاثنين خامس الشهر ورد عليه قاضى تطاوين أبو محمد عبد السلام بن قريش
وفي معيته الشرفاء والفقهاء والأعيان فاهتبل بوفادتهم، وأكرم نزلهم ووصلهم
بصلات ضافية، وفي اليوم نفسه وردت عليه بيعة شفشاون مع قاضيها عبد الكريم
الوردیغی وأعيانها، ووفدت إليه القبائل الجبلية وأهل طنجة والعرائش والقصر

٣٦٧ - من مصادر ترجمته: إنحاف المطالع فى الموسوعة ٧/٢٥٤٣.

الكبير ووزان، ووجه له البيعة أبو الحسن على الوزانى المذكور، وأهدى له فرسا من عتاق الخيل وندبه للإسراع إلى العاصمة المكناسية.

ثم وجه المترجم من يقطع رأس محمد وعزيز، وسعيد بن العياشى، وغيرهما من قواد العبيد فلما سمع بذلك وعزيز المذكور وجه للشيخ التاودى ابن سودة بفاس يطلب منه أن لا يبايع أحداً من أولاد السلطان سيدى محمد بن عبد الله، فأجابه الفقيه المذكور لتأخير ذلك إلى أن تجتمع كلمة المسلمين، ويتفق أهل الحل والربط على إحضار أبناء السلطان المذكور، وينظرون لأنفسهم من يبايعونه منهم بالتسليم أو القرعة، وإلا فالأحق بها هو مولانا هشام الذى حارب عليها وقتل أخاه، وهو أيضا بالأرض التى مات فيها السلطان، ثم بعد هذا بدا لوعزيز المطيرى المذكور أن يبايع أبا الربيع سليمان وزيف قول الفقيه المذكور وذلك بعد موافقة رؤساء العبيد معه على البيعة للمذكور.

أما المترجم فإنه أقام بتازروت، وفى يوم الثلاثاء الثالث عشر من رجب ورد عليه أبو محمد التهامى بن الحسنى بالفرس الذى أهده أبو الحسن على بن أحمد وتولى أبو محمد التهامى المذكور كلمة المترجم وصارت كالوزير له.

وفى يوم الأحد حادى عشر الشهر نهض المترجم من تازروت بخيل أهل الريف وسفيان وبنى مالك والخلط وطلق وغيرهم، وفرق فى الأشراف وغيرهم نقودا ذهبية وخيم بينى عروس، ومن الغد ارتحل بعد أن التقى بالمرابط السيد هدى وسار إلى أن نزل بزيتونة بنى كرفط، ومن الغد ظعن لوادى المخازن ودخل القصر يوم الخميس الثالث والعشرين من الشهر وأقام فيه فريضة الجمعة، ويات يوم السبت بصرصر، ونزل يوم الأحد بأرجن، وفى يوم الاثنين دخل وزان وخيم بالظهر الطويل، وأعطى الشرفاء ألف دينار ذهباً وكساهم بالملف والحريز والكتان.

وفى يوم الجمعة تم الشهر جددت له البيعة بوزان على يد أبى الحسن على ابن ريسون وخطب به الفقيه أبو عبد الله محمد الرهونى فأعطاه نحو خمسين ديناراً، وأظهر الشعار الملكى هنالك ولعب البارود طلقاً على الخيل، وقبل هذا

اليوم وردت عليه بيعة كلعية، ووفد عليه البعض من برابر زمور وآيت يمور وعرب بنى حسن، وتجرد أبو الحسن بن أحمد لندب القبائل للعض بالنواجذ على بيعة المترجم وحثهم على ذلك وكتب بذلك للشاوية، وسَلَا، والرباط.

وأما محمد وعزيز فإنه صار يندب الناس لبيعة أبي الربيع، وكتب للرباط وسَلَا أيضا والقبائل البربرية وأهل مكناس والعييد وفاس وتازا وغير ذلك، فأجابوه لبيعة أبي الربيع وبايعوه، فصارت الدولة دولات والملوك وكذلك: مولاي هشام أمير مراكش، وأبو الربيع أمير فاس، والمترجم أمير وزان والجبال الهبطية وما والى ذلك.

وفى يوم السبت فاتح شعبان قدم بنو مستارة لصاحب الترجمة فرسا برسم الهدية وكذلك قبيلة دخيسة وأولاد نصير وآيت يمور وجروان، وفيه أيضا وجه القائد عمر الرحيوى البخارى للإتيان بعيال أخيه اليزيد من تطاوين وكذلك من بقى بها من نساء أبيه.

وفى يوم الاثنين ثالث شعبان وردت عليه خيل جروان وآيت يمور وأثنى عليهم بالشجاعة والثبات، وأمرهم بالتعرض لمحلة العبيد التى بقيت بعد وفاة أخيه اليزيد بمراكش، حيث بلغه أنها من أهل طاعته فليتركوها وليعززوها إلى أن تأتى إليه، فإن رأوا أنها تريد للحوق بأخيه أبى الربيع فلينهبوها، فإنها حاملة للانفاض والسلاح والمزارق وغير ذلك مما خلفه اليزيد، ومعها نحو الثمانين بغلة وعدد رجالها ما بين فرسان ورماة نحو الألفين، ووصلهم بنقود ذهبية والتزم لهم بأداء دية من هلك منهم، وغرم ما عسى أن يموت أو يتلف لهم من أفراسهم فأجابوه بالسمع والطاعة، وتوجهوا لما أمروا به يوم الثلاثاء رابع شعبان فوجدوا المحلة التى توجهوا من أجلها دخلت مكناسة يوم الاثنين ثالث الشهر.

وفى يوم السبت الثامن منه بلغ الرحيوى المذكور أنفا جبل الحبيب راجعا من

تطاوين بمن ذكر من النساء اللاتي توجه لأجل الإتيان بهن للمترجم، فتعرض له عشعاش الذي كان صاحب الترجمة همّ بالإيقاع به أول ما بويغ له ونزع منه ما أتى به من مال ومتمول وسلاح وبارود وثياب، وأعانته على ذلك الشرفاء أولاد مولاي عبد السلام بن مشيش، وذلك يوم السبت الثامن من شعبان المذكور، وفيه وردت عليه ثلاثمائة فارس من زمور الشلح مبايعين.

وفى اليوم نفسه اجتمع أهل العدوتين سلاً، والرباط بالزاوية التهامية بقصد المفاوضات فيمن يبايعونه من المنتصبين للملك، إذ المترجم كان قائماً بوزان وما والاها بما ذكر، وأبو الربيع سليمان بفاس ومن انضم إليهما، وهشام براكش ونواحيه، فوقع النزاع بين أهل العدوتين عبد الله بركاش مال لبيعة هشام محتجاً بأن أبناءهم تحت يده، وأنه قاتل على الملك حتى ظفر به، وأن كتابه يطلب مبايعتهم له سبق غيره فى الوصول إليهم، وبأنهم إن بايعوا سليمان أو مسلمة يقتل هشام أولادهم، وكانوا ثلاثين ما بين أهل الرباط وسلاً، فنازعه الحاج العباس مرينو وأبى إلا المبايعة لصاحب الترجمة، واحتج بكتاب أبى الحسن على بن أحمد الوزانى، فنازعه أولاد الرايس بكتاب من أبى عبد الله محمد بن عبد القادر يقول فيه: نحن أهل وزان ما بايعنا أحدا من سليمان ولا سلامة، وقال فقهاء أهل سلاً لبركاش: بايع من شئت، وحسبنا الإشهاد عليك، فأجابهم بقوله: لا نشهدوا على ولا أشهد عليكم، وأنتم فقهاء تحللون وتحرمون، فإن بايعتهم سلامة مكنونى من خط يدكم فإن ورد هشام فمكته منه ودونكم وإياه، أو قدم سليمان فكذلك، وكان فقهاء العدوتين يريدون سلامة إلا محمد الغربى الرباطى، فإنه كان يعزز بركاش فى رأيه، ثم اتفق رأى العلماء بعد أخذ ورد على البيعة لأول قادم عليهم من المذكورين، ثم وقعت إثر ذلك حيل وخدع لا حاجة بنا لذكرها وقد بسطها الضعيف فى تاريخه.

وفى يوم الأربعاء الثانى عشر من شعبان وجه المترجم ولده جعفرًا مع بنى مالك وسفيان وبعض بنى حسن والبعض من زمور الشلح وآيت يمور ووصلهم بنصف دينار لكل نفر، وكانوا نحو الألفين وأمرهم بالتعرض لبوعزة القسطالى وقطع رأسه، ولما وصلوا وادى بهت وجدوه دخل مكناسة.

وفى اليوم نفسه وجه أبو الربيع سليمان أخاه الطيب فى جيش لمطاردة الرشيد ابن المترجم، إذ كان يومئذ مخيما بزرهون مع آيت يمور يشن للغارات على الزراهنة الذين هم فى طاعته، وكان المترجم بعث للعييد الذبن خلفهم اليزيد محاصرين لسبته، وكان عددهم نحو الخمسمائة، ولما وافوه لوزان وجههم رداءً لولده الرشيد المذكور، وفوض الأمر لرئيسهم ابن على، وأعطاه بطائق مختومة بخاتمه يكتب فيها للقبائل بما يراه مصلحة وفى اليوم نفسه وجه المترجم ولده جعفرًا لإغاثة صنوه الرشيد بزرهون مع آيت يمور وزمور الشلح وبنى مالك وسفيان وبنى حسن وغيرهم، فأوقعوا بمحال المترجم شر وقعة ونسفوا أموالهم وبددوا جموعهم، وفروا إلى الريف ولحق المترجم بابنيه المذكورين وابن أخيه الحسن.

ثم بعد ذلك نهض إليهم أبو الربيع فى جنود جرارة لا قبل لهم بها، ولما التقى الجمعان على ضفة وادى سبو بالمحل المعروف بالحجر الواقف وقعت الهزيمة على المترجم وأنصاره فى أول غارة، فولوا الأدبار وتركوا جميع مقوماتهم غنيمة باردة لأبى الربيع، ويأثر ذلك وافى نساء آيت يمور وصبيانهم على الحضرة السليمانية متشفعين تائبين، وفى العفو عنهم راغبين، فعفا عفو قادر، ثم بعد هذا عسكر المترجم وسط بلاد الحياينة فتوجه إليه أبو الربيع وفلَّ جموعه ورجع الحياينة فى قيود الهوان والصغار يطلبون العفو والأمان، فأمنهم قال فى الجيش: ولم يبق مع المترجم إلا خاصته وولده وابن أخيه الحسن بن يزيد.

وفى يوم الجمعة الرابع عشر فرق على عرب الصباح صندوقين من جعاب
المكاحل الرومية وكساهم وولى عليهم أحد أتباعه يسمى العياشى، وفى اليوم نفسه
وقع هرج ومرج برباط الفتح حيث إن بركاش المذكور رام أن يخطب بهشام والحاج
العباس أراد الخطبة بالترجم، وآخر الأمر لم ينفذ مراد واحد منهما، وصلى الناس
الجمعة ظهراً، وكثرت الأهوال، وفسدت الأحوال، واضطربت الأمور، وتخرجت
الصدور، وأصبحت الدوائر على المترجم تدور؛ وقت فى عضده فخلع نفسه وقد
كان فرق فى الأشراف وغيرهم نحو السبعين قنطاراً.

وفى ليلة السبت الثامن والعشرين من شعبان عام ستة ومائتين وألف، خرج
وزان ناجياً بنفسه، حيث رأى أن شوكة أخيه سليمان قد بلغت الغاية فى الشدة،
وكانت دولته بوزان نحو شهرين، ونفوذه سائر فى القبائل الجبلية وأهل الفحص
وما والى ذلك من الثغور.

ثم لم تزل أيدي التغريب والنوى تلعب به إلى أن رحل إلى الحج ودخل
مصر وأقام بها مدة، ثم توجه إلى مكة فنزل على سلطانها صهره على أخته، ثم
عاد إلى مصر، ومنها توجه إلى تونس فعظم أميرها حمودة باشا شأنه وأكرم مثواه
ونزله ورتب له جراية كجراية ولى عهده، وبقي بتونس معظماً مكرماً، وتزوج
عقيلة من بيت الشيخ القصرى أولدها ذكراً توفى صغيراً.

قال فى تعطير النواحي: زار المترجم إمام عصره الشيخ أبو إسحاق الرياحى،
ولما أراد الخروج قال له: لا أسرحك فى حر الشمس، وألزمه أن يتغدى معه، ولما
أراد الشيخ الرجوع عشية أنشد للمترجم.

ولما نزلنا فى ظلال بيوتكم أمنا ولننا الخصب فى زمن المحل
ولو لم يزد إحسانكم وجميلكم على البر من أهلى حسبتكم أهلى

فقال له المترجم: إنك إن أتيت أخى مدحته وأجازك وهو سلطان، وأنا غريب وكان بإصبعه خاتم ثمين فتزعه من خنصره وناوله الشيخ فأخذه الشيخ وضمه إلى صدره وأنشد:

نظرت لخاتم قد جل قدرا تحف به الخلافة والكرامة
فقلت له شرفت وأى فضل حويت بلبس مولانا سلامة

وقال له: إن خاتمك شريف، والشريف لا يستعمل، وقد أجازنى أخوك فى الدنيا وجائزتى منك فى الآخرة، ووضع بين يديه فامتنع مولانا سلامة من قبوله، فقال له الشيخ: لا تحرمنى من جائزة الآخرة، فهى خير وأبقى والأعمال بالنيات فتركه الشيخ بين يديه، وخرج. رحم الله تعالى الجميع.

ثم بعد هذا عاد إلى المشرق ولم يزل يتردد به إلى أن وافته منيته.

هذا ملخص ما للزيانى، والضعيف، والجيش مع ترتيب، وتحرير وتهذيب، يظهر للقارئ المنصف بمراجعة الأصول.

وكان ختم أنفاسه بتونس بعد أن اعتراه شبه اختلال، وأقبر بزواية أبى الحسن على عزوز قرب سوق البلاط، على ما أخبرنى به صاحب التعطير صديقى الحميم الشيخ عمر الرياحى التونسى حفيد الشيخ أبى إسحاق إبراهيم المذكور آنفا.

وقال أبو العباس أحمد وابن أبى الضياف التونسى فى تاريخه: إن مولاي مسلمة خرج من المغرب إثر خلعه وجاب الآفاق وأقام مدة بالديار المصرية، واجتمع فيها بنابليون الأول ووقعت بينهما المهادت، وكان هذا الشريف منصفا يذكر ما شاهد من حزم نابليون وشجاعته وثقوب فكره وإخباره بما آل إليه حال المسلمين وأسبابه من الانغماس فى النعيم والتفنن فى الحضارة واستعمال السرف؛ فى مذاهب الترف، حتى إن أثقال أمراء الجيوش توازى أثقال الجيش أو معظمه،

والحال أن بيت هذا الأمير تحتوى على فراش منامه وموضع جلوسه وأمامه مائدة عليها دواة وقراطيس وأرائك لجلوس من يأتيه لا غير .

قال : واتفق أن يوم قدوم هذا الشريف الشيخ على الباهى بحلق الوادى فقال للكاهية : عجل بإرسال الشوانى لتزول الشريف فوراً ، فقال له نتوقف فى ذلك على إذن خاص من الباي ، فقال له : أنا رسوله إليك فى هذا الشأن وأتى الشيخ الباهى إلى الباي بباردو - وكان مقرباً عنده - فقال له : إنى افتت عليك فى أمر يزيدك فخراً ، وقص عليه الخبر ، فقال له : اشكر الله حيث لم يكن الأمر بالعكس ، فشكر صنعه وعظم مقدم الشريف وأكرم نزله ورتب له جراية كجراية أخيه ، وعين له منزلاً ، وبقي بتونس معظماً مكرماً مرموقاً بما يجب لمقامه الدينى والدنيوى ، وتزوج عقيلة من بيت الشيخ القصرى أولدها ولدا وتوفى صغيراً .

قال : وله فى الإيثار والسماحة أخبار ، ثم اعتراه فى آخر عمره جذب احتقر به مقام السلطان والدنيا القليل متاعها الفانى ، فكان يأخذ من الأغنياء ويناول الفقراء ، إلى أن لبي ربه للدار الآخرة ، بهذه الحالة الفاخرة .

وفاته : قال ابن أبى الضياف : إنه توفى فى منتصف جمادى الثانية من عام خمسين ومائتين وألف ، ودفن بزاوية سيدى على عزوز ، بالحاضرة بموكب شهده الديوان والأعيان كجناز ملك الحاضر رحمه الله .

٣٦٨ - مسعود الموقت ابن العلامة المشارك أبى محمد عبد القادر الطليطى الأندلسى .

الفاسى داراً نزيل مكناس وموقت جامع قصبته السلطانية .

حاله : خير دين فاضل ، نزيه وجيه له الباع الطويل العريض فى التوقيت ،

٣٦٨ - من مصادر ترجمته : نشر الثانى فى الموسوعة ١٨٢٧/٥ .

تولى رئاسة التوقيت بمنار القرويين، وبقي بها سنين عديدة، ثم نقله السلطان إلى مكناسة الزيتون، وولاه رئاسة توقيت جامع قصبته.

مشيخته: أخذ عن مشايخ فاس، وحصل التوقيت على الحافظ أبى زيد الفاسى.

وفاته: توفى بفاس سنة أربع ومائة وألف.

٣٦٩ - مسعود بن جلون.

القاطن بمكناسة الزيتون، ترجمه الزبىدى فى سلوك الطريق الوارية.

حاله: قال فى سلوك الطريق فى حقه: المرابط الأرضى، الخير الناسك الخامل، المتجرد المحب، إلى أن قال: كان رحمه الله سنيا، ذاكرا محبا صادقا، ذا أخلاق كريمة، وتواضع لله وللعباد، وخشوع وخضوع، ممن تعتربه الأحوال، وتظهر عليه ذو وجد وغيبة، يخبر عن أشياء فى حال سكره، وينكر فى حال صحوه، وكان متقشفا متجردا عن الدنيا وأهلها، لا يفتر لسانه عن ذكر الله، زوّاراً للصالحين الأحياء منهم والأموات، وله خبرة بمقابرهم، حتى كان رحمه الله ما دخلت مكناسة قط فى حياته وسلمت عليه إلا وقبضنى من يدى فى الحين، ويمر بى ويطوف بى على جميع من بمكناسة داخلها وخارجها من الأموات والأحياء، ولا يفارقتى مدة مقامى هناك ليلا ولا نهارا، وإذا ورد علينا لفاس لا يلتفت حتى يصل إلى دارنا وينادى علىّ، فإن وجدنى وإلا فيقول لأهل الدار: إذا جاء قولوا له: إن مسعودا جاء ساعيا بأبوابكم، وكان يعتمد الشيخين مولاي التهامى، وأخاه مولاي الطيب الشريفيين اليملاحيين الوزانيين رحمهما الله ورضى عنهما.

مشيخته: أخذ عن مولاي التهامى، وأخيه مولاي الطيب المذكورين.

وفاته: توفي بمكناسة الزيتون عام تسعة وستين ومائة وألف، كذا في سلوك الطريق الوارية.

٣٧٠ - مسعود البريشي.

حاله: كان متوليا خطة النيابة عن القاضى بالحضرة المكناسية، وقفت على رسم مؤدى عليه بتاريخ خامس عشرى حجة عام عشرين ومائتين وألف، محلى فيه بنائب قاضى الجماعة بالحضرتين فاس ومكناسة.

٣٧١ - المهدي الزريهني بالتصغير.

جد بنى الزرهوني بفاس وهم بربر من جبل زرهون.

حاله: شيخ فقيه صالح، خير متمسك بالدين، وأولاده فقهاء صلحاء، ذكره بعضهم فى تأليف له فى بيوتات فاس فى القديم، وكذا الشيخ أبو زيد الفاسى فى تأليف له فى ذلك، وهو أول قادم على فاس من زرهون، وانظر هل هو القاضى الزريهني الذى كان بفاس وكان صلبا فى الحق معاصرا لأبى الفضل راشد الوليدى، وأبى الحسن الصغير والله أعلم، ولم أحفظ تاريخ وفاته، بيد أنه مات بفاس.

٣٧٢ - المهدي بن عبد المالك بن إدريس بن عبد المالك بن المنتصر بن

السلطان الأعظم سيدنا الجد مولانا إسماعيل.

حاله: فقيه علامة مشارك، مطلع سياسى ناقد خبير حنكته التجارب، عارف بالأمور بصير بالعواقب، مهذب الأخلاق لين العريكة، محاضر فاضل، نبيل ذكى زكى، كريم النفس، عالى الهمة، وقور هيوب، اجتمع فيه من العلم والفضل والدين والشعور ومكارم الأخلاق وحسن العشرة ما افترق فى غيره من أبناء

٣٧٢ - من مصادر ترجمته: إتحاف المطالع ٧/ ٢٦٢١.

عصره، صاهره سيدنا الجد أبو زيد السلطان مولانا عبد الرحمن بن هشام بابتته الدرّة المصونة السيدة زينب، وكان له لديه جاه ووجاهة، ثم جاء من بعده ولده السلطان سيدي محمد فزاده حظوة على حظوة، واصطفاه لمجالسته ومشاورته والمفاوضة معه في المهمات، وكان لديه مستودع سره يتيامن بأرائه لما يعلمه من فضله ودينه وأمانته، ولم يزل محبوبا مبجلا منظورا إليه بعين الإكبار والرعاية إلى أن لبي الداعي، وانتقل لوطن الرحمة محمود المساعي.

مشيخته: أخذ عن فطاحل علماء وقته، ولازم العارف بالله مولاي عبد القادر العلمي، وانتفع بأسراره ومعارفه، وظهرت عليه بركته ولا كظهور شمس الظهيرة.

وفاته: توفى ببلده محروسة مكناسة الزيتون عام ثمانية وسبعين بموحدة بعد السين ومائتين وألف، ودفن بضريح أبي العباس أحمد الشبلي الولي الشهير قرب دار سكناه.

٣٧٣ - المهدي الكحاك.

من أولاد الكحاك من أهل فاس الإدريسية المستقرين بمكناسة الزيتون.

حاله: رأس المترسلين، وصدر الكتاب المعبرين، قال أبو عبد الله محمد بن الطيب بن عبد السلام القادري في الأزهار النادية لدى تعرضه لذكر المترجم ما لفظه: خدم السلطان مولانا عبد الله بن مولانا إسماعيل إلى أن سار إلى سوس، ثم خدم بعده أخاه السلطان مولاي المستضيء بالله ابن مولانا إسماعيل، ثم اتصل بخليفة العصر أمير المؤمنين سيدي محمد بن عبد الله الحسني، فكان صدرهم، يحسن الإنشاء في الترسيل ويجتنب الفضول والتوغل في التصريف، ولا يتكلم إلا فيما يؤمر به مشتغل بما يعنيه، يطلب من الرزق ما يكفيه، ولا يطمع في أحد

سوى السلطان، على الهمة متعفف، ثقة كتاب العصر، يحب الخمول، هذا دأبه، إلى أن توفي بمكناسة الزيتون.

وفاته: توفي عام ثمانين ومائة وألف.

٣٧٤ - المهدي بن العلامة الخير الدين أبي محمد الطيب بن الصغير بصري.

المكناسي النشأة والدار.

حاله: فقيه علامة عامل مشارك، محرر تحرير، متبحر نقاد متفنن، نبيل جليل، مدرس نفاع.

مشيخته: منهم السيد محمد فتحا بن محمد بصري صاحب الثبت المذكور فيما مر وغيره، أخذ عنه الألفية وبعض مختصر خليل، وبنض الأجرومية، وصغرى السنوسى.

وفاته: توفي يوم الاثنين موفى عشرين من جمادى الأخيرة عام ثلاثة وتسعين ومائة وألف.

٣٧٥ - المهدي قاضيهما شيخ شيوخنا أبو عيسى ابن الطالب بن محمد فتحًا

ابن محمد الرضا بن أحمد بن محمد فتحا بن محمد بن عبد الرحمن

ابن حمدون بن عبد الله بن القاضى على بن أبى القاسم بن القاسم.

أول قادم لفاس من غرناطة على عهد أبى عنان.

حاله: شيخ الإسلام، وحجة الأنام، بحر علم زاخر لا تكدره الدلاء، ولا يدري له أول ولا آخر بين السراة الألباء؛ إمام الفقه والحديث والسير والأصول والفروع، متفرد فى المعقول والمنقول، ذو عارضة طويلة عريضة، وأبحاث دقيقة،

٣٧٤ - من مصادر ترجمته: إتحاف المطالع فى الموسوعة ٧/ ٢٤١٥.

٣٧٥ - من مصادر ترجمته: إتحاف المطالع فى الموسوعة ٧/ ٢٦٥٧.

ومشاركة كاملة فى سائر الفنون، ضابط متقن، راوية ذرب اللسان، ثبت الجنان، سياسى ماهر، مطلع خبير بصير بالعواقب، حامل لواء التحقيق فى زمانه، مشار إليه بالبنان بين أقرانه، درس العلم بأقطار المشرقين والمغربيين فأجاد وأفاد، وخلد الثناء عليه فى الأغوار والأنجاد، وكان شيخ مجلس السلطان العادل سيدنا الجد مولاي عبد الرحمن بن هشام، ثم السلطان سيدى محمد، ثم السلطان مولاي الحسن فى صحيح البخارى فى الأشهر الثلاثة رجب وشعبان ورمضان.

رحل إلى الحج ثامن ربيع النبوى عام تسعة بتقديم المشناة وستين ومائتين وألف فحج وزار، ولقى هنالك جماعة من الفضلاء والأخيار، ودرس بمصر والحرمين، وأقر له بالفضل والتقديم دون مين، ووقع له هنالك ظهور كبير، أخبر به الجم الغفير، وقد مدحه غير واحد من أعلام تلك الأصقاع، فمن ذلك ما مدحه به الشيخ إبراهيم بن سراج الدين الإسكندراني وذلك فى ٢٥ ربيع الثانى عام ١٢٧٠ من جملة قصيدة طويلة:

فسبحان من أمضى على الجور حكمها
وجدد بالمهدى ما كان أخلقه
همام له فى صولة البحث مدرك
به أنطق الدين الحقيق ومنطقه
وما مدحه به الشيخ حسن بن الحاج على اللقانى فى جمادى الأولى عامه.

أفاتكة الأحاظ مائة القد
أضلتك عن نهج الهداية والرشد
إلى أن قال:

أم الدين والدنيا أشارا وأشرقا
فهل هذا روح الله أم قدم المهدي
همام له فى الفضل والعلم والعلا
خصائص قد جلت عن الحصر والعد
هو البحر بحر العلم والحلم والتقى
وكشاف ما تخفى العبارة عن قصد

وهى طويلة طنانة مشبوة بخطه فى كناشته كسابقتها ولاحتتها .

وما قاله فى حقه الشيخ محمد محمود أفندى الإسكندرانى من قصيدة رائقة

طويلة :

إن يكن فى الهوى صدودك حظى لا تدع للوشاة منك نصيبا
خل قوما هم الغواة فلانى قد رأيت المهدى فىنا قريبا
قام فىنا للدين ركنا حصينا وتغلى للعلم صدرا رحيبا
قرشى عنه سمعنا حديثا فرأينا من الحديث عجيبا

ثم رحل ثانية إلى الحج فى معية أنجال السلطان المقدس مولاي عبد

الرحمن، وهم: موالينا على، وإبراهيم، وجعفر، وعبد الله، وابن عمهم أبو بكر

ابن عبد الواحد بن محمد بن عبد الله فبارحوا مكناسا يوم الاثنين خامس رمضان

من عام ١٢٧٤، ودخلوا مصر فى ١٢ شوال، وخرجوا منها فى تاسع ذى القعدة،

فدخلوا مكة يوم الجمعة ١٧ قعدة، ودرس بها قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَدْخُلُ الَّذِينَ

آمَنُوا... ﴿٢٣﴾ الآية ووقف على قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُدَافِعُ عَنِ الَّذِينَ آمَنُوا...

﴿٢٨﴾ [سورة الحج ٢٣-٢٨] ومن ليلة الأحد سابع ذى الحجة توفى نجل

السلطان مولانا إبراهيم ودفن بالمعلى، بجوار مولاتنا خديجة، ثم رحلوا من مكة

ودخلوا المدينة سادس المحرم فاتح عام ١٢٧٥، ثم أعادوا الرجوع، فبلغوا إلى

الحضرة الملوكية بمكناس . أواخر صفر، وما جاء فى الاستقصا من أنهم لحقوا

بالأمير بمراكش سبق قلم، والحق ما نقلناه من خط المترجم مخبرا عن نفسه .

وقد عد فى كناشته حسبما وقفت عليه بخطه عدد المراحل التى قطعوها

وبعض الوقائع التى لاقوها فى طريقهم، وسمى شيوخ الأزهر الذين فرقت عليهم

صلة السلطان على اختلاف مذاهبهم وطبقاتهم بعد أن عين للطبقة الأولى ثمانية

وأربعين ريالاً، وللثانية خمسة وأربعين، وللثالثة اثنين وأربعين رها نص أسمائهم طبق ترتيبهم:

الطبقة الكبرى من المالكية خمسة وعشرون نفراً، وهم: الشيخ محمد عليش، الشيخ محمد المصوري، الشيخ محمد كموة، الشيخ أحمد منة الله، الشيخ عمر فتح الله، الشيخ بوشتي التثائي، الشيخ عيسى الغزولي، الشيخ عمر البرطوسي، الشيخ حسن العدوي، الشيخ عبد الغنى المكواتي، الشيخ منصور كساب، الشيخ أحمد الإسماعيلي؛ الشيخ علي الطهولي، الشيخ عيسى مرزوق، الشيخ ظفر الدسوقي، الشيخ محمد الحداد، الشيخ محمود بن الشيخ عليش، الشيخ محمد رايح التونسي، الشيخ عبد الله عليش؛ عبد المنعم الجرطاوي، الشيخ محمد قطة، مصحح الطبع الشيخ محمود الفيومي مكرم، الشيخ عبد الله الدسوقي.

الطبقة الثانية من المالكية عددهم ٢٢: محمد الصاوي، محمد البساطي، محمد السنهوري، محمدى أبوهر، إبراهيم دقيس، منصور المناوي، محمد بن شهاب، إبراهيم النائمى، عبد الرحمن عليش، محمد الشماخ، محمد النظراوى، محمد الحفناوى، محمد هلال، أبو الحاج علي، سليمان الصفن، عيسى البولاقى، عبد القارى المازنى، محمد الكوفى، إبراهيم الدسوقي، أحمد السمخراطى، محمد الناصرى، محمد العدوى.

الطبقة الثالثة من المالكية عددهم ٣٥: محمد الجزيرى، محمد الشعبوتى، محمد نقموس، محمد العبادى، حسن داود، أحمد الشريف، عبد الفتاح المطيع، سليمان الخونكى، على شعبان، سليمان البولاقى، إسماعيل الخمرى، مضر ناظر المساكين بمسجد أبى العباس بن طولون، عبد الله الطحاوى، محمد اللقانى، أحمد العطار، عبد الله المكارى، معتوق الفيومي، على الفيومي، محمد الكاوى، الموقت، محمد الأنجباوى، عبد الرحمن الفيومي، أحمد كبره، إبراهيم التونسي، محمد الفاسى، محمد الأيوبى، يوسف الطحاوى، محفوظ العدوى، أحمد

المسلاتي، عبد اللطيف الطهولي، الشيخ عرفة، رزق مجلس، على المصرعاوي،
عبد القادر المتحى.

الطبقة الأولى من الشافعية: الشيخ إبراهيم الباجوري، الشيخ إبراهيم
السقاظي المسلط، ظفر الذهبي، عبدة اللقاني، محمد الابراستي، أحمد أبو
مصلح، محمد الختاني، خليفة القشني، عبد الله النبراوي، السيد أبو عماشة،
محمد الطوخي، يونس البوهي.

الطبقة الثانية منهم: عيسى البلتاني، علي المخلاسي، إبراهيم الزور، محمد
الأشموني، محمد العشماوي، محمد الدفلاوي، محمد الحطمي، نور الدين مسرا
بيردي، عبد الرحمن القيانى النجريدى، إسماعيل الكلاوي، محمد القلماوي،
حسن المرصفي، محمد السبكي الطحاوي، عبد القادر القبشلي.

الطبقة الثالثة منهم: أحمد راضي، سيد الشرشمي، محمد عميرة، حسن
شخيخة، مصطفى عز، عبد الحى عبد اللطيف الشامي، محمود الغري، فتوح
الشجري، أحمد الغربي الشرقاوي، محمد الأنباني، محمد مليحة، أحمد
الحماقي، فيروش الدمهورى، على المناوى إمام الحسين، محمد البلقامي، ظفر
الأشراقى، عبد الله الكفراوى، أحمد الأجهورى، أحمد المرصفي، عبد النبي
البرديني، على الأسيوطى، صالح اليحياوى، إبراهيم الشجليقى، إبراهيم
الشافعي، سليمان الخواجة، محمد التيني خضر.

الطبقة الأولى من الحنفية: محمد العباس، المهدي الدافعي الطرابلسي،
محمد القطب، ظفر القرسي، إسماعيل الحلبي، عبد الرحمن البحراوى، علي
البلقى، عبد الحميد شيخ الأتراك.

الطبقة الثانية منهم: أحمد أبو العز، سليمان الخلفاوى، عبد المطلب إبراهيم
الربعي، حسن الخليلي، وهبة الأسيوطى.

الثالثة منهم: عبد العظيم الطحلاوى، عبد القادر الرافعي، إبراهيم القطب،
عبد الوهاب السليماني، يوسف أفندي العاجز، أبو العلاء الخلفوى.

من الخنابلة الطبقة الأولى منهم: عبد الرحمن الحنبلي انتهى لفظه.

وفى أوائل صفر عام اثنين وسبعين ولى قضاء بلدنا مكناسة الزيتون، وبقي واليا بها إلى أن نقله الله، ومع ما كان عليه المترجم من الحظوة والجاه، فقد كان كثير التنصل من توليته خطة القضاء، فقد وقفت على عدة مكاتب بعث بها إلى جلالة السلطان يطلب الإعفاء من الخطة ويعتذر بشدة رغبته فى التأليف والتدريس مع كبر السن، فلم يجب إلى رغبته لما عرف به من العدل والاستقامة والصرامة فى الحق.

فمن ذلك مكتوب بعث به إلى الوزير الطيب بو عشرين بتاريخ ٢٩ شوال عام ستة وسبعين ألح فيه كثيرا وأكثر من الاستعطاف، ومكتوب آخر بعث به إلى المذكور أيضا لم يدع بابا من أبواب الالتجاء إلى الأعتاب الشريفة إلا وكّجه، ومع ذلك قدمت جلالة الشريفة حقوق الأمة على حقوقه رحمه الله رحمة واسعة.

مشيخته: أخذ عن العلامة سيدى عبد السلام الأزمى التوفى يوم الأحد عاشر شعبان عام واحد وأربعين ومائتين وألف وهو عمدته فى المعقول، وعن السيد عبد القادر الكوهن المتوفى بطيبة الطيبة عام ثلاثة وخمسين ومائتين وألف وهو عمدته فى الفقه، وعن سيدى محمد الحراق وهو عمدته فى التفسير والحديث، وأجازة الثلاثة عامة، وعن سيدى على بن إدريس قصارة أخذ عنه النحو والحساب والعروض، وعن سيدى بدر الدين الحمومى، وشيخ الجماعة السيد محمد بن عبد الرحمن الفيلىانى وغيرهم.

الآخذون عنه: أخذ عنه بمصر الشيخ عليش، والشيخ عبد الهادى نجا الأييارى، وبدمشق الشيخ دكدوك، وبفاس أخوه السيد أحمد قاضى مكناسة من بعده، والحاج محمد جنون صاحب اختصار الرهونى، وشيخنا أبو العباس بن الخياط الزكارى، وشيخنا السيد العباس بن أحمد التازى، والعلامة سيدى جعفر الكتابى، والقاضى السيد حميد بالتصغير بنانى، وخلق وبمكناس السيد فضول ابن

عزوز، والسيد فضول السوسى، وابن الجيلانى السقاط، والسيد المختار الأجرأوى،
والسيد محمد الهويج وغيرهم.

مؤلفاته: حاشية على السلم فى المنطق وحاشية على رسالة العضد، وشرح
على الهمزية، وحاشيتان على الخرشى، وحاشية على المحلى على جمع الجوامع،
وحاشية على صحيح البخارى، وحاشية على السعد، وتقاييد كثيرة فى أوضاع
مختلفة.

شعره: من ذلك قوله داعيا ربه بتيسير الحج له ولإخواته:

يا ربنا يسر لنا المحجة لبيتك العتيق كى نحججه
بالمال والصحة والهناء ورفقة طيبة الشناء
يدعوك ربي أحمد والمهدى وعمر متعمهم بالقصد

وقد استجاب الله دعاءه فحج جميع من ذكر.

وقوله معتذرا وقد استدعاه السلطان الأعدل سيدى محمد بن عبد الرحمن
قدس سره، للخروج معه فى بعض أسفاره، وذلك فى ربيع الأول عام أربعة
وثمانين ومائتين وألف بواسطة وزيره السيد الطيب بن اليمانى حسبما ذلك بخط
يد المترجم فى كناشة له ومنها نقلت:

بلغت سنين فقل البصر وأثقل فكرى وعظمى الكبر
وبان المنام وجمع الملاذ فماذا أؤمل ما المنتظر
وأترابنا قد مضوا جملا فكانوا كطيف بدا فغبر
وأنت الإمام الرؤوف الشفي ق بكل الورى وجميع البشر
فكيف بمن عمره معكم مضى فى الحديث وآى السور

وهذا شفيع عظيم فجد على من بدا عجزه فاعتذر
بقيت مشيداً لدين الإله ومنك ينال المنى والوطر

ولادته: ولد سنة عشرين ومائتين وألف بالحضرة الفاسية.

وفاته: توفى عن ثلاث وسبعين سنة عشية يوم الخميس رابع رمضان عام
أربعة وتسعين ومائتين وألف، ووافق أن كان أول يوم من شتنبر، وصلى عليه من
الغد بعد صلاة العصر بجامع القرويين، ودفن برحبة الزيب بمحل اتخذ له زاوية
بين مسجد عقبة الزرقاء المعلق الأسفل والمكتب الكائن أسفل منه.

٣٧٦ - المهدي بن علي الإسماعيلي.

الشريف الأصيل، نزيل أبار من تافيلالت.

حاله: ولي صالح، مكاشف فالح، ذو وجهة ودين متين، وأسرار ظاهرة،
وأنوار باهرة، واستغراق في بحار المحبة الإلهية، والذات المحمدية، كثير التفكير
والعبادة، دائم السكوت إلا لأمر بمعروف أو نهى عن منكر أو إبداء حكمة، يخبر
بما كتته الضمائر، تواترت عنه كرامات، وخوارق عادات.

امتحن أيام السلطان مولانا عبد الرحمن بالسجن في قيود الحديد في دار
مكناسة أياما عديدة لأسباب كانت في الكتاب مسطورة، فكان يراه بعض الناس
يحضر الجمعة بالمسجد الجامع والحال أنه مثقف عليه قيود الحديد، وإذا حان وقت
الصلاة نزع القيد عن رجله وكان إذا مشى الهوينا لا يماشيه المهول، حدثني غير
واحد ممن وثقت بخبره من أهل بلدنا ممن كان يحرسه مدة اعتقاله أنه دخل يوم
جمعة حين حان وقت الصلاة على المترجم فوجد القيد مطروحا ولم يجد المقيد
والحال أن الحرس بالباب، فتحير واشتد خوفا من العقوبة المحزنة التي تلحقه

٣٧٦ - من مصادر ترجمته: إتحاف المطالع في الموسوعة ٧/ ٢٦٦٤.

حيث يعتقد فيه التفريط، فرجع للباب وجلس في حيرة عظيمة فبينما هو يضرب
أخماسا في أسداس إذ سمع نحنة المترجم بالمحل، فدخل فزعا فوجده مقيدا،
فقال له: مالك أخي حتى الصلاة مع الناس تركها إلى غير هذا مما يطول.

ولما شاعت وذاعت في الناس كراماته سرحه الأمير المذكور، وأبدى له
أعداره وطلب مسامحته، فسامحه على أنه لم يؤثر فيه ذلك شيئا، وحدثني بعض
أهل العدل الأعلام أنه أي المترجم كان يدعو للسلطان المذكور فقيل له: كيف تدعو
له وهو قد فعل بك كيت وكيت؟ فأجابه بقوله: كيف لا تدعو ان كان السبب في
ربحك وفلاحك.

وبالجملة فقد كان المترجم كعبة خير وفضل وصلاح وفلاح، يطوف حولها
أئمة الدين، وحملة شريعة خير العالمين، لاستصباح قلوبهم من فيض أنوار
هديها، منظور إليه بعين الإكبار، والإجلال والاعتبار، معتقدا عند العامة
والخاصة.

فلقد كان الشيخ القدوة الحاج محمد جنون كثير الإنكار على أهل الدعوى
من المتصوفة شديد الشكيمة في الله، ومع ذلك فلم يسعه غير الإذعان والخضوع
والإقرار والاعتراف بفضل صاحب الترجمة، فكان إذا حل بفاس لا يتقاعد عن
تعاهد زيارته ومن ذلك ما عاينه تلميذه أبو العلاء المولى إدريس الفضيلى العلوى،
قال: رأيت - يعنى شيخه - جنونا يوما وقد دخل على صاحب الترجمة وحوله
جمع عظيم يناهز المائة نسمة ما بين أشراف وعلماء وغيرهم، قال: وشيخنا رحمه
الله محتبى بين يديه مطأطئ رأسه بعد أن احتبى حبات بين يديه، فلما رفع رأسه
- أعنى صاحب الترجمة - طلب منه صالح دعائه فدعا له بخير وانتفع رحمه الله
بدعائه.

وفاته: توفى بسجلماسة أواخر شعبان أو أوائل رمضان عام ستة وتسعين
ومائتين وألف، ودفن بداره بأبار، إذ قد تنازع بعد وفاته في مدفنه أهل تلك

البلاد، ثم أقرعوا فخرجت القرعة أن يدفن بقصره المذكور، وبنيت عليه قبة عظيمة، وله الآن هناك شهرة كبيرة، ولا تجد إلا من يلهج باسمه بتلك الأقطار رحمه الله ورحم به.

٣٧٧ - المهدي بن فضول بصرى.

حاله: شاب نشأ في عبادة الله فقيه نجيب وجيه، فاضل نزيه، حسي أريحي، مهذب طلب العلم ببلدة مكناسة ثم رحل لفاس بعد العشرين من هذا القرن، واستقر بمدرسة الشراطين من فاس، ولازم الأخذ عن شيوخها حتى فتحت له النجاة بابها ثم رجع لمسقط رأسه.

مشيخته: أخذ عن شيوخنا الجللة كالقاضي ابن عبد السلام الطاهري، وأبي عبد الله بن الحسين العرائشي، والسيد الحاج المعطى بن عبود، وسيدى الفاطمي الشراذي، ومولاي عبد الله الفضيلي، وسيدى محمد بن قاسم القادري، وأبي العباس أحمد بن الجيلاني، وأبي العباس ابن الحياط الزكاري وغيرهم.

وفاته: توفي في بلده مكناس عام أربعة وعشرين وثلاثمائة وألف.

٣٧٨ - موسى بن محمد بن معطى العبدوسى وبه عرف أبو عمران.

حاله: علامة محصل، ناقد خبير متضلع، نقاد مشارك، مفت مدرس نفاع، انتهت إليه رئاسة العلم والفتيا في زمنه، آية في المدونة، وكان الشيوخ يقولون: فقهاء العصر على ثلاثة أقسام: من أعطى الحفظ فقط، ومن أعطى الفهم فقط، ومن جمعا له وهو سيدى العبدوسى.

٣٧٨ - من مصادر ترجمته: «جذوة الاقتباس ١/٣٤٦»، شرف الطالب في الموسوعة

٢/٦٤٨، كفاية المحتاج ٢/٢٤٩، نيل الابتهاج ٢/٣٠٠، وفيات ابن قنفذ - ص ٣٦٩.

قال ابن الخطيب القسطنطيني فيه: شيخنا ومفيدنا طريقة الفقه، الشيخ الحافظ، مجلسه بفاس أعظم المجالس، يحضره الفقهاء والمدرسون والصلحاء وحافظ المدونة يحضره من نسخها بيد الطلبة نحو أربعين، وله إدلال عجيب في إقراء التهذيب، سمعته يقول: لى أربعون سنة نقرأ المدونة، وفي عام وفاته وقف قارئ الرسالة على باب الجنازة فكره ذلك الطلبة وأرادوا الزيادة ففهم وقال لهم: كرهتم الوقوف على الجنائز، والسله لا أقف إلا عليها، فوقف القارئ، وتوفى الشيخ تلك السنة وقال: كان له فى الفقه مجلس لم يكن لغيره فى زمانه، لازمته فى المدونة، والرسالة بفاس ثمان سنين، وكان يعظم الشيخ أبا يعزى، ويحكى عنه فى باب زكاة الحرث أنه يخرج للضعفاء تسعة أعشار صابته ويتمسك بالعشر، ويقول: من سوء أدبى أن أخرج العشر وأتمسك بتسعة أعشار.

مشيخته: أخذ عن عبد العزيز القورى، وأبى زيد عبد الرحمن الجزولى الذى ينسب إليه شرح الرسالة المتوفى فى حدود أربعين وسبعمائة، وهو عن الفقيه راشد كما أخذ المترجم عن غيرهما من حفاظ المذهب المالكى.

الآخذون عنه: منهم الإمام ابن عباد، وأبو حفص الجراجى، وأبو عبد الله الهوارى، وابن الخطيب القسطنطينى، والحافظ عمران بن موسى الجاناتى وخلق.
مؤلفاته: له تقييد على المدونة، وآخر على الرسالة، وقيد عنه الحافظ الجاناتى التقييد البديع على المدونة فى عشر مجلدات.

وفاته: توفى بمكناسة الزيتون كما فى الجذوة سنة ست وسبعين وسبعمائة - بتقديم السين على الموحدة فيهما - ورمز لوفاته صاحب الإعلام، بوفيات الإعلام، بلفظ (وعست) من قوله:

وجده موسى أبو عمران فى (وعست) وفاته الأقران

٣٧٩ - موسى العزاف.

حاله: صالح عارف كامل، له قدم عال في التقشف والصبر على سلوك سبيل الخير والمثابرة على فعل الأوامر واجتناب النواهي، أظهر الله على يده كرامات وخوارق عادات، ذكره العلامة المؤرخ الأديب أبو عبد الله محمد بن أبي بكر الحضرمي في كتابه السلسبيل العذب والمنهل الأجل، المرفوع للخلافة العزيزة - يعني المرينية - التي لا تزال مناقبها على مر الدهور تتلى، في سلك من تحلى سلكم في الأربعين في الجبل جيل فاس ومكناسة وسلاً، وذكر له كرامات. مشيخته: أخذ عن الشيخ أبي العباس بن عاشر السلاوي، ولم يذكر له الحضرمي وفاة.

٣٨٠ - موسى بن الحجاج أبو عيسى المكناسي.

حاله: إمام في العربية، قال في الروض محلياً له: بشيخ شيوخنا، يقوم على تسهيل ابن مالك، ويقرر الألفية بجامعها الأعظم تقريراً حسناً وكثيراً ما يتمثل:

خلت الديار فسدت غير مسود ومن الشقاء تفردى بالسود
حدثني عنه بذلك الشيخ المعمر أبو عبد الله ابن الأستاذ ابن جابر. ه.
ويغلب على ظني أنه هو صاحب الضريح الشهير المتبرك به بحومة التوتة إحدى حومات حضرتنا الهاشمية المكناسية والله أعلم.

٣٨١ - موسى بن علي الزرهوني.

المعروف بذي الصخرة دفين مدشر موساوة أحد مداشر جبل زرهون.
حاله: ولي شهير، عارف كبير، ذو سمت حسن، ولين عريكة وخلق مستحسن، يلوح عليه أثر الخير والصلاح، كان يأتي إلى الحجارة الكبيرة والصخور

العظيمة التي لا تطاق فيجهد نفسه في قلعها وقلبها وتشيعها، فإذا قلعها ودحرجها عن مكانها أخذ في الاعتبار، والتدبر في باهر صنع الواحد القهار، ولذلك سمي بذي الصخرة، وقد أظهر الله على يده كرامات وخوارق عادات.

مشيخته: أخذ عن سيدي عبد الله الخياط وغيره من صلحاء الأمة.

الآخذون عنه: أخذ عنه الولي الكبير أبو يحيى الخلطي الدخيسي المتوفى بفاس عام عشرة وألف.

وفاته: توفى بجبل زرهون أواسط العشرة التاسعة من القرن العاشر وضريحه بالمدشر المذكور مزارة شهيرة مقصودة.

٣٨٢ - موسى بن أحمد^(١) بن مبارك.

حاله: شعلة ذكاء ودهاء ونباهة، تقدمت ترجمة والده وولده في الأحمدين، ولاه السلطان أبو عبد الله محمد بن عبد الرحمن بن هشام الحجابة فقام بها أتم قيام إلى أن لبي السلطان داعي مولاه، وأقره السلطان المقدس أبو علي الحسن على وظيفه إلى أن استبد على الوزير الصدر إذ ذاك، ولم يزل مستبدا على المنصب إلى أن ختمت أنفاسه رحمه الله.

وقفت على كثير من رسائل مولاي الحسن إليه لما كان لا زال خليفة عن أبيه والمترجم هو الحاجب، بعضها بخطه كلها، والبعض بتوقيعه، والبعض بطابعه وهي في الشئون التي كانت تجرى على يده وفي محل خلافته، وقد مرت بك أمثلة منها في الترجمة المحمدية، وأقدمها تاريخا فيما رأيت أوائل عام واحد وثمانين، ويخزانتنا أيضاً مجلدات مجموع فيها بعض رسائل المترجم الرسمية التي كان يبعث بها في العهد الحسنى.

٣٨٢ - من مصادر ترجمته: إنحاف المطالع في موسوعة أعلام المغرب ٧/ ٢٦٦٢.

(١) في إنحاف المطالع: «أحماد».

إليك بعضا منها، وهى مما كتب به لأخيه باشا فاس فى مختلف الأوامر.
نص الأول بعد الحمدلة والصلاة:

«أخانا الأعز الأرضى، الفقيه العلامة الباشا الأسعد سيدى عبد الله بن
أحمد، رعاك الله وسلام عليك ورحمة الله عن خير مولانا نصره الله.

وبعد: فقد وصلنا كتابك فى شأن ما كتب لك به السيد عبد السلام
احرضان من جعل طابعك بعد ختم الكتاب فيما تكتب به للباشدورات ونحوهم،
وتوقفك فى ذلك لما شرحته، وصار ذلك بالبال، فقد أشار عليك بالقانون الجارى
فى ذلك، وهو الذى نفعله نحن معهم، وجرى به العمل سابقا: فلا يتوقف الأخ
فيه، ولكل وقت عمل، ولكل فاعل حجة، والله يبارك فى عمر مولانا وينصر به
أعلام الإسلام أمين، وعلى الأخوة والسلام فى ٢ فاتح محرم الحرام عام ١٢٩٥،
نعم القنصوات الصغار والتجار فلا بأس بجعل الطابع لهم فى المحل المعهود أو
بطرة أعلى الكتاب دون هؤلاء لأن مرتبتهم اقتضت لهم ذلك صح به.

موسى بن أحمد لطف الله به».

الثانى للقائد الجيلانى بن حم:

«محبنا الأعز الأرضى القائد الجيلانى بن حم، أمنك الله وسلام عليك
ورحمة الله عن خير مولانا نصره الله.

وبعد: فإن باشدور جنس الطليان الذى كان بحضرة سيدنا أيده الله توجه
لمحله على طريق عقبة العربى وقصر فرعون، فيأمرك مولانا أيده الله أن تكتب
لخليفتك بزهورون بالقيام بمثونته ومثونة من معه من غير إسراف ولا تفريط، وأكد
عليه فى القيام بالعسة عليه حتى يخرج من إياتك ولا بد وعلى المحبة والسلام وفى
٢٨ ربيع الثانى عام ١٢٩٢.

موسى بن أحمد لطف الله به».

الثالث:

«أخانا الأبر الأعز الأرضى، الطالب السيد عبد الله رعاك الله، وسلام عليك ورحمة الله عن خير مولانا نصره الله.

وبعد: فحامله إليك وصيف معتق ساكن بالصويرة اشتكى أن بنتا سرقت له منها وهى حرة تبعاً لأمها، إذ هى حرة بالأصالة، وتداولتها الأيدي إلى أن كان آخر علمه بها أنها وصلت ليد ولد مزوارة الدكالى العمرى، أحد أمناء قبيلته، وقدم بها لفاس، ثم الله أعلم بما فعل بها، إذ لا تحقيق عنده فيها، والآن فلا بُدَّ ابحث عنها وهو يبحث أيضاً واستنشق خبرها حتى تعثر عليها عند من هى، ثم إن سلمها له من وجدت عنده فذاك، وإلا فثقفها على يدك وأعلمنا، وعلى الأخوة والمحبة والسلام فى ١١ شوال عام ١٢٩٢.

موسى بن أحمد لطف الله به».

الرابع:

«أخانا الأعز الأرضى، الباشا الفقيه السيد عبد الله بن أحمد رعاك الله، بوجود سيدنا أيده الله.

وبعد: فغير خاف على إخوتك أن الشريف اللطيف الفقيه العلامة مولانا الصديق طالما يطلب منّا حين كُنّا بفاس بأن يصل معك الرحم من لدن سمع بولايتك على أهل فاس، وأن يبارك لك فيها، ولم يساعد على ذلك فى تلك الساعة، ولما ورد على حضرة مولانا أيده الله طلب منه ذلك فساعده أيده الله عليها، وهاهو يرد عليك فلا بد استوص به خيراً، لكونك اليوم أنت باشا، وأما قبل كنت مخزانيا مثلنا وعلى الأخوة والسلام وفى ٢٤ شوال عام ١٢٩٢ ومنه وقد ضرب له سيدنا أيده الله أجلا. بأن لا يزيد عليه ولا ينقص.

موسى بن أحمد لطف الله به».

الخامس:

«أخانا الأعز الأسعد، الفقيه الباشا الأنجد، أديب الزمان، وعين الأعيان، الرئيس الذى انتخبه الله لرتب المجد والجاه، أبا محمد سيدى عبد الله، أدام سلامتك، وأبقى فى الحق صرامتك، وسلام على أخى ورحمة الله تعالى وبركاته عن خير سيدنا أيده الله ونصره.

وبعد: فإن القائد عبد الله الدليمى طلب من سيدنا نصره الله ومنا أن يكون من خدامك ويخدم معك ولده أيضا وتكلفه بالأمر التى يناسب تكليفه بها، وإن أردت من إخوانه نحو العشرة أو أكثر يمدك بهم لتستخدمهم معك إقرارا بإحسانك القديم معه، وكونه منحاشا لجانبنا ومن أهل محبتنا، وقال: إنما هو واحد من أصحابك، فأجاب سيدنا أيده الله أن نكتب لك بمطلبه والاعتناء به، فلا بد أخى استخدمه وولده ومن أحببته يخدم معك من إخوانه مراعاة لمحبتة فى جانبنا معا، وتعلقه بأذيال كرمتنا، بارك الله فيك، وأدام عزك، وحفظنا فيك وعلى الأخوة والمحبة والسلام فى ٢٦ شوال عام ١٢٩٢.

موسى بن أحمد لطف الله به».

السادس:

«أخانا الأعز الفقيه العلامة الباشا الأسعد السيد عبد الله بن أحمد، رعاك الله، والسلام عليك ورحمة الله وبركاته عن خير مولانا نصره الله.

وبعد: فعن أمر مولانا نصره الله مر الأثناء أن يصنعوا غشاء من الموير المطرز بقصد الكتاب الشريف الموجه للدولة الفرنصوية صحبة الأمين الحاج محمد الزبدي، حسبما يشير به عليهم ولابد، وعلى المحبة والسلام فى ٢١ ذى القعدة الحرام عام ١٢٩٢.

موسى بن أحمد لطف الله به».

السابع:

«أخانا الأعز الأرضى الفقيه الأمد السيد عبد الله بن أحمد، رعاك الله والسلام عليك ورحمة الله عن خير مولانا نصره الله.

وبعد: فعن أمر سيدنا أعزه الله نفذ لعيال المعلمين الستة الذين توجهوا للوندريز من النجار والفخار والحداد ومن معهم نصف ما قبضوه من الصلة والزرع عند سفرهم إعانة لهم، وعلى الأخوة والمحبة والسلام فى ١٢ من جمادى الثانية عام ١٢٩٣.

موسى بن أحمد لطف الله به».

الثامن:

«صنونا الأعز الأرضى الفقيه الأجل الباشا سيدى عبد الله بن أحمد، سلام عليك ورحمة الله تعالى عن خير سيدنا أیده الله ونصره.

وبعد: فعن أمر سيدنا المنصور بالله نفذ للستة والعشرين رجلا من طلبة الهندسة من الصويرة وأسفى وتردانت زادهم، واكثر لهم مراكبهم واصلين لبلادهم ومركوبهم واصلا إلى محل كل واحد منهم ومؤنتهم ما داموا مقيمين هنالك من أمناء دار عدیل ولا بد، وعلى أخوتك التامة والسلام ١٢ جمدى الثانى ١٢٩٣.

موسى بن أحمد لطف الله به».

التاسع:

«أخانا الأبر الأعز الأرضى، الفقيه العلامة الأجل الأحظى الباشا الأسعد، السيد الحاج عبد الله بن أحمد، أعانك الله ورعاك، وسلام عليك ورحمة الله تعالى عن خير سيدنا نصره الله.

وبعد: فقد وصلنا كتابك مخبراً بما أقلقكم مما أشاعه المرجسون لا بلغهم الله مناهم، وما حصل لكم من العنت لأجل بطاء الخبر الحق عن كنه الحال حتى حملكم ذلك على توجيه وصفانكم وأصحابكم لمشافهتنا وعلم حقيقة ما لدينا، فلا شك عندنا في اعتنائك وتشوفك لخبرنا وكيف لا، ونحن نفس واحدة، وهل عندنا أعز منك أو عندك أعز منا! ولأى شيء تشوف إن لم تشوف لخبرنا، أدام الله عافيتنا وعافيتك، وشد أزرنا بك، وبارك فيك وفي ذريتك، وقد شافهنا الوصفان والأصحاب ورأوا وسمعوا لما قدمنا لك أولاً وثانياً، والحمد لله الذى بنعمته وفضله تتم الصالحات، وعلى الأخوة والمحبة والسلام فى مهل رجب الفرد الحرام عام ١٢٩٣.

موسى بن أحمد لطف الله به.

العاشر:

«أخانا الأعز الأود، الفقيه النبيه الأمجد سيدى عبد الله بن أحمد، حفظك الله وسلام عليك ورحمة عن خير مولانا نصره الله.

وبعد: فإن أهل الذمة بفاس ذكروا أن الذين يحفرون أساس السور الذى يازاء قبورهم جعلوا يحفرون التراب الذى بالقبور مختلطاً بعظام موتاهم وبينون به وتضرروا بذلك وتشكوا منه، فأنهينا لمولانا المنصور بالله شكواهم فقال أيده الله: أما القبور الخارجة عن الأساس فلا تمس أصلاً، وما وجد منها بالأساس ينقل لداخل مقبرتهم ويدفن ولا يرمى به، ويعين اليهود من يحضر منهم لذلك والوقوف عليه، وإن احتيج إلى التراب للبناء يؤتى به من الفضاء ولا بد عن أمر سيدنا أيده الله، وعلى المحبة والأخوة والسلام ٨ رجب عام ١٢٩٣.

موسى بن أحمد لطف الله به.

الحادى عشر فى السرور بانتصار الأترك على الروسىا فى حربهما:

«أخانا الأعز الأرضى الفقيه العلامة الأخطى الباشا الأسعد سىدى عبد الله

بن أحمد، رعاك الله وسلام عليك ورحمة الله عن خير مولانا نصره الله .

وبعد: وصلنا كتابك وبطيه المكاتب الواردة فى شأن ما سناه الله لعساكر

المسلمين من الفتح والظفر، ووقوع الكرة على من بغى وكفر، رقد أطلنا بمضمونها

العلم الشريف أعزه الله، وصار من سيادته على بال، وقد سر بذلك غاية، ودعا

للمسلمين بالنصر والظفر أعلى الله منار الإسلام والمسلمين؛ ومنح لهم الفتح

المؤزر المتين، وكبت أعداء الله المعتدين، آمين. وقد أحسنت فى تأكيد الإعلام،

وزيادة الاهتمام، وعلى الأخوة والسلام فى ٥ شعبان عام ١٢٩٤ .

موسى بن أحمد لطف الله به» .

الثانى عشر:

«الأخ الأعز الأرضى، الفقيه العلامة الأمجد، السيد عبد الله بن أحمد،

رعاك الله وسلام عليك ورحمة الله عن خير مولانا نصره الله .

وبعد: فقد وصلنا كتابك مخبرا بأن الأمانء أحصوا ما بالقوس السعيد من

مال المستفادات الواردة من المراسى وغيرها ودفعوا مفتاحه للسيد عبد الوهاب

الشامى امثالاً للأمر الشريف، ووصلت الورقة المجملة التى فيها جميع الداخل

على القوس والخارج منه التى دفع لك الأمانء، وقد روجعت وقوبلت مع الكناش

الذى وجهه السيد عبد الوهاب، فوجد الفرق بينهما فى الباقى بالقوس تسعين ألف

مثقال أخرج منه ما هو كسر فى سكة المال الوارد من مستفادات المراسى بعد رده

لريال سوم ٣٢، وبقي تسعة وأربعون ألف مثقال زائدة فى زمام الأمانء، ولم

نعرف هل وردت بعد توجيه الكناش فلم تدخل له، أم كيف الواقع؟ هذا وقد

قوبل كناش القوس تفصيلاً مع ما هنا فى كنانيش الحضرة الشريفة فوجد فيها فرق

كبير من مستفاد المراسى وغيرها لم يدخل بكناش القوس ولا عد فى الخارج، ولم ندر هل تأخرت بالمراسى ولم تصل أو وصلت وحازها الأمان قبل أن تدخل للقوس أم غير ذلك؟ مع أن الواجب أن يدخل كل شىء للقوس حتى يستقر به ويقيد فى كناشة، ثم يخرج ويثبت فى الخارج.

كما أنا عثرنا على أمور مذكورة فى كنانيش دار المخزن لم نجد لها ذكرا فى كناش القوس، وهما رمام فيه تفصيلها فأطلع عليه الأمان وأجبنا بجوابهم، وهذا نوع من التخليط الذى ذكر فى كتاب الشريف، واشمأز منه الأمان وانتصرت لهم، وكنا نتظر بيانها لنجيبك به، وحين يظهر نوع آخر نعلمك به، فنبههم ليسلكوا الجادة ويضبطوا الأمر، فإن هذه التعذرات إنما تنشأ منهم، ولو صاروا على النهج الصافى الذى عينه لهم مولانا نصره الله عند سفره لم يقع تعذر ولا تخليط وعلى الأخوة والسلام فى ٢١ صفر عام ١٢٩٥.

موسى بن أحمد لطف الله به.

الثالث عشر:

«أخانا الأعز الأرضى الفقيه النبيه الباشا الأسعد، سيدى عبد الله بن أحمد، رعاك الله وسلام عليك ورحمة الله تعالى وبركاته عن خير سيدنا نصره الله.

وبعد: فقد أخبر باشادور النجليز بأن هذه مدة من أربعة أشهر منذ كتب لك بالأخذ بيد التاجر الذى كلفه بشراء الزليج لوزيرهم، وإعانتته على ذلك، وإخباره بالثمن الذى اشتراه به فأهملت جوابه، وتغرضت التاجر على شرائه بالثمن الذى يباع به، ولم تبادل به، وعليه فلا بد ثم لا بد خذ بيده فى شراء ما توقف عليه من ذلك، وكن تعامله بمزيد الاعتناء والمراعاة وتقف فى قضاء ما يعرض له عندك، فغير خاف عليك أنه من أنصح النواب وأحبهم فى الجناب الشريف، وأتمهم وقوفا

فى قضاء الأغرراض المولوية، والسعى فى مصالح الدولة الشريفة، ولو لم يكن من ذلك ألا تعلم عسكرنا ببلادده وما يمت به من محبة الجناب العالى بالله ومحبتنا لكان كافيا فى الاعتناء بجنابه وتسويغ مطالبه، وعلى الأخوة والسلام فى ٤ ربيع الثانى عام ١٢٩٥.

موسى بن أحمد لطف الله به».

الرابع عشر:

«الأخ الأعز الأرضى الفقيه العلامة الأمجد، سيدى عبد الله بن أحمد رعاك الله وحفظك، سلام عليك ورحمة الله عن خير مولانا نصره الله.

وبعد: فقد وصلنا كتابك وبطيه نسخة من الكتاب الذى كتبه لك السيد محمد بركاش فى شأن إعلامه فى كل جمعة ٤ مرات بعدد من مات وبأى ألم مات وبما أجبته به على ظهره، وعرفنا مضمن ذلك وأنهينا لمولانا أعزه الله فقال أيدة الله: قد أجبته وأحسن الجواب، ولا يلزمننا شرعا ولا طبعاً ولا قانوناً أن نخبرهم بما عندنا فى ذلك، وتكلف للرقاقيص وأجرتهم، وعلى الأخوة والسلام فى متم رمضان المعظم عام ١٢٩٥.

موسى بن أحمد لطف الله به».

الخامس عشر:

«أخانا الأعز الأرضى، الفقيه العلامة الأمجد، سيدى عبد الله بن أحمد رعاك الله، وسلام عليك ورحمة الله عن خير مولانا المنصور بالله.

وبعد: فقد وصلنا كتابك وبطيه تقييد ما أخرج من القوس من مشاهرات النجليز على يد الأمناء، وما أخرج بعد وقوف الشامى، وذكرت أن الذى أخرج من بيت المال مقيد فى كناشه، ولم يؤذن للأمناء فى فتحه ليتصفحوه، وقد أنهينا

ذلك لعلم مولانا نصره الله، وصار منه بالبال، فأمر أيده الله أن يفتح بيت المال ويتصفح كناشه ويؤخذ منه المشاهرات المذكورة، ويضاف لها ما دفع من القوس ليكون التقييد على نسق واحد، وقد توجه لكم الأمر الشريف بفتحه وإخراج مائتي ألف مثقال منه الصائر فإن وجد كم الحال لازتم لم تخرجوها فيتصفح الأمانة عند إدارة إخراجها، وإن وجدهم الحال أخرجوها فيعيدوا فتحه وتصفح الكناش لأجل ذلك ويعلموا قدر الداخل لبيت المال والخارج منه والباقي، ويطلعوا به العلم الشريف ليكون فيه على بصيرة، وها كتاب مولاي إسماعيل بأساعده على فتحه يصلكم.

وعلى الأخوة والسلام فى ٦ شوال الأبرك عام ١٢٩٥ .

موسى بن أحمد لطف الله به .

السادس عشر:

«أخانا الفقيه العلامة الأرضى، الباشا الأحظى، سيدى عبد الله بن أحمد، رعاك الله وسلام عليك ورحمة الله عن خير سيدنا نصره الله .

وبعد: فقد وصلنا كتابك مخبراً بورود آيت ولال، وآيت عياش، وآيت سليمان، وآيت لحسن وشعيب على الأعتاب الشريفة، وولاية عبد الوهاب الذى كان خليفة عند ولد مامة عليهم، كما ورد آيت نعمان، وآيت لحسن وعمرو وتوافقوا على ولاية اليزيد وولى عليهم، وذكرت أن الفرق ٤ الأولى هم ربع بنى مطير والفرقتان الأخيرتان هى الخمس، وقد أنهينا ذلك لمولانا أيده الله وصار بباله الشريف، وقد كتب سيدنا الخليفة مولاي إسماعيل بذلك غير أنكم لم تعرجوا على ذكر ولاية آيت شغر وشن الذين كانوا مضافين إليهم، فلا بد أجرهم ذلك

المجرى، وكذلك من بقى من فرق بنى مطير حسبما تقدم لكم، وعلى الأخوة والسلام فى ١٥ حجة الحرام متم عام ١٢٩٥ .

موسى بن أحمد لطف الله به .

هذا وقد كان مخدمه المذكور السلطان المولى الحسن يجعله ويحترمه ويعتبر له سابقة خدمته .

وفاته: ولما قبضه الله إليه فى محرم عام ستة وتسعين ومائتين وألف، شيع السلطان جنازته بنفسه، وأقبره مع والده المقدس وسلفه الأكرمين بضريح مولاي على الشريف من باب إيلان بالحاضرة المراكشية رحمه الله .

ورثاه الأديب الكاتب السيد إدريس بن إدريس بقوله حسبما نقلته من خطه:

عش ما تشاء وأكثرن أو اقصد	ما ذى الحياة على الأنام بسرمد
لا بد من يوم ترد ودائع	هيهات ليس بممكن أن تفتدى
هذى المنايا لا تغادر صالحا	كلا ولا ترثى لحبر سيد
فتكاتها فى العالمين شهيرة	بالقهر تعبت فى العباد وتعتدى
لو كان يدفع بالعشائر مكرها	خلدت عصائب تستعز باجند
أو لو بحسن الفعل والقول السدي	مد بقى الوزير ولم يكن بموسد
لكنها الأعمار تطوى سرعة	كمـلاءة بأكف جلد أيد
والمرء تحسبه مقيما وهو فى	سفر يخلف فدفدا فى فدفد
أين البرامكة الكرام وأين من	سادوا وجادوا بالمبرة واليد
أين ابن يحيى جعفر وأبوه وال	فضل ابن سهل وابن طاهر من هدى

رك بعده وابن العميد المحتدى
والفتح والمنصور ممدود اليد
أفناهم الجد المحتم لا اللد
تالله ما أحد بها بمخلد
أوطانها لا تبخاى بل اسعدى
موسى الكريم البر نخبة أحمد
وجمال وجه الدهر والفخر الندى
وأجل آمالى وغاية مقصدى
فينا أسى من حائر متبلد
حزنا وكان بها مكان الإثم
كانت به الدنيا ضيا كالأسعد
من لم يجد بالدمع ليس بجيد
يبح وكل دوح فى العلامتأود
من صالح من للرشاد مسددى
نة والعفاف وللتقى والمسجد
ب وللقريب وللبعيد المجتدى
ر والصفائر والأمور اللبد
ب المدلهمة الزمان الأنكد

أين الوزير ابن الخطيب واين زم
أيت ابن مقلة وأين ماهان الفتى
أين الأوائل والأواخر كلهم
ساروا كراما ثم نتبع نهجهم
يا عين جودى بالدموع فهذه
أوما نعى الناعون نبراس العلا
أوما نعوا طود العلوم وبحرها
أوما نعوا خلى ومالك مهجتى
تبا لها من قاله كم غادرت
مرهت جفون الدهر من فقدانه
وعرت محياه الكآبة بعد ما
فليبكه الباكون طلق جفونهم
وليبيكه القرطاس والقلم الفص
موسى بن أحمد من لما أسسته
من للديانة والصيانة والحنا
من للضعيف وللكتيب وللغريد
من للمفاخر والمآثر والكبائ
من للمهمة والملمة والصعا

(١) المأثرة: المكرمة. الجمع مآثر.

سة والنفاسة والعللا والسؤدد
لمراد مولاك المديك الأوحده
حق عليك لأمره أن تسجدى
فليتخذ نهجا سوى أو يردد
كانت لخير العالمين محمد
تتلى ووارثه الزكى المولد
مثل النجيب البر الأرضى أحمد
ووسيلة فى ذا السبيل الأحمد
وقضى الزمان بطاعة وتهجد
وليهنه ما يرتجيه فى غد
من بره بمحل عسى ممهد
ومبرة فى ظل عيش أرغد
متنعما فيها باعلا مقعد
تترا على قبر النبى محمد
جازت مزايهم مناط الفرقد
عش ما تشاء وأكثرن أو أقصد

من للسياسة والرياسة والكياء
نفسى تعزى واصبرى واستسلمى
وإذا قضى أمرا بماضى حكمه
ما ثم إلا ما أراد ومن أبى
لو كان خير فى الخلود لماجد
ولئن مَضَى فلقد بقت أخلاقه
ما مات من ترك الخليفة بعده
كلا ولا ضاع امرؤ له علقه
خدم الخلافة ناصحا متبصرا
فليهنه ما نال من رضوانه
وليهن أنجالا له قد أنزلوا
لقاه مولاه الكريم مسرة
بجوار خير المرسلين وآله
وصلاة ربي والملائكة العلاء
وعلى كرام الصحب والآل الألى
ما قال محزون على ألافه

وقد كتب السلطان المولى الحسن رحمه الله بخطه بقلمه الخفيف على نسخة
هذه المرثية ما نصه: «وهو كذلك رحمه الله وفوق ذلك وتوجه لابن الحاج يجعلها
فى تاريخه لفصاحتها وبلاغتها وعذوبتها».

٣٨٣ - الموهوب بن الإدريس الشيبهى .

نزىل زاوية زرهون .

حاله : فقيه مدرس فاضل ، ماجد جليل ، عدل مبرز نبىل .

وفاته : توفى ببلده زاوية زرهون تاسع عشر شعبان عام ثلاثة وثلاثين
وثلاثمائة وألف ، ودفن بالظهير خارج الزاوية .

٣٨٤ - المؤذن الكاتب .

من بنى المؤذن السجلماسين .

حاله : فقيه نبيه ، كاتب مؤرخ نسابه ، ثقة ثبت ، مطلع سحاضر لودعى ،
لىب نقاد ، ناظم نائر ، يحسن الإنشاء والترسىل ، بديع الخط ، ممتع المجالسة ،
سرىع الجواب مع إصابه المرمى فىه ، عىن لمخدومه السلطان الأعظم سىدنا الجد
الأكبر مولانا إسماعىل یوصل إلیه من أخبار الرعىة ما تظافر غیره على كتمانہ
عنه ، ویفرغ ذلك فى قوالب لطیفة خیالیة مضحكة ، لا یعقلها إلا العالمون .

كان فى أول أمره ینسخ الکتب للسلطان مولانا الرشید بن الشریف المترجم
سابقا ، وذلك سبب اتصاله به إذ أعجبه حسن خطه ، ولما أحضر بین یدیه بعد أن
طلبه لخدمته وقعت له به غبطة ، وحصلت له لدهیه مكانه مکینه ، لما رأى من نباهته
وتیقله ورجحان عقله وحسن سیاسته ودهائه ، فصار من أخص ندمائه ، یمازحه
ویضحكه بما لم یقدر أحد لأن ینطق به بین یدیه ، ویخصه بسره ویشاوره فى
مهمات الأمور ، ویعمل بإرشاداته الصائبة المحمودة العقبى ، ولم یزل المترجم
ملازما لخدمة السلطان المولى الرشید إلی أن لى داعى مولاه ، فخدم بعده المولى
أحمد بن محرر ، إلی أن قتل بسوس ، ثم خدم السلطان مولانا إسماعىل فقربه
واصطفاه أنیساً وجلیساً .

وكانت للمترجم زوجة ذات آداب ومعرفة بالنظام البيتي اللائق بالملوك، فكانت تهذب نساء السلطان مولانا إسماعيل وتعلمهن ما لم يكن لهم به معرفة، فازدادت بذلك عند السلطان مكانة ورد عليها وعلى إختوتها ما لم يبع من أصول والدهم أحمد بن صالح الليريني رئيس فاس الذى كان أوقع القبض عليه المولى الرشيد لما تحقق لديه عيئه وتعديه وظلمه بشهادة عدول فاس، وغرقت ذمته وضمت أمواله لبيت مال المسلمين، وعند ذلك زوج السلطان الرشيد المترجم بينت الليريني المذكور، ولم يزل عيبة سر سيدنا الجد المولى إسماعيل ومحل ثقته يخبره بخفايا الأمور وينقر على سير العمال وولاية الأمر فى الرعية، ولا يخفى عن متبوعه شاذة ولا فاذة، شأن أهل النصح والإخلاص للإسلام والمسلمين، إلى أن نقله الله لما هو خير الأبرار.

حرف الصاد

٣٨٥ - صالح. قاضيها أبو محمد بن القاضي أبي العباس أحمد بن أحمد الحكمي - بفتح الحاء والكاف.

نسبة لبني حكم، فخذ من زمور الشلح القبيلة البربرية الشهيرة الحالة بين حضرتنا المكناسية، ورباط الفتح ويقال له الحكماوى.

حاله: علامة فاضل، جليل أديب، كامل مدرس نفاع، خطيب مصقع، ناظم نائر، له مساجلات شعرية، ومراسلات نثرية، مع بلديه أديب الرباط الشهير ابن عمرو الأوسى، وقد ذكره فى كثير من مقيداته وحلاه بأوصاف عالية تسفر عن شرف قدره وعلو كعبه، تولى قضاء مكناسة وخطبة جامع قصبته المولوية والتدريس بجامعة الأعظم، كما تولى قضاء بلده رباط الفتح، وكان يتداول قضاء مكناسة والرباط مع القاضي السيد الطيب بسير المترجم فيما مر، والفقير القاضي سيدى الحسن بن فارس مرارا نحو الستة أشهر أو العام، لكل واحد فى الدولتين السليمانية والرحمانية.

وقفت على عدة خطابات له وتسجيلات عليه، من ذلك عقد بتاريخ ثالث شوال عام سبعة بموحدة وأربعين ومائتين وألف، وآخر فى منسلخ قعدة عام ثمانية وأربعين ومائتين وألف، وآخر فى منسلخ قعدة عام ثمانية وأربعين ومائتين وألف، وكان أبدا بفتح شكله ولا يطمسه، وكان من أهل العدل والصرامة فى الأحكام.

مشيخته: أخذ عن والده أبى العباس ومن فى طبخته من نقاد أعلام وقته.

شعره: من ذلك قوله لما وصل فى تدريس البردة لقول ناظمها فاق النبيئين فى خلق وفى خلق، وقد قرر ما هنالك أربعة أيام وختم بالعجز عن إدراك الحقيقة

المحمدية، كما نقل عنه ذلك بلديه رفيقه فى الطلب العلامة السيد محمد بن
التهامى ابن عمرو الأوسى المذكور ومن خطه نقلت:

توارت وقالت بعد طول تطلع
إذا رمت إدراكا وكشف حقيقة
مقالة من فى بسطة قد تبخترا
فيغنيك عما لا ترى بعض ما ترى
وقوله:

سلام على الأجاب من شيق صب
جريح طريح لا يكاد يمين من
حنين إلى الأوطان فى البعد والقرب
تواطئ أحداث ونأى عن الحب
تصابى إلى بدر عزيز نظيره
فراح بلا لب وقد كان ذا لب
هواه وفرط الشوق فردا بلا صحب
له الله من عبد صدوق أصاره
يحن إذا غنى الهزار فيهتدى
وبيدى عقيق الدمع ما قد أكنه
من الجفن لو تسقى لأغنت عن الغرب
سبيلا إلى حبي وحسبى منى حسبى
ولو قلت مهلا عززته هواطل
فيا عظم ما ألقى وهان لو أن لى
وقوله مخمسا:

ألا من لخود قد تجرعت بينها
لكبرن إجلالا وقبلن عينها
ولو أن ربات الجردور رأينها
(رمتنى وستر الله بيتى وبيتها

عشية آناء الديار رميم)

توارت وقلبي بانتسابى لبيتها^(١) ولو أنسى أهل لقلت فديتها

(١) فى المطبوع: «بيتها» وفى هامشه: «كذا» ولعل ما أثبتته أولى وهو موافق للمعنى والوزن،
والآيات من بحر الطويل.

وحسبى فخرا أن أكون وقيتها (ويارب يوم لو رميتنى رميتها

ولكن عهدى بالنضال قديم)

والأصل الخمس لأبى حفص الفاسى .

وقوله:

برد شجونك يا قمرى وابك فما
وروح النفس بالتغريد فهو على
على امرئ ندب الأطلال معترض
ظام تجرع كأس البين مفترض

وقوله فى رثاء والده رحم الله الجميع:

عز المصاب وسله وانفض إذا
وابك الكرام إذ فقدت دليلهم
واندب ربوعا طالما يمتها
واحبس مطايا الدمع إن عايتها
واجهد وجد عسى تنفس بعض ما
بنوى أبى العباس درة عصرنا
آه لفقده شمائل ولت لدن
بعدا ليوم ذقت فيه بعاده
لهفى عليه ولهف قومى والألى
يا حسرتاه وهل درى دهر بأن
واغربتاه وكم شكما متغرب
من للأرامل والمؤمل والعلا

ما احتاج للتأيس والإكرام
واشك النوى وتواطؤ الأيام
متعطشا فكفيت شر أوام
تشكو الخطوب بطرفها البسام
لاقت من الأهوال والآلام
بيت القصيد وكعبة الإعظام
أولى العباد وذاق طعم حمام
متصبرا لسهام شههم رام
صاروا برعى الود من أقوام
أفنى اصطبارى وساسنى بحسام
مثلى بفرقة قرمى المقدام
من للضعاف النبر والأيتام

من للعلوم يبينها إن أشكلت
من للوفود وبذل ميسور القرى
من لى إذا ما جئت أمرا منكرا
لا زلت أنشده وأنشد بعده
وأئله صحبة أحمد فى جنة
وامن على بتوبة تمحو بها
وتول كل مواصل ومجامل
وارحم عديما طالما عودته
واجعل إليك توجهى فيما عرا
بمحمد وبصحبته والمتقى
وقوله:

يا ابتاه سقتك الغايات فكم
ولا زمت فى دياجى الخطب تذكركم
ولم أزل ساهرا والنجم يشهد لى
لهفى عليك وما يعنى أخا حرق

وتمتعت من عاجز بلثام
من للمساجد بعده بإمام
أولى الجميل وزاد فى الإكرام
يارب من له بدار سلام
أعدتها لعدسابة الإسلام
عنى الذنوب وسئى الإجرام
بزوائد الإفضال والإنعام
منك الجميل وجاء بالآثام
واسمح بفضلك لى بحسن ختام
حياهم رب العلاء بسلام

قد عضدتها دموع أعين النادى
وكررتة فأغتنتى عن الحادى
أنى فريداً سلكت ذلك الوادى
لهفى على قامع الباغين والعادى

وكانت بينه وبين رفيقه فى الطلب أبى عبد الله بن عبد الله بن عمرو
الأوسى الرباطى المذكور مساجلات، من ذلك ما كتب لى به صديقنا مؤرخ سلا
أبو عبد الله محمد بن على الدكالى قائلاً أنه وقف عليها بخط ابن عمرو ولفظه
قال الأخ صالح الحكيمى رحمة الله يعنى المترجم:

تجلى سناها فى دياجى النوائب

أضاءت وقد طال انتظار عميدها

فقلت:

تزاحم فخراً لاح فوق الذوائب

وجاءت تجر الصبح غرة وجهها

وأصدر:

ومنت وما امتنت ونفسى فدا لها

فأعجزت:

وإن مزجت صرف الهوى بالشوائب

فأصدر:

فأبقت على الصب الكئيب تكرما

فأعجزت:

بقية شرب فى كئوس الكواعب

فأصدر:

فتاة سواد العالمين لوجهها

وأعجزت:

كنقطة خال تحت ماضى القوالب هـ

قال ابن على، ومرادهما يوح، وهو معنى لطيف لم أره لغيرهما، وقال ابن عمرو فى كناشته الحجازية: لما وصل الأخ العلامة أبو محمد «سالم ابن شيخنا العلامة الأوحى النحرير أبى العباس سيدى أحمد بن أحمد الحكيمى تولاه الله بمنه فى تدريس البردة قول ناظمها رحمة الله ونفع به: فاق النبيئين فى خلق وفى

خلق، وقرر بعض ما هنالك فى أربعة أيام وختم بالعجز عن إدراك الحقيقة
المحمدية فتح الله بأن قال ما أنشدنيه لنفسه: توارت الخ البيتين السابقين.

بعض ما قيل فيه من المديح: من ذلك قول الأديب السيد الحسين بن أحمد
ابن شقرة يهته بعرس ولده أبى عبد الله محمد، وذلك أواسط جمادى الثانية عام
تسعة وأربعين ومائتين وألف:

أهدى إلى ذاك المقام الأكبر	أركى سلام فاق نشر العنبر
حيث السيادة والسماحة والتقى	والعلم تنمى للإمام الأشهر
هو صالح الأقوال والأفعال من	طابت خلائقه بطيب العنصر
قاضى الجماعة من سمت بمقامه	مكناسة ذات البهاء الأبهـر
أفديه من حبر تسنم للعلا	رتبا يجر لها ثياب تبخر
شوقى إليه لم يزل متجددا	نيرانه فى القلب ذات تسعر
يالىت شعرى هل يتاح لى اللقا	فأفوز منه بالنصيب الأوفر
يا سيدى فاق الأنام بهمة	من دونها نجم السها والمشتري
يهنى سليلك مع جنابك ذلك الـ	عرس الذى وافى بعيش أخضر
لازلت فى مرح وسابغ أنعم	وكلاءة بادی السنـا والمفخر

وفاته: توفى بتاريخ واحد وخمسين ومائتين وألف.

٣٨٦ - صالح بن العربى بن صالح الطليقى الحلمونى البخارى.

المكناسى النشأة والدار والإقبار.

حاله: أستاذ متقن ماهر، موجود مقرئ فاضل، متفان فى محبة المصطفى
وآله، إذا سمع شمائله ﷺ وأوصافه الكريمة خلقا وخلقا وما منحه الله به من

الخصائص والفضائل والمزايا صاح وخر مغشياً عليه، محب في الخير وأهله، معمر للمساجد، ملازم لمجالس أهل العلم، عدل مبرز، كان يتعاطى الشهادة بسماط عدول الحضرة المكناسية، منظور إليه بين أهلها بعين الإجلال والتعظيم.

وفاته: توفى بعد الثمانين والمائتين والألف.

٣٨٧ - صالح بن يوسف البخارى.

المكناسى النشأة والدار والإقبار.

حاله: فقيه أستاذ، يحفظ السبع والعشرين حفظاً متقناً، وكانت له مشاركة كاملة فى الحساب والتوقيت والتعديل، وكان من جملة موقتى الحضرة السلطانية الذين يظعنون بظعنها ويقيمون بإقامتها فى الدولة الرحمانية، ثم تقاعد عن الخدمة السلطانية، وتولى رياسة بعض فرق الجيوش التى جرت العادة بإبقائها بعاصمتنا المكناسية بعد ظعن السلطان منها، فنفع الله أقواماً بمعلوماته التى بثها مدة مقامه بالعاصمة المذكورة مسقط رأسه.

مشيخته: أخذ عن السيد التهامى الزرهونى بالعرائش، وعن السيد عبد الخالق الأودى، وعلى بريط بباء مفتوحة بعدها راء مشددة ثم ياء ثم طاء بشغر طنجة وغيرهم.

الأخذون عنه: أخذ عنه السبع والعشرين علال بن صالح الحلمونى وغيره.

وفاته: توفى بعد الثمانين ومائتين وألف بالحضرة المكناسية، ودفن بضريح سيدى عمرو بوعوادة من حومة حمام الحرة.

٣٨٨ - الصديق البخارى الأجرأوى.

المكناسى النشأة والدار والإقبال.

حاله: فقيه أستاذ ماهر، يحفظ العشرين حفظاً متقناً، انتفع به جم غفير من



خط يد السلطان مولای عبد الله

حملة القرآن وحفاظ السبع، وكان من أهل الدين والفضل والخير والصلاح، رآه بعض العدول بعد وفاته فقال له: ما فعل الله بك؟ فأجابه بأن من جملة ما أكرمه الله به أن شفعه فيمن شيعة - أعنى جنازته - وقد كانت الطرق والدكاكين وقت المرور بجنازته فارغة إلا من المشيعين لها، لتأهب الخاص والعام من أهل البلد لذلك.

الأخذون عنه: ممن أخذ عنه الأستاذ علال بن صالح الطليقي الحلموني، والأستاذ السيد صالح بن يوسف البخاري المترجم قبله وغيرهما. وفاته: توفي بعد السبعين ومائتين وألف، ودفن بضريح أبي اليمن عمرو بوعوادة دفين حومة حمام الحرة.

حرف العين

٣٨٩ - عبد الله أمير المؤمنين ابن أمير المؤمنين السلطان الأعظم إسماعيل
ابن أمير المؤمنين الشريف بن علي الحسنى العلوى الينبوعى
السجلماسى.

مولده: ولد بمهد سلفه تافيلالت بقصبة الفرخ قرب الدار البيضاء من وادى
يفلى، فى منتصف ذى الحجة عام واحد وعشرين ومائة وألف، أمه الحرة العاملة
العاملة خنائة بنت الشيخ بكار المغفرى مارة الترجمة.

صفته: أبيض مشرب بحمرة، مليح الوجه، قصير القامة، خفيف اللحية
جدا، مفلج الأسنان، بخده الأيسر شامة، طويل اليدين والأصابع، إذا تكلم تحرك
شارباه الطويلان، صغير الرجلين دقيق القدمين، إذا ركب حسبته طوالا، وإذا
مشى حسبته لحفة مشيته شابا صغيرا، مهاب لا يكاد أحد ييدؤه بالكلام، كذا
وصفه من عاصره.

حاله: قال فى الشجرة الذكية: كان محبا لأهل البيت ذنبهم عنده مغفور،
وعيينهم مستور، يتجاوز عن المسء منهم ويجازى المحسن ويواسى الجميع
بالأموال، ويعفو ويصفح فى سائر الأحوال، قال: وكان معروفا بالسماحة يعطى
ولا يبالى وخصوصا للأشراف. هـ.

٣٨٩ - من مصادر ترجمته: نشر المثنى فى موسوعة أعلام المغرب ٦/٢١٩٧.

وقال فى الدرر البهية: كان رحمه الله فى العلوم آية باهرة، وعلى أعدائه صاعقة قاهرة، فكلم أحميا من علوم، وأباد من ظلوم، وجدد من رسوم، وجدلت سيوفه من بنى غشوم، وكلم ضم من حشود، وقهر من حشود، تصدى للخلافة فى معظم أيام الفتنة، وقد زاحمه إخوته فى كل بلدة، ولم يزل يقارع الأهوال، مع معارفة الأحوال، إلى أن تمحضت له ولبنيه من بعده، وناداه منادى يمنه وسعده هـ.

وقال أبو عبد الله الضعيف: كان ذا رأى وحزم وإقدام، أيامه^(١) أيام دعة ورخاء، وأمن وبهجة حسنة، مستبدًا برأيه دون وزرائه، قاهرًا فى سلطانه إذا أعطى أغنى، وإذا صال أقتنى، ذا فضل وكرم وعلو همة، وافيًا بالعهود، شجاعا يباشر الحروب بنفسه، دوخ المغرب بأسره، إلا أنه مسلط على العتاة والطغاة والظلمة، سفاكا لدمائهم، رفيقا بالضعفاء والمساكين واليتامى هـ.

وقال فى الشجرة الزكية: فلما تمكن، قتل من أهل فاس ثلاثمائة، ومن العبيد أربعمائة فى يوم واحد، وبقتلهم كانت له قوة عظيمة فى المملكة هـ.

وقال غيره شديد الغضب، ذا بطش غير متوقف فى الدماء ولا واضع فى موضع السيف^(٢) الندى هـ.

قلت: ومن حكم ذى القرنين الإسكندر الملك البعيد الهمة (نعم العون على إصلاح القلوب الموغرة الترغيب بالأموال وأصلح منه الترهيب وقت الحاجة إليه) وكان المترجم بهذا كان ينظر فى سياسته ولفساد الرعية أسرف فى القتل وتجاوز الحد، فكان ما كان مما سيتلى على المطالع.

(١) فى هامش المطبوع: «لعله يعنى الأيام التى لم يكن له فيها منازع والتى لم يلزم فيها قصره».

(٢) فى هامش المطبوع: «سيأتى فى قتل أهل تطاوين لعاملهم خلافه».

وقال فى نشر المثنائى: هو الواحد فى العز والمقام، الذى اختاره الله لتصريف أمور الأنام، كان ممن عمرت به الأرضون فأحيا أنجادها وأغوارها، وسعد به أهل العز من كل فريق، وتمهدت به السبل من كل فج عميق، وشقت هيئته المشارق والمغارب، ونال الضعفاء بعزمه ما تمنوه من الثارب، وعمر به سوق العلم بعد دروسه، وضحك به وجه الزمان لأهله بعد عبوسه، ولله در من قال فى مديحه:

كفاك افتخارا أن عزك ظاهر	وجودك منسى به جود حاتم
وكون سجايك التى فاح عرفها	سجايا الملوك الشم أولى المكارم
لعمرى لقد ألفت إليك زمامها	سروج العلا إذ كنت أحزم حازم
وأغنك رب الناس عن جمع عسكر	برأى مصيب للعساكر هازم
ونفس علا فوق السماكين قدرها	وعقل غنى عن هداية عالم
فأمتنا من كل طار وطارق	وحصنتنا من كل داه وداهم

قال أبو القاسم الزينانى فى تواريخه ما زبده مع مزيد تنقيح وإيضاح: ببيع له بالإمامة العظمى بمكناس بعد وفاة صنوه أبى العباس أحمد الذهبى سابق الترجمة، أوائل شعبان عام واحد وأربعين ومائة وألف كما هو ظاهر نصوصهم؛ باتفاق من أعيان الديوان، من عبيد وودايا، وطير الإعلام لإخوانهم جيرانهم أهل فاس وبالغوا فى حصنهم على الموافقة على ما ذكر والتسارع لبيعة المترجم، وهو يومئذ بسجلماسة، ووجهوا إليه جريدة من الخيل لإعلامه باجتماع الكلمة على بيعته، والإتيان به، ولما وصل الكتاب المشار إليه لأهل فاس تلقوه بكل ارتياح وانشراح، وجمعوا أمرهم وشركاءهم على قراءته على منبر جامع القرويين، ويأثر

قراءته أعلنوا بنصره، ولم يتوقف أحد من حضر القراءة ولا من غيرهم في بيعته بشرط تعجيل حضوره كذا قال الزياتي ومن تبعه.

والذى فى الدر المنتخب المستحسن نقلا عن العلامة المؤرخ ابن إبراهيم الدكالى: أنه فى خامس شعبان المذكور قدم من مكناس لفاس جماعة من العبيد والوزراء والكتاب للمشورة والمفاوضة فىمن يتولى أمر المسلمين، من إخوان السلطان المتوفى، فاتفق رأيهم على المترجم لكن أهل مكناس أعلنوا بنصره حالا، وتأخرت بيعة أهل فاس إلى يوم الخميس تاسع الشهر، وزاد فى الدر المنتخب نقلا عن بعض الأعلام أن المترجم لما بلغه اجتماع الكلمة عليه امتنع من الإجابة لذلك، ولم يزل متماديا على امتناعه إلى أن دخل عام اثنين وأربعين فاستخار الله ونهض من تافيلالت أواخر محرم الحرام ووصل لفاس فى خامس صفر.

ثم حكى أقوالاً أخرى فى تعيين وقت قدومه فاسا، منها: أنه يوم الأربعاء سابع رمضان عام واحد وأربعين ورجح هذا القول واختاره.
ومنها: أن قدومه كان فى مهل رمضان.

ومنها: أنه فى سابع عشرى شعبان وكان نزوله عند وصوله إلى فاس بالمحل المعروف إلى اليوم بظهر المهراس بظاهر فاس.

وبمجرد تخييمه به هرع الأشراف والعلماء والأعيان لاستقبال جنابه وتقديم مراسم التهانى لجلالته، فقابلهم بكل تجلة وإكبار، وأكرم وفادتهم وأوعدهم بالدخول من غده لزيارة الضريح الإدريسي فرجعوا مبتهجين، وبالثناء على شمائله لهجين، وما كان الغد حتى أخذوا زيتهم وحملوا ألويتهم وأسلحتهم وخرجوا لمخيمه طبق الوعد الذى كان بينهم وبينه، وبمجرد وصولهم ركب المترجم فرسه

وتوجه معهم في موكبه الحفى الحافل وحاشيته الكريمة، وساروا إلى أن دخلوا على باب الفتوح أحد أبواب مدينة فاس الإدريسية، وكان اختيارهم للدخول على ذلك الباب تيمنا وتفاؤلا بما أضيف إليه.

ثم إن بعض سماسرة الفتن الموقدين لنيرانها من أهل فاس أولاد ابن يوسف رام اغتنام الفرصة بالإيقاع بحمدون الروسى غيلة، حيث إنه كان قتل أباهم، فشرع الروسى بذلك وتنحى عن الموكب، وقيل سبوه والسلطان يسمع واقتفى لأثره فانفلت منهم، ولحق بالترجم، وأخبره بالواقع وهو إذ ذاك على قنطرة الرصيف فاغتاظ، ورجع على طريق جامع الحوت، وذهب على جزاء ابن عامر، وخرج على باب الحديد، وسار إلى أن دخل دار الملك من المدينة البيضاء فاس الجديد.

وقيل: إن ذلك كان والسلطان بالمحل المعروف بين المدن، وأنه سار على حومة البلدة، وخرج على باب الجيسة، وسار إلى أن بلغ فاسا الجديد، ولم يزر الضريح الإدريسي تحرزا من توقد نيران الفتن على حين غفلة، وذهب القوم في إعراض المترجم عن الزيارة كل مذهب.

ثم بعد أن أحاطوا علما بالسبب الموجب للتخلف طلع لدار الملك أعيان البلد من أشرف وعلماء ووجهاء بيعتهم، وكان القاضي الأعدل أبو العلاء إدريس ابن المهدي المشاط، هو الذى تولى إنشاءها وكتبتها، وقد أوردتها بنصها أبو القاسم الزياني في البستان مؤرخة بسابع صفر عام ١١٤١، وتبعه فى جلبها صاحب الجيش، والاستقصا، والدار المنتخب المستحسن، تركت نقلها هنا اختصارا، لكن صاحب الاستقصا أوردتها بتاريخ سابع رمضان العام لا صفر وهو فى نظرى أصوب^(١) وأصح، ولما قدم الوفد الفاسى للحضرة السلطانية بيعتهم المشار لها

(١) فى هامش المطبوع: «لأن صفر عام واحد وأربعين لا زال مولاي أحمد الذهبى قائما ولم يميت حتى وصل شعبان هـ».

أبدوا أعذارا عما أضره السفهاء، فأعرض عنهم فيما يتعلق بذلك الموضوع،
ووصلهم بقنطار ونصف ذهبا، اقتسموه أمامه بينهم.

ثم أمرهم بتهميئ خمسمائة رام للتوجه معه للعاصمة الكناسية طبق عواندهم
المقررة فى ذلك، مع الملوك قبله من سفله وغيرهم، فأجابوا بالسمع والطاعة، ثم
نهض المترجم لمكناس وفى معيته الخمسمائة رام المذكورة.

ولما كان على مقربة من العاصمة الكناسية وجد عسكر العبيد وقوادهم وقواد
العرب والبرابر فى استقباله فرحين مستبشرين، فأدوا لجلالته ما يجب من مراسم
التهانى والترحيب والإعظام والإجلال، ثم انضافوا لجنده وسار والوية النصر
تخفق، إلى أن حل بعاصمة والده مكناسة الزيتون فى موكبه المدهش العجيب
الترتيب، وما استوى على العرش حتى وفد على شريف أعتابه الأشراف والعلماء
والأعيان ببيعتهم العامة، ثم صارت وفود القبائل الشاسعة والدانية تفد على
حضرتة ببيعاتها، وهو يستقبل كلا بما يليق به، ولما فرغ من شأن الوفود فرق
الصلات على سائر الطبقات كل وما يستحق، إلا أهل فاس فإنه حرمهم نواله.

ولما كان عيد الفطر قدم على الحضرة شرفاء فاس وعلماؤها وأعيانها بالهدايا
العيدية كغيرهم من الخواضر والبوادى لحضور العيد مع الجلالة السلطانية وفق المقرر
المعهود، ولما رجع من مصلى العيد فرق الصلات والجوائز على جميع تلك الوفود
الوافرة والعساكر والجيوش غير أهل فاس، وصلات الوفود كلما وفدوا على الجلالة
السلطانية ومن ذكر معهم كانت من مألوف العادات عند ملوك «ولتنا، ولا سيما
فى أيام الأعياد، واستمر العمل على ذلك ولم يتعطل إلا فى هذه الأزمنة الأخيرة،
ولما كان يوم ثانى العيد أمر بإحضار أهل فاس فأحضروا بمشوره السعيد وهو على
سرير ملكه، ولما مثلوا بين يديه أمرهم بالكتب لإخوانهم بتسليم البساتين (المعاقل)

والقصبات لأن ذلك ملك للسلطان ومن وظيفه، وأوعدهم إن هم امتنعوا بهدم ديارهم عليهم، فلم يكن لهم إذ ذاك بد من الامتثال والجواب بالسمع والطاعة.

ولما جن الليل ارتحلوا إلى بلادهم فاس، وقرروا لإخوانهم الأوامر السلطانية، فاتفق رأيهم على رفض ذلك وعدم الإجابة له، واجتمع فقهاؤهم وأشرفهم وأعيانهم للمفاوضة والنظر في وجه يمكن به خلاصهم مما ذكر، ويأثر ذلك ورد عليهم من الحضرة السلطانية كتاب بتسليم ما ذكر لجانب السلطان، فحاصروا حيصة حمر الوحش وهاجوا وماجوا، ثم اتفق رأيهم على أن يعينوا وفدا يوفدونه للشفاعة لدى المترجم أولاً، والتزموا بأداء جميع الوظائف التى كانوا يؤدونها لوالده وإعطاء الضمان على ذلك، فلم يرفع لهم رأساً، ورددهم ناكسين على الأعقاب، ثم اتفق رأيهم ثانياً على أن يوجهوا لسدته الكريمة هدية تبرع بها تجارهم، وعينوا جماعة من أعيانهم توجهت بها فتعرض الودايا إليهم ونزعوا منهم الهدية وسلبوهم من كل ما بيديهم وأودعوهم سجن فاس الجديد، وصرحوا لهم بأن صاحب الترجمة أمرهم بحصار فاس الإدريسية.

ولما علم بذلك أهل فاس القديمة صمم العامة منهم على رفض بيعته، ونازع العلماء فى ذلك محتجين بأن بيعته فى أعناقهم فطاعته واجبة عليهم، إلا إن أمرهم بكفر براح فأعارهم الجمهور أذنا صماء وأعلنوا بخلع ربة بيعة المترجم ورفض طاعته، ونادوا فى المدينة من أراد الخروج لبلاده فليتهاً لثلاث، وأغلقوا أبواب البلد وذلك فى سادس الشهر المذكور.

ولما اتصل هذا النبأ بالمترجم صمم على محاربتهم، فجيش الجيوش وخرج لإرغامهم على الرضوخ للطاعة فى خامس عشر شوال المذكور، وأحدقت عساكره الجرارة بفاس، وعتت فى السبل الموصلة إليها، وقطعت أشجار جناتها، وهدمت مبانيها، وأفسدت الزروع والبحائر، وقطع عنهم الوادى، وحاربهم من كل ناحية

وباب، والمدافع والمجانيق تمطرهم بوابل كورها وأحجارها المدمرة، واستمر القتال عليهم بالليل والنهار حتى سثموا وكلوا وملوا وضاق بهم المتسع، ويثسوا من النصر، وبارت حيلهم، وارتفعت الأسعار، وأنتنت المدينة من كثرة الأوساخ وعدم الماء، ولم يسعهم إلا الجنوح إلى السلم، فسعوا في الصلح فاشتراط المترجم عليهم تسليم المعادل والقصبات، فكبر عليهم ذلك واستأنفوا القتال وأظهروا التجلد.

وفي الرابع والخامس من ذى القعدة التقى الجمعان ووقعت بينهما معركتان خفيفتان بباب الجيسة، وفي الثاني منه وقعت معركة ثالثة بباب الفتوح، وفي الثالث عشر وقعت معركة كذلك، وفي الخامس عشر منه ركب السلطان في ملا من جيشه فلقية أهل فاس تائبين وفي عفوه راغبين ولأمانه آمليين.

فأجابهم لما طلبوا بالشرط المذكور، فلم يقبلوا، وفي الواحد والعشرين وقعت معركة عظيمة بباب الجيسة من الصبح إلى الزوال ومات من أهل فاس نحو الثلاثين، منهم: مولاي عبد القادر بن عبد الرحمن الدباغ، وعبد الخالق بن خالد، وعبد الله بن علال.

وفي الثاني والعشرين وقعت مقتلة بباب الفتوح مات فيها من أهل فاس ثلاثة أنفار.

وفي خامس ذى الحجة نزلت قبلة بالقطارين وأهلكت بوجيدة بن عيشون. وفي عيد النحر نزلت قبلة أخرى على قبة الضريح الإدريسي أصابت أناسا، هلك منهم رجل وجرح باقيهم، وكان ممن جرح العلامة أبو العباس أحمد بن الحياط بن إبراهيم الدكالي، وعطلت صلاة الجمعة.

ومن الغد وقعت معركة بباب الجيسة مات فيها من أهل فاس نحو العشرين، فتوسط أهل فاس للسلطان ببعض الوجهاء الذين اعتقدوا أن شفاعته لا ترد لديه، فأبى إلا إذا سلموا البساتين والقصبات، فامتنعوا وتمادوا على القتال.

وفى فاتح محرم عام اثنين وأربعين كان قتال عظيم ببابى الجيسة والمسافرين، مات فيه من أهل فاس نحو الثلاثين رجلا، واستؤنف القتال من الغد ومات فيه خلق، وارتفعت الأسعار وبلغ وسق القمح ثلاثين مثقالا، وزادت نيران الفتن توقدا، وتكاثر الهرج والمرج، وجعلت المحال السلطانية ترمى القنابل المدمرة على المدينة.

وفى ثالث صفر وقعت معركة أول النهار، ولما كان العشى اتفق أهل فاس على الهجوم على المحال السلطانية من سائر الجهات، فخرج للمطيون من باب الجيسة للمحلة التى بوادى المالح وكان قائدها موسى الجرارى فوثبوا عليها، وفر أهلها واستولى أهل فاس على جميع ما فيها، وكان من جملة ما غنموا مدفعان.

وخرج الأندلسيون وأهل العدو من باب المسافرين واستولوا على جميع ما كان مدخرا بالسيد أبى جيدة حيث كان الحصن المنيع لتلك المحال، وساقوا من وجدوه من الجند هنالك إلى الباب وقتلوهم شر قتلة.

ومن الغد نصبوا المدفعين اللذين غنما بالقصبة البالية وجعلوا يرمون بهما فاسا الجديد.

وفى التاسع عشر من الشهر انضم الجيش السلطانى بعضه إلى بعض، وكان المترجم حاضرا بنفسه، ووقع قتال عظيم بين الفريقين انجأى بانهزام المحال السلطانية، ولم يمت من الجيش الفاسى غير ستة.

ومن الغد فقد الزرع بالمدينة، واشتد الهول، وعظم المصاب، ووقع التنازع بين العامة والرؤساء، وضعفت قوى المقاتلة عن المقاومة، ولم يكن لهم بد من الإذعان وتسليم ما طولبوا بتسليمه للجناب السلطانى.

وبسبب ذلك تم الصلح على يد القائد محمد السلوى بالضريح الإدريسى، وذلك يوم الثلاثاء عاشر ربيع الأول عند صلاة الظهر.

ثم اجتمع رؤساء الأشراف والعلماء وذوو النجدة والوجاهة، وطلعوا في معية القائد السلوى المذكور لدار الملك لاستئناف تقديم الطاعة، فقبلهم المترجم وقابلهم بالعضو والإغضاء، ووصل الشرفاء والعلماء بألف دينار، وكسا الأعيان، وولى عليهم الحاج على السلوى، وانطفأت نيران تلك الفتن.

وفى الثالث عشر من ربيع النبوى عمر الجند السلطاني القصابى مع البساتين (المعاقل).

وفى العشرين منه نهض صاحب الترجمة من فاس ووجهته العاصمة المكناسية، ولما حل بها وجد القبائل استأنفت عملها الأول من ركوب الخيل واقتناء السلاح والعيث فى الطرقات، فأصدر أوامره للعبيد بتجهيز الحركة لتمهيد البلاد، وقطع جرثومة الفساد.

ثم نهض قاصدا تادلا لقمع آيت يَمور الذين نزلوا بها لما أخرجهم آيت ومالوا من رأس ملوية، وأضروا بأهلها، ولما أحسوا بمقدمه فروا أمامه ودخلوا بلاد آيت يسرى، فاقتفى أثرهم وأوقع بهم شر وقعة بوادى العبيد نهبت فيها أموالهم وقتل منهم آلاف.

ولما رجع المترجم لتادلا قتل من أعيان رماة أهل فاس عشرين، وكتب لأهلهم يعتذر عن قتل من قتل منهم مبينا لهم وجه ذلك وموجه، وأمرهم بتوجيه حركة أخرى فامتثلوا وعينوا من يتوجه للحركة وفق الأمر الصادر إليهم، وكان الذى استعرضهم حمدون الروسى برأس الماء، وبعد الاستعراض توجهوا للحاضرة السلطانية.

ومن غد يوم الاستعراض قتل الروسى المذكور عبد الواحد بتير، ومحمد بن الأشهب بباب السجن وأمر بجرهما، ثم من الغد أصبح يهدم أبواب المدينة، فهدم

باب المحروق، وباب عجيسة، وباب الجديد، وكان ذلك لما تقدم من الاستعانة بغلقها على التمرد ونبذ ما لزم من الطاعة.

وفى الخامس والعشرين من ربيع الثانى بعث المترجم للعلامة أبى عبد الله محمد بن عبد السلام بنانى فلحق به بمكناس، ولما مثل بين يديه سب وجدع وقرع ووبخ لأمر سوء بلغه عنه، وعزله عما كان بيده من الوظائف بجامع الأندلس، ثم عفا عنه وأغضى.

وفى الحادى عشر من جمادى الثانية عزل على السلوى عن عمالة فاس وسجنه لما تظاهر به من سوء لأهل فاس وقتله رئيس أهل العدوتين الشيخ دحمان المنكاد، وأسند عمالة فاس للبادسى بن حمدون الروسى.

وفى العشرين من رمضان عزل أبى العباس أحمد الشدادى عن قضاء فاس، وولى مكانه أبى الحسن على بوعلان.

وفى الثانى عشر من شوال عزل البادسى عن عمالة فاس، وولى مكانه عبد النبى بن عبد الله الروسى، فأساء السيرة فعزله، وولى مكانه حمدون الروسى وأوصاه بالرفق واللين، وحذر وأنذر، ولكن ما بالذات لا يتبدل فلم يزد التحذير إلا إغراء:

إذا كان الطباع طباع سوء فلا أدب يفيد ولا أديب

وفى أوائل جمادى الأولى صدر الأمر بهدم القصبه البالية وحطب ما فيها من الأجنة، ولما علم السلطان بذلك سجن الناظر ونكل بمن فعل ذلك من الولاة محتجا بأنه لم يأمر بذلك، وإنما أمر بتخفيف بعض الأشجار التى لا غلة لها، ثم أمر ببناء ما تهدم وغرس ما قلع، وفى أواخر شعبان قتل عبد الواحد بن سودة الذى كان أمين المواريث قصاصا.

وفى محرم الحرام عام ثلاثة وأربعين ومائة وألف ابتداء فى هدم أسوار المدينة، وصرح بأنه إذا فرغ من هدم الأسوار يشرع فى هدم الدور وأمر بحمل الأنقاض لفاس الجديد.

ثم لما اتصل بالمرجم عتو الروسى وطغيانه، كتب كتابا بتوبيخه وتهديده وإيعاده قرئ على منبر القرويين، ولما تيقن أن لا ملجأ له ولا منجى مما جنت يده فر لزواية جبل زرهون، حيث مدفن البضعة النبوية الطرية، إدريس بن عبد الله الكامل، ولما رجع المترجم من حركته وتوجه لزيارة الضريح الإدريسي تعلق حمدون بأذياله فلم يلتفت إليه، ثم بعد ذلك أحضره بين يديه وعدد عليه ما ارتكبه من الجرائم التى لم يجد لها مدفعا، ثم أمر بتوجيهه لفاس وقتله قصاصا، فأنشد بين يديه ما أنشده بعضهم لأبى جعفر المنصور العباسى:

إنا بطاعتك الألى كنا نكابد ما نكابد
ونرى فنعرف بالعدا وة والبعاد إذا تباعد
هذا أوان وفاء ما سبقت به منه المواعد

فأطرق المترجم ساعة ثم قال له وهبتك لشيبتك، وأبقيتك لصيبتك، على أن لا تقرب ساحتنا، ولا تحوم حولنا، وإلا حلت بك عقوبتنا، وولى على فاس كاتبه الطيب بن حلوة، وذلك فى يوم الاثنين تاسع عشر شعبان، وكان شديد الشكيمة على أولاد العرب والعلماء، ظلوما غشوما، لم يتول على فاس أتعس وأشأم منه، حتى سمي حجاج الوقت، يقال: إنه هو الذى أغرى المترجم على نهب زرع العرب الذى كان بخزائنتهم، فأمر بحيازته، وتوجه الأشراف والعلماء للسلطان فى الشفاعة فردهم خائبين، واستمر ابن حلوة على عمله من النهب والغصب والقتل والتدليس وتشويه وجه الحقيقة إلى أواخر رمضان وقيل شعبان، فنكبه المترجم وعزله وغربه إلى مكناسة الزيتون، فلم يزل بها فى شبه عقال إلى أن لقي ربه بعد

خمسة أشهر، وولى على فاس مكانه عبد اللطيف بن عبد الخالق الروسى، ووجه به عاملاً فوصل إليها فى سابع شوال.

وفى ربيع الثانى أصدر المترجم ظهيراً شريفاً نصه بعد الحمدلة والصلاة والطابع بداخله (عبد الله بن أمير المؤمنين إسماعيل الحسنى الله وليه ومولاه) وبزواياه اليمن والإقبال وبلوغ الآمال والسعد:

«كتابنا هذا أسماء الله وأعز أمره، وأطلع فى سماء المعالى شمسه المنيرة وبدره، بيد حامله الفقيه الأجل، الموجود الأفضل، السيد الحاج أحمد بن عاشر العامرى يتعرف منه بحول الله وقوته، وشامل يمنه وبركته أننا جددنا له بحول الله وقوته حكم ما بيده من ظهائر سيدنا الوالد قدس الله روحه فى أعلى الجنان آمين، وظهائرننا الكريمة التى تضمنت توقيره واحترامه على مر الليالى والأيام، والسنين والأعوام، فلا سبيل لمن يروم أو يحدث فى جنبه الملاحظ نقصاً ولا زيادة، وأبقيناه على مرتبه الذى كان يقبضه من وقف أحباس مسجد سلا الأعظم عمره الله بدوام ذكره، وقدره خمسة وعشرون أوقية دراهم من كل شهر إعانة له على ما هو بصده من تعليم الطلبة بالمسجد المذكور، وعلى الفقيه المذكور بالاجتهاد فيما كلف به، والواقف عليه يعمل به ولا يتعداه والسلام فى الثانى والعشرين من ربيع الثانى عام ثلاثة وأربعين ومائة وألف».

وفى السابع والعشرين من شوال ١١٤٣ وقع الشروع بأمر المترجم فى هدم مدينة الرياض المائة الذكر التى كانت زينة مكناسة وبهجتها، وفيها دور العمال والكتاب والأوداية وأهل الدولة الإسماعيلية، التى كان بها المسجد الإسماعيلى الأعظم والمدرسة والأسواق والحمامات، وكان يقصدها التجار بالبضائع، فلم تمض عليها عشرة أيام حتى صارت كدية تراب.

وكان قد أشرف على الشروع فى هدمها بنفسه وفى نظرى أن أحسن ما يعلل به هدمه إياها زيادة على ما أسلفناه، هو أن صدور الدولة وذوى الحيشيات من رؤساء الجيش ألتهتم قصورهم الفاخرة بزخارفها عن القيام بوظائف الدولة،

واتفق ما حدث من الفتن بعد وفاة والد المترجم وأساطين دولته ورساساتها، ولما آل الأمر للمترجم لم يجد من أولئك من يعيره لتنفيذ أوامره أذنا صاغية، بل قوبل جلقها إن لم نقل جميعها بالرفض وإبداء العلق الواهية زيادة على كونها صارت بعد آبيه مركز المؤامرات السياسية عليه وعلى إخوته.

وأثناء هذا وسوس بعض شياطين الإنس لصاحب الترجمة فى أبى العباس أحمد بن على الريفى حتى أوغر صدر السلطان عليه، وصمم على المكر به، فطير له الإعلام بذلك بعض أصدقائه من الحاشية الملكية فخاف بطش الملك ووجه بهدية ذات بال جمع فيها تيجانا مرصعة بنفيس الأحجار وأموالا طائلة وأوفد معها ثلاثمائة نفر من أعيان إخوانه أهل الريف يبرهنون للمترجم على إخلاص مرسلهم ورضوخه للطاعة وبرائه مما ألقى به ويطلبون أمانه فأمر بقتل جميعهم، ولما اتصل ذلك بالريفى المذكور قام لإيقاد نيران الفتن على ساق حتى اضطرت وتسعرت وتطايير شررها، وعم الفساد الحاضر والباد، وقطعت السابلة وكان ما كان مما لست أذكره.

ثم بلغ المترجم عيى آيت يمور وتمردهم واشتغالهم بالسلب والنهب، فحشد إليهم جيوش العبيد والودايا ونزل بساحتهم من غير تأهب لهم ولا استعداد للمقاومة، فأخذهم أخذاً وبيلا، وقتل أبا يعقوب الخنصالى شر قتلة، إذ وجدته نازلا بين أظهرهم، قال فى نشر المشانى: ولما قتله منع الناس من دفنه حتى تمزقت أشلاؤه وتفرقت أعضاؤه، فعل ذلك به لثلا يتوهم ضعفة العقول من أصحابه أنه لم يمت لأنه كان يخالط علم الحدثان.

وفى العام نفسه قتل مائتين من لصوص حجاوة على قطع الطريق على المارة ببلادهم، ولما قتلهم خرج أهل مكناس والطالبون للفرجة فى المقتولين بيباب البطيوى، فاتفق خروج المترجم فى تلك الساعة على ذلك الباب، فلما رأى القوم

قصدهم ظانا أنهم المأمور بقتلهم ففروا خوفا منه ودخلوا كهفا على مقربة من المحل يختفون فيه، فقصدهم حتى وقف على باب الكهف وأمر من كان معه بغلق باب الكهف عليهم بالأحجار فأغلقوه غلقا متقنا، ومات جميع من به ولم يوقف لهم بعد على خبر، ولم يعرف عددهم، وفي العام أيضا أمر عبيد مشرع الرمل بالتهيؤ للحركة لجبال فازاز.

وفيه ولى أبا عبد الله محمد وعلى الزمورى عمالة فاس وأمره باستصفاء أموالهم وأن لا يترك لهم قيراطا، إذ كان البعض نقلوا إليه أن المال أطغاهم وأنهم يحاولون الخروج عن طاعته وشق العصا عليه، فتوجه الزمورى المذكور إلى فاس ونزل بدار أبى على الروسى من حومة المعادى وصار ينقب على ذوى اليسار ووظف عليهم أولا غرامة قدرها خمسمائة ألف مثقال وبالع في التشديد في اقتضاء ذلك منهم، وعمر بهم السجون، ومن تغيب يلقى القبض على آثاره.

ولما استوفى العدد المذكور ممن ذكر صرف وجهته لأهل الحرف والملاكين والبطالين، وقام بسبب ذلك هرج ومرج، وفر الناس لشوايق الجبال والقرى والأمصار الشاسعة، وامتدت ولايته عليهم ثلاثة عشر شهرا، وكان كلما قبض شيئا وجهه للمكلف بالداخل للعاصمة المكناسية.

وقد ساق العلامة المؤرخ ابن إبراهيم الدكالى هذه الحادثة ببعض مخالفة وزيادات ونص ماله في تقييده: وفي هذا الوقت قدم عبد الرزاق بن على ويشى، وقبض جميع تجار أهل فاس وسجنهم ودخل ديارهم وحوانيتهم، وشرع في قبض المال منهم، ثم دفعوا مائة وعشرين قنطارا، وكان من جملة من قبض في المال الحاج محمد الأندلسى الرحوى، أخرجوه من حرم سيدى أحمد الشاوى، وأدخلوه السجن وضربوه حتى مات، وطوفوه على النعش وهم يقولون هذا جزاء من لم يعط مال السلطان، وكان ذلك في صفر وجاء العفو يوم الجمعة السادس عشر منه.

وفى الحادى والعشرين منه ذهب عبد الرزاق بمال التجار الذى قبض ودفعه للسلطان، وكان معه التجار الذين دفعوه، فأمرهم بالزيادة عليه، وسجن بعضهم وقد كان عبد اللطيف الروسى من جملتهم، وقد كان عبد اللطيف هذا أمر بقتل السيد الحسن بن السيد عبد العزيز بن إبراهيم الموقت بمنار القرويين بإشارة من القاضى السيد على بو عنان، وقتل بعد صلاة العصر من يوم السبت خامس المحرم عام ١١٤٥.

ولما تلاقى عبد اللطيف المذكور مع السلطان وتكلم معه فى شأن المال الذى دفع أهل فاس غضب عليه السلطان من أجل الرماة، وأمر بضربه بالسياط، فضرب ثم ثمانمائة، ثم طعنه برمح وأمر بذبحه وجره لباب الملاح جزاء وفاقًا بما فعل بالسيد الحسن المذكور.

ثم تولى حكومة فاس الطالب محمد بن على ويشى أخو عبد الرزاق المذكور، وكان حسن الأخلاق يوقر الأشراف والعلماء وأبناء الصالحين، فكان جعل للطلبة خراجا يقبضونه من وفر القرويين، إلا أنه كان فظا غليظا على التجار لا يقبل منهم عذرا، وقبض منهم زمن ولايته أموالا عريضة، وانتفى بسببه من فاس من أهل الغرامات ما لا يحصى، وبقي حاكما بفاس من حين قتل عبد اللطيف الروسى إلى وقت نجاته المولى عبد الله بنفسه كما يأتى هـ.

وفى ١١٤٤ لما كان المترجم وجه للمولى الطيب الوزانى فى شأن الباشا عبد النبى الحيانى، وقد كانا مستجيرين بوزان وتراخى المولى الطيب فى توجيههما إليه، بعث له قائلا: والله إن لم تأت بهما حتى أهدم عليك تلك الدشرة، وأجرك فى أزقتها، فذهب إليهما فامتنعا من الخروج فأعطاهم عهدا ومواريق بأنه لا يتخلف عنهم ولا يسلمهم، فخرجا معه وخرج معهم جمع من الأشراف والصبيان أولادهم بالألواح.

فلما وصلوا لحضرته وأعلم بورود عبد النبي نهض وخرج إليهم راجلا،
وقبض على لحية المولى الطيب وهزه منها وقال له: أخى فارقتى فما أدخلك بين
عبيدى ورعيتى. . فقال له: أريد من الله ومنك أن تعتقهما، فقال له: إن أعتقتهما
فلست بولد لإسماعيل بن الشريف، والأشراف والصبيان واقفون ويدهم غطاء
جدهم المولى عبد الله الشريف، وغطاء المولى التهامى.

والتفت لعبد النبي وصار يخطب عليه ويعدد مساويه، وكان من جملة ما
خاطبه به: إئننى ما نسيت ولا أنسى ما شافهتنى به على رءوس العبيد: والله إن
قبضتك يا عبد الله بوسبيط الصغير^(١) ريب الدغى، حتى أرمى على رجلك
كبلا (قيدا) من عشرين رطلا، وألقيك فى الدهليس إلى أن تموت فيه، وتكررها
مرارا. . وتذكر اليوم الذى قبضت فيه لجام فرسى ودككته إلى ورا، إلى أن سقطت
من فرسى على الأرض وقلت لى: اذهب من هنا، إنما أنت طفل صغير، فطلعت
إلى ربوة وبكيت حتى كاد أن يعود الدمع دما، ومن أجلك أنفنت بيت المال كان
إذا أتى إلى صاحبك بكتابك أو كلامك لم يكن لى بد من إعطائه قنطارا سخرة له
اتقاء لشرك، ثم قال لمن حوله اقبضوا الظالم عدو الله فصاروا يجرونه وقد كان
قابضا بيد المولى الطيب، فقطعوا يده وأخذوه، وكذلك فعلوا بصاحبه قدور
السهلى، ذكره الضعيف.

وفى عام ستة وأربعين، عقد للباشا قاسم بن ريسون على جيش من العبيد
منتظم من خمسة عشر ألف فارس، وللقائد عبد الملك بوشفرة الأودى على ثلاثة
آلاف فارس من إخوانه الودايا، ووجه بالجميع لجبل آيت ومالوا، ولما عبرت تلك
الجنود، وادام الربيع على مجاز البروج، خيمت بأدخسان، ولما رأى أولئك البرابر
العتاة ما لا قبل لهم بمقاومته، فروا للجبال فاقتفى الجند أثرهم إلى أن توغلوا فى

(١) فى هامش المطبوع: «كان المترجم كذلك رقيق القدمين حذاءهما كاحذية الأطفال كما
تقدم فى وصفه».

وعر تلك الجبال، ثم وجه البرابر ذات ليلة من سد الثنايا التي دخلوا منها بالأشجار الأرز.

ولما كان الصباح هجموا عليهم من كل ناحية وقاتلوهم قتالا شديدا في تلك الأوعار التي لم يقرءوا لها حسابا، فهزم الجيش هزيمة شنعاء، وولوا الأدبار، فوجدوا الثنايا قد سدت دونهم فاردادوا فشلا ورعبا، ولم يسعهم غير الترجل وتسليم الخيل والسلاح والزاد، ولما تجردوا من كل شيء وتركوه غنيمة باردة حقن البربر دماءهم، ولم يقتلوا أحدا منهم.

ولما لحقوا بالترجم لمكناس حفاة عراة منحهم وكساهم ووعدهم بإخلاف ما ضاع لهم، وأمرهم بالرجوع لمشرع الرمل فرجعوا وقد بذر في قلوبهم بغضه، شأن ما جلبت عليه الطباع فيمن تسبب لها في لقي ما تكره، وإلا فالترجم إنما كان وجههم لحسم مادة المفسدين.

وفي عام سبعة وأربعين: اتفق العبيد والودايا على قتله والتمثيل به انتقاما منه لإسرافه في قتلهم حتى كاد أن يستولى على رءوسهم وصناديدهم سعيا وراء كسر شوكة استبدادهم وطغيانهم على الملوك وإيقادهم نيران الفتن في الرعية، وأخذًا بدم صنوه أبي مروان عبد الملك الذي خنقوه، وكان قصده استئصال شأفتهم لتحققه أنه لا يستقيم معهم ملك لأحد، قالوا بلغ عدد من قتل منهم عشرة آلاف ونيف، «إنما جزاء الذي يحاربون الله ورسوله ويسعون في الأرض فسادا أن يقتلوا أو يصلبوا أو تقطع أيديهم وأرجلهم من خلاف أو ينفوا من الأرض».

ثم إن المترجم أنذر بما صمم عليه العبيد من اغتياله، فخرج من العاصمة المكناسية يوم الأحد ثامن وعشري ربيع الثاني ليلا ناجيا بنفسه، ومن الغد الذي هو يوم الاثنين بلغ لفاس خبر خروج السلطان، فهرب عاملها محمد بن على

ويشى وأتباعه، وسار المترجم إلى أن بلغ آيت أدراسن ففرحوا به وأووه وعززوه إلى أن بلغ لمشرع بولعوان.

وكان هنالك لجانب السلطان عدد وافر من الزرع، ففرقه في أتباعه وضعاف الناس، إذ كان الغلاء بمراكش ونواحيها، ففرح الناس واطمأن المترجم وودعه أهل تادلا، وانقلبوا لخللهم ومحالهم، وسار هو إلى مراكش، ثم تارودانت، وأقام بها أياما، ثم انتقل إلى السوس، ثم وادى نول حيث استقرار أحراله المغافرة فنزل عليهم.

وكان في معيته ولداه أبو عبد الله محمد مار الترجمة دون بلوغ، وأبو العباس أحمد فوق البلوغ، قاله الزياني: وقال غيره: إنه ترك الأول من الولدين المذكورين مع جدته خنائة بمكناس، وهو ما حققه في الدر المنتخب وهو الذى يشهد له التاريخ.

وكانت مدة خلافته هذه خمسة أعوام وثمانية أشهر ونصف على ما شهره فى الدر المنتخب، وكانت مدة مقامه بوادى نول عند أخواله ثلاثة أعوام.

أما العبيد فإنهم لما علموا بذلك وجهوا لسجلماسة جريدة من الخيل تأتي إليهم بصنو صاحب الترجمة أبى الحسن على الأعرج لييايعوه، على ما سنفصله بعد فى ترجمته بحول الله.

وفى عام ثمانية وأربعين ومائة وألف: كانت فتنة عبد الله بن محمد الكرسيفى مدعى المهدوية بالسوس، وارتفع صيته فى تلك الأصقاع، ملأ أرجاءها، واقتحم حصن أكدير عنوة، وفعل بأهلها ما يخجل وجه المروءة، وخيم بالمحل المعروف بفوننت تحت أبى القناديل، ومنعهم من الماء حتى مات جل تلك البلاد نساء ورجالا وصبيانا عطشا، وحيل بينهم وبين المقابر العامة فصاروا يدفنون

موتاهم بالدور والمساجد، وكان الفتان المذكور يحث أهل سوس على غزو أهل أكدير ويقول: إن ثلثهم نصارى، وثلثهم يهود، وثلثهم عصاة حسب جهنم.

فأجابه لذلك خلق كثير من أهل سوس، والحال أنهم لم يروا البحر قط، ولما نزلوا بساحته أخذوا يشربون ماء البحر ويلثون به سويقهم، فهلك منهم عدد عديد، ثم عاد الثائر لتارودانت مصمما على الإيقاع بهوارة، ولما شعروا بمراده اتخذوا سائر الاحتياطات اللازمة وأجمعوا أمرهم على اغتياله، فأوعز إليه بذلك بعض المعتقدين له، فأشاع أنه يريد زيارة أبي حفص عمر وهارون برأس الوادي، فتبعته هوارة إلى أن لحقوا به بثلاثاء تماصت بزاوية السيد عياد، وأخذوا يلعبون بالبارود مع أصحابه مظهرين الفرحة والطاعة له، فلم يأمن فيهم، ونجا بنفسه فاقتنصوا أثره إلى أن لحقوا به بصهرنج آيت أيوب في تنزرت، وأطلقوا عليه أفواه مكاحلهم بالرصاص ففر ودخل دار الشيخ أحمد ويدير، ومات بداره ونهب آيت يش ماله.

قاله الضعيف: وقد وقع لصاحب الدر المنتخب في سوق هذه الحادثة تخليط واشتبه عليه أمرها واشتبك واربتك، وبموت هذا الفتان الأفاك اطمأنت نفوس أهل تلك البلاد، وأمنت سبلهم، وكان الذى قتله هو ابن همان وماين الهواريان ويعيش الزكنى المنبهي.

ثم وفد المترجم على تارودانت واستولى عليها وعلى أحوازها، وبويع له بتلك الأصقاع، ووقعت بينه وبين هوارة معارك عظيمة انجلت بانهزامهم وفشلهم كل الفشل، ثم نهض من تارودانت وخيم ببلاد السراغنة وأوقع بهم وقعة شنيعة، وحكم السيف فى أربعمائة رجل من عوامهم، ومائة من طلثهم، حيث إنه وجدهم هدموا مسجد القصبة وصبروه بلاقع، وكان ذلك كما قال الضعيف سنة ١١٤٨ ثمان وأربعين.

وانظر هذا التاريخ مع ما سبق أنه بقى بوادى نول ثلاثة أعوام، وكذلك يخالفه ما فى الاستقصاء من أنه لما كان شهر ذى الحجة من سنة تسع وأربعين ومائة وألف ورد الخير بأن السلطان المولى عبد الله قد أقبل من وادى نول، ووصل إلى تادلا، فاهتز العبيد له وتحذت فرقة منهم برده إلى الملك، وخالفهم سالم الدكالى فى جماعة من شيعته، وقالوا: لا نخلع طاعة مولاي على، إذ كان سالم هذا وأصحابه هم الذين تسببوا فى خلع المولى عبد الله، وتولية أخيه مولاي على.

ثم إن شيعة المولى عبد الله قويت وكثروا أصحاب سالم وأعلنوا بيعته، ففر سالم فيمن معه من القواد إلى زاوية زرهون مستجيرا بها.

ولما سمع بذلك السلطان المولى على فرَّ من مكناسة إلى آخر ما يذكر فى ترجمته، ولما فر اجتمعت كلمة العبيد على ذلك أهل فاس وسائر القبائل، ثم إن سالما الدكالى الذى بزرهون كتب إلى أهل فاس يقول لهم: إن الديوان قد اتفق على خلع المولى عبد الله، وبيعة سيدى محمد بن إسماعيل المعروف بابن عريبة، والمشورة لعلمائكم، فأجابوه بأن قالوا: نحن تبع لكم، فلما سمع أهل الديوان بما فعله سالم الدكالى وما تقوله عليهم خرجوا من المحلة إلى زرهون، وقبضوا على سالم الدكالى ومن معه من القواد وبعثوا بهم إلى السلطان المولى عبد الله بتادلا، فاستفتى فيهم القاضى أبا عنان، وكان يومئذ معه فأفتاه بقتلهم هـ، ونحوه فى الدر المنتخب، والترجمان العربى، وغيره من كتب الزيانى.

لكنهم صرحوا بأن القبض على الدكالى وأنصاره كان بإيعاز من المترجم، وأنه لما ألقى القبض عليهم قيدوا بالحديد ووجه بهم لصاحب الترجمة وهو يومئذ بتادلا، وهنالك وقع استفتاء من ذكر فيهم وقتلهم، واستؤنفت البيعة للمترجم،

ونهب من تادلا وسار إلى أن خيم بأبي فكران وتوجه لاستقباله، ثم أهل فاس
ومكناسة أشرف وعلماء وأعيان، ولما مثلوا بين يديه وقدموا إليه يبعثهم سب
وجدع وهدد وأوعد على ما صدر منهم وتكرر من شق العصا والخروج عن
الطاعة، وقتل جماعة من أعيانهم، وعزل قاضي العاصمة المكناسية أبا القاسم
العميري، وولى مكانه الطالب بوحنان، وألقى القبض على عاملها مسعود بن
عبود، وولى على فاس محمد بن علي ويشى.

ولكنه لما توجه إليها لم يستطع الدخول إليها خوفا على نفسه من الإيقاع به،
ونزل بالقصبة الجديدة إذ كان فيها عبيد المترجم وخاصته أدالة.

وفى يوم الخميس خامس عشرى صفر مد الودايا يد النهب والسلب فى
الطرقات، ونهبوا ما كان بسوق الخميس من الماشية والدواب، أخذوا من البقر نحو
الألفين، ومن البغال نحو سبعمائة، ومن الثياب عددا عديدا، وأغاروا على سرح
أهل فاس وعاثوا فى ضواحيها والسبل الموصلة إليها، واتفق أن كان اليوم
العنصرة، وفى اليوم نفسه شرع أهل فاس فى بناء أسوار المدينة التى تهدمت.

وفى يوم الأربعاء فاتح ربيع الأول قدم مسعود الروسى من مكناس لفاس
والمدينة فى حصار، فزار الضريح الإدريسى وانصرف لداره بالعدوة، فسأله بعض
القوم عن سبب مجيئه، فقال: إن السلطان مولاى عبد الله ولانى حكومة فاس،
ولما شاع ذلك النبأ تحزبت الغوغاء والأخلاق وهجموا عليه وقتلوه أمام داره وجروه
إلى توتة الصفارين، وهموا بتعليقه عليها فتعذر^(١) حمله لضخامة جثته وبقي
ملقى هناك إلى الغد هـ.

وفى نظرى أن ما جاء فى تاريخ الضعيف نقلا عن تاريخ ابن موسى أصح
وأقعد، لأنه عاصر المترجم وحفظ ووعى وقيد على عهده ونقل كلامه الضعيف
ولم يتعقبه.

(١) فى هامش المطبوع: «لا تعذر فى الضخامة مع التحزب المذكور».

وفى الدر المنتخب نقلا عن صاحب نشر المثنى: أن السلطان - يعنى المترجم - نادى بالوعيد الشديد لمن أتى بالميرة لفاس، وبقوا فى الحصار إلى مهل ربيع الأول، فأرسل السلطان القائد مسعود الروسى والياعلى فاس لما شاع عنهم أنهم إنما كرهوا محمد بن على المذكور، وأما غيره فهم راضون به أيا كان، ففرح عامة الناس بدخوله لخمود الفتنة، وإطفاء نارا الغلاء، فدخل الروسى دار أخيه بعدوة الأندلس من فاس، وجعل الناس يأتون للسلام عليه وكثر عليه الازدحام وهو داهش لا يدرى ما يحل به، ثم دخل عليه من جرى فى الفتن فقتلوا بعض أصحابه بين يديه، وخرج هو فاراً لدور بعض الأشراف محترما ومحترفا.

فلما كان الليل اجتمعوا على قتله أخذا بثأر أخيهم بوده إذ كان قتله فى زمن ولايته لمولاي على، فأخرجوه من المحل الذى كان به وقتلوه، وأصبحوا على أشد ما يكون فى حصارهم، وغلا الزرع وكان به نحو ثمان موزونات للصاع النبوى، وقل الإدام، وانقطع اللحم واستمروا على حصارهم ومكث أهل فاس على نصر مولاي عبد الله والخطبة به على المنابر هـ.

وفيه أيضا نقلا عن صاحب النشر وغيره قائلا ما لفظه ومن كلامه الممزوج بكلام غيره: وفى عاشر ربيع الأول تولى عبد الخالق الزيتونى أمر فاس بإجماع أهلها، وجعل ينظر فى مصالح المسلمين من إصلاح الأسوار وغيرها، وفى السادس عشر قبض الودايا ثلاثة من أهل فاس وطوفوهم بفاس الجديد وقتلوهم، وقتل أهل فاس الهزاز، وابن حمو.

وفى يوم الجمعة الثالث والعشرين من ربيع الثانى اختلفت كلمة اللمطين والأندلسيين فى ذكر السلطان مولاي عبد الله على المنبر فى الخطبة، فأراد الأندلسيون ذكره، وامتنع اللمطيون، وصليت الجمعة بذكره فى مسجد الأندلس والطالعة، وترك خطيب باب الجيسة ذكره، وكذلك نائب خطيب القرويين، لأن

خطيبها قاضى فاس كان بالحرم الإدريسي محترما، وأما خطيب المقام الإدريسي فإنه كنى عنه ولم يصرح، وإنما قال: وانصر اللهم من بايعناه على طاعتك من أبناء السادات الشرفا، سمي جده والد المصطفى.

وخاض الناس فى ذلك وكثر القيل والقال، واجتمع العلماء فى المقصورة فانفصلوا عن غير فائدة.

وفى السادس والعشرين اجتمعوا أيضا بمسجد اللبارين، فأما الفقيه سيدى محمد بن عبد السلام بنانى، فقال للامة: أخرونى حتى أراجع المسألة وأراجع كتب الأئمة، وأما الفقيه السيد محمد الزيزى فقال لهم: طاعة السلطان واجبة، وإن تفاحش ظلمه فإنه متغلب ولا تقدرُونَ على مقاومته، ومن قال لكم غير هذا فقد غشكم، وأنا لكم من الناصحين.

فهاجت العامة عليه، وهموا بقتله حتى تشفع فيه بعض الأشراف، وانفصل المجلس على ما ذكره بنانى ومن تبعه من التأجيل، ثم اشتد الغلاء فبلغ القمح عشرين مثقالا والشعير عشرة مثاقيل، وتحير الناس فى أمورهم، وأراد اللمطيون أن ينصروا سيدى محمد بن عربية وامتنع الأندلسيون.

وفى مهل جمادى الأولى تذاكر الناس فى الصلح مع مولاي عبد الله على يد السيد أبى بكر بن محمد بن الخديم الدلائى، فلم يظهر لذلك أثر بعد أن كانوا نصره على المنابر فى الخطب.

وفى ثانى جمادى الأولى جاء القائد محمد مغوس المجاطى بقصد الصلح، ثم إنه وقع خصام بينه وبين الودايا فجرحوه، وذهب لمكناسة وتوفى بها فى سابع الشهر المذكور.

وفى السابع عشر منه تناول أهل فاس صلحا مع السلطان على يد زيان بن على ويشى رئيس المحلة النازلة فلم يكمل، لأنه اشترط عليهم شروطا لم يقبلوها.

وفى يوم الثلاثاء السادس والعشرين منه وقع خصام بين بعض البوابين بباب الجيسة مع خديم من خدام الشرفاء أهل دار القيطن فضربوه، فلما سمع بذلك أصحابه الشرفاء تحزبوا، وانضاف إليهم جماعة وجاءوا لاشبارات من ناحية سيدى اللزاز من ناحية الطالعة، فلما وصلوا للقصبه الجديدة وتلاقوا مع محمد بن على ويشى قائد مولاي عبد الله، قالوا له: نحن لا نوافق على ما فعله أهل فاس، وما خرجنا إلا لهذا الغرض، فأعرض عنهم، وحينئذ اجتمع اللطيطون والأندلسيون بعد صلاة العشاء بالقرويين وتحزبوا على عدم نصر مولاي عبد الله، وشد السلطان فى الحصار مدة من أربعة أشهر ولم يكن بين أهل فاس ومن حاصرهم قتال ولا رمى بكور ولا ببج ولا حفر مينة ولا طمع فى الاستيلاء على المدينة، لأن السلطان أوصاهم بعدم ذلك، وقال: إن ذلك لا يفيد فى فاس شيئا، وقد بالغت فى الحصار الأول الذى قبل هذا الجهد وما حصل لى منى ذلك إلا تضييع الأموال والمشقة، وإنما يذعن أهل فاس المساكين من أهلها والضعفاء الذين لا يقدرين على الدفاع عن أنفسهم شدة من الغلاء والجوع، هذا كله والسلطان بمكناسة يقتل من طغى من العبيد وتجبر هـ.

وفى يوم الثلاثاء سادس عشرى وقيل الثامن من جمادى الأولى عام تسعة وأربعين، اجتمع رأى أهل فاس والودايا ومن شايعهم على رفض طاعة صاحب الترجمة والبيعة لصنوه أبى عبد الله ابن عريبة مار الترجمة، وقد كان الناس سثموا الفتن وإتلاف الأنفس والأموال وضيق المعيشة وقطع السابلة وكلوا وملوا. وفى الاستقصا أن بيعته كانت فى خامس الشهر سنة خمسين هـ.

ومن الغد الذى هو يوم الأربعاء أعلنوا بذلك ونادوا به فى الأزقة والأسواق وكتبوا البيعة لابن عريبة المذكور، ومن توقف أو خالف فى ذلك نكلوه، وإن كان موظفا عزلوه، وكان ممن آخر عن الوظيف لعدم إسراره بالإجابة لما ذكر أبو عبد

الله محمد البكرى الدلائى وسجن وذعر، وأبو عيسى المهدي الفاسى، وأبو مدين أحمد الفاسى، وأبو العباس أحمد بوحنان، الأول منهم عن إمامة الضريح الإدريسي وولى مكانه أبو عبد محمد بن على بن إبراهيم، والثانى عن الإمامة بمدرسة الطالعة وعين للإمامة بها بدلا عنه الشيخ التاودى بن سودة، والثالث عن الإمامة بجامع الأندلس وولى مكانه السيد بوعزة بن إدريس المناط، والرابع عن إمامة جامع باب الجيسة وعين بدلا عنه أبو عبد محمد فتحا السلاوى.

ولما اتصل ذلك بالترجم جمع أهله وعباله وماله وكل ما له قيمة بالقصر الملكى بمكناس وأطلق سراح من كان بالسجون، وخرج من مكناسة ونزل بالحاجب، وقيل بجبال فازاز، والتفت عليه البرابر وصاروا يغيرون على سرح مكناسة وساييس وما والى ذلك.

ثم بعد ذلك بخمسة أيام أتى المترجم بالبرابر أتباعه ليلا إلى مكناسة ونهب جميع أحوازها، ووصل إلى سيدى فرج وبقي هنالك إلى أن طلعت الشمس وفتح باب الأروى فدخلها وهدم البيوت وحرق المساكن، وأخذ جميع ما كان بها من خيل وسلاح، ورجع للحاجب فاقتفى أثره جند صنوه ابن عريبة. ولما رأى المترجم ما لا قبل له به نجا بنفسه وترك مخيمه غنيمة، فتبعته جنود العبيد والودايا وأهل فاس إلى ملوية وتوغل فى جبالها وخفى عنهم ولم يدروا أين ذهب، وفى منقلبهم اعترضهم البربر وسلبوهم من كل شىء، واشتبكت الفتن وارتبكت، وفى هذه الفتن كانت منية المولى الرشيد صنو المترجم، والقائد ابن النوينى.

وفى نسخة عتيقة من نشر المثنانى غير مطبوع ما نصه: إن عبيد مكناسة تبعوا المترجم للفتك به فلما نزلوا على عين اللوح أنزل الله المطر الكثير وأرياحا وبردا شديدا حتى كادوا أن يهلكوا، فرجعوا وقد خاب قصدهم.

وفى شوال أكثر أتباع مولاي عبد الله من البرابر الغارة على سايس وغيره من البلاد الموالية لبلاد البربر، ففر جميع من كان يلى البربر، فخلت جميع تلك البلاد، ثم شن البرابر الغارات على من يمر بالطرقات، وأكثروا النهب فى سائر البلاد التى يقدرّون على الوصول إليها، وقاموا بدعوة مولاي عبد الله فى جميع جبالهم واتخذهم بطانة له، وفى ذلك الوقت بدأ انتعاشهم، ولما رأى مولاي عبد الله فرار الناس من البربر نزل جبل غمره الموالى لبلاد سايس، وانقطعت الميرة على فاس الإدريسية من كل ناحية من غارات البربر على ما حولها، وحبس الله المطر عنها وعن حوزها فارتفعت الأسعار.

وفى رابع عشرى رمضان أقيمت صلاة الاستسقاء ببوعجول، وخطب مولاي حمدون الشريف الطاهرى نائبا عن القاضى سيدى يعيش.

وفى الثامن والعشرين من ذى القعدة أقيمت صلاة الاستسقاء أيضا بباب الفتوح، وخطب الفقيه السيد أحمد الورزى، ثم أقيمت بباب الجيسة، وخطبها سيدى حمدون الشريف الطاهرى.

وبالغد أقيمت صلاة الاستسقاء أيضا بباب الفتوح، وخطب سيدى حمدون المذكور.

وفى الثلاثين صليت بباب الفتوح، وخطبها الشريف المذكور.

وفى مهل ذى الحجة أقيمت صلاة الاستسقاء أيضا، وخطبها السيد أحمد الورزى المذكور.

وبالغد أقيمت صلاة الاستسقاء بوادى الزيتون، وخطبها سيدى بومدين بن سيدى أحمد الفاسى.

وبالغد أقيمت بباب الجيسة، وخطبها السيد أحمد الورزى.

وفى خامس ذى الحجة أقيمت بمصلى بباب الفتوح، وخطب الورزى أيضا ولم ينزل المطر، وحيث اختل النظام وشاع الفساد وحصلت المجاعة العظيمة، ومات بالجوع من لا يحصى، وقل الإدام وانقطع اللحم.

ولم يزل الأمر فى شدة، وازدادت الفتن وفر الناس، فعند ذلك أتى القائد العباس بورمانه أكبر رؤساء جيش أبى عبد الله بن عريية صنو المترجم وقال له: إن البربر عثوا، ولم يبق التفات للأمير، فخرج فى خيله ورجله ووقع قتال شديد بين جنود ابن عريية والمترجم وأحزابه البربرية بسايس من الزوال إلى الاصفهان فلهزمهم بورمانه وجموعه، وتركوا جميع مقوماتهم واستعداداتهم غنيمه، ولو أن الظلام حال بينهم وبين جنود المترجم لاستأصلوهم قتلا وأئخنوهم جرحا.

وقام عدة ثوار كل يدعو لنفسه ويحاول جر النار لقرصه والاستيلاء على ما بيد غيره، استولى الحوات على عبيد الرمل وبنى مالك وسفيان والطلق والخلط وما والى ذلك، واستولى الباشا أحمد الريفى على الفحص، وبلاد غماره، وطنجة، والقصر وما حول ذلك من المعامل وعلى بلاد الريف وجبالها وقلاعها إلى ناحية كرسيف، واستولى القائد القلعى على بنى يازغة وما والاها.

أما المترجم فقد كان تحت سلطته الصحراء، وسوس، ومراكش، والبربر، وقد نص التاريخ على أن هذه الفتن لم تكن فى هذه السنة بالمغرب فقط بل عمت سائر أقطار العالم.

ولما طال مقام صاحب الترجمة بين أظهر البربر يتنقل من أغوارها إلى النجود، والفتن قائمة على ساق، والقحط ضارب أطنابه، سار لتافيالنت وصار يتربح ما تنجلي به تلك الغياهب.

وفى رجب عام خمسين ومائة وألف: بلغ ثمن وسق القمح مائة مثقال، قال ابن إبراهيم الدكالى فى تقاييده: بعد أن كان فى الرخاء بخمسين أوقية والشعير

يقاربه، وكذلك الذرة حتى كاد أن ينقطع الطعام من فاس، وكان وزن الخبزة التى تباع بالسوق بموزونة خمس أواقى بالبقالى، وافتضح وجوه الناس وأعيانهم، وخلت المدينة وسدت حومات متعددة، مثل حومة الكدان، ودرب اللمطى، وحومة الأقواس، والسليدة، والطالعة، والدوح، وسدت الأسواق إلا القليل، وهدمت الديار وبيعت، ومات من الناس ما لا يعلمه إلا الله، حتى ذكر بعض الناس ممن أثق به أنه وصل للمارستان من الموتى فى رجب وشعبان ورمضان نحو الثمانين ألفا، فضلا عن لم يصل إليه وكانت الدار التى قيمتها عشرة (كذا) مائة مثقال تباع بثمانين مثقالا وسبعين ولا تبلغ المائة، وانجلى كثير من الناس عن المدينة وذهبوا إلى القصر، وتطاوين.

ومن ذهب بعياله لتطاوين العلامة سيدى محمد بن عبد السلام بنانى شارح الاكتفاء، واندثرت بسبب ذلك قبائل كثيرة من أهل فاس، ولولا أن النصرارى أتوا بالزرع من بلادهم لتطاوين ونواحيها وجلبه أهل فاس لهلك الكل جوعا، وقد كان والى تلك البلاد أحمد بن عبد الله الريفى ذا إبل عديدة اكتراها منه أهل فاس لحمل ما اكتالوه من الميرة، قيل: إنه ساعدهم على الكراء ظاهرا، ومنع الحمالين من الحمل باطنا، وتمرد عليهم ستة أشهر حتى تحقق لديه أن أكثر العائلات الكبيرة الذين لا يقدرون على التنقل لبلد آخر من قلة الزاد وكثرة أفراد العائلة ماتوا جوعا فسر بذلك باطنا، وساعدهم ظاهرا، ووصل الزرع لفاس، وانجلى الأزمة التى حصت منهم كل شىء، ولما أتى ركب الحجاج من طرابلس أتى معه بالقمح الكثير وانحط السعر ورحم الله عباده.

قال ابن إبراهيم فى تقاييده لدى تعرضه لهذه الأحداث ما لفظه: كان اللصوص يأتون ليلا لديار الناس ينهبونها ومن قام معهم يقتلونه ويأخذون جميع ما وجدوه، فكانوا يأتون لرأس الجنان والمخفية ومصمودة والطالعة والدوح وسوق

التخالين وباب السلسلة، وقد جاءوا مرة إلى سوق قيسارية البز وحصل للناس بسبب ذلك خوف عظيم، وهذا كله والسلطان بمكناس يعنى ولد عريية لم يلتفت للناس ولم يعبأ بما نزل بهم، وحيل بين الناس وبين اجتنهم بلمطة والمرج وغيرهما من أحواز المدينة، ولم يبق أحد يذهب لموضعه بالمرج إلا من اتخذ يداً مع السياب.

وجاء لصوص من ناحية باب الفتوح للفندق الذى يقرب من مدرسة الوادى وأخذ منه قافلة كانت عزمت على السفر، فلما اجتمع أهل فاس وخرجوا إليهم وجدوهم قد ذهبوا بما أخذوه وذلك فى وسط النهار.

وفى هذه الأيام أغار الودايا على القصارين بوادى فاس ونهبوا ما عندهم من الثياب، ثم صار القصارون يخدمون الثياب بوادى مصمودة، فأخذها اللصوص أيضاً، وكثر الخوف بسبب ذلك، وصار الناس يبيتون فى الشوارع التى هى مظنة مجيء اللصوص ليلاً والأمر فى كل نفس يزيد اشتداداً.

وفى خامس عشر شعبان ذهب السياب إلى مدرسة الصفارين ليلاً ونهبوا جميع ما كان بها، لأنها كانت خلت من أهلها وغلقت أبوابها «افتضحوا»، وقام معهم الناس وقتلوا منهم السلاسى بباب المدرسة وباقى أصحابه هربوا، ومن الغد قتل بالموضع نفسه بورمضان الحيانى وتسعة من أصحابه بالموضع المذكور، وفى هذه الأيام جاءت قافلة من الغنم ونزلت بفندق التجارة قرب القرويين لعدم الأمن من غيره.

وفى سابع رمضان ضرب الأندلسيون المحتسب السيد محمد بن عبد السلام المحمودى بحومة البليدة قرب دار القائد السيد عبد المجيد بوطالب، ووقعت بسبب ذلك فتنة بين الأندلسيين واللمطيين ثم اصطلحوا ليلاً بروضة مولانا إدريس، ووقع اتفاقهم على تقديم التاجلوتى على الأندلسيين، والحاج محمد برزوز على

اللمطيين، وأحمد الغرناطى على أهل العدو، والسيد عبد المجيد بوطالب يكون الحاكم على الجميع ورضى الكل بذلك.

وفى ليلة الأحد الخامس من شوال جاء السياب لسوق قيسارية البز ونهبوا منها بعض الخوانيت.

وفى سادس شوال قتل سيدى محمد بن عبد الرحمن بن القاضى بجنانه المسمى باللب، قتله القطاع رحمه الله.

وفى ليلة الحادى عشر منه جاء السياب لدار الغزوانى الهزاز بشارع سويقة الذياب ونهبوها.

وفى ليلة الثانى عشر منه جاء السياب أيضا لدرب جنيارة ودخلوا على الحاج محمد برزوز بدار هنالك كان بها مع جماعة من أصحابه، فضربوه برصاصة ومات من الغد، وجرح من أصحابه مولاي أحمد بن إدريس العراقى، والشريف سيدى محمد بن المهدي بوطالب، وأحمد بن جلون، والتاودى ابن عبد الخالق بنانى، والحاج محمد عديل.

ومن الغد اجتمع أولاد برزوز وقتلوا محمد بن العربى الجزولى كبير حومة البليدة، لاتهمهم له بأنه هو الذى أدخل السياب على عمهم الحاج محمد.

وفى أواسط شعبان ذبح يحيى الشاوى ليلا وألقى بالبرادعين.

وفى مهل ذى القعدة ذبح المحتسب سيدى محمد بن عبد السلام المحمودى قرب درب رطوانه، كان ذاهبا لداره بسيدى أحمد الشاوى ولم يدر من قتله.

ومن الغد وقعت بسبب ذلك فتنة بين الأندلسيين واللمطيين ثم اصطلحوا.

وفى التاسع والعشرين من ذى الحجة جاء السياب لدار الراعى قرب ضريح سيدى محمد بن عباد، وأخذوا منها غنما وبقرا كثيرا، وضربوا الحاج محمد بن

عبد السلام قصارة برصاصة فمات من حينه هـ بنقل صاحب الدر المنتخب المستحسن .

وفى ترجمة أبى عبد الله محمد بوطالب من نشر المثنائى أنه لما نزلت بالناس مسغبة عام خمسين، احترف رؤساء الرماة ببيع الزرع من البادية يمنعون المساكين من شرائه ويشترونه بما شاءوا، ويبخسون الناس أشياءهم، وإذا باعوا يبيعونه بما شاءوا، وكان من جملةهم رجل يقال له العمارى رئيس الرميلى والكدان والصفاح من بنى عمار أحد شعوب سكان زرهون ورد على فاس جده، فكان يسرح البقر حتى يحفى، فاشتري بقرًا لنفسه وكان يبيع الحليب بحانوت بالصفاح، وسكن بالكدان، ثم بعد ذلك اشترى الدار الأولى عن يمين الداخل لدرب خلوق، وكان يبيع اللبن، ثم ولده كذلك، إلى أن نزلت مسغبة عام خمسين، وترأس على أهل الكدان وجدبت البلاد ومات البقر ولم يبق حليب يباع، صار يبيع الزرع بسوق الكدان بالصفاح .

فاضطر مولاي على بن مولاي محمد بوطالب صاحب الترجمة إلى شراء ما يتقوت به، فقصد سوق الصفاح فجلس ينتظر ما يشتري، فإذا بتليس جاء من البادية فاشتراه العمارى بما شاء، ولم يقدر أحد من المساكين يشتريه بما ساومه به العمارى ولا يعطيه فيه السوم، فباعه للعمارى بما شاء بمدهم الذى أحدثوه .

ثم أتى تليس آخر من البادية فساومه للعمارى أيضا وأعطى فيه السوم فزاد عليه مولاي على الثالث وباعه له مالكة فأراد العمارى منعه من شرائه، فلم يتركه له مولاي على، فتسابا بينهما وتصارعا، فصرعه مولاي على فدخل العمارى إلى حانوته وأخذ كابوسا كان عنده مرصصا وخرجه فى مولاي على من خلفه وهو لا يشعر فخر ميتا فحمله بعض المومنين إلى داره، فقالت لهم أمه: لا ندفنه حتى نقتل قاتل ابنى، فقالوا لها: قتلناه فدفنوه من يومه فى روضة أبى غالب على .

ثم فى غده حمل السلاح الشرفاء الأدارسة وغيرهم وساروا إلى قتل
العمارى وأهل الرميطة والصفاح والكدان الذين تعرضوا عليه ونصروه، فاقتلوا
وسلم الله الشرفاء من الجرح والقتل، وقتل العمارى وعدة من أنصاره، ثم افترقوا
وكفوا، وهدنت الفتنة والمدينة، ثم سلط الله على أهل الرميطة والصفاح والكدان
السارق بوزيان العبادى من أولاد عباد صفرو، ومعه جماعة من سراق إخوته
والمزاوغة وبنى يازغة، فكان يأوى لحوز فاس ليلا ويدخل الديار وينهبهم، فخلت
بذلك الحومات الثلاث المذكورة ولم يبق منهم إلا القليل، ورجعت تلك الديار
بساتين وجنات.

ولم تزل نيران الفتن والأهوال فى توقد، وأمر ابن عريبة فى اختلال
وانحلال، والدماء تراق، والأموال تؤكل بالباطل، والفوضى ضارية أطنابها، ونفذ
ما فى بيوت الأموال، وسدت أبواب الجبايات، وتعذرت المصالح العامة، ولم
يوجد ما تدفع منه رواتب الجند وانقطعت عن الرؤساء وأولى العصابة مادة ما كانوا
يستفيدونه من بيوت الأموال، والأمر فى كل يوم يزداد شدة، فاتفقت كلمة العبيد
مع رئيسهم الخوات والبعض من الودايا والبربر على خلع ابن عريبة.

وفى صبيحة يوم الأربعاء التاسع والعشرين وقيل الرابع والعشرين من صفر
العام أخرجوا ذلك من القول إلى الفعل، فأعلنوا بخلعه، ولم يقتصر على
الخلع، بل ألقوا عليه القبض وعقلوه بداره الواقعة على ضفة وادى يسلمن جوار
حمرية التى لازالت معروفة إلى الآن خارج العاصمة المكناسية، والهرج والمرج
والخلاف فى ازدياد، فرأى آيت عياش أن لا مخلص من ذلك إلا الرجوع لطاعة
المرجم واستئناف البيعة له، فذهبوا إليه لتأفيلالت مقر سلفه فشرحوا إليه جميع ما
حل بالرعية من الأحداث، وما أوصلها التنازع إليه من الفشل وذهاب الريح، وما
آل إليه أمر صنوه ابن عريبة والمنازعين له من إخوته، وألخوا عليه فى القدوم معهم

للقيام بنصرته، فقابل مطلبهم بالرفض قائلا: لا غرض لكم إلا أن تجعلوني طريقا موصلة لإذابة المسلمين، والتوصل لأكل أموال العجزة والمستضعفين بالباطل وردهم بخفى حنين.

ثم بعد ذلك بدا للمترجم الرجوع إلى المغرب، فنهض من تافيلالت وسار إلى أن بلغ تادلا ثم آيت عتاب، فاجتمت عليه قبائل تلك الناحية وهادوه واستبشروا بطلعته، وبقي هناك يستطلع أخبار فاس ومكناس وما والاهما، ويبحث عن أحوال إخوته مع العبيد إلى أن تحقق لديه اجتماع الكلمة عليه.

واستؤنفت إليه البيعة فعلا على يد القائد بوغزة مولى الشربيل، وذلك يوم الاثنين الخامس عشر من ذى القعدة عام اثنين وخمسين على الأصح، وقيل يوم الجمعة، وهو يومئذ ببلاد السراغنة، ولما تم له الأمر وجه للمترجم فئة عظيمة من أعيان العبيد لإعلامه باستتاف البيعة له، ولما لحقوا به أنزلهم منزلة تجلّة وإكرام، وأقاموا معه ببلاد السراغنة أياما، ثم أنهضهم لناحية سيدي رحال مع الباشا الزياني ومكثوا ثمة بضعة أيام، ثم أصدر أوامره بحصار اكدير فأجابوا بالسمع والطاعة وصارت تفد عليه الوفود من سائر الأصقاع المغربية يطلبون عفوه وأمانه، فأمن الجميع وقابل بالعمو والإحسان.

وفي حادى عشر ذى الحجة منصرم العام أمر رؤساء العبيد أشرف فاس وعلماءها وأعيانها بالتوجه لتقديم الطاعة لصاحب الترجمة، فأجمعوا أمرهم من فاس أول عام ثلاثة وخمسين، يتتظم ذلك الوفد من القاضى أبى العباس أحمد بن على الشعراوى، والعلامة أبى عبد الله محمد الزيزى، وأبى حفص عمر بن إدريس الإدريسى، وصنوه المولى أحمد وابن عمهما أبى عبد الله محمد بن عبد الله المدعو الغالى، ونحو الأربعين من الرماة والأعيان فى طليعتهم شيخ ركب الحاج وهو الخياط عديل ورؤساء العبيد والودايا.

وصاروا يظعنون ويقيمون إلى أن وصلوا للحضرة السلطانية، فأنزلهم منزلة تجلة وإكرام، ثم أحضرهم لديه ووجه اللوم على ما صدر منهم على الفقهاء، فاعتذر الكل بأنهم مرغمون على ذلك ممن لهم السلطة الاستبدادية من عبيد وودايا، فقال لهم ما قاله الصديق نبي الله لإخوته: لا تثريب عليكم فيما جنيتم، وعين عبد الله الحمري عاملا على فاس، ورد الجميع رداً جميلاً.

ثم استقدم العبيد بأجمعهم لحضرته، ولما قدموا عليه جمع جيوشا عديدة من القبائل الحوزية، ثم عقد الرياسة على الجميع للقائد الباشا الزيانى، ووصل الجميع وأوصى بالعدل والإحسان والبر والتقوى، ووجههم لحصار أكدير إلى أن يدخل أهله فيما دخلت فيه الجماعة فساروا إلى أن وصلوا لسيدى رحال إلى أن لحق آخرهم بأولهم، ثم نهضوا يطوون المراحل إلى أن خيموا على حصن أكدير، ولم يزالوا محاصرين له إلى أن فتحوه عنوة فى سابع ربيع الثانى من العام واستولوا على جميع ما كان به.

وفى عاشر ربيع المذكور، وقعت ملحمة عظيمة بين الجيوش السلطانية والقبائل الحوزية مراکش ودكالة والرحامنة وزمران ومن انضاف إليهم من الأعراب والبرابر، كان الظفر أولا للجيش السلطانى ولكنهم أضاعوا الأخذ بالحزم ونبذوا الاحتياطات اللازمة وراءهم ظهريا، واشتغلوا بالتزاع على الغنيمة، حتى أتاهم من خلفهم المولى المنتصر بنور الله شقيق المستضىء بنور الله وحال بينهم وبين الأثقال والأخبية، وحاز الكل غنيمة باردة ورجع من حيث أتى.

أما الجيش السلطانى فإن منه من لحق بصاحب الترجمة، ومنهم من بقى بأكدير حتى يصدر إليه الأمر العالى بما يكون عليه عملهم، وقد كان من بقى من عبيد مشرع الرمل بمحل استيطانه من المشرع المذكور أنهضوا منهم جيشا ثانيا رأسه الباشا بوعدة مولى الشربيل، وتوجه للحضرة السلطانية ليكون ردفا للأول، وسار

إلى أن بلغ لبلاد تامسنا وأقام هنالك حتى تلاحق المتأخر بالتقدم، ثم نهضوا وساروا إلى أن خيموا بتساوت، وأقاموا هنالك إلى أن لحق بهم المترجم فى فاتح ربيع الثانى فى جنود جرارة، واطمأن بعضهم لبعض، ونشطوا للقتال، واستعدوا للنزال، أخذًا بثأر إخوتهم.

ثم نهض بهم المترجم إلى ناحية وادى تانسيفت، فوجد صنوه أبا النصر قد حال بجنوده الحوزية بينه وبين الماء، ولما التقى الجمعان بيوكر كور وتسعرت نيران القتال وحمى الوطيس تقدم الباشا بوعزة المذكور وقد كان على الميمنة للطعن والنزال، واقتفى أثره ابن النوينى وقد كان على الميسرة، ثم تبعهما صاحب الترجمة، وكان القلب والساقة، وكان انجلاء الملحمة بانهزام أبى النصر وأحزابه شر هزيمة، وذلك يوم الخميس فاتح جمادى الأولى من العام، ثم نزل المترجم على الماء واقتفى الباشا بوعزة أثر المنهزمين، إلى أن نزل على رأس العين، ومن الغد رجع إلى المحال السلطانية، وأقام المترجم بزواية ابن ساسى نحو سبعة عشر يوما.

وفى يوم الأربعاء متم جمادى الأولى من العام كانت وقعة كبيرة بـ(منزات) حضرها صنو المترجم المستضىء بنور الله بنفسه، وكانت الكرة عليه، فاعتصم هو وشيعته بجبال مسفيوة، ولولا ذلك لداستهم حوافر الجنود السلطانية، ولما أيقن المترجم بفشلهم وذهب ريعهم أقلع عنهم وتوجه إلى دكالة فحصد جنوده منها كل شىء وأقام بها نحواً من شهر.

وفى آخر جمادى الثانية أقلع عنهم ووجهته مكناسة الزيتون مقر عرش والده، وكان وصوله إليها فى منتصف رجب العام، وخيم بباب الريح خارج البلد، ولم يزل مخيماً هنالك والوفود تفد عليه بالهدايا والبيعات من سائر الأقطار المغربية من عرب وبربر، وهو يقابل كلا بما يليق ويصله على قدر حيثيته ومكانته،

وكم قضى لخاصتهم والعمامة من مآرب ومطالب ووالى من إحسان إلى أن رجع الكل لوطنه لاهجا مثنيا شاكرا.

قال أبو عبد الله الضعيف: إلى هنا انتهى تأليف الفقيه المؤرخ الحاج عبد الكريم بن موسى الريفى الذى سماه بزهر الأكم، قال رحمه الله: وهنا انتهى بنا هذا التأليف، وقد قيل فى بعض الكلام، من قعدت به نكاية الأيام، أقامته إغاثة الكرام، والبقاء والدوام، للملك العلام هـ.

ولم يتخلف أحد عن البيعة وتقديم الطاعة غير زعيم الريف، الباشا أحمد بن على ومن هو تحت سيطرته لتمرده وشقه عصا الطاعة.

وكان سبب عدم دخول المترجم لدار الملك ما كان صدر من أخيه المستضىء من التزوج ببعض نسائه، ولذلك ألقى القبض على قاضى البلد أبى القاسم بن سعيد العميرى، والقاضى أبى العباس أحمد بن على الشدادى، والعلامة أبى الفضل العباس بن الحسن بن رحال المعدانى، وأبى العباس أحمد بن عبد الله التلمى، وأبى الحسن على الندرومى خليفة القاضى العميرى المذكور، وأغلظ لهم فى القول وقرع ووبخ على موافقتهم لأخيه المستضىء على التزوج بزوجاته، وكان ذلك فى يوم الخميس حادى عشرى رجب المذكور، وعزل الخطباء الذين كانوا يخطبون باسم أخيه المستضىء.

ثم بنى دويرة لسكناه بباب الريح، ولما تم العمل فيها سكنها بمن كان معه من الحرم، ووظف على أهل البلد وظائف أثقلت كواهلهم، ولما بلغت زروعهم أوان الحصاد أطلق أيدى الجيوش فيها، ولما ضاق بهم الخناق وبلغ بهم الجهد منتهاه عفا عنهم وأحلم وصفح فاطمأنت النفوس، وزال عنهم ما كانوا فيه من شدة

ويوس، وأنجح الله لهم الأسباب وصلاح الزرع والضرع وتوالت الأمطار، وانحطت الأسعار، وتبدل عسرهم يسرا.

وفى أوائل المحرم فاتح عام أربعة وخمسين نزل بفاس، وولى عليها الحاج عبد الخالق عدليل شيخ ركب الحاج، وأمره بتأخير كل خطيب خطب بصنوه المستضىء، وكان عدليل المذكور ذا ثبات ورسوخ عقل فقال له: يا مولاي هذا من وظيف القاضي، وحسبى شد عضده فيه، فولى قضاء فاس أبا يعقوب يوسف بوحنان وأمره بما أمر به عدليل فعزل السيد بوغزة المشاط عن خطبة مسجد الأندلس وولى مكانه الفقيه أبا عبد الله محمد الزيزى، وعزل أبا حفص عمر بن عبد الله الفاسى عن خطبة باب الجيسة وولى مكانه أبا عبد الله محمد السلوى، والشيخ التاودى بن سودة عن خطبة مدرسة الطالعة وولى مكانه أبا العباس أحمد الحارثى الدلائى، وأبا الحسن على التوزانى عن خطبة جامع القصبية البالية بباب المحروق وولى مكانه أبا العباس الشامى.

وولى قضاء تارا الفقيه أبا محمد عبد الواحد بوحنان، وأمره بعزل من هنالك من الخطباء للسبب المذكور، ولما كان فى أثناء الطريق لمحل مأموريته اعترضه اللصوص وسلبوه من كل ما كان معه، وتوفى بعد وصوله لتارا قبل قضاء ما أمر به.

وفى صبيحة يوم الثلاثاء تاسع عشرى محرم أتى اللصوص لفندق النخالين من فاس ونهبوه.

وفى أواخر صفر جاءوا لسوق البز ونهبوا منه دكانين.

وفى العام سلط الله الفار على الزرع والقطنى والبحائر والفواكه الخريفية فى سائر البلاد.

وفى العام نفسه اختط المترجم دار الديبنيغ الشهيرة بضواحي فاس، وفيه بعث القائد محمد الكعيدى اليازغى كبير أهل الديوان لجباية الأموال المترتبة بدمم الحيانية وغيرهم، فقتله الحيانية مع من كان معه من الأصحاب بالموضع المعروف بعين مديونة، وذلك فى ثانى عشرى ذى الحجة منصرم العام.

وفى اليوم نفسه اتصل بالمترجم وهو يومئذ بفاس خروج الباشا أحمد بن على الريفى من طنجة ووجهته القصر الكبير فى استعداد زائد، فأنهض لمقاومته وصدده عن القصر جيشا جرارا من عبيد الرمل وذهب هو للعاصمة المكناسية، فخان القواد ومن فى قلبه مرض ولحقوا بالريفى المذكور ورجع الباقون إلى مكناس وانحل الأمر، ولما نزل القواد الخائنون ومن فى حكمهم إلى الريفى، أكرم مثواهم ونزلهم ووصلهم واقترح عليهم الكتب لإخوانهم الذين بمشعر الرمل بالتقدم عليهم لديه، ونكت بيعة صاحب الترجمة، ووعدهم على ذلك بمال جزيل.

واتفق أن كان ذلك غب زمن المسغبة، فأسعفوا رغبته، ووجهوا لإخوانهم يستقدمونهم، فوجدوهم ارتحلوا لمكناسة لما لحقهم من عيث جيرانهم سفيان وبنى مالك وبنى حسن والبربر، ولما حلوا بمكناسة تطاولوا على أهلها وضيقوا بهم أشد التضييق، واستباحوا الأموال والأعراض، ونزعوا عن وجوههم جلباب الحياء، حتى انجلى عن البلاد كثير من أهلها وتفرقوا فى البلاد، ولم يقتصر العبيد على أذى أهل المدينة بل مدوا يد الطغيان والظلم والتعدى فى ما جاورها وعثوا فى السابلة، ولما اشتعلت نيران الفتن وعجز المترجم عن رتق ما انفتق، جمع عياله وماله ووجه بذلك لفاس، وكان وصوله إليها ضحى يوم الخميس الموفى ثلاثين من ربيع الأول على الأصح، واجتمع رأى أهل النقض والإبرام على خلع المترجم لعجزه عن الدفاع، والمبايعة لسنوه زين العابدين سابق الترجمة، وقد كان عند الباشا أحمد الريفى.

ولما اتصل هذا النبأ بالريفى المذكور وكان من أشد الناس عداوة لصاحب الترجمة، بادر للإعلان بنصر زين العابدين وتبعه على ذلك من كان معه من العبيد، وطيروا الكتب لإخوانهم الذين بمكناس بتعجيل رفض بيعة المترجم من أعناقهم، والبيعة لصنوه المذكور.

ولما وصلت إليهم تلك الرسائل ارتأوا أنه لا يتم لهم أمر إلا بموافقة الودايا وأهل فاس معهم على ذلك، فكتبوا لهم بشرح ما أصاب الناس من الضيق والحرج بتراكم الأهوال والفتن، ورجبوا منهم الدخول معهم فيما راموه وأبرموه، فأجابوهم برفض ذلك المطلب وإلغائه محتجين بأن بيعة المترجم فى أعناقهم لا يبيح لهم الشرع خلع ربققتها.

وفى ثانى ربيع الثانى خيم المترجم بدار الديبيغ الشهيرة خارج فاس، حيث المدينة الجديدة اليوم، فاستقبله الودايا وأهل فاس وشرح لهم ما تحقق لديه مما أضمره العبيد له فأجابوه بأنه لا سبيل لرفض بيعته، وأن طاعته لازمة لهم.

ثم انتصر حزب العبيد وأعلنوا بخلع صاحب الترجمة والبيعة لصنوه زين العابدين، وذلك يوم الأربعاء تاسع عشرى ربيع، فكانت دولة المترجم فى هذه المرة من اليوم الذى بويج فيه وهو الخامس عشر من ذى القعدة عام اثنين وخمسين إلى اليوم الذى خلع فيه وهو الأربعاء تاسع عشرى ربيع من عام أربع وخمسين، عاما واحدا وأربعة عشر يوما وهى الدولة الثالثة له.

وفى ثالث عشر رمضان عام أربعة وخمسين ومائة وألف، أعلن العبيد بخلع زين العابدين مار الترجمة، واستئناف البيعة لصنوه المترجم، وهو يومئذ بالقبائل البربرية، وبويج له بالعاصمة المكناسية بمحضر الشرفاء والعبيد والأعيان، وتمت له

البيعة العامة حيث إن البربر والودايا وأهل فاس والعرب كانوا لازالوا متمسكين ببيعته ببواطنهم، وإن اضطهرهم العبيد على التظاهر بالطاعة لزين العابدين .

ولما اتصل هذا النبأ بالترجم قدم لمكناس، ووفد عليه أربعمائة من العبيد يطلبون عفوه وأمانه فأمنهم وقابل جنائتهم بالصفح، واستقر بمكناس أياما، ثم بدا له النهوض لفاس، ولما نزل بداره المعروفة خارج المدينة بدار الديبغ خرج لاستقباله الأشراف والوجهاء وذوو المناصب العالية فرحين مستبشرين، وتسابقت الفرسان على الصافنات الجياد أمامه إظهاراً لما خامرهم من السرور، وسدت الأسواق .

ثم صارت الوفود تفتد على جلالته لتقديم الطاعة وإظهار الخضوع، فأوسعهم برا وحلما، ونقل من دار أبيه لداره المذكورة كل ما له قيمة من ذخائر وأثاث، فكبر ذلك على العبيد، ولم يرضوه وطلبوا منه الرجوع عن ذلك، وأن لا يتمادى على إكمال بناء تلك الدار لتيقنهم أنه إن تم بناؤها وسكن بها اعصوب عليهم، وخرج من ربة استبدادهم، فلم يلتفت إليهم، فهددو، بالخروج عليه، فلم يرفع لهم رأسا .

ولما علم بذلك الباشا أحمد الريفي اتخذه فرصة، وكتب لعبيد مكناس قائلا: إن الأمر صار لغيركم ولم يبق لكم أمان على أنفسكم، وإن المترجم لم يبق تحت يده مال، والمالك لا يقوم إلا بالمال، فقوموا على ساق في خلعه وتبديد جموعه وأحزابه، ولكم من المال ما تحتاجون إليه، وها صنوه المستضىء بمراكش وقد بايعه أهلها فاتبعوهم، وأعلنوا بنصره، فأجمعوا أمرهم على ذلك وفعلوا، فوجهوا للمستضىء يستقدمونه .

وفى ذى القعدة بلغ المترجم ما صمم عليه العبيد مما أوعز لهم به الريفى، فاشتغل بتأليف القبائل المتمسكة بطاعته وحالفهم على المدافعة عنه ومحاربة أصداده والموت دونه، وإثر ذلك ورد على فاس من مراكش الحاج أحمد السوسى داعية المستضىء ينشر دعوته ويرجف الناس ويعظم شوكته، فأصدر صاحب الترجمة أمره بقتله قصاصاً، فقتل واستصفيت أمواله، واستؤصل ما كان بداره.

وفى أول المحرم عام خمسة وخمسين دخل المستضىء مكناسة فى عساكره العبيد، وبأثر ذلك ورد كتاب الريفى المذكور على أهل فاس يدعوهم لبيعة المستضىء، فأجابوه بالرفض وصمموا على نصرة المترجم ومقاومة كل من ناواه والموت دونه، وتعاهدوا بإصلاح المعامل والصقائل، وجعلوا لباب محروق أحد أبواب المدينة أبواباً من ساج مغشاة بالحديد.

وفى يوم الثلاثاء رابع عشرى ربيع الأول خيم المستضىء بجند العبيد بظهر الزاوية، وفر المترجم للقبائل للانتصار بهم، ونزل على آيت يدراسن، ولما كان الغد الذى هو يوم الأربعاء وقع قتال شديد بين المستضىء وأهل فاس ومن انضم إليهم من الحيانة وشراقة وأولاد جامع، مات فى المعركة من الودايا نحو اثنى عشر رجلاً، ومن أهل فاس نحو الستة، ومن العبيد نحو الستين.

وفى يوم الجمعة رابع ربيع الثانى رجع السلطان عبد الله صاحب الترجمة فى جيوش جرارة ذات قوة وبأس شديد من البرابر بنى مطير وجروان وآيت يوسى وآيت أدراسن وزمور وآيت ومالو وغيرهم، وجلب بهم على أحزاب صنوه المستضىء، ولما اتقى الجمعان علم المستضىء أنه لا قبل له بمقاومة تلك الجنود البربرية المجندة، فنجا هو وأتباعه بأنفسهم بعد عشاء يوم السبت خامس ربيع الثانى، وعصم الله بمحض فضله دماء المسلمين.

وفى العام عم الطاعون بالمغرب وخصوصا بفاس ومكناس ونواحيهما وانحبت الأمطار، وارتفعت الأسعار، وفشا الجوع فى القرى والأمصار، وتفرق أهل فاس فى البلاد كالقصر ووزان والعرائش وتطاوين وطنجة. قال أبو عبد الله الضعيف: حكى لى من أثق به من أهل القصر أن صبيان أهل فاس كانوا يتكفون بأبواب الدور والأزقة.

وفى جمادى الأخيرة وقعت فتنة بين الحاج عبد الخالق عديل، وأبى عبد الله محمد الغالى الشريف الإدريسى، فرفع عديل الشكاية بالشريف لصاحب الترجمة فأصدر الأمر بإلقاء القبض عليه، ففر واستجار بضريح جده أبى العلاء إدريس الأزهر بن إدريس الأكبر، فضيق عليه إلى أن خرج وضرب وويخ وسجن وقتل أنصاره لسعيهم فى الأرض الفساد.

وفى يوم الخميس سابع عشرى رجب سرح المترجم أبا عبد الله محمد الغالى الشريف الإدريسى، ولما علم بذلك أهل فاس تحزبوا وخرجوا لباب محروق بقصد قتل الشريف المذكور إن رام النزول لفاس القرويين، فأوعز بعض الناس بذلك للإدريسى المذكور فسكن فاسا الجديد.

وفى العام وجه المترجم مع ركب الحاج ثلاثة وعشرين مصحفا كلها محلاة بالذهب مرصعة بنفيس الدر والياقوت، منها المصحف الكبير العقبانى المنسوب لعقبة بن نافع الفهرى الذى كان الملوك يتوارثونه من عهد بنى أمية بالأندلس، ونقل إلى المغرب على يد عبد المؤمن الموحدى، ثم انتقل إلى بنى مرين، ثم وقع بيد الأشراف السعديين، ولم يزل يتداول إلى أن وقع بيد المترجم ووجه معه بالفى حصاة من الياقوت المختلف الألوان العزيز الوجود وسبعمئة حصاة هدية للحجرة النبوية.

وفى العام توالى الأمطار حتى هدم قوس من أقواس قنطرة وادى سبو،
واستهلكت السيول كثيراً من الماشية وأقلعت الأشجار.

وفى السنة ثار العبيد على قبيلة سفيان وبنى مالك وأوقعوا بهم شر وقعة،
واستحوذوا على كل ما أمكنهم الاستحواذ عليه من مال وتمادل ورجعوا لمحالهم،
وبعد أيام قلائل نهضوا لناحية الفحص لمحاربة الباشا المذكور مخيماً بجنوده، ولما
التقى الجمعان انهزم العبيد بعد أن تركوا إخوانهم صرعى طعمة للعقبان والذئاب،
ورجع الريفى لمقره بطنجة.

وفى أوائل المحرم عام ستة وخمسين ومائة وألف، نهض الباشا أحمد الريفى
بخمسين ألف مقاتل أو يزيدون لمحاربة المترجم، ونزل على وزان بقصبة ازجن من
بلاد مسمودة، وكان الإبان إبان مطر، فحبس به هنالك نحو الشهر، وشرفاء وزان
قائمون بكل ما يلزمه من مئونة وعلف دواب وسائر اللوازم.

وفى عشية يوم الثلاثاء الثانى عشرى محرم المذكور نزل الباشا المذكور بجموعه
المتكاثفة بالعسال من مزارع فاس من ناحية قنطرة سبو، فناربه القتال بعض
القبائل، ثم ورد عليه جند من العبيد معززين له، وانضم إليه من القبائل الجبلية
نحو الخمسة عشر ألف رجل، ثم لحق به متبوعه المستضىء وأتباعه من عبيد الرمل
وتازا ومكناس وبنى حسن، وكان الحياينة وشراقة وأولاد جامع جاءوا لتحسين
فاس، ونصرة صاحب الترجمة لما علموا بمقدم الريفى ومتبوعه، ونزلوا بحللمهم
باجتها وأحدقوا بها من كل جهاتها، وتوجه المترجم فى عشرة من أتباعه لآيت
أدراسن يستصرخهم ويستنصر بهم ويعرفهم بمقاصد الريفى، فأجابوه لما أراد،
ووجهوا لخلفائهم من آيت ومالوا وبنى حكم وزمور وكروان يستنهضونهم ورجع
المترجم من حينه لداره دار الديبغ.

ثم لحقت القبائل البربرية المذكورة بمحال الريفي والمستضىء، وذلك يوم الخميس ثانی عشرى صفر الخیر من العام، ولما أقبلوا عليهم صاحوا وحملوا عليهم وحكموا فيهم سيوفهم وهزموهم شر هزيمة لم يسمع بمثلها، حتى إن عدداً عديداً منهم رموا بنفوسهم فى الوادى فغرقوا، واستولت جنود المترجم على جميع ما كان بمخيمهم من مال وعدة وكراع، وقد كان الأمير أبو عبد الله محمد نجل المترجم حاضراً بهذه المعركة، وكان عدد من قتل من جند المستضىء والريفي ثمانمائة، ورجع الريفي لمقره طنجة وقام على ساق فى تجديد الاستعداد رجاء الأخذ بالتأثر، وأقسم ألا يأكل لحماً ولا يشرب لبناً إلا إذا احتل فاساً وجاس خلال خيم أولئك البرابر.

ولما كان أول جمادى الثانية من العام نهض من طنجة ووجهته فاس، ولما اتصل الخبر بصاحب الترجمة طير الإعلام لأنصاره من القبائل البربرية وغيرهم، ثم نهض من فاس فى مهل جمادى الأخيرة وخيم بوادى سبو، وهناك استعرض جنوده وعساكره ورتبها أحسن ترتيب، فجعل رماة أهل فاس مع خاصته وعبيدة، ورماة العبيد مع بوعزة صاحب الشربيل، والودايا ووزارة وأهل سوس مع ولده أبى عبد الله الأمير محمد، وآيت يدراسن وجروان فى رماة حاجبه القائد عبد الله اليمورى، وشراقة وأولاد جامع وأولاد عيسى فى رماة قائدهم أحمد بن موسى الشركى.

وسار على هذه الحال إلى أن قرب من مخيم المحال الريفية، ولما علم الريفي أن المترجم بات على مقربة من مخيمه ارتحل بجنده وسار إلى أن أقبل على وادى لوكس، ورأى جيوش المترجم بدار العباس على ضفة الوادى المذكور مقبلة فاستقلها ونزل وأمر أتباعه بالنزول، ولما رأى المترجم اشتغال محال الريفي بالنزول

نادى فى عساكره لا نزول إلا بغنيمة أو هزيمة، فأجابوه بالسمع والطاعة، وانقضوا على المحال الريفية انقضااض البراة فولوا الأءبار منهزمين، وتركوا جثتهم وأشلاءهم مبعثرة بالهضاب والسهول من بينهم جثة الزعيم الريفى فقطع رأسه وأتى به للمترجم، وذلك صبيحة يوم الاثنين الرابع عشر من جمادى الثانية من العام، ووجه برأسه لفاس فطيف به بالأسواق، ثم علق بباب محروق، ولم يزل معلقا هنالك إلى أن قدم على المترجم أولاد أبى زيد عبد الرحمن الثمالى من الجزائر متشفعين للمترجم فى إنزاله، فشفعهم وأصدر أوامره المطاعة بإنزاله، ووجه القاضى إذ ذاك عدلين لمشاهدة إنزاله وتسليمه للمتشفعين فيه، فذهبا - أى العدلان - وهما العلامة خطيب المدرسة العنانية من طالعة فاس أبو عبد الله الحارثى الدلائى والعلامة المفتى الشيخ أويس، وكتبت بذلك وثيقة من إنشاء أبى عبد الله محمد بن علال وإليك نصها:

الحمد لله الذى يقبل التوبة عن عباده ويعفو عن السيئات، العفو الذى يحب العفو حتى لا يهتك الستر ولا يؤاخذ بالجريمات، الذى من كمال عفوه ورحمته ومته أن وعد بالجنة التى أعدت للمتقين، للكاظمين الغيظ والعافين عن الناس والله يحب المحسنين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد أحلم رسول أرسله، المأمور بإعطاء من حرمه، وإيصال من قطعه والعفو عن ظلمه، بقوله فى الكتاب المبين ﴿ خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ ﴾ [الأعراف: ١٩٩] وعلى أصحابه وأنصاره وأحزابه وآله البالغين الغاية فى اتباعه، واقتفاء اتباع أتباعه ..

وبعد: فعن الأمر المطاع، الذى يجب له الانقياد والاتباع، والإذن الشريف العلوى، السلطانى المولوى، أمر مولانا أمير المؤمنين، المحفوف من الله تعالى بالنصر والتمكين، فخر الملوك والأشراف، وظل الله على الأتوياء والضعاف، خليفة الله فى أرضه، وأمين الله على جنده بطوله وعرضه، المعتمد فى أموره على

مولاه الذى ولاه، أبو محمد مولانا عبد الله، أيد الله أوامره، وظفر بمنه جنوده وعساكره، عاين شهيداه ظهيره الأسمى، وطابعه الشريف الأسمى، بيد حملته السيد فلان، والسيد فلان، بقبول شفاعتهما فى رأس أحمد الريفى المخالف أمر السلطان وصحبه كتاب لخليفته الأسعد، وركن إيالته الأرشد، خديم المقام المولوى، وشيخ الركب النبوى، القائم بأمر مولانا المنصور، المضاعف له فى الثواب والأجور، فى سعيه الصالح، ومتجره الرابع، التاجر الجليل، الحاج عبد الخالق عديل، المتضمن عفو مولانا نصره الله وأيد أمره وخلد فى صفحات الدهر مآثره الشريفة، وأوامره عن رأس خديم إيالته الشريفة، وعتباته المنيفة، الباشا أحمد بن على بن عبد الله الريفى، من إنزاله من شرفات باب الشريعة من فاس، أمنها الله من كل باس، ودفعه لحملة الظهير الشريف، العالى القدر المنيف.

ففعّل العامل المذكور ما أمر به امتثالا للأمر الشريف السعيد، المحفوف من الله تعالى بالنصر والتأييد، والعز المديد، ودفع لمن ذكر بمحضر شهيديه ومعايتهما لما سطر، فمن عاين ذلك كما قرر، وشهد على من ذكر كما حرر، وهم عارفون قدره وعرفهم فى يوم السبت السابع عشر من شوال عام ستة وخمسين ومائة وألف، والله تعالى يحسن عاقبة الجميع فى يوم البعث والنشور هـ.

هذا ولما مات الريفى ومزقت أشلاء أحزابه كل ممزق استولى المترجم على البقية الباقية من معسكره، ثم قدم عليه أهل تلك الجبال والخلط وطلیق وغيرهم لتقديم الطاعة وطلب العفو والأمان، فعفا عفو قادر، وبعد ذلك توجه لطنجة وألقى القبض على خاصة الريفى وعماله، واستصفى أموالهم، ووجه القائد عبد الخالق عديل وجماعة من أهل فاس لحيازة ما بدار أحمد الريفى المذكور، وأمر أهل الريف بالإتيان بما له عندهم من ماشية وغيرها، ولما جمع ذلك وأحصى فرقه فيمن كان معه من البرابر، وكان نحو الأربعة آلاف وأقام المترجم بجنوده بطنجة أربعين يوما.

أما المستضىء فإنه لما علم بموت عضده الأيمن وساعده المساعد أحمد
الريفى، أغرى من معه من العبيد وبنى حسن على الأخذ بثأر إخوانهم واستئناف
قتال صنوه المترجم، وقطع خط الرجعة بينه وبين فاس، فأجابوه لذلك.

وأطلق عيونه لترقب حركات المترجم وسكناته وإعلامه بظعنه ومقامه،
فكانت تأتية بتفاصيل ذلك، ولما بلغه أن صاحب الترجمة خيم بدار العباس التى
كانت بها تلك المعركة التى قضت على جموعه بالدمار والخذلان، ركب فى أتباعه
من العبيد وبنى حسن، وصبح المترجم على حين غفلة، ولما التقى الجمعان ولى
المستضىء وجنوده الأدبار. وانكسروا أى انكسار، مات من خصوص بنى حسن ما
يزيد على الألف، وسلب لهم من عتاق الخيل والسلاح ما يزيد على الخمسة
آلاف، ومات من العبيد نحو الخمسين.

وبعد الهزيمة فر القائد حسن فنيش هاربا، وهو أخو الباشا عبد الحق فنيش
عامل سلا، فلقى فى ذهابه أحد قواد عبيد الرمل كان مصاحبا له وقد مات له
فرسه فى المعركة، فطلب من القائد الحسن أن يردفه فأردفه لسابقة الصحبة، ثم
غدر العبد به وأكبه على رأسه وشد وثاقه وأقسم له يمينا بالله إن لم يسر أمامه
حتى يقتله، فسار به إلى أن أوصله لصاحب الترجمة ولما مثل بين يدي المترجم،
قال له: أنت يا فنيش من علوج أبى إسماعيل ووالدك كذلك، فلم تركت خدمتى
وأخذتك الغيرة على الحمار ابن الحمار؟ فقال له فنيش: أعتقنى وأنا أعطيك
عشرين قنطاراً فقلع المترجم عشبة من الأرض، وقال له: هذه العشبة عندي أفضل
من مالك، وأنشد متمثلا بقول القائل:

إن الأسود أسود الغيل هممتها يوم الكريهة فى المسلوب لا السلب

وضربه بمزراقه فقتله، وذلك بوادى الدزاز من وزان.

ثم نهض المترجم وسار إلى أن حل بفاس مؤيداً منصوراً، فكسا وفرق الجوائز، وعمم الصلوات بدار الديبغ إلى ربيع الثانى من عام سبعة وخمسين، فقدم عليه رءوس العبيد وقوادهم ببيعتهم له وإعلامهم بخلع المستضىء، خاضعين معتردين طالبين عفوه وصفحه عما اقترفوه.

فعفا وصفح على عادته ووصلهم، وأمرهم بالتهيؤ لقتال بغاة بنى حسن ومن فى حلفهم من شيعة المستضىء كدكالة أخواله وأهل مراكز المتمسكين بطاعته سعياً وراء جمع الكلمة وإطفاء نيران الفتنة التى حصت كل شىء، فأجابوه بالامتثال والسمع، وأمرهم باللحوق به لدار ملك أبيه مكناسة الزيتون، وأصدر أوامره للحياينة وشراقة وأولاد جامع وأهل فاس والغرب بالإتيان إليه بحركتهم لأجل ما ذكر.

ثم نهض لمكناس وبها اجتمعت عليه تلك القبائل، ووفدت إليه الوفود ببيعاتها وبعد تجديد البيعة العامة له وهى البيعة الخامسة، كتب الكتائب وجند الجنود، ورتب الجيوش، ونظم المقاتلة، ونهض قاصداً بنى حسن على طريق الفج ليحول بينهم وبين الشعاب التى يتحصنون بها.

قيل: كان نهوضه فى ذى القعدة الحرام من العام، وسار إلى أن وافاهم ببسيط زبيدة، ففروا أمامه للغابة، وخلفوا حللهم وأموالهم غنيدة باردة، وما كان مساء اليوم حتى جاءوا تائبين منيبين، فعفا عنهم ورد عليهم مالهم وارتحل عنهم.

وسار إلى أن نزل بداره من القصبة الكائنة بأبى لعوان بين الشاوية ودكالة، وخيمت عساكره أمامه ببسيط دكالة، وقد كان أهلها فروا مع المستضىء للحوز، فأقام المترجم بدكالة سنة كاملة بعساكره، أتى فيها على ما لتلك القبيلة من زرع وضرع، وقطعت أشجارها وهدت قراها ومداشرها وصيرها بلاقع كأن لم تغن بالأمس.

ثم انتقل لبلاد السراغنة، وما استقر به الثوى بتلك البلاد حتى وفد عليه أهلها طائعين وفي عفوهم راغبين، وانضموا لجيوشه، ثم وثب البعض من السراغنة على ستة من صعاليك العبيد وقتلوهم لارتكاب عار وذعر.

ولما اتصل الخبر بصاحب الترجمة أسرع للانتقام من غير فحص عن السبب، فقتل منهم عددا كبيرا، ونهض من بلادهم مغاضبا، ثم وفد عليه دمنات وما والاها من سهل وجبل طائعين مدعين، ثم انتقل لبلاد زمران وأعلام النصر خافقة، ولما حل بها قدم عليه الرحامنة وأهل سوس والدير وقدموا لجلالته الطاعة وانضموا بمحالهم لمحلته.

ثم تقدمت تلك الجنود الجرازة لبلاد مسفيوة، حيث كان المستضىء وأحزابه، وشبت نيران القتال بين جيوش المترجم وأهل مسفيوة ومن انضم إليهم إلى أن فشلوا، وفلت جموعهم وضعفت البقية الباقية عن المقاومة، فأتوا للمترجم بنسائهم وصبيانهم حاملين الألواح والمصاحف يستجيرون، ولما مثلوا بين يديه طلبوا من جلالته المقابلة بما جبل عليه من الحلم والإغضاء، فأمرهم بالإتيان بالمستضىء، فأخبروه بأنه قد فرّ لمراكش، فعفا وسامح، ثم ورد عليه أهل دكالة بنسائهم وصبيانهم كمن قبلهم، فقابلهم بالصفح وأمرهم بالرجوع لبلادهم، وألقى عصاه واستقر به الثوى إلى أن وفد عليه أهل الدير بيعتهم وهداياهم، وطلب الرحامنة وأهل سوس من جلالته المسير معهم لمراكش فأسعف رغبتهم.

أما المستضىء فإنه لما فر من مسفيوة لمراكش صده عنها أهلها، ولم يزل يتردد بين القبائل ولا يقابل بغير الطرد إلى أن بلغ الفحص وأقام بحوز طنجة كما مر.

وبينما يقدم رجلا ويؤخر أخرى في التوجه لمراكش، إذ ورد عليه أعيانها وشرفاؤها ببيعتهم، وقدموا لحضرته طاعتهم وأبدوا أعدارا عما تورطوا فيه من شق عصا الطاعة، وطلبوا من جلالته القدوم لبلادهم، وقد كان جل تلك الجيوش سئم

الحرب وكل ومل من الغربية وفراق أوطانهم نحو العامين، فصاروا يتسللون حتى لم يبق بالمحال إلا نحو النصف من الجيش ورؤساء القبائل، فرأى المترجم أن الرأي هو أن يرجع لعاصمة ملكه ودافع الراغبين في التوجه لمراكش بالتي هي أحسن، وعين ولده الأمير أبا عبد الله خليفة بها، ووجه به إليها في معية وفدهم وذلك عام ثمان وخمسين ومائة وألف.

ثم ولى وجهه نحو العاصمة، وكان مروره على تادلا وأقام بها أياما، ثم سار إلى أن بلغ لرباط الفتح، واستخلف به ولده أبا العباس أحمد، ثم سار إلى أن خيم بقصبة وادي أبي فكران وذلك في خامس عشر ربيع الثاني عام تسعة وخمسين ومائة وألف على ما في الترجمان المغرب وغيره، والذي في تاريخ الضعيف أن المترجم دخل مكناسة الزيتون أوائل ربيع الأول والله أعلم.

وفي مهل جمادى الأولى خرج من الحضرة الفاسية وجهاء البلد من العلماء وذوى المناصب لتهنئته بسلامة القدم وتقديم ما يجب لجلالته، فسر بمقدمهم وقابلهم بكل تجلة وإكبار، ووصلهم وأكرم وفادتهم، ثم ودعهم وأمرهم بالأوبة لوطنهم، ووجه معهم الرماة الذين كانوا معه.

ووفد على حضرته أيضا قائد طنجة ووجهها وأولاد الباشا أحمد المذكور ونساؤه بهدية سنية وتحف نفيسة، وكان عدد الوافدين يتجاوز المائة، ولما مثلوا بين يديه قال لهم: إنه قد بلغني أنكم استخرجتم مالا كثيرا كان أخفاه الباشا أحمد عند خروجه ثانی مرة لمبارزتي واقتسمتموه فيما بينكم، وأمرهم بشرح الواقع فأجابهم سبعة منهم بالإقرار، والباقي بصريح الإنكار، فأمر بزج الجميع بالسجن، وبعد ثلاث سرح السبعة المقرين، وهم: العاقل، وأولاد الباشا، وبنو عمهم وأمر بقتل المنكرين فقتلوا جميعا، وفي ذلك اليوم نفسه قتل من بنى حسن وغيرهم نحو ثلاثمائة نسمة.

ثم وجه نفرا من حاشيته لطنجة للإتيان بمال الريفي المذكور، فقام في وجوههم أهل طنجة وصدوهم وشتموهم أقبح شتم، بل هموا بالإيقاع بهم لولا أنهم نجوا بأنفسهم، ولما رجعوا للمترجم وأخبروه الخبر ثار غضبه، وأمر بقتل من كان أبقى عليه من أهل طنجة المذكورين.

وبعد ما نفذ الأمر فيهم أخبر صاحب الترجمة أن المال الذي كان قد أخرج من طنجة وأمنه عند عدليل بفاس صرف منه في مصالح نفسه عددا لا يستهان به، فأصدر أوامره بالإتيان بذلك المال، ولما أحضر أمر بوزنه فأخبر من باشر الوزن بأنه يخص من العدد المؤمن اثنان وثلاثون ألف قنطار عدة قديمة، فالزم عدليل بأداء العدة فعجز، وضمنه بعض الرؤساء ووقع عليه الإسهاد بالأداء حلولا، وأمر بإعطاء عشرة آلاف مئقال صلة للودايا، سكان فاس الجديد، فكان من أقوى موجبات وغر صدر أهل فاس على صاحب الترجمة، حيث خص الودايا بالعطية دونهم، والحال أنهم - أي الودايا - أول من شق العصا عليه، وهم - أي أهل فاس - أول من تمسك بطاعته وآخر من قاتل دونه.

ومما زاد الطين بلة وطمبور الفتن نغمة أمره للمسخرين من جيشه بأكل زرع ما حرثه آيت يدراسن أنصاره بأحواز العاصمة المكناسية انتقاما منهم لتأخرهم عن الإتيان لحضرته للتهتة بسلامة القدوم، وبعد ذلك كتب الرئيس القبيل المذكور محمد وعزيز يلومه عن التأخر، وقد كانت بينه وبينه صداقة ومصافاة تامة، حتى كان صاحب الترجمة لا يخاطبه إلا بياأبت، وكل ما يرومه يمضيه بدون أدنى توقف.

ولما وصل الكتاب السلطاني لوعزيز جمع إخوانه وأمرهم بجمع هدية والإتيان إليه بها ليتوجه بها مع وجوههم للحاضرة السلطانية، فأظهروا الامتناع وتعللوا بالخوف على أنفسهم إن هم ذهبوا لعدم توقفه في سفك دماء الواردين

عليه، فتكفل لهم بأنهم لا يرون منه إلا ما يسرهم، وأنهم ليسوا كغيرهم بناء على ما يعتقد من كامل الصداقة، وأنه يستحيل لديه أن تخفر له ذمة عند الأمير المترجم، فأجابوه لما اقترح، وعينوا مائة من صدورهم للتوجه مع رئيسهم المذكور، وساروا بهديتهم إلى أن وصلوا لمخيم السلطان بقصبة أبي فكران، واستقبلوا حاجبه عبد الوهاب اليمورى.

فأخبر السلطان بمقدمهم فأمر بإدخالهم لبساطه مجردين من السلاح، ولما مثلوا بين يديه أحدق بهم لفيفا من الحرس ثم قال لمحمد وعزيز هؤلاء حادوا عن الطريق المثلى، وعاثوا فى الطرقات وروعوا المسلمين بالسلب والنهب، وأخذوا أموال التجار غصبا ولم يتركوا ضعيفا ولا يتيما ولا مسكينا إلا وآذوه فى ماله وبدنه، فإذن مالهم ودمهم حلال.

وأمر الحرس بإلقاء القبض على جميعهم غير وعزيز فانقض الحرس عليهم وأوثقوهم بالحبال وساروا بهم إلى بطون السجون، فقال له وعزيز: أغدراً بعد عهد! فقد جاءوا فى أمان.

فأجابه المترجم بقوله: هؤلاء حاربوا الله ورسوله، وسعوا فى الأرض الفساد، وقد خير الله فيهم الإمام، فقم أنت فى حفظ الله لأنك بمنزلة والدى لا تخاف دركا ولا تخشى، فقال له: لا أقوم إلا مع إخوانى، فإن ماتوا مت، وإن عاشوا عشت، وكيف يسمع عنى أنى قدمتهم للذبح ورجعت! فأى أرض تقلنى وأى سماء تظلنى؟ لا بد أن يقتلنى إخوانهم وأخلف بعدى سبة لا تنفى مدى الأبد، وقد تنبئوا بهذا لما أمرتهم بالقدوم معى لحضرتك، فقالوا: إن ذهبنا إليه سلك بنا مسلك من قبلنا من الوافدين عليه، فنفيت لهم ذلك، وأعطيتهم العهود والمواثيق على أنهم لا يقابلون من جلالتك إلا بالجميل ووافر الإحسان.

فأطرق مليا ثم رفع رأسه وقال لحاجبه المذكور: يا عبد الوهاب لا خير في رجل يقول لرجل: يا أبت، ثم لا يشفعه في قبيلته، وأمر بتسريحهم فسرخوا، ولما خرجوا ركبوا خيولهم وتوجهوا لخللهم مع رئيسهم وعزيز.

ولما اجتمعوا بإخوانهم قالوا لهم: لقد أحيانا الله حياة جديدة بعد أن متنا فلا بُدَّ لنا من الأخذ بثأرنا مادام فينا عرق ينبض، وأجمعوا أمرهم على الخروج على المترجم والهجوم عليه بعد ثلاث، ومن تخلف منا عاديناه، وبأنواع الأذى والإهانة سمناه، فلم يشعر المترجم إلا وخيولهم مطلة عليه من ناحية الحاجب، فتيقن أن ذلك أمر دبر بليل، ولم يسعه غير حمل عياله وجواريه وإحاطتهم بالخيول والرماة، ثم ركب هو في من بقى معه من الجند وانحدر خلفهم مع بطن الوادى وتفرق العبيد يمين الوادى ويساره، وتركوا كل ما كان بالمحلة من أمتعة وأخبية وعدة ومقومات غنيمة باردة، وشب القتال بين البربر والمحال السلطانية وحمى الوطيس ودام ذلك إلى أن دخل المترجم على باب القزدير أحد أبواب العاصمة المكناسية، فرجع البربر وقد مات منهم خمسمائة مقاتل، ومن العبيد ثلاثمائة وذلك يوم الخميس سابع شعبان العام.

ثم اتفقت كلمة العرب على الخروج على المترجم، ووافقهم على ذلك شيخ العرب محمد الحبيب المالكي الحمادى، وقد كان صاحب الترجمة ولاء على إخوانه سفيان وبنى مالك والخلط وطليق وغيرهم من عرب تلك الناحية، ثم بعثوا إلى أهل فاس يحثونهم على متابعتهم فى رفض بيعة المترجم فأجابوهم لذلك، ثم اجتمع رأى العبيد على الانضمام لهؤلاء وكتبوا لإخوانهم يغرونهم على الانخراط فى سلوكهم والموافقة معهم على ما أبرموا، وحققوا لهم غدر المترجم ووثوبه عليهم إن لم يربثوا بأنفسهم ويغتنموا الفرصة قبل الظفر بهم، ولما اتصل كتاب العبيد

ياخوانهم وتمعنوه تواعدوا على الرحيل لمكناسة بعد ثلاث إجابة لإخوانهم، وفرارا
مما لحقهم من إهانة بنى حسن وإضرارهم بهم غاية الإضرار.

فأخبر السلطان بذلك بعض عيونه، وعندما تيقن صدق الخبر طير الإعلام
لأخواله الودايا الذين بفاس يحضهم على القدوم عليه من يومهم قبل بلوغ السيل
الزبي، واتساع الخرق على المرتق، واشتغل بجمع ماله وأثاثه وحمل ما عز عليه
وأسراج خيله مظهرا أنه يريد الرجوع لقصبة أبي فكران حيث كان مخيمه، ولما كان
وقت العشاء ورد عليه من خيل أخواله الودايا أربعمائة، فخرج من باب القزدير
بجميع ماله وعياله ولم يترك بدار الملك غير النزر مما لا يؤبه به، وسار في معيتهم
إلى أن بلغ دار ادبيغ.

وفي ثالث عشر شعبان اجتمع البربر مع بنى مالك بفاس لقتال الودايا،
فتحصنوا بالمدينة البيضاء فاس الجديد، ثم عاث البرابر في الطرقات ونهبوا دار
ادبيغ، وقلعوا أبوابها وحرقوا الأخصاص التي كانت محدقة بها، وجعلوا يغيرون
على سرح الودايا ويناوشونهم القتال، ومات من الفريقين عدد عديد، وشبت نيران
الفتن وقطع الودايا الماء على فاس القرويين.

وفي يوم الجمعة الخامس عشر من شعبان المذكور وقع التوافق على أن لا
يذكر اسم المترجم في الخطب، واشتبكت الفتن وارتبكت وكثر الهرج والمرج،
وامتد ذلك نحواً من سبعة وعشرين شهرا.

وفي أوائل رمضان أخلى العبيد مشرع الرمل، وبقيت بيوتهم خاوية بما
ظلموا، ولما لحقوا ياخوانهم لمكناسة، نزلوا بالقصبة والمدينة والأروى وقصبتى
بريمة وهدراش، وبعضهم اتخذ الأخصاص والعرائش بسواحي المدينة والرحاب
المتسعة وثووا هنالك فى البلاد، وخرّب بنو حسن ما خلف العبيد بمشرع الرمل من
الدور والقصور التي كانوا يتنافسون فى تشييدها.

ولما وافى عيد الفطر وجه العبيد الذين بمكناسة جماعة من قوادهم فى معية قاضى البلد أبى القاسم العميرى ووجوه الأشراف لحضور العيد مع المترجم والاعتذار عما صدر منهم، وطلب رجوع جنابه إلى عاصمة الملك مكناس.

ولما وصلوا لحضرته ومثلوا بين يديه قابلهم بالعفو والإغضاء، ووصلهم وكساهم ووعدهم بتوجهه للعاصمة المذكورة، فانقلبوا إلى مقارهم فرحين مبتهجين، ولما كانوا فى أثناء طريقهم لمكناس اعترضهم البرابر بوادى الجديدة وسلبوهم حتى مما يستر عوراتهم، ولم يفلتوا منهم غير القاضى المذكور أبقوا عليه ثيابه وبغلته.

ثم صارت البرابر تغير على الذين نزلوا بضواحي مكناس وتنهب أموالهم وأولادهم حتى ضاق بهم المتسع، وتفرقوا فى البلاد، ولم يبق منهم إلا القواد وشرذمة من أهل الحرف والصنائع، ومات منهم بالزلزال الذى وقع بمكناس خمسة آلاف.

وفى فاتح جمادى الأولى عام ستين قدم قبائل البربر وقبائل العرب لإعانة أهل فاس على محاربة المترجم فنزل القائد الحبيب بإيالته الغرب والمخلط، وطلق بدار الأضياف، ونزل محمد واعزيز بأتباعه البرابر بجبل أطغات، وانحجر الودايا بفاس الجديد، والعبيد بقصبة شراقة، وأحاطوا بالمترجم بداره دار الديبيغ إحاطة السوار بالمعصم.

ولما كان الغد ركب العبيد والعرب وقصدوا دار الديبيغ والبربر على آثارهم، فلما بلغوا حريم الدار المذكورة اتصل بهم أن البربر غدروا ونهبوا محلتهم فارتاعوا ورجعوا القهقرى منهزمين لا يلقى بعضهم على بعض، وتفرقت تلك الجموع الباغية، وكفى الله المؤمنين القتال، قيل: إن المترجم أغرى واعزيز بمال وجهه إليه ليلا على تفريق تلك الأحزاب ففعل، وسقط فى يد أهل فاس وبقوا يتجرعون الغصص فى ضيق وعناء يستغيثون فلا يغاثنون.

وفى انقلاب عرب الغرب من انكسارهم هذا لبلادهم مروا بحلة بنى حسن فانتهبوها، فقدم بنو حسن على السلطان شاكين إليه بما فعله بهم عرب الغرب فحركوا منه ما كان كامناً بصدرة عليهم، وجيش إليهم جيشاً كثيفاً من العبيد والودايا للإيقاع بهم أخذوا لثأر بنى حسن منهم، ولما شعروا بنهوض الجيوش التى لا قبل لهم بها للاقتصاص منهم انجلوا عن البلاد وتوجهوا للعرائش وتحصنوا بأسوارها، فاقتفت أثرهم تلك الجيوش وأحدقت بهم وشدت الحصار عليهم ثلاثة أشهر، هلك فيها لهم الزرع والضرع ثم رق لهم المترجم ووجه لهم شردمة من الودايا بأمانه ومصحفه وسبخته، وأفرج الجيش عنهم، وقدموا مع الودايا على المترجم بهداياهم تائبين، وفضله شاكرين، فولى عليهم كبيرهم الحبيب المالكي، وأضاف إليه قبائل الجبل كلها.

وفى شوال عام واحد وستين ومائة وألف، استأنف أهل فاس الرضوخ لطاعة المترجم وتجديد البيعة له، وذلك بواسطة بعض بنى عمه من أهل سجلماسة، والعلامة أبى الإجلال عبد الكبير السرخينى، فأنهضوا وفداً من الأشراف والعلماء وذوى الجاه والوجاهة فى طليعتهم الفقيه المذكور ومعهم هدية قيمة للعاصمة المكناسية إظهاراً للخضوع، وطلباً فى العفو والصفح، ولما مثلوا بين يدى المترجم سب وجدع ثم سامح وأحلم وردهم لبلدهم رداً جميلاً، ثم انعقد الصلح بين أهل فاس والودايا، وفتحت أبواب المدينة بعد الحصار ستين وثلاثة أشهر، وكان ذلك فى ذى القعدة من السنة.

وفى هذه الأعوام انتشر الوباء الجارف فى هذه السنين سائر البلاد المغربية وتفاحش الغلاء.

وفى ثامن عشر جمادى الأولى، وقيل الثانية من العام، نهض المترجم من فاس لمكناسة، لكسر شوكة متمرده البربر وخيم بقصبة أبى فكران ينتظر ورود

القبائل التي كانت تظهر له الطاعة، إذ قد كان استنهضهم لذلك، ولما طال انتظاره وتبين تقاعسهم عن اللحق به، رجع للعاصمة المكناسية بمن كان معه مصابا بالأم إحدى عينيه.

ولما سمع البربر برجوعه لمكناس طمعوا فيه، وأجمعوا على غزوه، وزاد طنبورهم نغمة وطينهم بلة، ما وقع من الصلح بين الودايا وأهل فاس وذلك يوم الاثنين الثالث عشر من شوال، وخضوع الكل لصاحب الترجمة، فلم يألوا جهدا في تفريق الكلمة واستشاروا في التدابير الموصلة لهم لذلك زعيمهم واعزيز لما يعلمون في قلبه من المرض، فأشار عليهم بأنه لا يتم لهم معه أمر ماداموا لم يقطعوا خط الرجعة بسايس، ويحال بينه - أى المترجم - وبين المواليين له من الودايا والعبيد وأهل فاس، فاستصوبوا رأيه ونزلوا بحلهم في تلك البسائط، وأطلقوا يد السلب والنهب، وأغاروا على سرح الودايا وأفسدوا زروعهم وبحائرهم، وجعلوا يختطفون أطفال العبيد النازلين بضواحي مكناس ويغيرون على سرحهم كلما أمكنتهم فرصة.

وفي أول رجب من السنة ورد الخبر بإلقاء أهل الريف القبض على المستضىء مار الترجمة، واستيلائهم على كل ما كان له من مال وامتول لإلقائه القبض على القائد عبد الكريم بن علي الريفى صنو أحمد المذكور، وسمله عينه.

وفي شعبان أوقد الودايا النار بأجواف باب محروق ليلا، فشعر بذلك الحرس وطردهم عن الباب، ومن الغد ركبوا له أبوابا جددا.

وفي ثالث عشرى شوال أوفد أهل فاس على المترجم بمكناس القائد الحسن ابن صالح الليرنى، والقائد قاسم بن الأشهب، والقائد الحاج محمد الصفار، وقاضى البلد وغيرهم من الأشراف والعلماء، وكان ذهابهم على طريق زرهون خوفا من عيث عتاة البرابر، ولما وصلوا لحضرته ومثلوا بين يديه شرحوا أعدارهم

فى التظاهر بالقيام عليه، وأقاموا الحجج والبراهين على أن ذلك لم يكن عن اختيار منهم، فقبل المعذرة شأن الكرام، وقال: لا تثريب عليكم، وإنى عاهدت الله أن لا أفعل بأهل تلك المدينة - يعنى فاسا - إلا الخير وكتب بهذا كتابا لأهل فاس.

وفى متم الشهر آب الوفد الفاسى لوطنه فرحا مسرورا، وقرئ الكتاب السلطانى المشار له على منبر القرويين، وبه وقع الإعلان باستئناف بيعته، وانبرم الصلح بينهم وبين الودايا، وتبادلوا الطعام بالمدينة البيضاء وفاس القديمة، وزينت المدينة إظهارا للارتياح، وإشهارا لما أقاموه من حفلات الأفراح.

وفى ثالث عشرى قعدة قدم ركب الحجيج الذى كان محصورا بتازا لانقطاع السابلة وتوقد نيران الفتن بها.

وفى يوم السبت تاسع ذى الحجة خرج من فاس وفد من أعيانها لتتهتة جلالة المترجم بغرة عيد الأضحى والمشاركة فى أفراحه ومشاهدة فاخر حفلاته، من جملة أعيان ذلك الوفد: القائد قاسم بن الأشهب، والقائد ابن صالح الليرينى، والحاج محمد الصفار، والقاضى أبو محمد عبد القادر بوخريص، وناظر الأحباس التاودى بن أحمد المشاط، فقابلهم بغاية الإجلال وغمرهم بنعمه الضافية، ورددهم بعد يومين ردا جميلا.

ثم إن البربر لما علموا بانبرام الصلح بين أهل فاس والمترجم والودايا والعييد سقط فى أيديهم، ورأوا أنهم قد ضلوا وصاروا يضربون أخماسا فى أسداس، ويبدلون جهدهم وطاقاتهم فى اتخاذ الحيل فى تفريق الكلمة، ولا سيما لما ثبت لديهم أن العبيد صمموا على الحركة لغزوهم، وأخذوا يغرون القبائل على نصرتهم على ذلك ومعاضدتهم، فلم ير البربر حيلة أنفع لهم من المسارعة لشن الغارات والتضييق على العبيد من كل جهة وقطع الميرة عنهم، ومديد السلب والنهب فى

السبل عموماً والعبيد خصوصاً، حتى ضاق بهم المتسع فلم ينفعهم إلا الجنوح
للسلم ومصالحة البربر، وبعد اتخاذ الوسائط لذلك صرح لهم البربر بأن السلطان
هو الأمر لهم بذلك، فلم يرتب العبيد فى صدق مقال البربر لما سلف من المترجم
مع واعزيز عند تخلفهم عنه حين أمرهم بغزو البربر، وصاروا يدبرون فى كيفية
يتوصلون بها لإلقاء القبض على صاحب الترجمة والفتك به، فأوعز إليه بذلك
بعض عيونه، فنجأ بنفسه لدار الديبيغ وذلك فى صفر سنة اثنتين وستين .

ثم اتصل الخبر بنجله خليفته بمراكش أبى عبد الله محمد مار الترجمة فكتب
للعبيد يعلمهم بصيرورته على بال، مما أضمرها لوالده، ويعدد عليهم إحسانه إليهم
ويوعدهم إن لم يرجعوا عما سولت لهم أنفسهم الأمانة، فأجابوه بتنفيذ ذلك
الخبر، وأنه لم يكن خطر لهم قط ببال، ورجعوا إلى أنفسهم، وقالوا: إن هذا
الخليفة - يعنون محمد بن عبد الله - ذو قوة وبأس شديد، وهو أماننا، ووالده
وراعنا، والبرابر محدقة بنا، فكيف الخلاص؟ فاتفق رأيهم على أن يعيدوا البيعة
لصنو المترجم أبى عبد الله ابن عريبة المترجم سابقاً فأبى وامتنع، ثم بعثوا لصنوه
أبى الحسن على آتى الترجمة وكان يومئذ بسجلماسة مهد ملك سلفه فقابل طلبهم
بالرفض، ولما كانت نتيجة سعيهم فيما راموه الخيبة عقدوا صلحاً مع البرابر على
المبايعة لنجل المترجم أبى عبد الله المذكور، وأقاموا لهم حججاً على أنه لا يصلح
للملك وتدبير أمور الرعية غيره فأجابوهم لذلك .

وفى أوائل ربيع الأول أعلن العبيد والبرابر بنصر أبى عبد الله المذكور
بمكناس وزرهون وخطبوا به على المنابر، وأشاعوا ذلك فى البوادي والخواضر، ثم
جهزوا فئة من أعيانهم وأوفدوها إليه لمراكش لإعلامه بجمع الكلمة على المبايعة له
وطلب تعجيل قدمه عليهم، ولما بلغوا إليه وأبلغوه ما جاءوا لأجله قبح فعلهم
وعنفهم ثم وصلهم، وقال لهم: ارجعوا عن غيركم فإن بيعة والدى فى عنقى
وأعناقكم لا يحل خلعها بحال، وألزمهم الرجوع للطاعة والتزم لهم بأن لا

يلحقهم أدنى سوء من والده، وأنه يسعى فى إصلاح ذات البين بينهم وبينه، فرجعوا آيسين من بلوغ مقصدهم، ولم يرجعوا عن غيهم بل تبادوا على الدعاية لسيدى محمد والخطبة به، والمترجم مستعير لذلك كله آذانا صما وعيونا عميا، وولده الخليفة المذكور يرجف فؤاده من ذلك خوفا من أن يظن به والده أنه راض بفعل أولئك الأوغاد الجفاة، وصار يتابع الهدايا ذات البال لوالده استجلابا لمرضاته، وإظهارا لطاعته، ولما تيقن صاحب الترجمة كراهية نجله المذكور لسوء فعل العبيد ورفضه لمطلبهم، رام استجلاب القلوب الشاردة عنه، فصار يفكر فى ما يوصله لذلك.

ولما كان يوم الخميس تاسع عشرى شعبان العام أمر بإعلان النداء بسوق الخميس وغيره من أسواق فاس، بأن كل من أتى إليه من العبيد لدار ادبيغ يعطى خمسمائة مثقال، ومن تخلف فلا يلوم إلا نفسه، فتساقطوا على أعتابه زرافات ووحدانا ووفاهم بما وعد به، وأمرهم بالكتب لإخوانهم الذين بمكناس وغيرها من البلاد بالإتيان لحضرته، وأن كل من أتى يقبض القدر المذكور تأليفا لهم وكفا لأذاهم، فلم يزداهم ذلك إلا نفورا وتمردا وطغيانا، شأن النفوس الخبيثة، ولم يقتصروا فى ذلك على أنفسهم، بل أغروا البرابر النازلين بسايس على قتل كل من وجدوه من إخوانهم ذاهبا لفاس، لأنه يعد ناكثا للعهد الذى تعاهدوا عليه، وخارقا لإجماع جموعهم الفاسدة.

فأجمع البرابر أمرهم وشركاءهم ودرسوا الحالة هم عليها وحالة العبيد معهم قديما وحديثا، وما جنوه من ثمار ما زرعه من الفتن، فتمحض لديهم أن العبيد إنما يسعون وراء ما رأوه مصلحة شخصية لهم، ولو أدى الحال إلى تضحية من سواهم، وأن أكد مصالحهم هلاك البربر.

واتفق رأيهم على الرجوع لطاعة المترجم وعضدهم فى رأيهم الأسد رئيسهم محمد واعزيز، ثم كتبوا للمترجم يطلبون عفوه وأمانه فأجابهم بقبول إنابتهم وعدم

مؤاخذتهم طبق ما عرف فى غالب أحواله، وبأثر ذلك وفد محمد واعزيز مع إخوته، فأكرم وفادتهم ووصلهم بعشرة آلاف مثقال، فسروا وابتهجوا ورجعوا لمحالهم شاكرين.

وفى آخر رمضان رجعوا لحضور الحفلات العيادية ومشاهدة الطلعة الإمامية، فوصلهم بمثل ما ذكر كما وصل الودايا، وأعطى لأهل فاس خيلا مسومة وجواهر نفيسة وأوانى من الزجاج، وكساهم بفاخر الثياب، قال فى الدر المنتخب: تزيد قيمة ما ذكر على عشرة آلاف مثقال بتقويم ذوى العرفان، ولم يحرم من نواله المدرار غير العبيد الذين جبلوا على كفران النعم.

وفى هذه السنة جمع رأس عتاة العبيد، وشيطانهم المريد، المسمى زعبول إخوانه الذين بمكناس ونواحيه ونهض بهم لسفيان وبنى مالك، ولما رأى المذكورون ما لا قبل لهم به، فروا إلى العرائش، فاحتوى الزعيم وإخوته على ما خلفه سفيان وبنو مالك من ماشية وغيرها، وفى منقلبهم دخلوا القصر على حين غفلة من أهله، وارتكبوا كل شنيع على عادة الأوغاد السفلى، وكان الوقت وقت اشتداد البرد وتهاطل الأمطار فعظم الخطب واشتد المصاب.

وفى السنة أيضا قتل المولى الحسن صنو المترجم أولاد أخيه المولى يوسف، وتسبب فى خراب دار ابن أخيه مولاى الشريف بن زين العابدين إرضاء لأهل تافيلالت أعدائهم، فدخلوا الدار عنوة وقتلوا أهلها صبيرا ظلما وعدوانا.

وفىها أيضا هجمت شرذمة من دخيسة وذوى منيع وعرب الصباح وآيت عطا، على تافالالت، فنهبوا الأموال وسبوا النساء والأطفال، وقتلوا عدداً عديداً من أهلها، وسلبوا تجار أهل فاس القاطنين هنالك من أموالهم، وذلك من نتائج ما فعله الحسن المذكور بأبناء أخيه، ولم يزل الحسن ناثرا بتلك البلاد إلى أن صار الأمر للأمير أبى عبد الله محمد بن عبد الله ونقله لمكناسة وذلك آخر العهد به.

وفى أوائل جمادى الأولى عام ١١٦٣ ضحى يوم الاثنين قدم من الحضرة المراكشية الخليفة السلطاني أبو عبد الله محمد إلى مكناس، وخيم بأبى زكرياء الصبان، ومن الغد دخل البلد، وزار ضريح جده المولى إسماعيل، وقد وجد العبيد لازالوا على انحرافهم عن والده، متمادين على الخطبة به، فستيراً من سوء فعلهم وقرعهم أشد التقرع، وأمر بإحضار العلماء والأعيان لديه وقال لهم: هؤلاء العبيد بايعوني وبغوا على والدى السلطان، وإنى أشهدكم أننى أبرأ إلى الله مما أجرموه، فهل ترون لهم مندوحة فيما ارتكبوه، فأجابوه جميعاً بأن الخروج على السلطان لا يحل، وأن دم مرتكبه حل.

ولما سمع العبيد جواب العلماء ورأوا قوة الخليفة وخافوا شدة بطشه لم يسعهم إلا الرجوع لطاعة المترجم وأنفهم صاغر، وأعلنوا بنصره فى الأسواق والأزقة، ولادوا بالخليفة فى الشفاعة لهم لدى والده الإمام والاعتذار له عما اقترفوه، والوساطة لهم فى أن لا يحرمهم من نواله، فأجابهم لذلك، وتكفل لهم به.

ثم كتب لوالده بشرح الواقع وطلب الإذن له فى القدوم بهم لحضرته، وأعلمه بأنه أمنهم بأمانه فيرجو ألا يخفر له فيهم ذمة فلم يرد له والده جواباً عن الكتاب، فأعاد الكتابة ثانية فأذن له فى القدوم بهم لحضرته، وواعده بأنهم لا يرون إلا ما يسرهم ويرضيه هو فيهم.

وفى يوم الأربعاء الثانى والعشرين من جمادى الأولى هذه قدم الفقيه السيد على بن زيد من عند الفقيه السيد على وهو الباشا بتونس على السلطان المترجم بهدية سنية، يطلب منه عدداً من الخيل سماه، وفرح به وأعطاه ستة من إناث الخيل قيمتها ثمانمائة مثقال، وأعطاه خنجراً مرصعاً بالياقوت مختلف الألوان لا تعلم قيمته.

وفى يوم الأحد الحادى عشر من جمادى الثانية وصل الخليفة سيدى محمد المذكور بمن فى معيته من العبيد والجنود الذى أتى به من مراکش، وكان نحو أربعة آلاف جندى لحضرة والده بدار ديبىغ، ووجد والده فى موكبه وأهل فاس والودايا فى استقباله، ولما مثل بين يدى والده وأدى التحية اللائقة بعلى مقامه، وقدم إليه هدية ثمينة، وقدم العبيد، وطلب لهم عفوه وأمانه، فعفا وأمن، وكان ذلك اليوم من أيام الأفراح المشهودة، وأقام الخليفة مع والده ثلاثة أيام يذكاره فى أمور ولايته، وأحوال رعيته.

ولما كان صباح يوم الأربعاء ودع والده وطلب رضاه وصالح دعائه، ونهض من دار ديبىغ وخيم برأس الماء بجنوده الحرارة، ومن الغد نهض وخيم بوادى النجا، وفى يوم الجمعة السادس عشر من الشهر دخل الحضرة المكناسية.

هكذا فى الدر المنتخب، وفى الترجمان وغيره أن والده ودعه من حينه وأمره بالانصراف لمكناس خوفا من اغتيال البربر، فامتثل ولم يبت إلا بوادى النجا، ثم سار لمحل مأموريته، وكان وصله إليه فى ثامن عشرى شوال، وتلقاه أهل الهدايا بالرايات والطبول، وأظهروا بقدمه غاية الارتياح، وقدموا لحضرتة هدايا ذات بال.

وفى العام فشا الوباء وانتشر، ودفن بفاس فى يوم واحد ما يزيد على أربعمائة نسمة، واشتد الأمر وحبس المطر، حتى كررت صلاة الاستسقاء ست عشرة مرة.

قال ابن إبراهيم: فى يوم الجمعة الرابع عشر من صفر خرج الناس للاستسقاء بباب الفتوح فصلوها، وإمامهم خطيب القرويين أبو مدين الفاسى.
وفى يوم الأحد أعيدت الصلاة بالمحل والإمام الخطيب المذكور.

وفى يوم الثلاثاء بعده صليت صلاة الاستسقاء، والإمام خطيب المقام
الإدريسى الفقيه، الناسك الشيخ الكبير ابن الغزوانى السرخي.

وفى يوم الخميس بعده خرج الناس لصلاة الاستسقاء، وإمامهم العدل سيدى
أحمد الطاهرى الجوطى الحسى.

وفى يوم السبت الموالى أعيدت الصلاة خارج باب الفتوح أيضا، والإمام
خطيب القرويين كذلك.

وفى يوم الاثنين ثانى ربيع الأول أعيدت الصلاة خارج باب الجيسة بإمامة
الخطيب المذكور.

وأعيدت أيضا فى يوم الخميس بعده بإزاء روضة ابن عباد، والإمام من ذكر.
وفى يوم الثلاثاء الموالى له أقيمت داخل باب الفتوح قرب باب الحمراء
بإمامة الخطيب المذكور.

وفى يوم الأحد خامس عشر ربيع المذكور أعيدت الصلاة بالمحل المذكور
وإمامها من ذكر.

وبإمامته أيضا أعيدت من الغد بالمحل نفسه.

وفى يوم الخميس أعيدت طبق ما ذكر.

وكذلك أعيدت من غده.

وفى يوم السبت ثامن عشرى الشهر استدعى المترجم لدار دبيغ وأعطاهم
مائة بندقة وست عشرة بندقة وثمانية مئاقيل لكل فرد.

وفى يوم الاثنين متم ربيع أعاد الإمام المذكور صلاة الاستسقاء خارج باب
الفتوح قرب ضريح الشيخ دراس بن إسماعيل.

وفى يوم الأربعاء ثانى ربيع الثانى أعاد الإمام المذكور الصلاة بالمحل نفسه .
وفى يوم الأحد المتصل الولاة أعاد الإمام المذكور الصلاة بالمحل المعروف بمطرح
الأجلة خارج باب الفتوح .

وفى يوم الأحد أعيدت الصلاة بعد، ولم ينزل المطر إلا فى شهر إبريل آخر
العام، ونزلت معه أحجار بلغ وزن بعضها نصف كيلو، ودام ذلك نحو الساعتين،
وتكاثرت السيول وفاضت الأودية وتهدمت الدور وقلعت الأشجار، وتعطلت
السبل، وارتفعت الأسعار، وبلغ القمح خمس موزونات للصاع النبوى، وأكل
الناس الجيف والنبات .

وفى محرم فاتح عام أربعة وستين، وجه صاحب مراكش لوالده هدية ثمينة
مع بعض الخاصة من أصحابه فتلقاها بيمينى القبول، ودعا له بالرضا والخلف،
ووجه له مع الهدية كتابا يستلقت فيه أنظاره للعبيد الذين تشفع فيهم إليه، ويذكره
إهمال شفاعته، حيث إنه كان وصل البرابر الذين وفدوا على حضرته لحضور عيد
الفرط مع جلالتهم بصلة قدرها عشرون ألف مثقال، ورد قواد العبيد الذين كانوا
معهم صفر اليد، فوصل الودايا بصلة تقدر بعشرة آلاف ريال، والعبيد الذين معه
ثلاثة آلاف، وأعطى لمن تشفع فيهم ولده المذكور عشرين ألف ريال رعا لشفاعة
ولده، فطابت نفوس العبيد بذلك .

وفى سادسه أعطى أهل فاس مائة وسق بين قمح وشعير كانت أمانة له
عندهم، وأمرهم بتوزيعها على الرماة بعد أن عين منها مائة مثقال تعطى لأبى عبد
الله محمد الغالى بن عبد الله الشريف الإدريسى، وثلاثين مثقالا للقاضى أبى
محمد عبد القادر بوخرىص .

وفى أوائل ربيع الأول السنة قدم بشدور النصرارى على المترجم ومعه من
المال والثياب والملف وغيرها مما يناسب ذلك نحو من خمسين قنطارا، بعضها فداء
بعض إخوانه، وبعضها هدية للسلطان، قاله ابن إبراهيم .

وفى أواخر شعبان توفى ولد المترجم المولى أحمد بفاس، وحضر جنازته
جميع كتاب أبيه ووزرائه وغيرهم من العامة.

وفى عام خمسة وستين اتصل بالمترجم خبر قتل أهل تطاوين لعاملهم الحاج
محمد تميم، وبعد ذلك قدموا على أعتابه معتذرين ولعفوه مؤملين، فعفا عنهم
ولم يعنفهم، بل قال لهم: أنتم وليتموه وأنتم قتلتموه فاختراروا لأنفسكم من يتولى
عليكم، فوقع اختيارهم على أبى عبد الله محمد بن عمر الوقاش، وفى نظرى أن
هذا من الفشل وضعف العزيمة المؤديان لا محالة إلى الفساد وقديما قيل:

ويقبح وصف الحلم فى سمة الفتى إذا اتسعت فى الحلم طرق المظالم
وقيل:

ووضع الندى فى موضع السيف بالعدا مضر كموضع السيف فى موضع الندى
والله يقول: ﴿وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ...﴾ (البقرة: ١٧٩).

وفى أوائل ربيع الأولى من العام ورد على الحضرة السلطانية سفير دولة
الإصبيان بهدية مائة ألف ريال دورو، وتحف ثمينة، وعدد من الملف والحرير
والكتان، طالبا فداء أسرائهم الذين بالدولة المغربية، فقبل الهدية وعلق له فكاك
الأسارى على فكاك أسارى المسلمين الذين عندهم من غير مال، فكان الأمر كما
أراد، ووصل ذكور العبيد وإنائهم بريالين لكل نسمة، وكانوا ألفا ومائتين.

وفى منتصف هذا الشهر بعث البربر إلى الودايا الإعلام بنقض ما كان منبرما
من العهد بينهما، وفى غده اختطف البربر ماشية أهل فاس، وكان ما نهب لهم
من خصوص البقر ينيف على المائة وتناوشوا القتال.

وفى أوائل جمادى الأولى من العام وفد على الحضرة السلطانية ولد الباشا أحمد بن علي الريفى، وشكا إليه بما مسه من الفاقة والاضطرار فرق له وولاه عمالة طنجة وما والاها، ووعدته بأنه سيضيف إليه عمالة تطاوين وأعمالها.

وفى يوم السبت خامس جمادى الثانية أنعم على العبيد بخمسة آلاف ريال، وعلى الودايا بمثلها.

وفى يوم الأربعاء ثالث عشرى الشهر أنعم على أهل فاس بماتى قفطان وخمسين قفطانا فلبسوها أمامه، ووصلهم بعشرة آلاف ريال.

وفى الشهر نفسه ورجب الذى بعده وشعبان انتشر الوباء فى الأرض المغربية، ولم يزل أمره فى تفاقم إلى منتصف شعبان.

وفى أواخر رمضان وفد العبيد على الحضرة السلطانية بقصد حضور العيد مع علىّ جنابه فوصلهم بعشرة آلاف ريال، وقتلوا أبا عبد الله محمد السلوى، والقائد الحسن زعبول استجلابا لرضا المترجم، إذ كانا من أكبر أعدائه وألد خصومه.

وفى منتصف شوال وفد على صاحب الترجمة صنوه أبو الحسن على آتى الترجمة، فأكرم وفادته وأعطاه مالا جزيلا وذخائر مهمة، وخيره بين أن يستوطن مكناس أو تافلات، فاختار مكناس فأقره على استيطانها، ثم تشكى منه العبيد فوجهه لتافلات.

وفى السنة ورد بعض النصارى على الخليفة السلطانى بمراكش يطلب تأمينه والترخيص له فى وسق الصوف وغيرها مما يتوقف على وسقه وشراء المرتب على السفن التى تأتى لمرسى أكدير بقصد الاتجار وحمل البضائع، فأجابه إلى ذلك، وأعلم والده بما راج بينهما فأمضاه، فإذا بالنصرانى آتى لأكدير بسفن كثيرة ممتلئة

بمقومات البناء من جبر وأجر وغير ذلك وعدد من العملة بنائين ونجارين وحدادين وغيرهم، يريد بناء قصبة تحول بين مرابطي أكدير والماء الذي يستقون منه، ففطنوا لذلك، وطيروا الإعلام للخليفة المذكور، فأمر بإلقاء القبض على النصراني ومن معه، فقبض النصراني وبعض ممن أتى بهم وفر الباقون في مراكبهم.

وفي العام نفسه تفاحش أمر صالح المجاطي وتظاهر بأموز سحرية استهوى بها سخفة العقول من الأوباش وكثير ما هم، وطار صيته بذلك في القطر السوسى وغيره، وطمحت إليه الأنظار، وصارت الدولة منه فى خطر، فحذره الخليفة بمراكش وأذره، ووعظه وذكره، فلم يزد ذلك إلا اعتوا وطغيانا، ولما اشتدت شوكته رأى الخليفة أن شوكته لا تنكسر قوة، وإنما يؤخذ باللين والسياسة إذ رُبَّ حيلة، أنفع من قبيلة، فصار يتظاهر له بالتودد وصفاء المحبة ويهاديه ويستشيره فى الأمور ويسترشده ويتغافل عما يضمرة ويتجاهل، ويحمل سائر ما يصدر على أحسن المحامل، ويشيع ذلك فى الحواضر والبوادي، حتى استفاض ذلك عند الثائر وحمله على الحقيقة ومن يرد الله أن يضلّه فما له من هاد.

ثم إن الخليفة نهض من مراكش لأكدير قاصدا الإيقاع بالثائر المذكور، ويورى بأنه يريد غزو قبيلة مجاورة للثائر المذكور حادت عن لصراط السوى، وذلك بعد أن استشار صالحا المذكور فى تأديبها، فأذن له فى ذلك وأعطاه تعاليم يتمشى عليها، ولما كان الخليفة على مقربة من أكدير اختار عشرة من الفرسان الصناديد ووجههم أمامه يتجسسون خبر صالح المذكور ويعرفونه بأمره، فاتفق أن وجدوا السوق عامرة خارج أكدير والرجل راكبًا بغلته يتطوف بالسوق ويرتب شئونه فحملوا عليه بخيولهم وألقوا القبض عليه وأوثقوه وساروا به إلى الخليفة، ولما رجعوا إليه بالرجل أسيرا أسرع لداره فدخلها واستولى على جميع ما وجده بها من مال وذخائر وعدة وسلاح وذلك شىء كثير، وأدخل صالحا السجن، ولما طال

سجنه وجه لأولاده يأمرهم أن يوجهوا له موسى وسط خبزة كيلا يتفطن السجان لها فيحجزها عنه، ولما بلغته ذبح نفسه بها، وقد كان فيما سلف صد السلطان والد الخليفة عن دخول آكدير ورماء بالأنفاض، وبعد أوبة الخليفة من هذه الحركة لمراكش أخذ في إكمال داره بالبديع وغرس جنان رضوان وحنان العافية وغيرهما.

وفي عام ستة وستين استقر المترجم بداره دار الدبيغ، وضعفت قواه عن الحركة، وظهر بالمغرب ثوار: فبالغرب عبد الله السفيناني، وبنى مالك الحبيب المالكي الحمادي، وفي أوائل ربيع الأول استقل أهل فاس بأنفسهم وأخذوا يشترون الخيل وجعلوا يركبونها كل بكرة وعشى، وانفقوا على عقاب من لم يشتري الفرس، واستقل كذلك أهل رباط الفتح بأنفسهم وصاروا يولون عليهم ويعزلون ويقتلون ويسجنون، وثار الودايا وطغوا وسعوا في الأرض الفساد، وأصاب الضعفاء والعجزة من البؤس ما كاد أن يقضى عليهم.

وفي هذه السنة ثار البعض من عتاة الرحامنة وراموا نهب مراكش فلم يوافقهم على ذلك أهل الرأي منهم، وخوفوهم عقوبة السلطان، وشدة بطشه، ثم تحين السفهاء منهم فرصة ودخلوا على النساء الحمامات وثارن بسبب ذلك فتنة عظيمة بينهم وبين أهل البلد، وتلفت نفوس، ولما اتصل الخبر بالخليفة السلطاني بارح مراكش للتأهب لكسر شوكة المتمردين خوفا من اتساع الخرق، ونزل بزاوية الشراذى فاهتبل به زعيمها ووجه للرحامنة اللوم والتعنيف والعتاب الأليم، على فعلهم الذميم، وكان لهم فيه اعتقاد قوى ونية صالحة يخشون غضبه ويسعون في مرضاته خوفا من أن يدعو عليهم بما فيه هلاكهم، ولا يشكون في سرعة استجابة دعائه ولا ريب أن ذلك كان من حسن حظ أهل مراكش وسعادة خليفتهم.

فارتاع الرحامنة وبادروا للخضوع والتوبة والإنابة، ثم استعطف الخليفة فى الرجوع لمحل مأموريته وأوصاه بالرحامنة خيراً لأن التوبة تجب ما قبلها، إنما التوبة للذين يعملون السوء بجهالة ثم يتوبون من قريب فأولئك يتوب الله عليهم، فمن تاب من بعد ظلمه وأصلح فإن الله يتوب عليه، ومن يومئذ رضخ الرحامنة للطاعة وقابلوا الأوامر السلطانية بالسمع والطاعة وقاموا بذلك أتم قيام.

ولما اتصل بالقبائل الحوزية ما أوجب مبارحة الخليفة لمراكش، أرسلوا إليه رسلهم قائلين: إننا قد ساءنا ما صدر بذلك البلد الطيب من أولئك الأوياش، وإننا تحت أوامركم فيما ترون فى زجرهم وتأديبهم جزاء عما أجزموا، وردعا لأمثالهم، فمرُّ تَطَعُ فالمال والرقاب، ملك لسمو ذلك الجناب، فشكر حسن عواطفهم وإحساساتهم الجميلة، وعرفهم بتوبتهم النصوح، وحمد الله وأثنى عليه ما خوله من ميل قلوب الرعية إليه، واستيلائه عليها من غير سيف ودم مهراق.

وفى السنة أيضاً انعقدت الشروط بين المترجم وبين جنس الاصطادوس، وفيها أغار نصارى الجديدة على آزمور، واقتحموا ضريح الشيخ أبى شعيب ليلاً وقتلوا به نحو الخمسين من أهل آزمور.

وفى عام سبعة وستين ثار أبو عبد الله محمد وعلى بوثقالا الشريف الكثيرى، وكان ذا حيل ودهاء يتظاهر بالصلاح شأن من يريد الوثوب على الملك، ويقيم الأدلة على أنه صاحب الوقت، من ذلك أنه صنع طبولاً من نحاس ببلاد تعرنت، ومن دهائه أنه لم يطلع عليه فى صنعها أحد ممن يريد استهوائهم وجعلهم فى قبضته كالصولجان، ودفن تلك الطبول بالمحل المعروف بماسة من غير أن يعلم بذلك غير خالقه، واختار للدفن موضعاً لا يخطر ببال أحد وقوع الحفر به، وقد كان أهل ذلك القبيل يعتقدون أن طبول ذى القرنين مدفونة بتلك الناحية فى

موضع غير معين لا يطلع عليها إلا صاحب الوقت المجدد للدين، وتواتر ذلك الخبر الواهى لديهم وتناقله كذلك جيل بعد جيل وقيوده فى دفاترهم، ولم يكن لأحد منهم فى صحة ذلك أدنى شك ولا ريب، وما ذلك عند سخفاء العقول سفهاء الأحلام بمستحيل بل ولا بعيد.

وصار هذا الثائر يتحين الفرص لاقتناص الملك والوثوب عليه بالتظاهر بنشر دعاية دينية، إلى أن كانت هيئة الرحامنة المذكورة فاغتتم تلك الفرصة ولم يبق له أدنى شك فى أن الحين حان، فأعلن النداء فى القبائل السوسية بأنه صاحب الوقت والمجدد الأكبر، وأن علامة صحة دعواه إخراجه طبول ذى القرنين التى هى أكبر علامة عند صغيرهم وكبيرهم على صدق مقاله، فنسل المغفلون إليه من كل حذب وكثير ما هم، واحتف حوله ملأ من الأخلاط عظيم.

ولما رأى كثرة جموعه وإقبالهم عليه ذهب بهم إلى الموضع الذى دفن فيه الطبول وحفرها وأخرج الطبول منها، وهم ينظرون فأمنوا به وصدقوا، ورأوا أنهم قد ظفروا بالضالة المنشودة، والمسلمون ميالون للدين بالطبع، ولا سيما من ليس لديه علم يميز به اللجين من اللجين، والغث من السمين، فاعتروا به وتمسكوا بدعوته، وانتشر خبره فى الآفاق، وادعى أنه لا يحتاج إلى بارود ولا سلاح، وقويت عصبية حتى لم يستطع من تبين أمره ولم تجر عليه حيلة من علماء وعقلاء القطر السوسى وغيرهم أن يفوه ضده ببنت شفة، وكثر القيل والقال فيما وراء سوس من القبائل.

ولما شاع أمره وذاع ولم ينفع الخليفة السلطانى بمراكش تغافل، أرسل من طرفه بعض خاصته الذين حنكتهم التجارب يختلطون بأتباعه ويتبعون حركاته وسكناته ويأتون إليه بأخباره، فساروا إليه ولازموه ملازمة الظل، واتصلوا ببعض العقلاء المميزين الملازمين له، واتخذوهم أصدقاء إلى أن صاروا يفضون إليهم

بأسرارهم الخاصة، ودرسوا جميعا حقيقة الرجل المدعى حتى تمحض لديهم أنه أفاك خداع، ماكر يحاول التوصل للملك، ولما قرر أمره للخليفة أصدر أمره لهوارة وهشتوكة أصهاره بقتله وإراحة الأمة من شيطنته ومكره، فنهضوا إليه وقتلوه فى خلق عظيم من أتباعه وأنصاره، ولم يكن لديهم بارود ولا سلاح يدافعون به عن أنفسهم اغترارا بقوله، وحزوا رأسه ووجهوا به للخليفة بمراكش، وأراح الله من فتنته البلاد والعباد.

وفى أوائل رمضان هجمت على المغرب أسراب جند الجراد المنتشر وأهلك الأشجار، ولم يترك منها سوى الأعواد مجردة من الورق والقشر، أما الزرع فقد وجدته تم نضجه فلم يحصل فيه أدنى ضرر.

وفيه أخرج أهل فارس من كان بها من العبيد لاتهامهم بإفساد ذات البين بينهم وبين الودايا، ونقل الأخبار إليهم على غير وجهها، فلم يسع العبيد لضعف قوتهم غير مغادرة فاس القديمة، ونزل البعض منهم بالمدينة البيضاء، والبعض الآخر بقصبة شراكة.

وفيهما كان الزلزال العظيم الذى هد جل بناءات مكناس وزرهون، ومات به بالردم خلائق، وتسمى هذه السنة سنة الثلجية لما تراكم فيها من الثلوج التى لم يتقدم لأحد عهد بمثلها، قال أبو عبد الله الضعيف: فى ليلة السبت التاسع من ربيع الثانى نزل عندنا بالرباط بالليل ثلج عظيم ما رأيناه أبداً ولا ذكر لنا أحد من الناس المسنين أنه عقله، ووافق ذلك ليلة الثانى والعشرين من يناير عام أربعة وخمسين وسبعمائة وألف للمسيح.

وفى يوم الاثنين سادس ربيع الأول موافق عشرى دجنبر نزل ثلج كثير بفاس دام يوماً وليلة، زاد فى الدر المنتخب: وملاً السطوح أكثر من ذراع ورموه بالأزقة، وبقي بها مدة أيام وليال، ثم نزل مرة أخرى فى أول يناير الموالى.

وفى عام ثمانية وستين انكسرت سفينة حاملة للحجاج فى منقلبها من الديار الحجازية، فيها من المغاربة سكان فاس وغيرها أربعمائة نسمة من جملتهم القائد أحمد الوليتى الرباطى، وشريفان من أعيان العراقيين سكان فاس، ولم ينج من ركابها غير قليل، وكان ورود هذا الخبر المؤلم لفاس فى شعبان.

وفى العام نفسه توفى زعيم آيت يدراسن، وركنهم المشيد محمد وعزيز، وأضمرت نيران الفتنة بين قبيله وبين جروان، وكانت الكرة على جروان، حتى إنه لم يسعهم إلا الالتجاء إلى المترجم وهو يومئذ ملازم قعر بيته بدار الدبيغ، ولما ضاق بهم المتسع وعدموا المرعى أخذوا فى بيع ماشيتهم بأبخس الأثمان، ثم إن المترجم لما رأى ما حل بهم رق لهم وأخى بينهم وبين أخواله الودايا، وعقد لهم حلفا معهم فقاموا بنصرتهم والدفاع عنهم والأخذ بثأرهم من آيت يدراسن حتى صيروا بلادهم حصيدا كأن لم تغن بالأمس، وقتلوا منهم نحو الخمسمائة ولجأ جلهم إلى بلاد شراكة.

ومن آثار احتجاب المترجم ونبذه أمر الرعية وراءه ظهريا وعدم التفاته لكل ما يأتى إليه من أخبار الدولة، اضطراب جل بلاد المغرب وفساد انتظام وأكل القوى الضعيف وكثرة الثوار، ولما رأى خليفته بمراكش الرتوق لا تزيد إلا انفتاقا، والسيل قد بلغ الزبى، وأن والده لا يجيبه عما يصدر إليه من المكاتب بشرح الوقائع والأحوال، فضلا عن أن يتدنه بكتاب، جمَعَ أهلَ الحل والعقد وفاوضهم فى الدواء الناجع فى جبر ما انصدع، فأشاروا عليه بالمسارعة بالنهوض بنفسه لإخماد ما اتقد من نيران الفتنة قبل أن يعم البلاء، ويلتهب اللفح الأبرياء، ولات حين مناص، فجند الجنود، وقوم البنود، وفرق الأموال، واتخذ سائر الاحتياطات اللازمة فيما يأتى وما يذر، ولما كان شوال العام نهض لرباط الفتح.

ولما بلغ ضواحيه سدوا الأبواب فى وجهه، وركبوا الأنفاض وتحالفوا مع رئيس أهل سلا، عبد الحق فينش على المقاومة والمخالفة والعصيان، ولما رأى ذلك أعرض عنهم وخيم بالدار الحمراء قرب سلا، فتسارع أهلها لفتح الأبواب وخرجوا إليه مع رئيسهم المذكور والصبيان حاملون ألواحهم على رؤوسهم متشفعين، وفى العفو والأمان راغبين، قال أبو عبد الله الضعيف: والسيف فى فم عبد الحق المذكور وأولاده الصغار أمامه ويده وراءه، فعفا عنهم، زاد ابن الحاج وأكرمهم وأعطى الصلة لصبيانهم.

ولما رأى ذلك أهل الرباط حلوا أبواب المدينة وخرجوا إليه مع الفقيه أبى العباس أحمد بن عبد الله الغربى، والشريف أبى إسحاق إبراهيم حفيد أبى محمد التهامى الشريف الوزانى، فألقى عليهم القبض وقيدهم بالحديد وأمرهم بإحضار مستفاد المرسى، فأجابوه بأنهم أنفقوه فى بناء سور الثغر، ثم عفا عنهم، ونقل البعض من أعيانهم بأهلهم لمراكش كأبى العباس مرينو الأندلسى، والشيوخ أبى عبد الله محمد التونسى الأندلسى، والتهامى مرينو، وولى عليهم القائد العربى المستيرى، إذ كان يعلمه بكل شاذة وفاذة، عن أخبار أهل الرباط قبل التعرف به، ويجعل فى إمضاء كتبه خديمك كدية، ولما حل بالرباط وقدم عليه أهلها قال: أين فيكم كدية؟ فخرج إليه فعرفه وولاه.

وكان الخليفة الأمير لما سدت فى وجهه أبواب الرباط، وجه إليهم صاحبيه الحاج سعيد التامرى الكديرى السرار، والفقيه أبى عبد الله محمد بن زاكور ليؤمنوهم وليأتوا إليه بهم فى خفارتهم، فلم يسعهما غير الامتثال وإن تيقنا أن مرسلهم ممتلىء صدره غيظا على أهل الرباط بما صدر منهم وازداد حنقا حيث سدوا الأبواب فى وجهه، وأنه إذا ظفر بهم لا يفلتهم. فقال الحاج سعيد: اللهم إن هذا الرجل لا يريد بأهل الرباط خيرا، اللهم لا تلاقينى بهم ولا معه، وكان رجلا

صالحا فاستجاب الله دعاءه، وانقلب القارب الذى ركبا فيه وغرقا رحمهما الله تعالى .

وقد وجد الخليفة أهل سَلَا، يصنعون سفينة لأنفسهم رئيسها أبو عبد الله محمد عواد السلوى، فأخذها وسفينة أخرى رئيسها أبو عبد الله محمد عواد يدعى قنديل السلوى فأخذها أيضا كما أخذ السفينة التى كانت شركة بين أهل العدوتين سَلَا والرباط، المصنوعة من خشب جامع حسان المسماة لديهم بالكركجيا. قال الضعيف: وهى أول سفينة طلعت قبل هذه السفن، كانوا يتسبيون فيها، وكذلك أخذ سفينة كان صنعها عامله على الرباط العربى المذكور، والذى فى تاريخ ابن الحاج أنه لم يأخذ غير السفينة المشتركة وأبقى الغير لأربابه، وما فى الضعيف أصح فى نظرى.

هذا ولما صفا للخليفة أمر العدوتين سكن الرعب قلوب من سواهم، فرتب العمال على القبائل، ووجه لمدينة شفشاون القائد العياشى عامل رودانة سابقا، ولكنه لما وصل إليهم صدوه وأغلقوا الأبواب فى وجهه وحاصروه، وولى الباشا مسرورا على القصر، وأصدر الأمر للقائد عبد الله السفينانى بتحويل عمه المولى المستضىء مار الترجمة من أصيلا، ثم رجع لمراكش منصرف العام.

وفى هذه السنة كتب والى طرابلس الغرب العثمانى رسالة للمترجم فى شأن السكة المغشوشة والحياك المدخولة التى كان يحملها الحجاج المغاربة معهم بقصد التجارة فيها فى طريقهم للحجاز، وكانت السكة قد فسدت منذ استقل القائد قاسم ابن الأشهب بالتصرف فى دار الضرب بفاس، فإنه نحس دينار الذهب والموزونات وبالغ فى تنحيس الموزونات غاية مقصده، فكان فى الموزونات عشر فلوس من نحاس وأربعة عشرة فلوسا من فضة من غير علم السلطان.

كما أن حالة مناسج الطرازين قد صارت سيئة لما تولى الحسبة الفقيه السيد الطيب الريحاني، وكان المحتسب في فاس هو الذي يلي البحث في مناسج الطرازين والحرارين ويمنع من يحدث دخولا أو فراغا في المنسج أو نقصا في الحائك، فلما ولي الريحاني غفل عن البحث في ذلك، فأحدث الحرارون الفراغ في المناسج وجعلوا مكان الكثيرة النشا من الدقيق.

وأحدث الطرازون الدخول في المناسج، وجعلوا يصنعون الذراعين الذين يليان الطرفين معقودين ومن أنفاس القيام حلاوة وبياضا ورطوبة ويزدون حال النسج على الطرفين لتمكن الصحة فيها، ويجعلون وسط الثوب فارغا والسدا خشينا أحرش أسود، فإذا نسج الحايك تجد طرفه في غاية الحسن حلاوة وصحة ورطوبة وبياضا ووسطه مثل الشبكة.

وكان الحجاج يشترون تلك الثياب ويبيعونها في طرفهم إلى طرابلس وفي أعمالها، ويحملون الدراهم والدنانير ويشترون بها ما يتقوتون به في الطريق، فظهر النحاس في طرابلس في الدنانير والدراهم العام بعد العام، وصارت الثياب تتقطع من وسطها فشكا عامة الناس ما نزل بهم إلى التركى وإلى طرابلس وأعمالها فأراد القبض على الحجاج، فكلمه في ذلك بعض فقهاء طرابلس وقال له: الحجاج لم يصنعوا الثياب بأيديهم، وإنما اشتروها ممن صنعها والدراهم والدنانير المنتحسة ليس هم الذين ضربوها، وإنما قبضوها في أمتعتهم، فأعلم سلطانهم بذلك، فترك الحجاج وكتب رسالة تضمنت خبر ذلك إلى صاحب الترجمة.

ولما دفع له شيخ الركب الرسالة التي وجه له بها صاحب طرابلس وأعمالها بما وقع للحجاج بطرابلس، قرأ الرسالة وبعث بها إلى أهل مدينة فاس، فاجتمع أهل فاس وقرءوها وقص عليهم الخبر الحجاج، فقال لهم بعض من له رأى من

الفقهاء: هذا منكر متفق على تحريمه يجب تغييره، وقد ذم الله أمة كانوا لا يتناهون عن المنكر فقال: ﴿كَانُوا لَا يَتَّاهُونَ عَن مُنْكَرٍ فَعَلُوهُ...﴾ (٧٩) [المائدة: ٧٩].

فاتفق رأى أهل الدين والخير على تغيير ذلك وعينوا من يقوم به، فأمروا الأندلسيين أن يقطعوا مناسج النيارين المدخولة، لأن سوق النيارين فى جهة الأندلس ويقطعون ما يجدونه فى الطرازات من أسداء مدخولا، لأن أكثر الطرازات فى جهة الأندلس، وأمروا اللمطين بأن يبحثوا فى الحوانيت التى تباع فيها الحياك فما وجدوه مدخولا مزقوه، وأن يقبضوا على القائد قاسم بن الأشهب الذى أفسد السكة ويأتوا به ليجرى عليه حكم الشرع.

فامتنت طائفة من اللمطين من القبض عليه، وتبع أهل فاس فى ذلك طائفة منهم، وهم الأندلسيون الساكنون بجهة اللمطين المحسوبون فى عددهم، فقال لهم أعيان أهل فاس: دونكم فلا يهمنكم شأن هؤلاء فى رجل واحد لا قبيلة له ولا مال ولا أصول بفاس، يبدل ويغير فى سكة السلطان من غير إذنه، فلا ترجعوا عن زجره.

أما الأندلسيون فساروا إلى النيارين وقطعوا ما وجدوه بحوانيتهم مدخولا وغير مدخول، وساروا إلى الطرازات فوجدوا أكثرهم قد حملوا سدواتهم من الطرازات، فقطعوا ما وجدوه فى الطرازات مدخولا.

وأما اللمطيون فأقاموا بذلك الحاج أبا جيدة بن سليمان الأندلسى، والحاج عبد الواحد عاشر من عقب سيدى عبد الواحد صاحب المرشد المعين الأنصارى الأندلسى، لأنهما ممن كان قبض عليهم التركى صاحب طرابلس، فلما كلم فى ذلك خلى سبيلهم ومعهم من تبعهم على تغيير ذلك المنكر، فساروا إلى سوق الجوطية الذى يباع فيه الحياك فوجدوا الحوانيت فارغة حملها التجار لدورهم.

فساروا إلى دار قاسم بن الأشهب ليقبضوا عليه ويأتوا به لتجرى عليه أحكام الشرع فلم يجدوه خارج الدار، فوثبوا عليه في الدار واقتحموها عليه، فملا دخلوا الدار عليه، وأرادوا البحث فيها، فإذا بطائفة أخرى الذين من تعصبوا عليه قد أقبلت ورموا من بالدار بالحجر، فخرج جميع من كان بالدار، وربما نهب بعضهم من حوائج الدار شيئا، ثم اشتد القتال خارج الدار في الشارع بالحجارة حتى افرقوا، واختفى قاسم بن الأشهب أياما إلى أن هدن الهرج وخرج، قاله ابن الحاج.

ثم كلف صاحب الترجمة كاتبه الأسمى أبا الحسن عليا اليعمدي بجواب والى طرابلس، فكتب في ذلك رسالة من بديع صنعه، قال في الدر المنتخب: إنها اشتملت على أسلوب من البلاغة في المثور تسحر الألباب، يعجز عن إدراك ذلك أهل العصر ولولا الإطالة لأوردتها الخ.

وفي عام تسعة وستين وقعت زلزلة أعظم من التي كانت في العام قبله، اهتزت بها الأرض وربت وبقيت تضطرب برهة من الزمان، وسمع لها دوى هائل وتغيرت العيون، ووقف الماء في الأودية عن الجرى، وسقطت الدور وتصدعت الجرات العظيمة، وفر الناس من البيوت والأبنية، واتخذوا الأخبية بالضواحي.

ثم وقعت زلزلة أخرى بعد هذه بنحو ستة وعشرين يوما أقطع من هذه بعد صلاة العشاء، انهدت فيها غالب دور مكناسة الزيتون، وكثير من مساجدها ومنار جامعها الأعظم إلى الأساس، ومسجد القصبية السلطانية، ومات تحت الردم خلق أحصى منه عشرة آلاف، وعلم من لم يشملته الإحصاء عند الله.

قال الضعيف نقلا عن تاريخ الحاج المساوي الرباطي: وفي يوم السبت السادس والعشرين من محرم فاتح العام موافق واحد وعشرين من أكتوبر سنة ألف

وخمسمائة وخمسة وخمسين وقعت زلزلة عظيمة ودامت نحو أربعة أدرج، وذلك قبل الزوال بثلاثين درجا.

وفى العام قدم على المترجم كافة قواد عبيد مكناس، ولما مثلوا بين يديه طلبوا من جلالته النهوض معهم لعاصمة ملك والده ليكون توجهه معهم برهانا على صفاء باطنه عنهم، فأجابهم: كيف أسير معكم وفيكم فلان وفلان أناس سماهم لهم؟ فرجعوا لمحلتهم، ولما جن الليل وثبوا على الأشخاص الذين عين لهم المترجم وقتلوهم، ومن الغد أتوه براءوسهم، منهم: القائد سليمان بن العسرى، فقال لهم الآن طاب العيش ووضعت الفتن أوزارها، وواعدهم بالقدوم عليهم ووصلهم بأربعين ألف مثقال، وأمرهم بالرجوع لمكناس ورجعوا مسرورين، وقد كان قال للعبيد قبل ذلك: والله لا زلت أصبح عليكم فوق كل ثنية وعلى رأس كل ربوة وهضبة كالذئب وأنتم كالغنم لا شغل لى سواكم أنا عبد الله بن إسماعيل إن لم تعرفونى.

وفى العام قدم أبو عبد الله الوقاش عامل تطاون على المترجم بهدية تقدر بألف ريال وأثاث ونصارى أسرتهم مراكبه، فأكرم وفادته وأعطاه جاريتين ورده رداً جميلاً.

وفيه حرق الفحص القائد عبد الله السفينانى، قيل بإشارة من صاحب مراكش، أعنى الخليفة السلطانى أبا عبد الله، وذلك عندى لا يصح لاستبداد السفينانى المذكور عن صاحب الترجمة، فضلا عن خليفته واستقلاله الاستقلال التام بناحيته، حتى إنه كاد أن يدعو لنفسه لما أوتيه من اشتداد الشوكة، ولم يكن له من ينازعه فى تلك الناحية غير الحبيب المالكى، وقد كان المترجم لما ترك الدفاع والمقاومة ولزم قعر بيته، تارة يقول: إذا رفعت إليه مظلمة وقعت فى السابلة إنما أنا ثالث الأمراء، فإن غرم الأميران عبد الله السفينانى والحبيب المالكى أغرم معهما

ثلثي، وتارة يقول، لمن يأتيه من البقية الباقية متمسكة بطاعة السلطان: اذهبوا إلى سيدي وسيدكم، يعنى ولده خليفة مراكش.

وفيه نهض الخليفة صاحب مراكش للشاوية لما ظهر فيهم من العتو والاستبداد والعيث في الطرقات، فحضر منهم كل شيء، وأتى بالقتل على أركان الفساد منهم، ونظم الباقين في قصب السلاسل ووجه بهم يرتاعون في قيود الهوان ليعتبر بهم غيرهم ممن هو على شاكلتهم، وسار هو إلى أن خيم برباط الفتح فاستقبله أهلها بالترحاب وإظهار الفرح والسرور، وقدموا إليه هدايا ذات بال وأطعمة فاخرة، أما عبد الحق فنيش فإنه أعرض عنه ونأى بجانبه، وأغلق أبواب المدينة دونه، ولما كان الغد نهض وسار ووجهته القصر من غير أن يلتفت لما قابله به عامل سلاً، ولا أن يحرك معه ساكناً في ذلك، إذ كان الأهم لديه أمامه.

وفي عاشر صفر عام ١١٧٠ أغار البربر على سرح فاس، ونهبوا عدداً من بقرهم، كما نهبوا أزواج الحرث.

وفي ضحوة يوم الاثنين رابع ربيع الثاني وقع تخاصم وتناجر بين القاضي أبي محمد عبد القادر بوخريص وبين بعض الأندلسيين حتى هم قائلهم محمد الصفار بقتله، ولولا أنه استجار باللمطيين لقتل، وقام هرج ومرج سدت لأجله القرويين، وعطلت صلاة العصر بها.

وفي يوم الثلاثاء سادس عشرى الشهر المذكور اتفقت كلمة العامة على هدم سقف البلاط الوسط من القرويين الواقع يسار الثريا الكبرى هنالك واجتمع رأى اللمطيين والأندلسيين وأهل العدو على حجز حبس المساكن الذي يقبضه الأشراف وغيرهم عمن يستحق وعمن لا يستحق، ويأثر ذلك نجزت فكرة الهدم فعلا.

وفى يوم الجمعة السادس من جمادى الأولى بعث المترجم لأهل فاس بستة مدافع صغار، فاعترضهم الودايا وأخذوهم، فاجتمع رأى أهل فاس على سد باب محروق فسدوه من الغد الذى هو يوم السبت، وأعلنوا النداء بأنهم مسالمون جميع من يوالى المترجم من سائر القبائل، ومحاربون لكل من يعاديه.

وفى يوم الثلاثاء المتصل استقبلهم المترجم واستسمحهم فيما كان صدر منه لهم وأثنى عليهم.

وفى منتصف رمضان نهض الخليفة صاحب مراكش من محل مأموريته، يريد النظر فى أمر الثغور، وحسم مادة فتن الوقاش عامل تطاوين، الذى رام الوثوب على الملك وقطع دابر الفتان أبى الصخور الأفاك الذى كان يستغوى قبائل الأخماس بما يدعيه لنفسه من الصلاح، ويوهمهم بأنه صاحب الوقت ويحثهم على قتال صاحب مراكش، ومحاصرة سبتة وتأديب أهل شفشاون المحاصرين للقائد العياشى المشار إليه آنفا.

ولما وصل بلاد الشاوية قاموا فى وجهه وقاتلوه إلى أن انهزم لدكالة، ثم استعد لقتالهم ورجع إليهم بجنود ذات قوة وبأس شديد، وتولى مقاتلتهم بنفسه حتى أباد رءوسهم وبدد جموعهم الفاسدة وأذعنوا وهم صاغرون، وسار إلى مدينة سلا، وأمر بقطع الأعواد من غابة المعمورة وإنشاء السفن، وأصدر أوامره للباشا الزيانى بالوفود عليه بإخوانه العبيد للقصر، وسار إلى أن وصل القصر.

ولما خيم به وفد عليه المولى الطيب الشريف الوزانى، ثم وفد عليه الباشا الزيانى فى جند العبيد، ولما مثل بين يديه قال له: أنت سلطان العبيد وأنا سلطان الأحرار، وقد كانت بندقة الخليفة بيده فأطلق فى الباشا رصاصة صادفته بين عينيه فخر ميتا من حينه، وذلك بوادى امكرول تحت بلد بنى كرفط، وأعطى فرسه وسلاحه لابن زاكور التطوانى، ثم قتل يوسف السلاح، وذلك لتأخيرهما العبيد

عن القدوم عليه لمراكش، فعند ذلك دخل العبيد رعب فاستجاروا بالمولى الطيب المذكور ووجه لوالده صاحب الترجمة بنحو ألفى مثقال، وولى على العبيد سعيد ابن العياشى.

ثم نهض لجمال الأخماس حيث مقام أبى الصخور، فألقى عليه القبض ثم بدا له فقتله وأراح الرعية من فتنته، وكان قتله إياه بسبب رهونة من لكس، ثم صعد لقنة جبل سكتنا، ثم سار لشفشاون وقطع أشجارها عقوبة لأهلها على ما ارتكبه مع العامل المولى عليهم، ثم بعث العياشى المذكور عاملا على القصر مع ولده سعيد.

ثم نهض وسار نحو سبتة، ثم ارتحل ونزل بتطاوين فخرج لاستقباله أعيان البلد مع عاملهم الوقاش للتهتة بسلامة القدوم وقدموا إليه هديتهم طبق المؤلف، فطالبهم بمستفاد المرسى الذى ترتب فى ذمهم فأجابوه بأنهم كانوا اشتروها من والده بثلاثين قنطارا مسانهة، فنزعها من أيديهم وقال لهم: أنا أولى بشرائها من والدى، ونؤدى له مائة قنطار كل سنة.

وألقي القبض على الوقاش ووجه به لمراكش سجيناً، بعد أن هدده بالقتل لسيره فى عمالته على غير الطريقة المثلى، وولى مكانه عبد الله بن زاكور المذكور، وقيل: عفا عنه فسرحه وأقره، ثم سار إلى طنجة ومنها للعرائش.

ثم كتب لوالده يعلمه بما جرى، وأنه حاز المرسى، فأجابه قائلاً: هل أنا محجور لك؟ تلك المرسى أتقوت منها، واغتاظ غيظاً شديداً حتى قال: اللهم سلط عليه من ذريته من ينزع له ما بيده.

وفى يوم الثلاثاء ثالث شوال ذهب أهل فاس إلى صاحب الترجمة ليقدموا إليه مراسم التهتة بغرة عيد الفطر وفق المؤلف، فسر بمقدمهم وأعطاهم أربعة آلاف مثقال صلة.

وفى آخر شوال رجع صاحب مراكش لمقره محل مأموريته، وذلك بعد تنظيم أمور الدولة وإصلاح ما كان اختل من الشئون.

وفى العام وقعت حرب شعواء بين آيت يدراسن وجروان أعان فيها الودايا جروانا حتى انتصروا على آيت يدراسن بوطا النخيلة من سايس.

وفى يوم الاثنين موفى واحد وعشرين من ذى القعدة قدم حجاج بيت الله الحرام وفى معيهم رسول أمير مكة بكسوة البيت العتيق، فسر المترجم بها وابتهج، ووجه بها للضريح الإدريسي، وأكرم الرسول بألف مثقال.

وفى صفر كانت منيته على ما سنذكره فى محله.

هذا ملخص ما ذكره فى ترجمة هذا الأمير الزباني فى كتبه، والضعيف فى تاريخه، وابن إبراهيم فى تقييده، وصاحب نشر المثنى، وابن الخياط القادري، وابن الحاج فى دره، وصاحب الاستقصا والجيش العرمرم، مع مزيد تحرير وضبط وإتقان، إذ تضاربت كثيرا أنقالهم واضطربت أقوالهم وتناقض كلام الكثير منهم.

هذا ولا ريب أن سنة الله فى الدول منذ نشأة العالم جرت بتطورها أطواراً طور الشباب فطور الكهولة فطور الشيخوخة فطور الهرم فالموت.

وقد قسم ابن خلدون عمر الدولة أطواراً:

- ١ - طور الظفر بالبغية والاستيلاء على الملك وانتزاعه من الدولة السابقة.
- ٢ - استبداد صاحب الدولة الظافرة على قومه وأهل عصبية والاستيثار بالملك دونهم.
- ٣ - طور الفراغ والدعة.
- ٤ - المسألة والاقتناع بما حصل.
- ٥ - الإسراف والتبذير وهو آخر الأطوار وينتهى بالانقراض.

وقد أفاد محررو المباحث السياسية تطرق الضعف إلى الدولة الاستبدادية وهو كثير ينحصر فيما يلي:

١- التنافر بين الملك وأهله، والسبب فى ذلك أن الملك إذا أتاح له الحظ التربع فى دست السلطنة أخذته أبهة الملك فيقوم فى اعتقاده أن خلال الكمال، وصفات الجلال، انحصرت فيه، فإذا توهم ذلك فى نفسه شق عليه أن يسمع مخالفة من رجال دولته، لا سيما أهله الذين يجوز للواحد منهم أن يخلفه فى الرياسة، فيزداد مع الزمان حذرا من أهله، وتختلف طرق تصرفه معهم أو معاملته إياهم باختلاف مزاجه ودرجة تعقله وسائر أحواله، لكنه فى كل حال يخاف على منصبه منهم.

٢- الركون إلى الحضارة. يصح هذا على الدولة ذات القوة والمنعة، فلا تلبث أن تتحضر حتى تضعف قوتها، ويذهب ما كان لها من شدة البأس، ويصير أهلها إلى الرخاء والتمتع بالملذات، وهذا الرخاء إنما يصيب الملك ووزراء ورجال دولته، لأن الأموال فى الحكم الاستبدادى تصير إلى هؤلاء، وقد تكون الرعية فى أشد الضنك، إلا من التف حول رجال الدولة وارتزق بالتزلف إليهم ومصانعتهم، والقيام بما يحتاجون إليه من أسباب الملاذ.

٣- اصطناع الجند، الترف والرخاء، يؤثران فى رجال الدولة، فتذهب منهم شدة البأس، فيركنون إلى الملاهى والملذات ويقعدون عن الحرب، وبعد أن تكون قيادة الجند فى أيديهم، يعهدون بها إلى بعض صنعائهم من أمراء الجيش، وهم يستولون على أعطيتهم من الملك، فلا غنى لهم عن طاعته والأخذ بناصره، فيزداد بذلك الملك ركونا إلى الرخاء، ويزداد ضعفا ويزداد قواده وصنائعه من الجيش نفوذا فى الدولة ودالة على الملك، فيطمعون فى المناصب الرفيعة، فتصير إليهم الإمارة أو الوزارة أو قيادة الجيش فى الحرب، ويصير الحل والعقد فى أيدهم،

يولون الملوك ويعزلونهم أو يقتلونهم أو يحجرون عليهم، كما فعل الترك بالخلفاء العباسيين، والانكشارية بالسلطين العثمانيين، وجيش العبيد بالسلطين العلويين.

ويظهر الهرم على الدولة إذا تكاثر المصطنعون، واشتغل السلطان ووزراؤه بأنفسهم عن الدولة وفسدت أمورها، ويزيدها فسادا اضطرار الملك ورجاله إلى النفقات الباهظة على أنفسهم فى سبيل اللذات، وبناء القصور، واقتناء الجوارى، والاستكثار من أسباب الترف بأى وسيلة كانت.

ويكثرون البضرائب فتتشر المظالم، فتغضب الرعية وينقمون، ويتشاورون فيما بينهم عن فساد الدولة، ويتمنون الخلاص منها، ويتربون فرصة للخروج من سلطانها.

أما الملك فلا يهمله يومئذ غير حفظ نفسه واستبقاء نفوذه، فينفق الأموال فى التجسس واصطناع الجند لحمايته، وكثيرا ما تنشب الفتن بين رجال النفوذ أو بينهم، وبين الملك ويتنازع الخاصة - وهم طلاب المناصب - فى التقرب من السلطان التماسا للكسب لانحصار المال هناك، ويشتد النزاع على أسباب الرزق، فتكثر الأحزاب ويصبح الأمر فوضى، فيعجز الملك عن تدييره، وهو عاجز عن ذلك بطبيعة الحال لأنه شب محجورا عليه بين النساء والأطفال، على أن الدولة قد توفى فى كهولتها أو شيخوختها إلى ملك مقتدر يريد بها خيرا، لكن لا يستطيع ذلك لتمكن الفساد فيها، وتعويل رجالها على الارتزاق من ذلك الفساد، فيعود سعيه وبالأعلى عليه، كما أصاب عمر بن عبد العزيز فى الدولة الأموية، والمهتدى بالله فى الدولة العباسية، والسلطان سليم فى الدولة العثمانية...

فإذا اعتبرنا الدولة جسما حيا، كانت هذه الظواهر أمراضا فى ذلك الجسم تدل أعراضها عليها، فتكون العلة فى الرأس أو الصدر أو الأطراف، فإن كانت فى الرأس فهى فى الملك من ضعف رأى أو فساد خلق، وإذا كانت فى الصدر فهى

رجال الدولة من طمع وانقسام، وإذا كانت فى الأطراف فمن ضعف العمال والولاة أو من جائحة أصيبت بها المملكة.

ومعالجة هذه الأمراض أيسر فى الحكم الدستورى مما فى الاستبدادى، لأن الملوك المستبدين إنما يطلبون النفع الشخصى، فإذا كانت علة الفساد من ضعف أخلاقهم، فإن ذلك الضعف يغريهم على التمسك بالسيادة ولو آكل أمرها إلى خراب المملكة.

أما إذا كان الرأس سليما فيهبون عليه معالجة سائر أسباب الضعف، فالدولة الاستبدادية يتوقف موتها وحياتها بالأكثر على الملك خلافا للدولة الدستورية.

والفرق بين الحكم الاستبدادى والحكم الدستورى، أن الأول هو الشريعة التى يحكم بها الملك رعاياه، والثانى عبارة عن القوانين التى تقيد الرعايا بها أحكامه وأحكام رجال دولته، وعبارة أخرى: إن الحكومة أو الدولة قد تكون مؤلفة من رجل أو عدة رجال، وبها ثلاثة أعمال: سن القوانين، والفصل فى الخصومة، وما هى نسبة أعضائها بعضهم إلى بعض، ويبين الكيفية التى ينبغى أن تجرى بها الأحكام، فهو قيود للقوة المتسلطة، والإنكليز هم أول من أنشأ مجلس النواب وأعطاه هذه السلطة، ولذلك يقولون فى أمثال الإفرنج «إن الإنجليز أم المجالس النيابية» والدستور لا يختص بالحكم الملكى ولكنه يتناول الجمهوريات، بل الجمهوريات أولى أن تقيد بإدارة الشعب، وكل أمة فيها مجالس تنوب بأصواتها عن الشعب كانت حكومة دستورية.

ويسوءنى للغاية تغلب الاستبداد على طبيعة ملوك الإسلام، مع علمهم بفائدة التقييد بقوانين الشريعة المتعلقة بالأمر الدينية والدينية، التى من أصولها المحفوظة إخراج العبد عن داعية هواه، وحماية حقوق العباد سواء كانوا من أهل الإسلام أو غيرهم، واعتبار المصالح المناسبة للوقت والحال، وتقديم درء المفساد على جلب المصالح.

ومن أهم أصولها وجوب الشورى، ومن الأصول المجمع عليها وجوب تغيير المنكر على كل مسلم بالغ عالم بالمنكرات، ولولا تغيير المنكر ما استقام للبشر ملك- لأن الوازع ضرورى لبقاء النوع الإنسانى ولو ترك ذلك الوازع يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد لم تظهر ثمرة وجوب نصبه على الأمة لبقاء الإهمال بحاله - فلا بد للوازع المذكور من وازع له يقف عنده إما شرع سماوى أو قانون معقول، وكل منهما لا يدافع عن حقوقه إن انتهكت - فلذلك وجب على علماء الأمة وأعيان رجالها تغيير المنكرات، فالمغيرون للمنكر فى الأمة الإسلامية تنقيهم الملوك كما تتقى ملوك أوربا المجالس وآراء العامة الناشئة عنها وعن حرية المطابع - ومقصود الفريقين واحد، وهو الاحتساب على الدولة لتكون سيرتها مستقيمة .

قال ابن خلدون فى فصل الإمامة من مقدمته: إن الملك لما كان عبارة عن المجتمع الضرورى للبشر ومقتضاه التغلب والقهر اللذان هما من آثار القوة الغضبية المركبة فى الإنسان، كانت أحكام صاحبه فى الغالب على ما ليس فى طوقهم، فتعسر طاعته بذلك، وتجيء العصبية المفضية إلى الهرج والقتل، فوجب أن يرجع فى ذلك إلى قوانين سياسية مفروضة يسلمها الكافة وينقادون إلى أحكامها كما كان ذلك للفرس وغيرهم من الأمم، وإذا خلت الدولة من مثل هذه السياسة لم يستقم أمرها ولا يتم استيلاؤها، فإذا كانت هذه القوانين مفروضة من العقلاء وأكابر الدولة وبصائرهم كانت سياسة عقلية، وإذا كان فرضها من الله تعالى بشرع يقرها كانت سياسة دينية نافعة فى الدنيا والآخرة - . . . أجل نفعها لا يتم إلا ببقائها محترمة بصونها، والذب عن حوزتها بمثل الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر:

فمن ثم وجب أن نجزم أن مشاركة أهل الحل والعقد للملوك فى كليات السياسة مع جعل المسئولية فى إدارة المملكة على الوزراء المباشرين لها بمقتضى قوانين مضبوطة مراعى فيها حال المملكة، أجلب لخيرها وأحفظ له .

قال ستورد الإنجليزي فى تاريخه: «إن رفعة شأن الأمة الإنكليزية بلغت الغاية فى مدة الملك جورج الثالث الذى كان مجنوناً وما ذلك إلا بمشاركة أهل الحل والعقد ومسئولية الوزراء لهم» فتبين أن المملكة التى لا يكون لها قوانين ضابطة محفوظة برعاية أهل الحل والعقد خيرها وشرها، منحصر فى ذات الملك وبحسب اقتداره واستقامته يكون مبلغ نجاحها.

قال المؤرخ الشهير تيراس الفرنسى عند ذكره عواقب الاستبداد وأن العمل بالرأى الواحد مذموم ولو بلغ صاحبه ما بلغ من الكمالات والمعارف - بعد ما ترجم لنابليون الأول بأوصافه الخاصة وألحقه فى السياسة بأفراد الرجال الذين جاد بهم الدهر فى القرون الماضية - إلى أن قال مخاطباً للفرنسيين: تعالوا نمنع النظر فى أحوال هذا الملك التى هى فى الحقيقة أفعالنا، فيستفيد منها من كان جندياً كيف ينبغى أن تقاد الجيوش، ومن كان من رجال الدولة معرفة كيف ينبغى أن تكون إدارة المملكة وكيف ينبغى أن يرتفع شأنها بدون خروج عن دائرة التواضع والرفق، إذ المعاملة متى لم تكن مصحوبة برفق وقناعة لا تتحمل، وربما يفضى ذلك إلى أسباب الاضمحلال كما أفضت إليها سيرة المذكور الذى هو أقل البشر قناعة، فبالجملة نعتبر بغلطته فتجنبها ثم نستفيد معاشر أبناء الوطن تربية أخيرة لا يسع نسيانها، وهى أنه لا يسوغ أبداً أن يسلم أمر المملكة لإنسان واحد، بحيث تكون سعادتها وشقاوتها بيده، ولو كان أكمل الناس وأرجحهم عقلاً وأوسعهم علماً . .

إن الذى له القدرة بحيث يستطيع أن يفعل كل ما يريد معه داء لا دواء له، وهو الشهوة الداعية لفعل كل مستطاع ولو كان قبيحاً، وإذا تقرر هذا فعلى أبناء الوطن أن يتأملوا فى سيرة المذكور ويستخرج منها كل فريق ما يناسب خطته -

والأهم أمر واحد وهو أن لا يطلق أمر الوطن لإنسان واحد كائنا من كان وعلى
أى حالة كان.

وقد ختمت هذا التاريخ المطول المستوعب لأحوال نصرنا وانضمامنا بهذه
النصيحة بل الصيحة الصادرة عن صميم فؤادى غير مشوبة برياء راجيا بلوغها إلى
قلب كل فرنسى ليتيقن جميعهم أنه لا يليق بهم بذل حرمتهم إلى أحد - كما لا
ينبغي لهم الإفراط فيها حتى لا تنتهك حرمتها هـ.

وفى حكمة أرسطو أن من الغلط الفادح أن تعود الشريعة بشخص يتصرف
بمقتضى إرادته.

هذا ومن تأمل هذه الترجمة ودرسها كما يجب تبين له جليا كيف كانت
الرعية تعامل المترجم وهو من خيرة ملوك هذه الدولة التى لا يزال شأنها ممتدا
ونفوذها مستمرا وظلها وريفها، ولست متكبأ ولا مغضيا إذا قلت - ملكا من خيرة
ملوك هذه الدولة - فقد مر بك كيف انزوى وتورع عن الانتصاب لهذا الأمر مدة
يبالغ فى الإلحاح عليه فيه ويخاطب بكل رغبة من أجله، ثم مرّ بك كيف كان
يعطى العطاء الوافر، وكيف يحسن وفادة القادم المطيع، ويحتفى بالتزليل المخلص،
وكيف كان يفرع لكل من يتوسم فيه مقدرة للعمل وأصالة فى الرأى وقوة فى
الحق، فيوليه الأمر ويسند إليه النظر ويشركه السلطان.

فهل كان فاعلا ذلك ومبالغا فى الغضب إذ يتقم من أجل إخلال بالأمر أو
سير للشئون على طريقة غير منتظمة أو غير عادلة، إلا خدمة لمبدأ العدالة المنشود،
ورغبة فى استتباب الأمن المرغوب، وحبا لنشر ألوية السكينة فى كل مكان،
وتعميم المساواة والحق بين جميع أفراد الإنسان.

فهل كان وهو كما مر بك يأمر بعزل أبناء الروسى واحداً فآخر مثلا أو أمراً
بولاية أفراد من غيرهم وآخرين من عشيرتهم إلا قاصداً أن يجد فى هذا ما ساء

الظن به فى ذاك، وهل كان يتغير ويستبد ويعمل بصرامة وشدة ما فوقها من شدة ما لم تكن دسيسة تؤثر أو مكيدة تدبر أو مؤامرة تنقل . . . إلا أن إمكن أن تفرض له من غاية غير معروفة أو قصد غير مطرد وهذا ألا أراه كما لا يراه الجمهور العاقل من غيرى.

لنرجع إلى التاريخ نفسه. فهل له أن يرشدنا إلى وقت سادت فيه السكينة وعم فيه الأمن أو وقف فيه فقط دولاب الحركات والثورات وإيقاد نيران الفتن من زعمائها وأحزابها، ثم نسائله هل كان من صاحب الترجمة أن يمد إلى شىء من استبداد برأى أو سوء صنيع برعية؟ وهل كان إن انتهك حرمة أو أساء صنيعا أو تعمد قتلا وأسرف فيه ما لم يكن قد ضاق صدره واشتعلت أطراف الفتن والمؤامرات من كل ناحية؟

بل هذا ملك البلاد وهو على رأس السلطنة يضطر لتحمل إهانات شنيعة من زعانيف صعاليك بعد تجموع أنواع الموض من سوء السيرة وأنباء الفتن وحوادث الاضطرابات وآفات التفرق، ثم تزوج عليه نساؤه بدون موجب، ويؤخذ منه حريمه غصبا، ثم يوقف موقف السوقه مؤاخذا معاتبا من أنذال لا خلاق لهم كنت لا تجد بينهم لو اطلعت عليهم من لا تفرق بين دماغه وبين أرض البادية الخلاء البلقع محلا وجديبا، ثم ندعوه أمام التاريخ لحسابه على ما فرط، ولمؤاخذته على ما جنت يدها.

ومع ذلك فلست أنكر أن كانت للرجل مندوحة فى كثير من الأحيان وفى نظائر وأشباه من المناسبات والظروف عن تحمل مسئولية كثير من الوقائع والأخطار، وتجنب غير قليل من الحروب والمشاغبات، فقد كان يمكن أن يفض الكثير منها بحسن السياسة المستعمل فى غيرها، وجميل التدبير المتخذ فى نظائرها، وبذلك كانت تصان دماء وتحفظ حقوق وتقف اضطرابات بمجد حد.

ثم كان ذا نظر ثاقب فى الأمور، ومعرفة واسعة بأحوال شعب يتقلب فى مجالات ممتدة من الاضطراب وفقدان الثقافة وجمع الكلمة أن يعالف فى الأغلب الأكثر من وقائع الدولة وشئون الأمة، ولكن الوقت القليل كان لا ينقضى أحيانا إلا والأمر قد تجدد، والشر قد عاد وبوادر الفتنة قد أمتت تجهر بأعلى صوت مولية وجهها نحو مقر لم تغادره إلا من أمد قريب، فما ظنك بمن يثول إليه أمر هذه المسئولية كُلاً، ومن يخاطب عن هذه الوقائع طُراً، فهل كان يجد له من غالبها مخرجاً إلا ضرباً بشدة، وقمعا بجميع ما أوتيه من صرامة ممكنة؟

لعل مراجع التاريخ المغربى والمتصفح بدقة وإمعان لا شأن للقصور أو الغرض فيه، يرى من ضرورة هذه الأحوال وقضاء الظروف بها ما يخفف من غلواء النقد وبييض صحيفة من حسن القصد فى تاريخ ملكنا المترجم، مهما أملت علينا ترجمته من وقائع كلها محزن، وحوادث كلها أليم.

ثم هنالك ما لا يسع التاريخ إهماله أو غض النظر عنه من بحث لأحوال حاشية السلطان ونظر لبطانة الملك، فهل كانت هذه البطانة أو الوزارة التى لا غنى عن صلاحها وإصلاحها موفية بالغرض من وجودها فى جوار صاحب الترجمة وإعانتة على خدمة أغراض الدولة ومهام الأمة؟

كلاً وألف مرة كلا فقد مر بك متكررا معادا ما كان يحاول من انتقاء المساعد والمعين ومبالغة فى اجتناب من لا خير ولا صلاح للرعية فيه وفى ولايته، ثم ما كان يلقى منهم من جفاء فى الطبع ولؤم فى العشرة وكفران للنعمة، وجحد للواجب وتصرف شائن خائن، كله أغراض ومطامع ذاتية لا شأن للشرف والذمة وصدق الخدمة فيها.

ومتى بربك تصلح حال أمة أو تصلح أحوال ملك وحاشيته وأعوانه ومعينوه على تدبير الأمور كلهم عابث متمرد أو حقود مستبد أو متصرف لنفسه وغاياته،

يحسب الناس منهم صنيعا شريفا أو يرقبون عملا مفيدا، وما هو فى ذلك من المعدودين .

فكم كان يكون صلاح الرعية والملك لو استقام المشاور وأخلص الوزير، وكرم عنصر المساعد والمعين، فما إن يولى الولاية كما تقدم فى كل موضع أو يمنح الأمر أو يشرك الحكم إلا والعبث مستحکم والاستبداد منتشر، وحبل الأغراض والمطامع ممتد مجالا بعيدا .

ثم ليت شعرى وهذه حال أمة تصادف من متبوعها ما صادفت من صرامة وشدة وطأة وقمع بمختلف وسائل القوة، ثم لا يزيد لها الورد إلا عطشا، ولم يكن العلاج لها إلا مثيرا ومحرضا، فهلا كان من الضرورى أن تعامل كما عاملت وتقابل بالنظير مما فعلت؟

وهل يبقى حال شعب هكذا وربك من وقت للنظر فى أحوال صلاح أو تمهيد إصلاح فأحرى نظر أحوال خارجية أو أمور تقضى بها ضرورات المدنية، وهذه السبل متقطعة والمواصلات منعدمة، والدماء تسيل، والفنن تتوالى من كل حذب وحبل، إلا من ينصدع من بين أمس الدابر والغد المنتظر .

فلعل التاريخ كان يصارحنا بما يقلل من عظيم مسئولية هذه النكبات والخطوب أن لو كنا لجريانها فى وقتها من الحاضرين أو لدراستها بأسبابها ووقائعها المحلية من المستوعبين، وهكذا التاريخ لا يسوغ أن نكتبه أو ننقله، فأحرى أن ننقده ما لم نكن لحوادثه ودقائقه قللت أو جلّت من المتعلمين، ولأحكامه وشواهد المأثورة من الجالين .

وما القصد من ذلك إلا خدمة علم التاريخ وإحكام وضع مبادئه على ما تأسس من قواعد محكمة، وأصول مرتبة، وإلا فقيم التاريخ وقد حاد كاتبه عن

الحق وجانب الصواب أو أغضى عن تحقيق الحقائق وإعلان الواقع، وإن كان يهيم أقرب الناس إليه وأكثرهم اتصالا به، والتصاقا بسببه.

وما أشد ما يذكرنى هذا بصنيع ذلك الفريق الجاهل المتورط الذى ظن أن التاريخ وقائع تسرد لإرضاء زيد أو عمرو، وحكايات تنقل لمجرد سواد عيون (بصرى) معجب أو كوفى فخور كلا، فالتاريخ الحكم العدل على الأشياء والأعمال، ومصادر الرجل إن خيرا كانت لهم صحفا بيضاء تبيض وجوههم ووجوه عشرتهم يجب أن يقتفى أثرهم فيها، وإلا فخزيا وسبة تكون لهم ولمن بعدهم ممن قلدهم فيها مثلا فى سوء الصنيع وشر الأحداث إلى الأبد.

ولقد كان جزاء عدلا أن يلقى المتعنت على التاريخ خسة، وينال حطة، ويصادف ضعة، وإلا فالحقيقة لا تحارب، وقول الواقع لا ينجى من وخزه إلا التتكب عن طريق الضلال، والإنابة إلى المثوبة وحسن الحال.

هذا وقد كانت مدة مقام المترجم بدار دبيغ عشرة أعوام، وقيل سبعة، وقيل أربعة، قالوا: وقد قتل مدة سلطته صبيرا ما يزيد على سبعين ألف نسمة، قتل منها فى يوم واحد خمسمائة وخمسين، قالوا: وقد كان يعطى عطاء من لا يخشى الفقر من النقود الذهبية والفضية والكرع والضياح والأثاث والثياب الفاخرة وغير ذلك مما أشرنا لبعضه.

مشيخته: منهم أبو محمد عبد الله المنجرة، عن والده أبى العلاء إدريس بأسانيده المتصلة فى فهرسته.

الآخذون عنه: منهم ولده أبو عبد الله محمد المتبوى عرش الملك من بعده، أخذ عنه دلائل الخيرات.

خلفاؤه: بمراكش أبو عبد الله محمد، وبرباط الفتح أبر العباس أحمد

ولداه.

حجابه: منهم عبد الوهاب اليمورى.

أطبائه: منهم أبو اليمن عبد الوهاب أدراق.

عماله: منهم الباشا بوسلهام، وحمدون الروسى، وولده البادسى، وابن
المجاطية، وبوعزة مولى الشربيل، ومحمد بن عمر الوقاش على تطاوين،
وبوسلهام الغرباوى الحمادى على بنى مالك، ومحمد الحبيب المالكى الحمادى كان
على سفيان وبنى مالك والخلط وطلیق، وسليمان بن الرغاي، وأحمد بن على
الريفى، وأبو عبد الله محمد بن على بن كتى الزمورى، ومحمد واعزيز على
البرابر وكان بينه وبين السلطان محبة ووداد كبير، حتى إن السلطان كان يناديه بيا
أبت، وعبد الخالق عدیل بفاس المتوفى ليلة الأربعاء ثالث عشرى ذى القعدة عام
١١٥٨، وعبد القادر عدیل، وعلى بو طيب، وعبد الله بن محمد المعروبى
السفيانى على سفيان، والحسن بن صالح الليرينى على فاس الأندلس.

ولما مات فى أوائل محرم عام ١١٦٢ ولى مكانه ابن عمه مسعود الليرينى،
وقاسم ابن الأشهب، ومحمد الصفار، وأبو العباس أحمد الكعيدى، والباشا قاسم
ابن وينون، وعبد المالك بن أبى شقرة، وأبو عبد الله محمد السلوى، وعبد النبى
ابن عبد الله الروسى، فكاتبه الطيب بن حلوة فعبد اللطيف بن عبد الخالق
الروسى، ومحمد بن على ويشى وعبد الله الحمرى.



ظهیر السلطان مولای عبد اللہ بتولیۃ المسطاسی ناظرًا عاما

قضاته: منهم أبو عيسى المهدي مرينو بالرباط، وأبو محمد عبد القادر بن العربي الكاملى بوخرىص، وأبو يعقوب يوسف بن أبى عنان، وأبو القاسم العميرى، وعلى بو عنان، وأحمد الشدادى بفاس، والطالب بو عنان، والعميرى، ومحمد بن عبد السلام البيجرى، وعبد الوهاب بن الشيخ بمكناس، وعبد الواحد بو عنان بتازا وفاس.

محتسبوه: منهم بو عزة الزيزى بفاس، ثم محمد الريحانى، ثم عبد النبى المشرف، والطيب الريحانى، ومحمد بن زيان، وعبد العزيز الخلطى، ومحمد بن عبد السلام المحمودى.

نظاره: منهم التاودى المشاط بفاس، ولما توجه للحج أضيفت النظارة للمحتسب الطيب الريحانى، ومنهم السيد بلقاسم المسطاسى أسند إليه النظر فى أمور أحباس جميع المدن والبلدان والقرى والمداشر حسبما بهذا الظهير الصادر له فى ذلك، ونصه بعد الحمدلة والصلاة والطابع الشريف:

«كتابنا هذا أسماه الله وأعز نصره، وخلد فى دفاتر المجد أمره وذكره، بيد خديمتنا وحبيب أبوابنا الأرضى، الخير الأقرب، السيد بلقاسم المسطاسى ويتعرف منه بحول الله وقوته، وشامل يمنه العميم ونصرته، أننا جددنا له به ما كان عليه من النظارة فى أمور الأحباس فى جميع الأقطار والمدن والبلدان والقرى والمداشر، وبسطنا له اليد الطولى على جميعهم بحيث لا يقصر عن البحث والتفتيش فى الأدنى والأقصى، فإن جل مهماتنا هذا الأمر الأكيد، وجعلناه العوض منا فى ذلك، فمن نازعه أو خالفه أو نأوشه فإثمه على رقبته، وإنى بفضل الله تعالى وقوته أقمته هذا المقام، على مر الليالى والأيام، فعليه بتقوى الله ومراقبته، فى

سره وعلانيته، وعليه بحاسبة النظار وأهل التصرف فى هذا الأمر حتى يترك من أراد ويولى من أراد ومنا إليه فى التقصير، وعلى الله المعول وهو حسبنا ونعم المولى ونعم النصير، وفى منتصف جمادى الثانية عام ثلاثة وأربعين ومائة وألف.

آثاره: لم يحفظ عنه من الآثار العلمية فيما أعلم شىء غير ما نسبه إليه نسبة أهل عصره العلامة الثبت المحرر النقاد أبو عبد الله محمد الزكى الشريف العلوى السجلماسى، قال فى مؤلفه فى الأنساب الموسوم بالشجرة الزكية ما لفظه: صرف همته - يعنى المترجم - فى صناعة الملحون كان طوع يديه.

ومن آثاره التى لا زالت قائمة العين بفاس دار ادبيغ الشهيرة التى كان أسسها واستوطن بها إلى أن وافته منيته، وكان الشروع فى بنائها أوائل محرم عام ١١٥٤، ومن بناءاته دويرة باب الريح خارج مكناسة، ومنها تنميق باب منصور العليج، وباب مسجده المعروف بجامع الأنوار.

ما خلفه من الأولاد: لم يعقب غير ولدين وبنت، أما الوالدان فهما: أبو عبد الله محمد خليفته براكش، وأبو العباس أحمد خليفته بالرباط المتوفى بفاس فى شعبان عام ١١٦٤، وأما البنت فهى السيدة فاطمة ربة الدار.

وفاته: توفى بمرض السل بدار الدبيغ ليلة الخميس سابع عشرى صفر عام واحد وسبعين ومائة وألف، وتولى غسله قاضيه أبو محمد عبد القادر بوخرىص. قال ابن الخياط القادري، ودخلنا إلى داخل الدار وقرأنا عليه وأخرجناه إلى خارجها، وصلينا عليه بعد صلاة العصر فى البراح الذى بخارجها، وإمام الصلاة عليه خطيب جامع الأندلس، وإمامها سيدى محمد بن أحمد ابن الإمام سيدى محمد ابن شيخ الشيوخ سيدى عبد القادر الفاسى.

بعض ما قيل فيه من المديح: من ذلك قول بعض شعراء دولته حسبما جاء
فى كناية الوزير اليمحمدى التى كان صاحب الترجمة هو السبب فى إحيائها
بالنسخ وإبرازها إلى الوجود فهى حسنة من حسناته:

لقد فخر الزمان وكان قدما فخورا بالملوك من الفحول
فقلت له وقد أبصرت شمسا تضىء على الأباطح والتلول
بدت بسعودها فى خير برج تدوم ولا تعقب بالأفول
لها مولاي عبد الله نور سليل المصطفى وابن البتول
به فافخر وفى مغناه فانظم فلا فخر كأبناء الرسول

وقوله:

يمينا بمن حض الملوك على الخير وألبسهم ثوب المكارم والفخر
كمولاي عبد الله خير خليفة تحلى بتاج الملك والعز والنصر
له همة تعلو على هامة العلا وتسمو به فوق السماكين والنسر
فلا زال منصورا عزيزا مؤيدا ودامت لنا أيامه لمدى الدهر
وأهدى لمولانا أجل تحية يفوق شذاها نسمة العنبر الشحرى

وقوله:

كتاب كريم جاء من خير مالك فصغت به تاجا لرأس المثالك
وقمت بأمر الضيف إذ هو واجب على كل ذى عقل وجوب المناسك

وقوله:

ظباه بإبريز مذاب السبائك
لحلته منها لأرضى مالكي
ليسلك في علياه خير المسالك
ودافع به عنا جميع المهالك
إمام الهدى المرفوع فوق المسامك

وجدت ديوان الكرام محليا
ولو كان في إنسان عيني زينة
فيارب زده رفعة وجلالة
وأبق لنا والمسلمين وجوده
وصل على المولى النبي محمد

وقول بعضهم:

ويا بهجة الأشراف من آل هاشم
وأصبح مسرورا به كل عالم
إلى كل مسكين بمقلة راحم
تذل لها رغما أنوف الأعاجم
تفتت إرهابا قلوب الضراغم
وجودك منسى به جود حاتم
سجاياء الملوك الشم أهل المكارم
ضروب العلا إذ كنت أحزم حازم
تذود لنديه بالقنا والصوارم
برأى مصيب للعساكر هازم

عليك سلام يا ضياء العوالم
ويا من سما غضبا على كل جاهل
وأصبح ظل الله في الأرض ناظرا
ويا من كساه الله منه مهابة
ويا من له حزم وعزم وسطوة
كفاك افتخارا أن عزك ظاهر
وكون سجايك التي فاح عرفها
لعمري لقد ألفت إليك زمامها
فقتت على الملك المشيد ركنه
وأغناك رب الناس عن جمع عسكر

ونفس علت فوق السماكين همة
فجئت وسيل الغرب قد بلغ الزبي
ونار الشرور في الفجاج تأججت
فدوخته من بعد ما استنشرت به
فأمتنا من كل طار وطارق
وحصنتنا من كل داه وداهم

علاقته السياسية: وقفت له في هذا الباب على معاهدة هذا نصها بلفظها
وحروفها:

بسم الله الرحمن الرحيم، وصلى الله على من لا نبي بعده ثم إمضاؤه
(عبد الله كان الله له):

«هذه نسخة شروط الصلح والسبب بين سيدنا نصره الله السلطان الأنجد،
الشريف الأسعد، سيدنا ومولانا عبد الله بن مولانا إسماعيل قدس الله روحه في
الجنة أمين سلطان مراكش وفاس ومكناسة والغرب، الإصطادوص المعظمين في
بلادهم وهم سبعة من قبائل الفلامنك مفاصلين بأمر سيدنا وتفويضه نصره الله
والبشادرات فرنصصك ودون اليوزبوتلير بأمر وتفويض الاصطادوص المتأويين
المذكورين مع وكيل سيدنا ومولانا نصره الله، وهو خديمه القائد محمد لوكاس،
ووكيل الاصطادوص المذكورين افرنصصك بوتلير وأخيه لويز هـ.

الشرط الأول:

انبرم الصلح وتصحيح العهد بين سيدنا ومولانا عبد الله نصره الله وبين
الاصطادوص المتأويين من يوم عهد الصلح يكون فيه الأمان التام، يأمن الخائف فيه
الجهتين، وكلما وقع من الزمان الفايث من الكرة وغيرها فهو منسى، وهذا الصلح

دائما إن شاء الله من الجانبين ورعيتهم ومن اليوم لأمام تكون المحبة وعهد دائم بين الجانبين هـ.

الشرط الثاني:

جميع سفن الفلامنك وسفن رعيتهم المعروفين للديوان المذكور سواء كانوا نصارى أو أهل ذمة من الذين تحت أيديهم إن دخلوا مرسى من مراسى طاعة سيدنا ومولانا نصره الله بقصد الترسية خيفة من البحر أو بقصد التجارة لا يتعدى عليهم أحد، ولا يعطون سوى عشر سيدنا ومولانا نصره الله من غير أن يخرق عليهم أحد عادة جديدة، والسلعة التى تبور لهم فى البلاد بعد أن كانوا أدوا عشرها إن أرادوا يحملونها ويتراجعون بها حيث شاءوا، بل حيث يظهر لهم براً وبحراً، من غير لازم آخر يلزمهم، بوجود سيدنا نصره الله وكمال إحسانه، وكذلك إن ورد مركب من مراكبهم لبلاد من بلدان طاعة سيدنا ومولانا أدامه الله، وكانت عنده سلعة وأراد أن ينزل منها طرفاً فى تلك البلاد والباقي يسافر به لغيرها، نطلب من سيدنا أيده الله ألا يعترض أحد لذلك المركب، ولا يكرهه على نزول تلك السلعة فى البلاد التى يرضى بها، ولا يعطى إلا عشر السلعة التى نزل فى البلاد من غير معارض له فى ذلك بوجود سيدنا ومولانا نصره الله، وكل ما كان محسوباً من آلة الحرب كالبارود والعدة واللوح للسفون وما أشبه ذلك، إن جاء به مركب من مراكبهم بمرسة من مراسى سيدنا نصره الله بقصد السبب فلا يلزمهم عليه عشور بوجود مولانا وسيدنا نصره الله هـ.

الشرط الثالث:

أن جميع سفن الفلامنك التى يهيج عليهم البحر أو يفروا، من عدوهم، إن دخلوا مرسى من مراسى سيدنا ومولانا نصره الله لا يلزمهم بارود ولا مخطاف ولا غيره مما هو معلوم من لازم المراسى ووظائفها، بفضل سيدنا نصره الله، وكذلك

مراكب طاعة سيدنا إن وردت على مرسى من مراسى الفلامنك فى هذه الحالة المذكورة لا يلزمهم شىء إن شاء الله هـ.

الشرط الرابع:

أن جميع سفن الفلامنك تسافر فى البحر من غير أن يتعدى أحد عليهم فى مراكبهم فى مال ولا سلعة ولا رانس ولا بحرى ولا راكب إن كان معهم من غير الفلامنك، إذا كان تحت سنجق الفلمنك سواء كانت السلعة له أو لغيره بفضل سيدنا نصره الله هـ.

الشرط الخامس:

أن جميع مراكب سيدنا القرصانية وغيرها إن تلاقوا فى البحر مع سفارين البزركان وأراد أحدهما أن ينظر بصبرط يبعث إليها رجلين من غير القدافين ينظرون ذلك، ويرجع كل أحد منهم لمركبه من غير تعدى ولا تعارض، ولا يطلع أحد منهم للسفينة إلا من يجيب رائسها، وكيف يورى له كيف هو مبين هذا الشرط يسرحه، وإن سفر مركب من مراكب سيدنا نصره الله القرصانية وغيرها يكون عنده بخط قونصوا الفلمنك المقيم بطاعة سيدنا نصره الله، فإن كان القونصوا غائباً فتجار الفلمنك، وإن لم يحضروا تجار الفلمنك فمن تجار النصارى المقيمين بطاعة سيدنا نصره الله، وإن كان عنده ذلك يوريه الرانس ولا يتعدى عليه أحد ويسرحه فى الحين والساعة هـ.

الشرط السادس:

لا يتعدى رانس ولا بحرى من أهل طاعة سيدنا نصره الله على سفن الفلمنك، ولا ينزلون منها راكبا من أى جنس كان تحت سنجق الفلمنك ولا يترامى عليه أحد هـ.

الشرط السابع:

ألا يتعدى أحد على سفارين الفلمنك التي تحرث قرصانا أو زركانا فى طاعة سيدنا نصره الله، ولا يأخذ لهم شيئا من السلعة ولا قلع ولا غير ذلك من سائر حوايج المراكب المعلومة ولا ركابه ولا رائسه بوجود سيدنا نصره الله، ويكونون متع رؤوسهم من غير أسر وأهل طاعة سيدنا نصره الله، يأخذون بأيديهم ويعينوهم إن وقع شيء من ذلك ربما تفسد السلعة أو يموت أحد من أهل ذلك المركب، فلا يضيع شيء من متاعه بوجود سيدنا نصره الله، ويدفع ذلك للرائس أو لمن له الأمر يأخذ السلعة ويعطى الأجرة لمن يعينهم، وأهل المركب يتوجهون حيث شاءوا ولا يتعرض لهم أحد هـ.

الشرط الثامن والتاسع:

ألا يأتى أحد من أهل طاعة سيدنا نصره الله ولا من طاعة الفلامنك إلى طاعة أخرى ويعمل سنجاقا غير سنجاقه، ويقرضون على من له صلحا معهم من طاعة سيدنا وطاعة الفلامنك، وكذلك أيضا بشرط الذى هو لعمالة أخرى غير الذى هو صلحا معها، وجميع سفن سيدنا نصره الله القرصانية لا تأتى لطاعة الفلمنك ولا تقرص عليها ولا على نواحيها هـ.

الشرط العاشر:

أن جميع من كان عدوا لطاعة سيدنا ويأخذ غنيمة لا يدخل بها طاعة الفلامنك يبيعها ولا غير ذلك، وكذلك من كان عدوا للفلامنك لا يدخل طاعة سيدنا نصره الله يبيع الغنيمة التي يغنمها للفلامنك، وكذلك إن كان بمرسى من طاعة سيدنا مركب من أعداء الفلامنك وكان مركب من مراكب الفلامنك بتلك المرساة السعيدة لا يتعدى عليه أحد، ولا يقربه بسوء، وإن كان مركب من مراكب

الفلانك على سفر من تلك المرسى فلا يترك مركب العدو يسافر إلا بعد سفر
الفلانك بأربعين ساعة هـ.

الشرط الحادى عشر:

إذا أخذ الفلانك سفينة من أعدائه وأعداء سيدنا نصره الله ودخل بها إلى
مرسة من طاعته وأراد بيعها فلا يتعرض له أحد ولا ينازعه، وكلما ينزلوا من
السلعة بخاطرهم فى البر يعطوا ما يلزمها من العشر من غير زيادة، وإن توقفوا
على ما يقضونه من الفرشك بسعر السوق لما يأكلونه فلا يلزمهم عليه خارج بوجود
سيدنا نصره الله هـ.

الشرط الثانى عشر:

إن ورد مركب من قرصان الفلانك على مراسى طاعة سيدنا نصره الله
فالقونص الفلانك يعلم به حاكم البلاد ربما يكون عنده أسير فرّ له، وإن دخله
الشك وأن الأسير فرّ إلى المركب فيسأل رائس المركب هل هو هناك أم لا، ورائس
المركب يقبضه له، وإن لم يكن هناك وقال له رائس المركب ما هر شيء عندى فلا
يتعدى أحد على رائس القرصان ولا على القونص ولا على أحد من التجار، وإذا
تحقق الخبر على ذلك الأسير وأنه هرب فى ذلك المركب من غير علم الرائس
وأخفوه عنه البحرية فالقونص يكتب للاصطادوص، ويحكم فى الذى أخفاه ورب
الأسير يقبض مال اليسير هـ.

الشرط الثالث عشر:

من اليوم الذى انعقد هذا الصلح لا يقع أسر على أحد من رعية الفلانك
لا نصارى ولا أهل الذمة ولا على من يكون تحت سنجاقتهم، وإذا اتخذ مركب
بعد ما عقد الصلح فيرجع ولا يطالبون أهله فى فدية ولا فى غيرها هـ.

الشرط الرابع عشر:

إن مات أحد من التجار من رعية الفلامنك وترك سلعة أو متاعا لا يتعدى عليه أحد من عمال سيدنا نصره الله ولا يأخذ من ذلك شيئا إلا إذا أوصى الهالك عليها أحدا، تبقى فى يده سواء كان وراثه أو شريكه أو وكيله، فإن كان حاضرا بقت بيده، وإن كان غائبا ولم يحضر أو توفى القونص الفلامنك يأخذ ذلك، ويدفعها لربابه، وإن لم يكن القونص حاضرا فتجار الفلامنك المقيمين فى البلاد يحزونها ويبعثونها لأربابها من غير معارض لهم فى ذلك بوجود سيدنا نصره الله هـ.

الشرط الخامس عشر:

تجار الفلامنك المقيمين بطاعة سيدنا نصره الله من النصارى الفلامنك أو من أهل الذمة إذا جاءوا بسلعة لا يعطون عشرينها إلا منها، وكذلك حاكم البلاد إن كانت بيدها سلعة لا يكلفهم يأخذونها منه كرها إلا عن خاطرهم ورضاهم بذلك، وكذلك رياس المراكب لا يحكم عليهم أحد من حكام البلاد يحملوا سلعة فى مراكبهم إلى بلاد أخرى إلا إن رضى بذلك الرئس، كذلك حاكم البلاد لا يتقف سفينة ولا رئس ولا بحرى، وقونص الفلامنك وتجارهم لا يقبضهم أحد فى دين أحد إلا إذا كانوا ضامين عليه وكذلك سفينة الفلامنك إذا تعمل زنبوط لا يتخذ فيه لا قونص ولا تجار، وإنما القونص يكتب للاصطادوص بش يفتشوا عليها هـ.

الشرط السادس عشر:

وكذلك النصارى الفلامنك وأهل الذمة منهم إن وقعت بينهم دعوى أو خصام أو موت أو جرح، فالقونص الفلامنك الذى فى يده تربية الاصطادوص يحكم بينهم هـ.

الشرط السابع عشر:

إن كان المسلم خصم مع نصراني فحاكم البلاد مع القونص يفاصلهم، وإن وقع أمر من نصارى الفلامنك جرحوا المسلم يرفع أمرهم لسيدنا نصره الله، وهو يحكم فيهم، وإن هرب صاحب الدعوة لا يقبض فيه أحد من تجار الفلامنك ولا القونص هـ.

الشرط الثامن عشر:

أن ديوان الاصطادوص يبعثون قونص واحداً أو أكثر لطاعة سيدنا نصره الله للموضع الذى يريدون والقونص المذكور لا يتعدى عليه أحد فى ماله، ويستوصى به خيراً، وكذلك التجار المقيمين بطاعة سيدنا نصره الله وترجمانهم وسماسرهم يطلعون للمركب الذى يريدون لطاعة سيدنا نصره الله ولا يتعدى أحد عليهم، وكذلك يسافرون فى البر للموضع الذى يريدون من طاعة سيدنا نصره الله، وكيف يريدون دفن موتاهم لا يتعرض لهم أحد ولا يمنعهم من صلاتهم المعهودة من دينهم والقونصوات والتجار هم الذين ينظرون من يصلح بهم من السماسر والترجمانات.

الشرط التاسع عشر:

إن وقع شيء مما يوجب نقضى الحكم بحساب ما يقتضيه، رأيه الرشيد، أن يعلموا بواجب ذلك، وأن يؤجلوا القونص الذى بطاعة سيدنا نصره الله أجلا يبلغه ستة أشهر، بينما يجمع القونص ماله الذى يكون مفترقا من دين أو معاملة ويرجع لبلاده هو وجميع من يكون من التجار بطاعة سيدنا نصره الله بامتعتهم وأولادهم وأصحابهم، ولا يتعدى عليهم أحد بوجود سيدنا نصره الله هـ.

الشرط العشرون:

إن كان أحد من جنس الفلامنك راكبا فى مركب أعداء سيدنا نصره الله وظفر بذلك المركب سيدنا نصره الله لا يتعرض أحد لذلك المركب الذى هو من طاعة الفلامنك، سواء كان نصرانيا أو ذميا ولو كان تحت سنجق العدو، ولا يتعرض أحد لسلعته، وكذلك إن كان أحد من طاعة سيدنا نصره الله راكبا فى المراكب الذين هم أعداء للفلامنك وظفر به الفلامنك لم يأخذ أحد شيئا لذلك المراكب الذين هو من طاعة سيدنا نصره الله لا سلعة ولا شيئا من متاعه هـ.

الشرط الحادى والعشرون:

إن تبين على أحد أنه نقض الصلح ويسعى فى المسائل التى تكون سببا فى ذلك وكان نصرانيا نعلمنا به سيدنا نصره الله ويحكم فيه، ويرد كل ما أخذ، وكذلك إن فعل ذلك أحد من طاعة سيدنا نصره الله يحكم فيه ويرد كل ما أخذ، ويكون الأجل فى ذلك ستة أشهر بينما يحصل الخبر ويأتى الجواب هـ.

الشرط الثانى والعشرون:

يجعل سيدنا نصره الله علامته المباركة بموافقة على هذا الصلح، ويجعلوا الاصطادوص علامتهم بخط العجم فى الوقت الذى يساعدوا الهوى والريح، وهذا الصلح مبدوه من يوم الكتب بعقد صحيح، وأن يأمر سيدنا نصره الله حكام طاعته ويعرفهم بأمر الصلح ويبينوه لهم لئلا يتعدى أحد من كونه لا علم له بأمر هذا الصلح المبارك مع جنس الفلامنك، وأن يكون كل أحد على بصيرة فى ذلك، وكذلك يفعلون الاصطادوص فى جميع طاعتهم بوجود سيدنا نصره الله والسلام.

٣٨٩ - عبد الله بن عمر بن هشام الحضرمي الإشبيلي القرطبي المعروف

بعبيد.

حاله: فقيه علامة مقرئ نحوي أديب شاعر، جواله في البلاد، ولد بقرطبة ونشأ بها ثم رحل وجال، ولقى الرجال، ثم قصد المغرب وتصدى للإقراء والتعليم، فأخذ عنه بمراكش ومكناسة، وأقام بتلمسان سبع سنين يقرئ بجامعها، ثم صدر إلى الأندلس فسكن ألمرية، ثم نزل مرسية وخطب بجامعها وأقرأ القرآن ثم انتقل منها بعد خمسين وخمسمائة.

مشيخته: أخذ القراءات عن أبي القاسم بن النخاس، وأبي الحسن عون الله ابن محمد، وأبي جعفر أحمد بن عبد الحق الخزرجي، وأبي بكر بن عياش بن مخارج لقيه بإشبيلية، وسمع الحديث من أبي محمد بن عتاب، وأخذ العربية والأدب عن أبي محمد بن متنان، وسمع بالمرية من أبي القاسم بن ورد، وأبي الحجاج بن يسعون.

مؤلفاته: منها كتاب في قراءة ورش وقلون، قال القضاعي في تكميل الصلة: وقفت عليه، وله كتاب الإيضاح والإفصاح، في اختصار المصباح، وشرح مقصورة ابن دريد.

ولادته: ولد بقرطبة لتسع خلون من ربيع الأول سنة تسع وثمانين وأربعمائة، ولم أقف على تاريخ وفاته.

٣٩٠ - عبد الله بن حماد يعرف بابن زغبوش المكناسي النشأة والدار.

حاله: كان من أهل المعرفة والنباهة، دخل الأندلس، وسكن شاطبة، وخلف على بنت القاضي أبي عبد الله بن سعادة بعد وفاة محمد بن عاشر الفقيه سنة سبع وستين وخمسمائة، وولد له منها ابنه محمد قال الحافظ القضاعي في

تكملمته: ولا أعلم له - يعنى المترجم - رواية بعض خبره عن ابن سالم. قلت: وعبد الله هذا والده هو محمد بن حماد بن زغبوش، وهو الذى امتحنه يدر بن وجوط فى سبعة من قرابته، وكان فقيها خيراً قرأ بقرطبة وغيرها، وصحب جلة من أهل زمانه حسبما تقدم فى ترجمته فى المحدثين.

وقد استقضى أمير المؤمنين أبو يعقوب بن عبد المؤمن بن على صاحب الترجمة على مدينة شاطبة وجزيرة شقرون، ومن ذلك الوقت استقر بشرق الأندلس بعض ذريته، ولما أسن رغب فى استيطان بلده فأسعفت رغبته فاستوطن داره بتاورا ولم يدخل قط تاجرات المدينة الآن فيما زعموا أنفة منه لما أصيب به والده وقرابته من المحنة بالذبح التى صدرت لهم من يدر المذكور، وكان إذا أراد لقاء الشيخ محمد بن عبد الله واجاج تلقاه بالبحيرة التى تولى غراستها فى ذلك التاريخ، وكان فى بلده مكرما وجيها يزوره قضاته وطلبته وأعيانه.

وكان - أعنى صاحب الترجمة - بمدينة فاس يقرأ حين نزلها الموحدون وسنه يومئذ خمس وعشرون سنة، فتشوف فى أحد الأيام إلى الإشراف على محلة الموحدين، فخرج من مجلس القراءة وسط النهار وقد انصرف الناس إلى ديارهم والأسوار خالية إلا من حراسها فطلع السور ليطلع منه عليهم، فبينما هو يمشى على السور حدثته نفسه بالهبوط إليهم، فارتاد موضعا خاليا خفيا عن الحرس وربط عمامته فى إحدى شرافات السور وتقلد خريطة كتبه وتعلق بالعمامة، وكانت ضعيفة فلما ثقلت انقطعت وسقط فى الأرض واعتلت إحدى قدميه، وتسارع إليه الموحدون ورفعوه فى درقة ووضعوه بين يدى عبد المؤمن بن على، وأكرمه الموحدون وأحسنوا إليه، وكتب له عبد المؤمن صكاً بتسويغ ماله ومال أبيه، وأقام معهم يظعن بظعنهم ويقيم بإقامتهم مبرورا لديهم عزيزا عليهم، وكانوا يلحظون من يمت إليهم بسابقة أو هجرة، فلما نزلوا مكناسة ظهر بمحلتهم واتصل ذلك

بالوالى يدر بن ولجوط، وكان ذلك السبب فى قبضه على وائده وامتحانه إياه
بالذبح فيمن قبض معه من قرابته، وقد مرت الإشارة للقضية فيما أسلفناه.

وفاته: توفى سنة أربع وتسعين وخمسمائة فى سن الثمانين.

٣٩١ - عبد الله بن محمد بن عيسى.

التادلى الأصل، الفاسى الدار، المكناسى الإقبار.

حاله: علامة متفنن، فقيه أديب، شاعر مفلق، حسن الخط جليل القدر، له
رسائل وأشعار، مع شجاعة وصرامة عرف بها، تولى قضاء مدينة فاس على عهد
أبى يعقوب اللمتونى يوم السبت سادس عشر ذى الحجة سنة تسع وسبعين
وخمسمائة، كما تولى قضاء بسطة وغيرها، وكان من أعدل القضاة، واستوطن
مكناسة ودخل الأندلس فى آخر الدولة اللمتونية، ولقى أبا بكر بن العربى
ياشيلية، وهم بالسماع منه فصدّه الفقهاء للتباعد الذى كان بينهم، وكان والده أبو
عبد الله من حفاظ المذهب المالكى مشاورا بفاس.

مشيخته: روى عن أبى بحر الأسدى، وأبى محمد بن عتاب، وأجازا له
وهو آخر من روى عنهما بمغرب العدو، وصحب القاضى أبا الفضل عياضا،
ولقى ابن بشكوال فأجاز له ولم يعول إلا على ابن عتاب، وأبى بحر، ولم يعتمد
على غيرهما، وبسببهما أخذ الناس عنه كثيرا لانفراده بهما أخيرا، وقيل: إنه
صحب أبا بكر بن الصائغ الحكيم بالمرية.

الآخذون عنه: منهم أبو عبد الله بن حوط، وأبو عبد الله الحضرمى، وأبو
الحسن بن القطان، وأبو الربيع بن سالم، وأبو الخطاب بن خليل، وأبو عبد الله
الأزدى، وأبو الحسن الغافقى فى جماعة. قال ابن خليل: وكتب لى بالإجازة من
مراكش.

٣٩١ - من مصادر ترجمته: جذوة الاقتباس ٢/٤٢١.

شعره: من ذلك قوله مخاطبا ابن مضا.

يا غارسا لي ثمار مجد سقيتها العذب من زلالك

أخاف من زهرها سقوفا إن لم يكن سقيها بيالك

ولادته: ولد سنة إحدى عشرة وخمسمائة.

وفاته: توفى بمكناسة مغربا عن وطنه سنة سبع وتسعين وخمسمائة عن سن عالية، وقال ابن فرتون توفى قرب الستمائة وقد اختل عقله من الكبر كما فى الجذوة.

٣٩٢ - عبد الله بن أبى مدين الحاجب العثماني.

نسبة لبني عثمان من زواوة بجاية من البربر، ونزلوا مصمودة الغرب بجبال وزان منها.

حاله: له مشاركة فى الفقه، وشعر وسط، بيته بيت فقه وكتابه، وثروة وحجابه، استوطن سلفه قصر كتامة، وهو أول من انتقل منهم من القصر المذكور، رحل إلى مدينة مكناسة واستوطنها، وبرز عدلا فى سماط عدولها لمعرفته بالوثائق، وكان يخالط الرؤساء وولاة الأمر، ويقول لأصحابه: لا بد لى أن أخدم السلطان، وأدبر الدول ونستولى على الأمر، فخرج يوما من مكناسة إلى نزهة مع جماعة من الفقهاء أصحابه، فلما أخذوا فى أطراف الحديث قال لهم على قوله: لا بد أن أدبر الدول، فليشته كل واحد منكم ما يريد ويطلبه منى أعطه إياه، فطلب كل واحد منهم ما فى أملة، فطلب الفقيه ابن زغبوش قضاء بلاده مكناسة فمكنه منها لما مكنه الله تعالى من تدبير الدول، وأعطى لبقية أصحابه ما سألوه منه فى النزهة خارج مكناسة قبل اتصاله بالملوك وفاء بالعهد ورعيا لسالف الود:

إن الكرام إذا ما أيسروا ذكروا من كان يألفهم فى المنزل الحشن

ثم ارتحل لمدينة فاس واستوطنها، وتعلق بالحاجب الكاتب صاحب العلامة محمد بن محمد الكنانى حاجب يعقوب بن عبد الحق المرينى ورسوله فى أسفاره وكاتب علامته، فاختره الحاجب الكنانى لنفسه يعلم أولاده مع أولاده الوزير عمر ابن الوزير السعود بن خرباش الحشمى، فلما علم أولاد الحاجب الكنانى القرآن وكان من أولاده الفقيه العالم الحافظ ذو الوزارتين أبو المكارم منديل بن الحاجب الكنانى، طلب عبد الله بن أبى مدين من الحاجب المذكور أن يدينه من الخدمة بدار السلطان يعقوب بن عبد الحق، فقدمه يكتب علف الخيل وجعل له على ذلك مرتب تلك الخطة وهو ثلاثون دينارا فضية فى كل شهر.

ثم طلب منه بعد ذلك بمدة أن يرقيه، فقدمه يكتب البطائق بحضرة يعقوب ابن عبد الحق فكتبها مدة إلى أن مات الحاجب الكنانى، وولى مكانه أخوه سعيد ابن محمد أبو الطيب، ثم مات أبو الطيب فولى مكانه محمد المدعو حمو بن أبى الطيب، فتخلف وخرج عن خطة الكتابة وأخذ فى الفروسية والصيد وضيع الخدمة السلطانية، ولزم ابن أبى مدين القعود فى مشور السلطان يكتب الصكوك من أول النهار إلى آخره، فشكر له السلطان ذلك ثم زاحم به السلطان حمو الكنانى، وأطلق يديه على العلامة إلى أن عزله عنها وثبت المترجم فيها - وبقي الكنانى إلى أن أدرك على بن عثمان بن يعقوب بن عبد الحق وقتل فى خدمته بالقيروان فى عام خمسة وسبعمائة - فامتاز ابن أبى مدين بالعلامة عند يعقوب بعد أن شاركه فيها إدريس المخزومى، ويحيى المليانى، ومحمد العمرانى.

ثم تخلصت له العلامة والحجابة وتدير الدولة مدة دولة يعقوب، ودولة ولده يوسف، ودولة عامر بن عبد الله بن يوسف، ودولة أخيه أبى الربيع سليمان، وأبو الربيع هو الذى قتله.

والسبب أن الحاجب خليفة بن إبراهيم ابن رقاصة اليهودى زاحمه فى حجابة
أبى الربيع، وكان المترجم لا يفصل شيئاً إلا عن إذن خليفة ومشورته، ثم إن
خليفة ابن رقاصة اليهودى افتعل براءة مزورة ونسبها إلى جارية من جوارى
السلطان تعلم فيها المترجم أنها تحبه، وأعطها له اليهودى معونة عند انصرافه إلى
داره، وأمره أن يجعلها فى جيبه، وأن لا يقرأها إلا بعد وصوله لداره ففعل،
فعندما جعلها فى جيبه قال لأبى الربيع خبرها فامتعض أبو الربيع لذلك، وأمر
عنصال قائد النصارى بقتل ابن أبى مدين فقتله عند قبر أبى بكر بن العربى.

ثم فحص أبو الربيع عن الحكاية فوجدها مزورة، وأحضر كاتبها بين يدى
السلطان وأخبره أن اليهودى أمره بكتب الرسالة عن إذن الجارية وذلك من غير أن
يعلم الكاتب أن الجارية لأبى الربيع، وإنما قال له: إنها من أهل الزنى، وأنها تحب
الاجتماع معه، فطلبت من اليهودى أن يكتب لها ذلك الكتاب عن إذنها فطلب
اليهودى منه كتب ذلك، فكتبه خوفاً من سطوته ومكانته عند الأمير، فأمره الأمير
إذ ذاك أن يكتب بيده وهو ينظر ليزداد يقيناً ففعل، وقوبل الخط بالخط والأمير ينظر
فوجد الخط واحداً، وتيقن السلطان اختلاق اليهودى وبهته، ناشد غيظه عليه
وعظم النكير عليه، وصعب عليه ما فعل، وندم حيث لا ينفع الندم، وأمر بقتل
اليهودى اللعين فقتل من يومه، بعد أن كان هذا اليهودى بلغ فى الحجابة غاية
يقصر عنها الوصف، أورد ترجمته ابن الأحمر فى تأليفه فى بيوتات أهل فاس.

الآخذون عنه: منهم ذو الوزارتين الحافظ أبو المكارم منديل الكنانى.

٣٩٣ - عبد الله بن الحسن اللخمى عرف بابن الأصفر.

حاله: وصفه تلميذه الإمام أبو عبد الله محمد بن جابر الغسانى فى شرحه
على منظومة التلمسانى فى الفرائض: بالشيخ الفقيه الأعدل، وذكر عنه أنه توجه
إلى السلطان أبى العباس المرىنى فى طلب حسبة مكناسة، فمسر عليه أمرها فنظم:

يا باسط الرزق كلَّ السعى والطلب
وأنت لو شئت هان الأمر والسبب
لكن رجوتك في رزق تيسره
من حيث لم أحتسب أو حيث أحتسب
شعره: أنشد أبا عبد الله بن جابر الغساني لنفسه:

يا من لديه مفاتيح الأرزاق
وله المشيئة والدوام الباقي
كثر التفاتي للخلائق شاكيا
وحقيقة الشكوى إلى الخلاق
فترددى فيما لديك إلى الورى
عجز وقد عجزوا على الإطلاق
لكن بسطت رجائى بسط مؤمل
متوسل لك باسمك الرزاق
فى عطفة الملك المؤيد أحمد
ذى الخلقة الحسنى وذى الأخلاق

٣٩٤ - عبد الله بن حمد - بفتح الحاء والميم من غير ألن - من بيت بنى
حمد، أحد بيوتات فاس الشهيرة.

حاله: فقيه عالم عامل صالح، ولى كامل فالح، متواضع حسن الخلق،
متبرك به حيا وميتا، آية الله فى الزهد والورع والعبادة واتباع السنة، له مناقب
كثيرة، وكرامات ظاهرة شهيرة، ارتحل من فاس للشرق، ولقى خيار المشايخ،
فأشار عليه بعضهم باستيطان مكناسة.

قال العلامة الحافظ سيدى العربى بن يوسف الفاسى فى تقييده فى العقوبة
بالمال: وقد سمعنا مشايخ فاس يحكون عن قبلهم أن الشيخ العالم الولى سيدى
عبد الله بن حمد دفين خارج مكناسة الزيتون، سار بركب إلى الحج والتزموا
التزاما يأخذونه عن يغتاب منهم أحدا، فجمعوا من ذلك مالا وافرا واجتازوا
بتونس، فسألوا الشيخ ابن عرفة عن ذلك فأفتاهم بأكله هـ، أى لأن ذلك ليس من

٣٩٤ - من مصادر ترجمته: جذوة الاقتباس ٢/٤٢٤، درة الحجال ٣/٥٣، الروض الهتون
- ص ١١٤، كفاية المحتاج ١/١٧٣، نيل الابتهاج ١/٢٤٧.

باب الإلزام وإنما هو من باب الالتزام، التي يقال فيها ادخلوها بسلام، وفيما جمعه أبو زيد الفاسي من تقرير والده على البخاري بعد كلام: وليس منه ما وقع لأصحاب الشيخ سيدي عبد الله بن حمد حين توجههم إلى المشرق، وأنهم تعاقدوا أن من لم يحضر الجماعة فعليه كذا، ومن اغتاب أحداً فعليه كذا حتى جمعوا من ذلك مالا كثيرا فتوقفوا فيه، فلما مروا بابن عرفة أجاز ذلك لأن هذا بموافقتهم هـ.

وكان المترجم مجاب الدعوة، وكان وزير وقته يعظمه جدا ويقضى له حوائج الناس حتى أفسد بعضهم نية الوزير فيه، فصار لا يقضى له حاجة فبحث عن سببه فذكر له خبر الرجل، فقال الشيخ منجلى في منجله على كلام العامة ثم قال: اللهم خذه من حيث اطمأن، ثم قدر الله أن ذكر له الوزير شيئا من سر السلطان وخاف أن ينمه عليه فأمر بذبحه فجأة.

ومن مآثره الخالدة الثالثة أحبسه الوافرة على الضعفاء والغرباء والمنقطعين وذوى العاهات، التي لا زالت تجرى عليهم من محصولاتها الجرايات مياومة ومسانهة.

وقد ترجم هذا الشيخ الإمام صاحب درة الحجال، وجذوة الاقتباس، والسوداني في الديباج وكفاية المحتاج، والإمام ابن غازي في روضه وفهرسته، والحافظ أبو زيد الفاسي في بيوتات فاس، وغير هؤلاء.

قال أبو زيد الفاسي: إنهم من فريق من البربر وإنهم بيت علم وثروة هـ.

وقال في الروض الهتون: له بيت حسب بفاس، كان ارتحل منها للمشرق^(١) ولقى الأخيار من المشايخ^(٢) هـ.

(١) في الروض الهتون: «للمشرق».

(٢) الروض الهتون - ص ١١٤.

ويوجد فى لوح خشب منقوش ملصق بجدار من جدران قبة ضريح صاحب الترجمة ما لفظه بعد البسمة: هذا ضريح العارف بالله الولى الأشهر سيدى ومولاي عبد الله بن حمد الشريف الحسنى، نفعنا الله به، ثم ذكر سنده الآتى فى مشيخته.

قلت: ولعل معتمد شيخنا أبى عبد الله محمد بن جعفر الكتانى فى سلوته فى الجزم بكون المترجم شريفا حسنيا، هو ما فى ذلك اللوح، وهو ليس بشيء، كيف وقد ترجمة غير واحد من المحققين النسابين ولم يشر واحد منهم لكونه حسنيا، بل وقع التصريح عن يعتمد ويرجع لقوله بأن بيت بنى حمد الشهير بفاس الذى هو منه بربر، ومن نمط ما فى اللوح المشار له ما صرح به العارف الكامل الشريف المولى عبد القادر العلمى فى بعض أزجاله الملحونة فلا تغترر به، ومعلوم أن كل فن يرجع فيه لأهله، ورب البيت أدرى بما فيه، والشرف لا يثبت شرعا بطريق الكشف.

مشيخته: أخذ عن سيدى على وفا، عن والده سيدى محمد، عن سيدى داود الباخلى، عن سيدى أحمد بن عطاء الله عن أبى العباس المرسى، عن أبى الحسن الشاذلى، عن مولاي عبد السلام بن مشيش، عن سيدى عبد الرحمن المدنى، والشيخ تقى الدين الفقير، عن الشيخ فخر الدين، عن الشيخ شمس الدين محمد، عن الشيخ زين الدين محمد العروسى، عن الشيخ أبى إسحاق إبراهيم البصرى، عن الشيخ أبى القاسم أحمد المروانى، عن الشيخ أبى محمد سعيد، عن الشيخ سعد، عن الشيخ فتح السعود، عن الشيخ سعيد الغزوانى، عن جابر بن عبد الله الصحابى، عن سيدنا ومولانا الحسن، عن جده سيد المرسلين ﷺ، هكذا هذا السند فى اللوح المشار له.

الآخذون عنه: منهم: الإمام القورى، وابن الفتوح دفين روضته المترجم فيما مر، وأبو زيد القرمونى وجماعة.

وفاته: توفى بمكناسة الزيتون سنة ثلاث وثلاثين وثمانمائة على ما فى الجذوة والدرة واللوح المشار له فى جدار ضريحه، وقال الونشريسى فى وفياته: عام واحد وثلاثين هـ، وإلى الرمز لوفاته أشار صاحب الإعلام بلفظ أظلا من قوله:

موت الرضا ابن حمد أظلا به الشجاء عاينا فى (أظلا)

وضريحه مزارة شهيرة مقصودة للتبرك، مجربة لإجابة الدعاء خارج باب البرادعيين أحد أبواب الحضرة المكناسية.

٣٩٥ - عبد الله بن العريف.

حاله: فقيه عالم، عدل رضى، كان مجتهدا فى طلب العلم، ورحل لفاس وأخذ عن الأستاذ أبى زيد الجادرى مقصورة شيخه أبى زيد المكدودى شارح ألفية ابن مالك فى النحو المتوفى بفاس عام واحد وثمانمائة، وموضوع هذه المقصورة مدح الجناب النبوى، وقد نكت ناظمها فيها على حازم وابن دريد حيث أخليا مقصورتيهما من مدح المصطفى ﷺ، الذى هو كنز كل ربح وغنى، وتحتوى هذه المقصورة على مائتى بيت نشئية وأربع وتسعين بيتا مطلعها:

أرقنى بارق نجرد إذ سرى	يومض ما بين فرادى وثنى
أهبنى إذ هب منه موهنا	ما سد ما بين الثريا والثرى
فيا له من بارق ذكرنى	من الهوى ما كنت عنه فى غنى
أناز شوقا كان منى كامنا	بين ضلوع طال ما بها ثوى
فكان قلبى المجتوى إذ هاجه	كالزند إذ أوراه مور فورى
وسح سحب مقلتى فما بقى	نوع من الدمع بها إلا همى
ما كنت أدرى قبل أن أنفدته	أن البكا يمنعنى من البكا

إلى أن قال:

مقصورة لكنها مقصورة على امتداح المصطفى خير الورى
ما شبتها بمدح خلق غيره لرتبة أحظى بها ولا جرى
فاقت علاء كل ذى مقصورة وإن هم نالوا الأيادى والهى
فحازم قد عد غير حازم وابن دريد لم يفده ما درى

وروى عنه وعن غيره غيرها، وظهرت نجابته، إلا أنه اخترمته المنية فى صغره كما اتفق لمعاصره أبى الفضل ابن المجراد بمدينة سلا، وكان أمر الله قدرا مقدورا.

ذكره ابن غازى فى روضه من جملة علماء حاضرتنا المكناسية وفضلاتها قال: ولم أدرك هذا الفاضل، وقد كانت بيننا وبين نجله القاضى الأرضى الأعدل أبى عبد الله محبة ومؤاخاة، وكان له حسن عهد ما رأيت له لغيره رحمه الله هـ.

مشيخته: أخذ عن الإمام المحدث الميقاتى أبى زيد عبد الرحمن بن مخلوف الجاردى المولود سنة ست أو سبع وسبعين وسبعمائة المتوفى بفاس سنة ثمان عشرة وثمانمائة، وقيل سنة نيف وأربعين، وقيل تسع وثلاثين والله أعلم، وأخذ عن غيره من شيوخ فاس ومكناس وقد غابت عنى وفاته حال الكتابة.

٣٩٦ - عبد الله بن محمد بن موسى بن محمد بن معطى العبدوسى - بفتح العين وضمها - الفاسى المكناسى.

قال صاحب التعلل برسوم الإسناد: فهو - أى المترجم - مخضرم فاسى مكناسى.

٣٩٦ - من مصادر ترجمته: توشيح الديباج - ص ٩٥، الضوء اللامع ٦٧/٥، كفاية المحتاج ١٧٥/١، نظم العقيان - ص ١٢٢، نيل الابتهاج ٢٤٩/١.

حاله: إمام فقيه، عالم صالح، محدث حافظ بارع، كامل المشاركة، شيخ
لجماعة الفقهاء والصوفية، انتفع به خلق في العلمين، وأمات كثيرا من البدع،
وبذل النصح للأمة، وأقام الحدود والحقوق، أكثر علمه فقه الحديث، حفظ
مختصر مسلم للقرطبي في كل خميس خمسة أحاديث، كان أبوه يعطيه عليها
درهما، وكان يشترط العزل في النكاح فراراً من الولد لفساد الزمان، وكان لا
يفارق كمة الشمائل، وكان يعمل الخوص ويعطيه رجلا لا يعرف أنها له يبيعهها
ليتقوت بثمانها في رمضان، وكان لا يدخر شيئاً حتى إنه لما توفي لم يوجد عنده
في تركته غير برنس ودراعتين، وحسبوا ما كان يدخل عليه مع ما كان ينفقه
فوجدوه أكثر من مدخوله.

ولى الفتيا بالديار المغربية، وانتهت إليه الرياسة فيها، نقل الونشريسي في
معياره جملة صالحة من فتاويه، وتولى في آخر أمره خطابة جامع القرويين بفاس،
ومناقبه كثيرة، قال في نيل الابتهاج: جمع فيها بعض أصحابنا تأليفا ذكر فيه
كثيراً. هـ. وكان راسخ القدم، آية في الحفظ، قطبا في السخاء، إماما في نصح
الأمة محبا في الصالحين، معظما آل البيت. قال في الدر النفيس: وكان يعظم
الإمام إدريس بن إدريس ويزوره، وهو الذي أمر بكتب ما على المشهد الذي على
قبره والثناء على شرفه.

مشيخته: أخذ عن والده ومن في طبقتة من فطاحل شيوخ وقته.

الآخذون عنه: منهم ابن أملال، والقورى، وأبو محمد الورياجلى، وخلق.

مؤلفاته: منها الفتاوى المشار لها إلا أنه لم يجمعها في ديوان، ونظم في

شهادة السماع.

وفاته: توفي فجأة وهو في صلاة المغرب في جمادى الثانية، وقيل ذى

القعدة سنة تسع وأربعين وثمانمائة، ورمز لوفاته صاحب الإعلام بحروف لفظ
خرطم من قوله:

موت الرضا العبدوسى عبد الله فى (خرطم) الممات كل ساه

٣٩٧ - عبد الله بن محمد اليقرنى.

الشهير بالكناسى - نسبة لمكناسة الزيتون - كما صرح بذلك ابن غازى فى
الروض فى فريق المترجم قائلًا: ولها ينسبون.

حاله: فقيه علامة، فرضى جليل حيسوبى، كان قائما على كتاب الحوفى.

وفاته: توفى بمدينة فاس سنة ست وخمسين وثمانمائة.

٣٩٨ - عبد الله الخياط.

دفين جبل زَرْهُون، الولى الشهير ابن ابراهيم بن عبد الله بن ابراهيم بن
أحمد بن ابراهيم، ينتهى نسبه على ما فى جواهر السماط وغيره، إلى العارف
الشهير سيدى أحمد الرفاعى الشريف الحسنى.

حاله: فقيه علامة، مدرس نفاع، كثير الاتباع للسنة وحضور مجالس العلم
والحض على التعليم، من كبار مشايخ الصوفية المرين الصادقين، الذين نفع الله
بهم، كان له أحوال سنية، وأفعال سنية، وشعائر مرضية، ظاهر الاستقامة على
سنن السلف الصالح وهديبهم، يدل على الله بحاله ومقاله، أظهر الله على يده
كرامات دالة على صحة ولايته، وصفاء طويته، وتنوير سريرته.

وكانت له زاوية عظيمة لإطعام الطعام لم يكن لأحد مثلها فى عصره، وكان
موثلا لأهل العلم والدين، وموردا للضعفاء والمساكين، وكان يربى أصحابه كما

٣٩٧ - من مصادر ترجمته: لقط الفرائد فى موسوعة أعلام المغرب ٢/٧٦١.

٣٩٨ - من مصادر ترجمته: دوحة الناشر فى موسوعة أعلام المغرب ٢/٨٥٩.

يربى المعلم الصبيان، ويحضهم على الصلاة في وقتها، عالى الهمة، ممتع
المجالسة، طيب المؤانسة، كامل العقل، سديد الرأى، جميل المعاشرة، ينزل الناس
على قدر منازلهم، مراعى للصحة حق المراعاة وأكملها.

دخل مكناسة الزيتون فى سن الاحتمام مع ابن خالته سيدى عمر الخطاب
دفين جبل زرهون، وكان يقرأ القرآن معه بها فى مكتب واحد على مؤدب واحد،
ثم دخل لفاس، ولقى علماءها، ثم خرج للسياحة فلقى كثيرا من المشايخ، ثم
ذهب لزرهون بإذن من شيخه سيدى أحمد المليانى، وطاف البلاد فى مقدمه،
فدخل مراكش، ومرّ بدكالة، فتادلا، ثم استقر بمكناسة الزيتون، وصحب الشيخ
محمد بن عيسى الفهدى المختارى، وكانت بينهما محبة عظيمة، وموالاتة كبيرة،
ثم رحل لجبل زرهون، واشتغل بعبادة ربه، وتجرد لإذابته أهل القليعة من الزراهنة
حتى الصبيان منهم، ثم انتقم الله منهم بدعائه عليهم، واشتهر أمره وطار صيته،
وأقبل الناس عليه من كل ناحية حتى كان بزايته ما ينيف على الألف من حملة
القرآن العزيز، وكانت زاويته أهلة بنشر العلم وبثه فى صدور الرجال آناء الليل
وأطراف النهار.

ومن كلامه رضى الله عنه: واعلم أنه لا يسمى العارف عارفا وله دعوى،
ولا يسمى المحب محبا وله شكوى، ولا يسمى الموحد موحدًا. له اعتراض، ولا
يسمى السالك سالكا وله اختيار، ولا يسمى المرید مریدا وله إرادة، من لم يضبط
المحسوسات، لا يقدر على ضبط المدسوسات، إذا رأيت السالك لا يفرق فى
سلوكه بين الاستقامة والاعوجاج، فكفى بجعله دليلا على الاستدراج. وله كلام
عال نفيس فى الطريق، وقد أفردت ترجمته بالتأليف.

ودعى بالحياط لمسحه بيده المباركة على رجل من خدام السيد أحمد المليانى
كان يستقى له الماء، فاتفق أن ضربته بقرة أحدثت فى جسده فتقا فالتأم ذلك الفتق

بمجرد وضع يد المترجم عليه كرامة له رضى الله عنه، وذلك بإذن من شيخه سيدى أحمد بن يوسف المليانى المذكور، إذ قال له لما حدث بخديمه ما ذكر خيطها له يا سيدى عبد الله بن إبراهيم الرفاعى: الله يرفع مقامك على جميع الأشياخ الحاضرين، فدنا منه، ومسح بيده المحل المصاب، فقام الرجل من حينه ليس به شىء، أفاده فى جواهر السماط.

مؤلفاته: منها الفتح المبين، والدر الثمين. فى فضل الصلاة والسلام على سيد المرسلين، وقفت عليه بخزانة وزان عام أربعة وأربعين وثلاثمائة وألف، فى جزء وسط.

مشيخته: أخذ عن السيد الحسن بن عمر أجانا، وأحمد بن يوسف المليانى المتوفى فى العشرة الثالثة بعد التسعمائة بمليانة، وقبره مزاراة شهيرة ثم.

أما الطوائف المبتدعة التى تنسب إليه المعروفة باليوسفية فليسوا على شىء من أحوال الشيخ، بل هم مارقون من الدين بمعزل عن سبيل المهتدين، عليهم لعنة الله والملائكة والناس أجمعين.

الآخذون عنه: منهم الشيخ الصالح الناصح أبو الطيب بن يحيى اليحياوى دفين ميسور المتوفى فى ربيع الأول سنة ثمان وثمانين وتسعمائة كما فى مرآة المحاسن، ومنهم السيد محمد فتحا العائلى دفين خارج باب الفتوح أحد أبواب مدينة فاس المتوفى فى شهر رمضان عام أربعة وثمانين وتسعمائة، ومنهم أبو عمران موسى بن على، دفين زرهون وخلق.

ولادته: ولد بقابس سنة تسع وثمانين وثمانمائة.

وفاته: توفى مسموما سنة تسع وثلاثين وتسعمائة، ودفن بزوايته الشهيرة من جبل زرهون.

ابن عبد الرحمن بن محمد بن أحمد بن محمد فتحًا بن بهاء الدين بن الحسن بن الفضيل بن عبد الواحد بن محمد فتحًا بن عبد الله بن إبراهيم بن علي بن عيسى بن إبراهيم بن محمد فتحًا بن الحسن بن جعفر بن عبد الله بن الحسن المثلث بن المثني بن الحسن السبط بن مولانا علي كرم الله وجهه ومولاتنا فاطمة الزهراء البتول رضى الله عن جميعهم.

هكذا وقفت على عمود هذا النسب في نسخة شجرة نسب والد المترجم عليها تصحيحات جماعة من الأعلام، منهم: القاضي محمد الغرناطي، وأبو وكيل ميمون الفخار، وأبو وكيل ميمون الفخار، وأبو القاسم بن نعيم ويعد الكل ما نصه: الحمد لله حق حمده، وصلى الله على سيدنا محمد نبيه وعبيده، أعلم بخطوط السادة عام عشرة وألف الإمام العلوي والسلطان الحسنى والجانب العالى بالله مولاي عبد الله بن مولاي زيدان ابن أمير المؤمنين أحمد الذهبى، كان الله له ولوالديه فى الدارين أمين.

حاله: نشأ فى حجر والده بجزولة من سملالة بالسوس الأقصى على ما فى الشجرة المشار لها، وكان من أهل العلم والدين والخير والصلاح والفضل، صرفه الله تعالى فى الجن فكان كل من استجار به ممن به مس الجن يعجل الله شفاؤه فشهراً بذلك، وأقبل الناس عليه، وأذعنوا لفضله، وعلموا مكانته عند مولاه، ولا زال ضريحه إلى الآن قرب بنى عمار أحد مداشر جبل زرهون مقصوداً عند العوام والخواص لذلك، وهو مرهم لذلك الداء قاطع.

وبعد وفاة والده رضى الله عنه، وذلك عام أربعة وتسعين وثمانمائة، انتقل إلى محروسة فاس بقصد قراءة العلم، فأقام بها اثني عشرة سنة، ثم توجه لزاوية زرهون بقصد زيارة مولانا إدريس الأكبر رضى الله عنه وأرضاه، فأقام بها أربعة

أشهر وخمسة عشر يوماً، ثم نذبه بعض تلاميذه للخروج معهم لمحلم حيث مدفنه الآن، فلبى دعوتهم واستقر به النوى هنالك، ولم يزل مقيماً ثمةً، إلى أن نقله الله إليه، ولم يعقب.

وفاته: توفى سنة اثنتين وسبعين وتسعمائة، وضريحه بالمحل المذكور بجبل زرهون من أشهر المزارات المقصودة للزوار، ينسل إليها الناس من كل حذب إلى الحين الحالى.

٤٠٠ - عبد الله بن أحمد بن محمد بن عبود بن علي بن عبد الرحمن بن أبي العافية المكناسي الشهير بابن القاضي.

حاله: فقيه علامة، يستظهر مختصر خليل والرسالة، والألفية عن ظهر قلب.

مشيخته: أخذ عن أبي بكر السراج المولود سنة إحدى وعشرين وتسعمائة، المتوفى بفاس عام سبع وألف، وعبد الواحد اليعمدي المتوفى سنة ثلاث وألف، وأبي العباس القدومي، وأبي عبد الله بن مجبر المولود سنة ثمان وتسعين - بتقديم المثناة - وثمانمائة، المتوفى في المحرم سنة خمس وثمانين وتسعمائة وغيرهم.

وفاته: توفى بمدينة فاس سنة سبع وثمانين وتسعمائة.

٤٠١ - عبد الله مولى الرئيس الأوحدي أبي عثمان سعيد بن حكم (١).

صاحب مِوْرَقَةٍ بفتح الميم وضم الياء المثناة تحت وسكون الراء بعدها قاف مفتوحة فتاء.

٤٠٠ - من مصادر ترجمته: لقط الفرائد في موسوعة أعلام المغرب ٩٣٧/٢.

٤٠١ - من مصادر ترجمته: رحلة العبدري - ص ٢٨٠.

(١) تحرف في المطبوع إلى: «حكيم» وصوابه من ملء العيبة ٣٢٩/٢، ورحلة العبدري -

ص ٢٨٠.

حاله: فقيه علامة، راوية محدث، وصفه العبدري في رحلته بالفقه والحديث والاهتمام بالعلم والاعتناء بالرواية، قال: وقد وقفت على فهرسة شيوخه وقد شاركته في بعض شيوخه الذين ذكرهم، قال: وقد كان في أملى الاجتماع به ولم يقض له به هـ^(١).

وقد كان بقيد الحياة سنة ثمان وثمانين، إذ سفر العبدري كان في الخامس والعشرين من ذى القعدة من التاريخ المذكور حسبما أفصح بذلك العبدري في رحلته المنقول عنها.

٤٠٢ - عبد الله بن علي المعروف بالحجام الصبيحي.

دفين جبل زرهون.

حاله: شيخ صالح حسن الأخلاق متحمل أذى الخلق، وكانت له زوجة سيئة الأخلاق تؤذيه جدا، فقال له بعض أصحابه هلا طلقتها؟ فتمال له: لو فعلت لابتلى بها مسلم غيري.

وله أتباع كثيرون، ونية سالحة، ومعتقد صحيح، وأخلاق حسنة، ودين متين، مقصود للزائر، مزدحم للتسليم عليه، مشهور البركة في الديار المغربية، صاحب كرامات ظاهرة، وأحوال خارقة، من ذلك أن رجلاً جاء لزيارته وهو لا يعرفه فوجده في سفح الجبل فقال له وهو لا يعرفه: أين سيدى عبد الله الحجام؟ فقال له الشيخ: وما حاجتك به؟ قال: جئت أزوره لوجه الله تعالى، فقال له الشيخ: والله لا تطلع إليه إلا محمولا على ظهرى حيث كان قصدك زيارته لله تعالى فقط، فحمله على ظهره فلما بلغ به داره وعرفه نفسه وتكلم معه، قال: يا سيدى نريد منك أن تكلم حاكم البلاد فى مسألة كذا، فقال له الشيخ: قد خدعتنى، والله لتردنى على ظهرى إلى الموضع الذى حملتك منه، وكان المترجم

(١) رحلة العبدري - ص ٨٠.

٤٠٢ - من مصادر ترجمته: نشر المثنائى فى موسوعة أعلام المغرب ٣/ ١٠٦٤.

جسيما فحمله إلى ذلك الموضع . قال فى الصفة بعد إرادته هذه الحكاية : هكذا رأيت الحكاية بخط شيخنا الفقير الصوفى أبى عبد الله محمد بن عبد الرحمن ، ويقال : إن ذلك وقع للزائر مع بعض قرابة الشيخ ، والله أعلم .

مشيخته : أخذ عن سيدى عمر الخطابى دفين جبل زرهون عن التابع .

وفاته : توفى عام واحد بعد الألف ، ودفن على رأس مدشر زاوية مولانا إدريس الأكبر المعروف الآن بخبير من جبل زرهون ، وبنيت عليه قبة ، وضريحه إلى الحين الحالى من أشهر المزارات المقصودة للتبرك بها .

٤٠٣ - عبد الله الجزار .

دفين الحضرة المكناسية .

حاله : سمعت من غير واحد أنه كان من كمال العارفين المتبرك بهم أحياء وأمواتا ، وأن الدعاء بضريحه جربت إجابته مرارا ، قال فى حقه صاحب جواهر السماط ما لفظه : كان رحمه الله ورعا سنيا ، وكان فى ابتداء أمره جزارا ، وكان يتورع فى البيع والشراء ، فلا يشتري الغنم إلا من قوم عرف طيب مكسبهم ، ثم يذبحها فيبيعها بأرجح ميزان ، وما فضل له من الربح يذهب به لزواية الشيخ الخياط - يعنى شيخه سيدى عبد الله المترجم قبل - فيفرقه على الفقراء ، ثم ترك بيع اللحم ولازم الشيخ الخياط إلى أن كان منه ما كان هـ .

ولم أقف على زائد يتعلق بترجمته غير ما هو منقوش فى الخشب الذى على ضريحه بخط بارع ، أخذت فى مناولته يد البلى نقلته هنا صوتا له من الإتيان على باقيه ، وغير ما هو منقوش فى لوح خشب أيضا ملصق بالجدار ثمة ، ودونك لفظ ما هو منقوش فى الخشب الذى على الضريح :

الحمد لله العلى البارى ملك الملوك وفتاح الأسرار

ثم الصلاة على النبى محمد سر الوجود ومنبع الأنوار

أهل الكمال القادة الأخيار	وعلى الأفاضل آله وأصحابه
قد شاع فى الآفاق والأقطار	هذا ضريح سامى المقدار من
تكف النوائب تحظ بالأوطار	قف ضارعا متذلا تلق المنى
ما فى وقوفك ساعة من عار	إن الوقوف ببابهم أصل الغنى
فاقصد وسل مولاك بالجزار	وإذا قصدت لمثل عبد الله ذا
أهل التقى فى حضرة ووقار	وبشيخه والطائعين لربهم
والواردين ببحره الزخار	كم حاجة قضيت لمن قد أمه
فكاك ماسور من الكفار	(١) كافيا
كالمسك نسمته مع الأزهار	فعليه منى ألف ألف تحية
من هجرة المختار	(١)

مشيخته: فى اللوح الخشبى الملتصق بالجدار المشار له، أنه أخذ عن الحارثى بن موسى بن خشان (كذا) عن عبد الله موسى بن على مولى آية رأس، عن على بن قاسم الدكالى، عن موسى بن على مولى الصخرة، عن الشيخ الكامل محمد بن عيسى الفهدى المختارى، عن أبى العباس الحارثى، عن سيدى محمد بن سليمان الجزولى، عن سيدى عبد الله أمغار الشريف، عن أبى عثمان سعيد الهرتنانى، عن أبى زيد عبد الرحمن الرجراجى، عن أبى الفضل الهندى، عن عنوس البدوى، عن الإمام القرافى، عن أبى عبد الله المغربى، عن أبى الحسن الشاذلى، عن مولانا عبد السلام بن مشيش، عن أبى زيد عبد الرحمن المدنى، عن تقى الفقير، عن فخر الدين، عن أبى الحسن، عن شمس الدين، عن زين الدين

(١) فى هامش المطبوع: تلاشى أصله.

القزويني، عن إبراهيم البصري، عن أبي القاسم الرواسي، عن سعيد، عن سعد، عن فتح السعود، عن سعيد الغزواني، عن جابر، عن سيدنا ومولانا الحسن بن علي رضي الله عنهما وأرضاهما وعنا بهما أمين عن رسول الله ﷺ وشرف وكرم هـ.

وقد أغفل أخذه عن سيدي عبد الله الخياط، وعلى كل حال فقد شارك شيخه في بعض مشيخته وإن أخذ عن تلاميذه وتلاميذهم، بل الله ثرى الجميع بالرحمة والرضوان.

الآخذون عنه: منهم سيدي أحمد حجي كما في فهرسة الشيخ الإمام سيدي جعفر بن إدريس الكتاني المعنونة بإعلام الأئمة الأعلام وأساتيدها، بما لنا من المرويات وأسانيدها.

وفاته: توفى على ما في اللوح المذكور أواخر الحجة سنة إحدى وستين وألف.

٤٠٤ - عبد الله بن السلطان محمد الحاج الدلائي رحمه الله.

حاله: إمام فقيه علامة مدرس، وقور حلیم، جواد فياض، سخي كريم، فارس شجاع، بطل مقدام، جميل الوجه والقول، حسن السيرة والفعل، ذو سميت حسن، وحال مستحسن، وفراصة صادقة، ومؤانسة راقية، ومعاشرة فائقة، من لدن صغره إلى كبره، وحصل من العلوم، ما يكل عنه راقم الرقوم، وله من مكارم الأخلاق، ما به كثيراً من أهل زمانه فاق، وطار صيته في الآفاق.

ولما قلده والده ولاية المغرب ولاء بسلا عاملاً فأقام بها مدة نائباً عنه في الأحكام، وفصل معضلات الخصام، وتصدر للتدريس، وتصدى للقول بالحق والعمل النقيس.

وكان مواخيا له بها ومصاحبها، ومواليا له أيامها ومعه كاتبها، الفقيه الأجل، البركة الأفضل، أبو مروان عبد الملك التجموعتى، ثم نقله والده لمكناسة الزيتون وولاه بها مدة، وكان ينوب عنه تارة فى الحروب وتارة فى غيرها من ولايات الأحكام، وكان قد نزل على فاس بأمر والده حين تحالف أهلها مع الدریدی، وخالفوا على والده فحاصرها مدة من الأيام وأقلع عنها.

وخرج فيمن خرج من الزاوية مع والده عند الوقعة العظمى بها عليهم، وسار فيمن سار معهما لتلمسان، وأقام بها إلى أن توفى والده، فذهب للمشرق بقصد حج بيت الله الحرام، وزيارة قبر نبيه عليه الصلاة والسلام.

فلما قضى نسكه وطاف وزار، بقى فى المشرق نحواً من عامين اثنين، وانقلب راجعا عام خمسة وثمانين وألف فى جملة من أتى معه مسافرا من المشرق، فلما قربوا من الجزائر أُخْبِرُوا بثورة أهل تلمسان على الترك الذين بها، ولما وصلوا للجزائر وجدوا جيوش الترك خارجة منها قاصدة لقتال أهل تلمسان فخرجوا معهم من الجزائر، وأقاموا فى أثناء الطريق، وتأخروا عن القدوم مع المحلة بعد أن أوصى المترجم رئيس المحلة باحترام أولاده الذين بالعباد، وأخبره بخبرهم فأنعم له بذلك.

وبعد أن هدأت أصوات تلك الفتنة وخمدت نارها وتبين ما آل إليه أمرها، توجه المترجم لتلمسان، فوجد إخوانه أهل الزاوية الذين كانوا بالعباد قد رجعوا لفاس، ولم يبق أحد منهم يراعيه إلا ولده أبو العباس أحمد، فاستقرا بالعباد، بما لهما من الأهل والأولاد، إلى أن لى المترجم داعى مولاه، وانتقل لما اختير له رحمه الله.

مشيخته: أخذ عن والده وجماعة من جلة فحول زاويتهم الدلائية.

الآخذون عنه: منهم ولده أبو العباس أحمد وجماعة.

وفاته: توفى بتلمسان أواخر سنة ستة وثمانين، أو أوائل سبعة وثمانين
وآلف، ودفن بالعباد، ورثاه ولده المذكور بقصيدة طنانة رنانة اشتملت على اثنين
وخمسين بيتا يقول فى أولها:

يَسْأَلُنِي عَنْ مَوْحَشِي وَأَسْأَلُهُ أَلَا هَلْ فَتَى مِثْلِي كَثِيبٌ أُرَاسِلُهُ
وَأَشْكُو لَهُ قَلْبًا دَهْتَهُ بِلَابِلِهِ يَطَارِحُنِي أَحْزَانُهُ وَهَمُومُهُ
وَيَخْمَدُ وَجَدًا لَيْسَ تَخْبُو مِشَاعِلُهُ لَعَلَّ التَّأْسَى يَعْقِبُ الْقَلْبَ سَلْوَةَ
بِيَاظُنِ أَحْشَاءِ الْحَزِينِ دَوَاخِلِهِ وَيَطْفِي بِفَيْضِ الدَّمْعِ حَزْنَا تَغْلَغَلْتُ
ومنها:

فِيَا صَاحِبِي إِنْ كَانَتْ لِي خَيْرٌ صَاحِبٌ فَمَا سَاعِدُ بِجَفْنٍ لَيْسَ يَرِقُّ هَامِلُهُ
عَلَى مَنْ شَجَا الْمَجْدَ الصَّرِيحَ مِصَابِهِ وَأَضْحَتْ عَلَيَّ رَغْمَ خِلَاءِ مَنَازِلِهِ
هَمَامٌ حَوَى الْمَجْدَ الْمُؤْتَلَّ يَافِعَا كَمَا حَازَهُ مِنْ قَبْلِ ذَاكَ أَوَائِلُهُ
قَضَى مِنْ طَلَابِ الْعِزِّ أَقْصَى مَرَادِهِ وَلَوْ عَاشَ مَا أَعْيَاهُ أَمْرٌ يَحَاوِلُهُ
لَهْفَى عَلَى مَوْتِ الْمَكَارِمِ وَالْعَلَا بِمَوْتِ كَرِيمٍ يَخْجَلُ السَّحْبَ نَائِلُهُ
وهي مذكورة بتمامها فى البدور الضاوية.

٤٠٥ - عبد الله بن المجدوب القصرى العبدري.

حاله: ولى صالح، دال على الله تعالى ناصح، ذو سر لائح، وبرهان
واضح، متبرك به حيا وميتا، رحل إلى حج بيت الله الحرام، وفاز بنيل البغية
والمرام، وقفت على رسم إراثته بتاريخ رابع جمادى الأولى عام سبعة وتسعين
ومائة وآلف بخطاب الشريف مولاي أحمد بن على الحسنى المترجم فيما مر.

وقبر المترجم من المزارات المكناسية المقصودة للزيارة وحصول بركة الاعتبار، عليه بناء حافل، وبازائه مسجد تقام فيه الخمس، وأشار لذكره المففى الوقاد، فى هداية السائل المطبوع بمصر سنة ست عشرة وثلاثمائة وألف.

وضريح المترجم من أشهر الأضرحة بمكناس بالمحل المعروف بالكدية، لم يتزوج قط، ورثه بعد وفاته شقيقة أبو فارس عبد العزيز، ثم وفى وأحاط بإرثه ولده عبد الله دعى عب الذى من أحفاده الآن، سى جده عبد العزيز وعبد الواحد، ووالد أخيهما السيد محمد بن سمية المدعو البنضاضى، وولد أخيهما إدريس، السيد محمد وشقيقة العلمى حسبما ذلك مثبت عندهم بإراثات وظواهر سلطانية، وقع الوقوف عليها، حين منازعة أبناء عمهم لهم فى فتوحات ضريح صنو جدهم المترجم هـ من خط بعض شيوخنا الأثبات.

مشيخته: أخذ عن الشريف مولاي الرضى اليملاحي الوازانى، وأخيه مولاي المكى دفين رباط الفتح المتوفى فى تاسع رمضان سنة إحدى عشرة مائة وخمسين، عن والدهما سيدى محمد، عن والده مولاي عبد الله الشريف، عن سيدى على بن أحمد الأنجورى، عن سيدى عيسى المصباحى.

الأخذون عنه: أخذ عنه أبو العباس أحمد التواتى فى جماعة.

٤٠٦ - عبد الله بن محمد سمية بن الخياط بن محمد فتحنا بن أحمد بن

إبراهيم العطار الزرهونى الورى القليعى منشأ عرف بالخياط.

حاله: علامة مشارك، متفنن نقاد خبير، دراية فهامة، مدرس نفاع، فقيه نوازلى، انتهت إليه رئاسة التدريس والنوازل بالزاوية الإدريسية من جبل زرهون، إليه كان المرجع فى كشف عويصات المسائل العلمية هنالك، وكان يخبر عن نفسه أنه كان يحسن أربعاً وعشرين علماً.

ومن فوائده ما وجد بخطه على هوامش أواخر نسخته من شرح شيخه التسولى على التحفة ونصه: عَابَاً^(١) كاتبه عبد الله الخياط سمح الله له بفضله، جملة من أحبته الطلبة وفق الله الكل بمنه، فى مسأله الخشى يولد له من ظهره ومن بطنه معاً، على ما لحافظ المذهب ابن رشد فى مقدماته، وما للشيخ خليل فى توضيحه، وهو ما نقله شيخنا الشارح رحمه الله، بقوله:

أحاجى ذوى الحجج مفديهم بما لدى شرعنا نصا لذى العلم والحسب
وذاك أمرؤ يعزى له ابنان وهو أب وأم ووزع وأنف بينهما النسب
له إرثه من كل كالعكس ثم لا توارث بين ذين للفقْد للنسب
وأجاب نيابة عنهم بقوله أيضا:
لك الله أيها المفدى لكلنا بأنفسنا والأهل والأم ثم الأب
تعأى بما لنجل رشد وخلصنا بختى له الولادتان ولا عجب
فله أبدا ما يشاء لملكه فسبحانه من واهب يا أبا الأديب

ومعنى قولنا ووزع أن تجعله أباً لهذا الولد وأما للآخر هـ.

مشيخته: أخذ عن الشيخ بدر الدين الحمومى، وأبى الحسن على التسولى وغيرها.

الأخذون عنه: منهم الشريف سيدى الفضل الشيبهى إمام الضريح الإدريسي وخطيبه، والشريف مولاي الحسن بن الشريف العلوى فى جماعة من الأعلام.

وفاته: توفى بالوباء بمدشر موساوة أحد مداشر زرهون، عام خمسة وتسعين ومائتين وألف، ودفن بضريح سيدى عدو خارج الزاوية الإدريسية رحمه الله.

(١) عَابَاً فلان: أتى بكلام أو أمر لا يُهتدى لوجهه. وصاحبه: ألقى عليه كلاماً لا يُهتدى لوجهه.

٤٠٧ - عبد الله بن العرفاوى الخيارى المكناسى.

حاله: فقيه أديب، له مشاركة فى فنون، مدرس موجود، شاعر مفلق، انتدبه بعض الفاسيين لإقراء أبنائه القرآن العظيم، فأسعف رغبته وانتقل معه لفاس، وأخذ عن جهابذتها النقاد، حتى انفتح له باب تحصيل العلوم العقلية والنقلية، وبرع وتصدر للإفادة فى القرويين وغيرها، ثم رشح من انتدبه لإقراء أولاده لوظيف بثغر طنجة، فرحل فى معيته وأقبل على بث العلم ونشره، وتعاطى خطة الإسهاد، فكان من المبرزين بطنجة، لقيته بها عند وجهتى لأداء فريضة الحج عام واحد وثلاثين وثلاثمائة وألف ناشراً للعلم مفيداً، وطالعا فى سماء النجابة والنزاهة بَدراً سعيداً، ولم يزل جميل السيرة، محمود السريرة، إلى أن لبي داعى مولاه.

مشيخته: أخذ عن السيد فضول السوسى، والسيد فضول بن عزوز والسيد محمد القصرى، والسيد محمد بن عبد السلام الطاهرى، والسيد محمد بن الحسين العرائشى، والسيد أحمد بن الخياط الزكارى، والسيد أحمد بن الجيلانى الفيلالى، والسيد الفاطمى الشرادى، والشريف مولاي أحمد البلغيشى، وأبى محمد عبد السلام الهوارى المتوفى سنة ثمانية وعشرين وثلاثمائة وألف، والحاج محمد فتحا جنون يدعى جنيون مصغرا المتوفى عشية يوم الجمعة ثامن عشرى شعبان عام ستة وعشرين وثلاثمائة وألف وغيرهم من الأعلام.

شعره: من ذلك قوله مجيباً صاحبنا الفقيه العلامة الأديب السيد محمد فتحا ابن عبد الكبير بن الحاج السلمى الفاسى:

وافى كتابكم السعيد موشحا	بفرائد المكتوب والنفحات
أبذرت فى قلبى الكتيب حروفه	وسقيتها بفرات ما العطفات
طابت محبته بشمس وداكم	ولو أنها زرعت بأرض موات

عجل لقطف ثمارها بوصالكم
فعلى محمد الأديب تحية
وقوله مجيبا المذكور أيضا:

قريبا يجود الإله بجم
فانار بعادكم أحرق
وجسمى بمكناسة قاطن
يحن إلى فاضل ماجد
فيارب جمعًا به فعسى
فمن بوصل بعيد انفصا
عليه صلاة الإله الذى
عنا بكم فى قريب قريب
فؤاد لمحّب الكئيب الكئيب
وقلبى بفاس نحيب نحيب
حبيب نجيد أريب أريب
ليلا أموت غريبا غريب
ل بجاه النبى الحبيب الحبيب
علينا عتيد رقيب رقيب

وفاته: توفى بطنجة فى شعبان عام تسعة وثلاثين وثلاثمائة وألف.

٤٠٨ - عيد المدعو المظلوم.

دفين عاصمتنا المكناسية، ولا تعرف له ترجمة فيما أعلم، ويحكى أنه كان
وشى به بعض الجهلة لسلطان وقته فأمر بضرب عنقه، فصار رأسه بعد انفصاله عن
جسده ينادى: عيد المظلوم، والله أعلم.

٤٠٩ - عبد الحق قاضيها أبو محمد بن سعيد بن محمد المكناسي.

حاله: من أهل المعرفة والحصافة^(١)، قائم على كتاب ابن الحاجب فى

٤٠٩ - من مصادر ترجمته: نفع الطيب ٣٥٠/٥.

(١) فى هامش المطبوع: «مصدر حصف ككرم واستحکم عقله فهو حصيف محكم العقل

والحصافة ثخانة العقل وجودة الرأى»

مذهب مالك، ممتاز به فيما دون تلمسان، كما لابن غازي والمقري في النفع نقلا عن نفاضة الجراب لابن الخطيب وتصدر للإقراء والتقييد فما شئت من اضطلاع ومعرفة واطلاع، وبث العلم ونشره، فأفاد وأجاد، وهو من جملة مشايخ مكناسة الذين لقيهم ابن الخطيب السلماني.

مشيخته: أخذ عن الأخوين أبي موسى وأبي زيد ابني الإمام رحمهما الله.

الأخذون عنه: منهم أبو العباس ابن القاضي صاحب جذوة الاقتباس وناهيك به قال: قرأت عليه الخارمة، على الرسالة الحاكمة، وأذن لي في تحمله، وأخذ عنه صاحب نيل الابتهاج كما قال ذلك عن نفسه في الكتاب المذكور، ولسان الدين ابن الخطيب كما في نفع الطيب.

مؤلفاته: منها جزء نبيل على فتوى أبي بكر بن العربي المسماة بالحكمة، سماه الخارمة.

وفاته: توفي بعد نيف وستين وسبعمائة.

٤١٠ - عبد الحق الزرهوني.

دفن جبل زرهون، وهو المعروف اليوم لديهم بسيدى بوحبق شهير الضريح بحومة خبير، من الزاوية الإدريسية والله أعلم.

حاله: شيخ جليل، محب صادق ملهم، ذو فكر ثابت، وشوق إلى الله دائم، عظيم الإفادة بالهمة والحال، متمكن مخلص، ذو قدم ثابت، ودين متين، كثير الاتهام لنفسه، من الأولياء الأكابر الصالحين القادة الأمثال، تعرض لذكره أبو العباس أحمد بن عبد القادر التستائوي في يائته التي توسل فيها إلى الله بأهل الله إذ قال فيها:

وإن جئت عبد الحق فاجنح لبابه بزرهون قد أمسى عن الشر نائيا

وذكر فى شرحه لها أنه معروف بزrhون من الأكابر، وأنه دفن بحمام الحرة من مكناسة الزيتون لفظه .

قلت: الذى فى ممتع الأسماع وهو الأصل الذى اعتمد التستاوى فى نظمه المذكور كما أفصح هو بذلك عن نفسه، أن المترجم وهو عبد الحق الزليجى دفن بجبل زrhون، ومثله فى ابتهاج القلوب فى ترجمة المترجم، وهو الصحيح والله أعلم .

مشيخته: أخذ عن أبى العباس أحمد زروق، وأبى العباس أحمد الحارثى، واختص بالشيخ أبى عبد الله الصغير السهلئ المتوفى سنة ثمان عشرة وتسعمائة، وهو أخذ عن الشيخ الجزولئ .

الأخذون عنه: منهم الشيخ عبد الرحمن بن عياد المجذوب .

ولادته: ولد بزrhون فى العشرة الثامنة من القرن التاسع .

وفاته: توفى سنة إحدى وأربعين وتسعمائة، ودفن بجبل زrhون رضى الله عنه، كذا فى ابتهاج القلوب .

٤١١ - عبد الحق أبو محمد السحيمئ .

حاله: قال فى حقه صاحب الدر المتخب ما نصه: الكاتب، الذى حمئ حيد بدور أفكاره، وطار طير البيان من أوكاره، خاتمة أهل الأدب، وسراج من تأدب وتهذب، هـ .

وبالجملة فقد كان صدر حملة الأقلام، وواسطة عقد البلغاء الأعلام، ناظما ناثرا، محنكا خبيرا ماهرا، إذا نظم سحر الألباب، وإذا نثر أتى بآيات إعجاز وإعجاب .

شعره: من ذلك قوله مادحا مخدومه السلطان الأعظم سيدنا الجدد مولانا

إسماعيل:

ومن دونهم بدر الأسنة يلمع
فبات زئير الأسد فى الحى يسمع
لهم فيه عن ضوء الكواكب مقنع
وهل فى أسود الغاب للناس مطمع
نساء أم الغزلان فى الخدر رتع
وإن الشموس فى الهوادج تسطع
ظلوم غشوم بالدماء مدرع
أشارت لليت فى الحديد مقنع
وفيهم جبان بالنزال يروع
تراقبها عينى من أين تطلع
وليس لها عند الجوانب موقع
وفيه كناس للطباء ومرتع
رجوع وهل عصر الشبية يرجع
له فى الحشا عندى شفيع مشفع
نوازع آمالى إليهن نزع
ولست أرى عهد الكرام يضيع
ويا بنت من يدرى العفاة وينفع

أمن أرضهم ربح الصبا تتضوع
وفى حيههم نار الهياج عشية
إذا ارتحلوا ليلا فضوء رماحهم
وبين أسود الغاب بيض أوانس
وعيشك ما أدرى وأين خيامهم
وما أنكرت عينى من الحسن ما رأت
وتحت رماح القوم كل مدجج
إذا نظرت عينى غزالا مبرقعا
وما ضربوا حمر القباب عليهم
وفى البلدة الحمراء شمس منيرة
لها فى سواد القلب أشرف موضع
فله ما حملت قلبى من الهوى
ألم يأن للحى الذين ترحلوا
سقى الله أرضا حلها نور شمسه
ولا روع الرحمن سرب عقائل
لهن عهد لا تضيع حقوقها
فيا أخت حامى الحى يوم نزالهم

ودادى محفوظ على عهده
رعى الله أيام الشباب فإنها
وحى القصور الخضر صوب غمام
قصور بها المنصور يحمى حقائقا
يجهز إسماعيل منها كتائب
فله منه النفس والحرب ترمى
وما افتر ثغر قبل تقبيل سيفه
وكم ليلة باتت بها الخيل عوما
وما سر منه النفس غير سريرة
ولم تك أوقات الرخا تستفزه
فله ما ضمت ثياب أبى الفدا
يياشر فى كل الأمور أموره
أعز الإله الدين بابن نبيه
فيا ابن الألى سارت بمدح جدودهم
الستم سراة المسلمين وأسرة
إذا أطعموا يوم الوليمة أشبعوا
الستم شموسا فى الورى ووجودكم
إذا سدتم الأملاك شرقا ومغربا
وإن كان فيهم للخلافة رينة
بقيت لهذا الدين تعالى مناره

لديكم أم الود الصميم مضيع
مواسم فيها للنفوس تمتع
مباركة تهى عليها وتهمع
من الدين فيها الخير للخلق أجمع
تكاد قلوب الشرك منها تصدع
بموج المنايا والأسنة شرع
ولله سر فى الخلائق مودع
بحورا من الظلماء والناس هجع
يخب إلى الأعداء فيها ويربع
ولا كان يوما فى الشدائد يضرع
من المجد والتقوى وما هو يصنع
بقلب نقى للمكارم منبع
وما أن يعز الدين الاسميدع
رفاق لها بين السباب مهيع
محبتهم يوم القيامة تنفع
وإن طعنوا يوم الكريهة أوقعوا
أمان لهم من كل ما يتوقع
فما سادهم إلا النبال الموقع
فمنصبكم فيها أجل وأرفع
وقدرك من بين الملوك مرفع

وقوله وقد أمر السلطان المذكور كتابه بوصف قضية حال قصها عليهم،
ومراده اختبار قرائحهم، وذلك أنه كان يوما مع بعض جواريه وقد حملت سيفا
وسارت أمامه:

حملت سيوف الهند وهي غنيمة عن حملها بلوا-حظ الأجفان
حسب الفتاة جلاله ومهابة عز الجمال مهابة السلطان

- ٥ / ١ مقدمة هذه الطبعة
- ١٥ / ١ تصدير تواريخ المغرب
- ٢٥ / ١ مقدمة المؤلف
- ٣١ / ١ المقدمة فى علم التاريخ ومبادئه
- المطلب الأول فى مكناسة والقبيلة المؤسسة لها والبعد بينها وبين
- ٤٤ / ١ فاس وغير ذلك من الفوائد
- فصل: وفيه الكلام على تازجا وقصر فرعون وخيبر وجبل زرهون
والزاوية الإدريسية والفروق التى بين هذه المسميات وغير
- ٥١ / ١ ذلك من الفوائد والاستطرادات كتعريف المجوسية والنصرانية
- فصل: وفيه الكلام على تاورا وأبى العمائر والعيون التى خارجه
- ٧٧ / ١ وعين تاكما
- ٨١ / ١ فصل: وفيه الكلام على قرية الأندلس وتلاجدوت
- فصل: وفيه الكلام على تاورا وحوائرها وفواكهها وسكانها
- ٨٣ / ١ وبساتينها
- فصل: وفيه الكلام على البربر وجبل درن وذى القرنين والدفاع
عن البربر مما رموا به وذكر بعض مفاخرهم وما ورد فى
- ٨٩ / ١ فضل إفريقية
- فصل: وفيه الكلام على ورزيغة والروم على اختلافهم وبحث فى
- ١٠٥ / ١ الأسد والفهد والنمر
- فصل: وفيه الكلام على قصر ترزجين وتاجرات وبرج ليلة وسوق
الغبار وقبور الشهداء وبحث يتعلق بمهدى الموحدين
- ١١٣ / ١ فصل: وفيه الكلام على جامع مكناس الأكبر بأبوابه وذخائره
التوقيتية وصفوفه وصومعته وخزائنه ومجلس القراء

الأسبوعى وبحث فى الوطاسيين والتعريف بالصاعقة ثم
الكلام على مساجد مكناس والمعد منها للخطبة وصوامعها
وسقاياتها

١٢٣/١

فصل: فى حماماتها ودورها ودكاكينها وحرماتها وأرحاء مائها
وأفرانها وعدد سكانها

١٣٩/١

فصل: فى بناء قسبة مكناسة ومدرستها وزاويتها وما شيده أو
أسسه أو جده الملوك العلويون بها إلى الآن من قسبات
وأبواب وقناطر وأضرحة ومساجد وقصور وأجنة وبساتين
ومدارس ومكاتب وغير ذلك من الآثار ثم ذكر أبوابها من
عهد ابن غازى إلى الآن

١٤٢/١

المطلب الثانى: فى وصفها شعرا ونثرا بأقلام المتقدمين والمتأخرين

٢٧٤/١

المطلب الثالث: فى تراجم السلاطين والأمراء والأعيان والعلماء

٣١٠/١

(حرف الألف)

رقم الترجمة

٣١٠/١

١ - إبراهيم بن يحيى بن أبى حفاظ.

٣١٠/١

٢ - إبراهيم بن موسى المصمودى.

٣١١/١

٣ - إبراهيم بن عبد الكريم.

٣١١/١

٤ - إبراهيم بن أبى الفضل الحجرى.

٣١٢/١

٥ - إبراهيم بن عبد القادر الزرهونى.

٣١٢/١

٦ - إبراهيم بن عبد العزيز الخياطى.

٣١٣/١

٧ - إبراهيم بن القائد الطيب.

٣١٣/١

٨ - مولاي أحمد الذهبى السلطان.

- علاقته السياسة
- ٣٤٤/١
- ٣٤٦/١ ٩ - أحمد بن محمد بن حماد بن محمد بن زغبوش .
- ٣٤٦/١ ١٠ - أحمد بن عبد القادر زغبوش .
- ٣٤٧/١ ١١ - أحمد بن عميرة المخزومي .
- ٣٥٣/١ ١٢ - أحمد بن علي الزرهوني .
- ٣٥٤/١ ١٣ - أحمد بن محمد البكري .
- ٣٥٤/١ ١٤ - أحمد الشبلي .
- ٣٥٥/١ ١٥ - أحمد بن عبد الرحمن اليقرني .
- ٣٥٥/١ ١٦ - أحمد بن العربي الغمّاري .
- ٣٥٦/١ ١٧ - أحمد بن عاشر .
- ٣٦٣/١ ١٨ - أحمد بن عبد المنان .
- ٣٦٦/١ ١٩ - أحمد بن سعيد الحباك .
- ٣٦٨/١ ٢٠ - أحمد بن سعيد المكناسي يكنى أبا العباس .
- ٣٦٨/١ ٢١ - أحمد بن محمد الحباك المكناسي .
- ٣٦٩/١ ٢٢ - أحمد بن محمد بن غازي .
- ٣٧٠/١ ٢٣ - أحمد الشبيه .
- ٣٧١/١ ٢٤ - أحمد بن بن ميمون المسطاسي .
- ٣٧١/١ ٢٥ - أحمد بن أحمد بن أبي العافية .
- ٣٧٢/١ ٢٦ - أحمد بن علي المنجور .
- ٣٧٥/١ ٢٧ - أحمد بن عمر الحارثي السفيناني .
- ٣٧٦/١ ٢٨ - أحمد بن إبراهيم الجنان .
- ٣٧٩/١ ٢٩ - أحمد بن سعيد المجلدي .

- ٣٠- أحمد الغماز . ٣٨٠ / ١
- ٣١- أحمد بن عمر الحصيني . ٣٨٠ / ١
- ٣٢- أحمد الزناتي الشهير بابن القاضي . ٣٨١ / ١
- ٣٣- أحمد بن بلعيد بن خضراء . ٣٨٤ / ١
- ٣٤- أحمد بن عبد القادر التاستاوتي . ٣٨٤ / ١
- ٣٥- أحمد الخضر زغبوش . ٣٩٠ / ١
- ٣٦- أحمد بن محمد بصري . ٣٩٢ / ١
- ٣٧- أحمد بن ناجي القاضي . ٣٩٢ / ١
- ٣٨- أحمد بن محمد العربي الغماري . ٣٩٤ / ١
- ٣٩- أحمد بن يعقوب الولايتي . ٣٩٥ / ١
- ٤٠- أحمد بن أبي يعزى . ٣٩٦ / ١
- ٤١- أحمد الصيقل . ٣٩٦ / ١
- ٤٢- أحمد الشدادى . ٣٩٦ / ١
- ٤٣- أحمد بن عزو . ٣٩٨ / ١
- ٤٤- أحمد الخزميري . ٣٩٨ / ١
- ٤٥- أحمد بن سعيد السوسى . ٣٩٨ / ١
- ٤٦- أحمد بن مومو . ٣٩٨ / ١
- ٤٧- أحمد بن مسطار . ٣٩٨ / ١
- ٤٨- أحمد بن عبد الرحمن زغبوش . ٣٩٨ / ١
- ٤٩- أحمد بن العباس . ٣٩٩ / ١
- ٥٠- أحمد بن عبد القادر . ٣٩٩ / ١
- ٥١- أحمد بن مغيث . ٣٩٩ / ١

- ٣٩٩/١ - ٥٢ - أحمد بن سعيد العميرى .
- ٤٠٠/١ - ٥٣ - أحمد بن عبد الرحمن المجاصى .
- ٤٠٠/١ - ٥٤ - أحمد بن عبد الملك البوعصامى .
- ٤٠١/١ - ٥٥ - أحمد بن على العلوى .
- ٤٠١/١ - ٥٦ - أحمد بن أحمد الحكيمى .
- ٤٠٥/١ - ٥٧ - أحمد العمرانى .
- ٤٠٥/١ - ٥٨ - أحمد المكناسى .
- ٤٠٥/١ - ٥٩ - أحمد بن عبد المالك العلوى .
- ٤٠٩/١ - ٦٠ - أحمد بن عثمان المكناسى .
- ٤١٧/١ - ٦١ - أحمد بن على العلوى .
- ٤١٧/١ - ٦٢ - أحمد بن عزوز .
- ٤١٧/١ - ٦٣ - أحمد بن محمد المزيان .
- ٤١٩/١ - ٦٤ - أحمد بن الطيب بصرى .
- ٤١٩/١ - ٦٥ - أحمد بن على السوسى .
- ٤٢٠/١ - ٦٦ - أحمد بن عبد الله بن محمد الناصرى .
- ٤٢٠/١ - ٦٧ - أحمد بن عبد الله الناصرى المقرئ .
- ٤٢١/١ - ٦٨ - أحمد بن محمد الجلبى .
- ٤٢٢/١ - ٦٩ - أحمد بن على الحسينى العلوى .
- ٤٢٤/١ - ٧٠ - أحمد بن مبارك .
- ٤٢٦/١ - ٧١ - أحمد بن الطاهر بادو .
- ٤٢٧/١ - ٧٢ - أحمد بن عمر بن العربى .
- ٤٣٠/١ - ٧٣ - أحمد بن موسى ، وفيها من الاستطرادات :

- ٤٣٠ / ١ إسقاطه وزارة الجامعيين وسبب ذلك .
- ٤٣٦ / ١ وزارته وصدارته العظمى .
- ٤٣٨ / ١ بعث السفارات لأوروبا .
- ٤٤٨ / ١ ثورة الرحمان بزعامة مبارك بن سليمان .
- ٤٥٤ / ١ عبقريته السياسية .
- ٤٥٤ / ١ أمانته .
- ٤٥٦ / ١ متخلفه وما وقع فيه .
- ٤٥٨ / ١ بعث السفارات لأوروبا ونتائج ذلك .
- ٤٦٥ / ١ ثورة أبي حمارة .
- ٤٨٠ / ١ ثورة الريسولى .
- ٤٨٢ / ١ مقتل موشان واحتلال وجدة .
- ٤٨٧ / ١ احتلال الدار البيضاء .
- ٥١٨ / ١ البيعة الحفيظية .
- ٥٢٦ / ١ ٧٤ - أحمد بن عبد القادر العرائشى .
- ٥٢٧ / ١ ٧٥ - أحمد بن سودة القاضى .
- ٥٣٤ / ١ ٧٦ - أحمد بن إدريس الخطابى .
- ٥٣٥ / ١ ٧٧ - أحمد بن الفاطمى الإدريسى .
- ٥٣٦ / ١ ٧٨ - أحمد بن محمد بن عزوز .
- ٥٣٦ / ١ ٧٩ - أحمد بن مبارك بن عبد الله السجلماسى .
- ٥٣٧ / ١ ٨٠ - أحمد بن رحال البخارى .
- ٥٣٨ / ١ ٨١ - أحمد بن محمد بن المأمون .
- ٥٣٨ / ١ ٨٢ - أحمد الطهّارى .

- ٥٣٩/١ - ٨٣ - أحمد بن القائد محمد الشاذلي .
- ٥٣٩/١ - ٨٤ - أحمد بن العالم القادري .
- ٥٤٠/١ - ٨٥ - أحمد بن الصديق التواتي .
- ٥٤١/١ - ٨٦ - أحمد بن العربي الأمراني .
- ١١/٢ - ٨٧ - إدريس الأكبر بن عبد الله الكامل .
- بحث في أول من ضرب السكة قبل الإسلام وبعده
وأول من ضرب السكة المركنة
- ١٩/٢ - ٨٨ - إدريس المعروف بإدريس الأنور .
- ٢٧/٢ - ٨٩ - إدريس بن السلطان سليمان .
- ٣٠/٢ - ٩٠ - إدريس بن التهامي أجانا .
- ٣٢/٢ - ٩١ - إدريس بن الطيب منون .
- ٣٥/٢ - ٩٢ - إدريس بن الطيب بوعشرين .
- ٣٦/٢ - ٩٣ - إدريس بن أحمد بن مسامح .
- ٣٩/٢ - ٩٤ - إدريس بن أحمد الخطابي .
- ٣٩/٢ - ٩٥ - إدريس بن أحمد البخاري .
- ٣٩/٢ - ٩٦ - إدريس بن المكي البخاري .
- ٤٠/٢ - ٩٧ - إدريس بن حفيد برادة .
- ٤١/٢ - ٩٨ - إدريس بن القائد محمد الفيضي .
- ٤١/٢ - ٩٩ - إدريس بن يزيد المقرئ .
- ٤٢/٢ - ١٠٠ - إدريس بن إدريس الوزير الأديب .
- ٥٢/٢ - ١٠١ - إدريس بن بوعزة الميسوري .
- ٥٣/٢ - ١٠٢ - إدريس الأمراني .

- ٦٢/٢ ١٠٣- الأمين العطار .
٦٣/٢ ١٠٤- إسماعيل الحسنى السلطان .
٩٠/٢ وفى الترجمة استطراد فى تاريخ المهديّة
٩١/٢ والعرايش
٩١/٢ وأصيلة
٩٢/٢ ووطنجة
٩٥/٢ ١٠٥- أيوبس المفتى .

(حرف الباء)

- ٩٧/٢ ١٠٦- بوسلهام بن المؤذن الخلطى .
٩٨/٢ ١٠٧- بوعزة بن العربى الفشار .
١٠٠/١ ١٠٨- بلقاسم بصرى .
١٠١/٢ ١٠٩- بوبكر المراكشى المفتى .

(حرف التاء)

- ١٠٣/٢ ١١٠- التهامى بن عبد العزيز المرى .
١٠٣/٢ ١١١- التهامى الغيائى .
١٠٣/٢ ١١٢- التهامى الحمادى المطيرى .
١١٧/٢ ١١٣- التهامى بن المهدي المزوار .
١٣٢/٢ ١١٤- التهامى بن الطيب أمغار .
١٣٣/٢ ١١٥- التهامى أجانا .
١٣٣/٢ ١١٦- التهامى البورى .
١٣٤/٢ ١١٧- التهامى بن الحداد .

(حرف الجيم)

- ١٣٧/٢ - ١١٨ - الجيلاني بن الهاشمي .
 ١٣٧/٢ - ١١٩ - الجيلاني بن حم البخاري .
 ١٣٨/٢ - ١٢٠ - الجيلاني المدعو القصعة البخاري .
 ١٣٩/٢ - ١٢١ - الجيلاني بن عزوز الرحالي .
 ١٤١/٢ - ١٢٢ - الجيلاني بن الباشا حم بن الجيلاني البخاري .

(حرف الحاء)

- ١٤٥/٢ - ١٢٣ - السلطان مولاى الحسن .

وفى ترجمته من المباحث والتراجم:

- ١٥٣/٢ - بيعته وحوادث سنة ١٢٩٠
 ١٦٢/٢ - كيف كان تأهبه للحركة
 ١٦٥/٢ - قضية ابن المدنى بنيس
 ١٧٧/٢ - ثورة المولى سليمان الكبير
 ١٨٤/٢ - حوادث سنة ١٢٩١ و ثورة دباغى فاس
 ١٨٥/٢ - ثورة بوعزى الهبرى
 ١٨٨/٢ - حوادث سنة ١٢٩٣
 ١٩١/٢ - واقعة غياثة وخروج السلطان لتازا ووجدة
 ١٩٣/٢ - القبض على ابن البشير
 ٢٠٠/٢ - حوادث سنة ١٢٩٤
 ٢٠٩/٢ - عمل المولد النبوى
 ٢١٤/٢ - حوادث سنة ١٢٩٥
 ٢٣٣/٢ - حوادث سنة ١٢٩٦

٢٣٥ / ٢	حوادث سنة ١٢٩٧
٢٣٦ / ٢	حوادث سنة ١٢٩٨
٢٤٧ / ٢	حوادث سنة ١٢٩٩ وحركة موسى الأولى
٢٥٩ / ٢	حوادث سنة ١٣٠٠ ونصيحته الدينية
٢٧٨ / ٢	حوادث سنة ١٣٠١ ومسألة ماء وادي فاس
٢٨٣ / ٢	حوادث سنة ١٣٠٢
٢٨٤ / ٢	حوادث سنة ١٣٠٣ وحركة سوس الثانية
٢٩١ / ٢	حوادث سنة ١٣٠٤
٢٩٢ / ٢	حوادث سنة ١٣٠٥ وحركة بني مجيلد
٢٩٨ / ٢	واقعة آيت شخمان
٣٠٢ / ٢	حكم البغاة المحاربين
٣٠٥ / ٢	حوادث ١٣٠٦ و ١٣٠٧ وحركة الريف وتطوان وطنجة
٣٠٨ / ٢	حوادث ١٣٠٨
٣١١ / ٢	حركة تافيلالت
٣٢٢ / ٢	عدد الحركات الحسنية
٣٢٤ / ٢	علائقة السياسية والسفارة الزييدية للدول الأربع الكلام على بقية علائقه السياسية:
٣٧٨ / ٢	مع فرنسا
٣٩٠ / ٢	مع إسبانيا
٤١٨ / ٢	مع إيطاليا
٤٢١ / ٢	مع إنجلترا:
٤٢٤ / ٢	مع ألمانيا:

٤٢٧/٢	مع الدولة العثمانية
٤٣١/٢	مع البرتغال
٤٣٣/٢	مع أمريكا والبلجيك
٤٣٤/٢	مع البابا
٤٣٥/٢	ذيل فى وثائق تتعلق بقضايا مع نواب تلك الدول
٤٧٩/٢	مؤتمر مدريد ووفقه
٥٠٦/٢	ضربه السكة الحسنية
٥٣٩/٢	اهتمامه بالمعادن وخوضه فيها
	سعيه لإدخال الفنون العصرية للمملكة المغربية وإرساله وفود
٥٤٣/٢	الطلبية للديار الأوربية
	قيامه بصيانة حصون الثغور المغربية وجلب ما تحتاج إليه من
	المقومات الحربية واستخدام المتخرجين فى الهندسة من البعثة
٥٤٩/٢	المغربية
	الكلام على بقية استعداداته الحربية وذكر قوته العسكرية
	واهتمامه بالاطلاع على المخترعات العصرية وما كان على
٥٦٩/٢	عهده بالعدائر والهوائى السلطانية
٥٨٤/٢	استعداده البحرى
	ضبط أوقاته وتقسيم أيامه وترتيب نظام مملكته وذكر رجال
٥٩٠/٢	دولته
٦٠٦/٢	كيفية ترتيب الملاقاة
٦٠٦/٢	كيفية تعمير المشور
٦٠٧/٢	الهيئة الرسمية وما تتألف منه
٦٠٨/٢	قواد الجيش العامل

- ٦٠٨/٢ قواد الحناطى البرانيين
- ٦٠٨/٢ قواد الحناطى الداخلىين
- ٦١١/٢ ركوب السلطان للألعاب الرياضية على الخيل بنفسه
- ٦١٢/٢ اللباس الرسمى
- ٦١٣/٢ كيفية إجراء الأحكام المخزنية بدار المخزن
- ٦١٣/٢ كيفية ورود سفراء الدول على السلطان
- ٦١٣/٢ كيفية دخول ممثلى الدول من السفر
- ٦١٤/٢ كيفية ملاقة الأجانب مع السلطان
- ٦١٤/٢ كيفية تقديم هديته للسلطان
- ٦١٥/٢ زيارة السلطان للأولياء
- ٦١٥/٢ حركة السلطان من بلد إلى أخرى
- ٦١٦/٢ كيفية نصب الافراك ومراكز المستخدمين والجيش
- ٦١٧/٢ كيفية خروج السلطان يوم السفر
- ٦١٧/٢ كيفية نهوض السلطان من المحلة
- ٦١٨/٢ كيفية مسير السلطان فى السفر
- ٦١٨/٢ كيفية دخول السلطان للمحلة
- ٦١٨/٢ خروجه للأحكام فى السفر
- ٦١٩/٢ كيفية تموين المحلة
- ٦٢٠/٢ كيفية تفريق المؤنة اليومية على المحلة
- ٦٢٠/٢ كيفية وصول الجناب السلطانى إلى المحل المقصود
- ٦٢٢/٢ العادة فى الولايم السلطانية
- ٦٢٢/٢ كيفية العقيقة
- ٦٢٣/٢ نزهة شعبانة

٦٢٣/٢	العادة في الجنائز
٦٢٣/٢	بيان تموين الدار العالية بمكناس مياومة ومشاهرة ومسانهة
٦٢٧/٢	مشيخته
٦٢٨/٢	بناءاته
٦٢٨/٢	ما خلفه من الأولاد
٦٣١/٢	الشريفات من نساته
٦٣١/٢	الحرائر منهن
٦٣١/٢	المطلقات منهن
٦٣١/٢	وفاته

٩/٣	١٢٤ - الحسن بن عثمان الوُشْرِيْسِي .
١٠/٣	١٢٥ - الحسن بن عطية .
١٢/٣	١٢٦ - الحسن بن محمد السهلى الشهير بأمكراز .
١٣/٣	١٢٧ - الحسن بن أحمد بن حرزوز .
١٥/٣	١٢٨ - حسن بن أحمد المكناسى .
١٥/٣	١٢٩ - الحسن بن رحال .
١٧/٣	١٣٠ - حمادى بن عبد الواحد الحمادى .
١٩/٣	١٣١ - الحسن بن مبارك السوسى .
٢٠/٣	١٣٢ - الحارث بن المفضل الحسناوى .
٢٠/٣	١٣٣ - الحسن بن المهدي العلوى .
٢٢/٣	١٣٤ - الحسين بن الحسن العلوى .
	(حرف الخاء)

٢٣/٣	١٣٥ - الخياط الزرهونى .
٢٥/٣	١٣٦ - الخياط الخياطى .

٢٥ / ٣

١٣٧ - خنائة بنت بكار.

٣٤ / ٣

١٣٨ - خليل الخالدي.

(حرف الدال)

٣٩ / ٣

١٣٩ - الديدز: المجذوب.

(حرف الراء)

٤١ / ٣

١٤٠ - رشيد بن الشريف السلطان.

٥٧ / ٣

استيلاؤه على الزاوية الدلائية

٧٤ / ٣

علاقته السياسية

٨٠ / ٣

بنيائه وآثاره

٨١ /

١٤١ - راشد بن منصة الأوربي.

٨٣ / ٣

١٤٢ - رحمة بنت الجنان.

٨٣ / ٣

١٤٣ - روان أبو الروائن.

(حرف الزاي)

٨٥ / ٣

١٤٤ - زيدان السلطان السعدي.

٨٨ / ٣

١٤٥ - زين العابدين بن المولى إسماعيل.

٩١ / ٣

١٤٦ - زكرياء الفران.

٩٥ / ٣

١٤٧ - زيدان بن المولى إسماعيل.

(حرف الطاء)

٩٩ / ٣

١٤٨ - الطيب بن الشاذلي الدلائية.

١٠٠ / ٣

١٤٩ - الطيب بن عبد الرحمن ابن القاضي.

١٠١ / ٣

١٥٠ - الطيب بن محمد بصري القاضي.

١٠١ / ٣

١٥١ - الطيب بصري المكناسي.

١٠٢ / ٣

١٥٢ - الطيب بن علي القادري.

- ١٥٣ - الطيب بن إبراهيم بسير . ١٠٤/٣
- ١٥٤ - الطيب بن أحمد غازي . ١١١/٣
- ١٥٥ - الطيب البيجري . ١١٤/٣
- ١٥٦ - الطيب الزكاري . ١١٤/٣
- ١٥٧ - الطيب الفيلاي . ١١٤/٣
- ١٥٨ - الطيب بن عبد الرحمن كدران . ١١٥/٣
- ١٥٩ - الطيب الحناش . ١١٥/٣
- ١٦٠ - الطيب بن عبد السلام الواستري . ١١٥/٣
- ١٦١ - الطيب بن عبد الرحمن زغبوش . ١١٨/٣
- ١٦٢ - الطيب بن محمد فتحا بن بصرى . ١١٩/٣
- ١٦٣ - الطيب بن اليماني بن أحمد بوعشرين . ١٢٠/٣
- ١٦٤ - الطيب بن إدريس بن الفضيل . ١٢٤/٣
- ١٦٥ - الطالب بن عبد الواحد البوعناني . ١٢٤/٣
- ١٦٦ - الطاهر بن عثمان المكناسي . ١٢٦/٣
- ١٦٧ - الطاهر بن محمد بن المكي . ١٢٦/٣
- ١٦٨ - الطاهر بن الحاج الهادي بن العناية . ١٢٧/٣
- ١٦٩ - الطاهر بن الهادي بن أحمد المجذوب . ١٤٣/٣
- ١٧٠ - الطيب بن العناية بنونة . ١٤٣/٣
- ١٧١ - الطيب بن عبد الله الإسماعيلي . ١٤٤/٣

(حرف الكاف)

- ١٧٢ - الكمال بن أبي زيد . ١٤٧/٣
- ١٧٣ - الكامل بن عبد الله بن الطاهر بن محمد . ١٤٨/٣

(حرف الميم)

- ١٥٥/٣ - ١٧٤ - مبارك بن سالم الشيطمي .
- ١٥٦/٣ - ١٧٥ - مبارك بن عبد الله الفيضي .
- ١٥٩/٣ - ١٧٦ - محمد بن الشريف العلوي السلطان .
- ١٦٦/٣ الكلام في الإمامة والخلافة
- ١٧١/٣ - ١٧٧ - محمد بن عربية السلطان .
- ١٧٩/٣ - ١٧٨ - محمد بن عبد الله السلطان .
- ١٧٩/٣ مولده وشيوخه وحجته
- ١٧٩/٣ صفته وحاله
- ١٨٤/٣ خلافته بمراكش
- ١٨٦/٣ بيعته، وبعض حوادث أيامه
- ١٩٣/٣ حوادث سنة ١١٧٣
- ١٩٣/٣ حوادث سنة ١١٧٤
- ١٩٦/٣ حوادث سنة ١١٧٥
- ١٩٧/٣ حوادث سنة ١١٧٦
- ١٩٧/٣ حوادث سنة ١١٧٧
- ١٩٨/٣ حوادث سنة ١١٧٨
- ١٩٩/٣ حوادث سنة ١١٧٩
- ٢٠٠/٣ حوادث سنة ١١٨٠
- ٢٠٠/٣ حوادث سنة ١١٨١
- ٢١٨/٣ محبته للعلم واعتناؤه بأهله
- اختياراته المذهبية وما رأى من المصلحة حمل القضاة والمدرسين
- ٢٢٤/٣ عليه

٢٥٣/٣	نصيحته للأمة
٢٦٣/٣	عطاياه وأحباسه
٢٧٩/٣	شعب الأدارسة
٢٩٣/٣	التراتب والمداخيل المالية في عهده
٢٩٨/٣	اهتمامه بالأساطيل البحرية
٣١٢/٣	علاقته السياسية مع فرنسا
٣٢٣/٣	مع السويد
٣٣٢/٣	مع الدنمرك
٣٣٩/٣	مع البرتغال
٣٤٩/٣	مع الدولة العثمانية
٣٦٠/٣	مع إسبانيا
٣٧٢/٣	مع مالطة
٣٧٦/٣	مع نابولي
٣٨٢/٣	فتوحاته
٣٨٢/٣	آثاره
٣٨٦/٣	سككه
٣٨٩/٣	قضاته
٣٩١/٣	وزراؤه
٣٩١/٣	كتابه
٣٩٢/٣	شعراؤه
٤٠١/٣	سفراؤه
٤٠٢/٣	عماله
٤٠٣/٣	نقباؤه على الأشرف

٤٠٦/٣	نظاره
٤١٤/٣	أولاده
٤١٣/٣	مؤلفاته
٤٢٠/٣	وفاته
٤٢٣/٣	١٧٩ - محمد بن عبد الرحمن السلطان .
٤٣٦/٣	بعض ما قام به من الأعمال
٤٦١/٣	حرب تطوان
٥٥٨/٣	علاقته السياسية مع الدولة الإسبانية
٥٩٨/٣	مع الدولة الفرنسية
٦١٣/٣	مع الدولة الأمريكية
٦١٥/٣	ذيول ذلك
٦٣٠/٣	حساب الموازنة والدفاتر المالية في عصره
٦٤١/٣	آثاره
٦٥٦/٣	كيف كان نهوض ركابه
٦٥٦/٣	وزراؤه
٦٥٧/٣	حاجبه وقائدو مشوره
٦٥٧/٣	كتابه
٦٥٧/٣	سفراؤه
٦٥٧/٣	خلفاؤه
٦٥٨/٣	نوابه بطنجة
٦٥٨/٣	قضاته
٦٥٨/٣	نظاره
٦٥٨/٣	محتسبوه

٦٥٨/٣	نقباؤه
٦٥٩/٣	عماله
٦٥٩/٣	قواده
٦٥٩/٣	أمنائه
٦٦٠/٣	أولاده
٦٦٢/٣	بعض ما قيل فيه من المديح
٦٦٥/٣	وفاته
٦٦٥/٣	١٨٠- محمد بن عيسى الصدفى .
٦٦٦/٣	١٨١- محمد بن حماد زغبوش .
٦٦٧/٣	١٨٢- محمد بن عبدون .
٦٦٨/٣	١٨٣- محمد بن أحمد بن أبى العافية .
٦٦٩/٣	١٨٤- محمد بن قاسم الملقى .
٦٦٩/٣	١٨٥- محمد بن ورياش .
٦٧٠/٣	١٨٦- محمد بن عبد الرحمن المعروف بابن الحداد .
٦٧١/٣	١٨٧- محمد بن أبى الفضل بن الصباغ .
٦٧٤/٣	١٨٨- محمد بن أحمد بن أبى عفيف .
٦٧٥/٣	١٨٩- محمد بن أحمد الحسنى .
٦٧٥/٣	١٩٠- محمد بن موسى العبدوسى .
٦٧٦/٣	١٩١- محمد بن عمر بن الفتوح التلمسانى .
٦٧٨/٣	١٩٢- محمد بن سعيد المكلاى .
٦٧٨/٣	١٩٣- محمد المكناسى .
٦٧٨/٣	١٩٤- محمد بن أبى غالب بن أحمد عرف بابن السكاك .
٦٨٠/٣	١٩٥- محمد بن أحمد بن عبد الرحمن اليفرنى .

- ١٩٦ - محمد بن يحيى بن جابر الغساني . ٦٨٠ / ٣
- ١٩٧ - محمد بن أحمد التلمساني شهر بالخباك . ٦٨٦ / ٣
- ١٩٨ - محمد بن قاسم بن محمد القورى . ٦٨٦ / ٣
- ١٩٩ - محمد القطراني . ٦٨٨ / ٣
- ٢٠٠ - محمد بن أبي البركات الحسنى . ٦٨٩ / ٣
- ٢٠١ - محمد بن سعيد القيجميسى . ٦٨٩ / ٣
- ٢٠٢ - محمد بن عيسى بن حرزوز . ٦٨٩ / ٣
- ٢٠٣ - محمد بن عبد العزيز المعروف بالحاج . ٦٨٩ / ٣
- ٢٠٤ - محمد بن على بن أبي رمانة . ٦٩٠ / ٣
- ٢٠٥ - محمد بن عبد الله بن محمد اليفرنى . ٦٩١ / ٣
- ٢٠٦ - محمد بن أحمد بن غازى العثماني . ٧ / ٤
- ٢٠٧ - محمد فتحا بن عيسى الفهدى السفيناني . ٢٠ / ٤
- ٢٠٨ - محمد بن مخلوف الضريسى المكناسى . ٣١ / ٤
- ٢٠٩ - محمد بن قاسم الكتانى الحسنى . ٣١ / ٤
- ٢١٠ - محمد بن أبي القاسم بن أبي العافية . ٣٢ / ٤
- ٢١١ - محمد بن محمد بن غازى الملقب غازى . ٣٤ / ٤
- ٢١٢ - محمد بن حسين العبدلى السهلى شهر بأبى الروائين . ٣٥ / ٤
- ٢١٣ - محمد بن قاسم بن أبي العافية الشهير بابن القاضى . ٣٩ / ٤
- ٢١٤ - محمد بن محمد بن أبي العافية الشهير بابن القاضى . ٣٩ / ٤
- ٢١٥ - محمد بن عبد الرحمن بن بصرى المعروف بسيدى بصرى . ٤٠ / ٤
- ٢١٦ - محمد بن فتحا بن أبي المحاسن . ٤٦ / ٤
- ٢١٧ - محمد فتحا بن محمد المدعو العشير . ٤٧ / ٤
- ٢١٨ - محمد الوقاد المكناسى . ٤٧ / ٤

- ٤٨/٤ - ٢١٩ - محمد بن أحمد التلمساني يعرف بابن الوقاد.
- ٥٠/٤ - ٢٢٠ - محمد بن قاسم الأنصاري الشهير بابن قاسم.
- ٥١/٤ - ٢٢١ - محمد بن محمد الغماري.
- ٥١/٤ - ٢٢٢ - محمد بن مبارك الزعري.
- ٥٢/٤ - ٢٢٣ - محمد السبع بن عبد الرحمن المجذوب.
- ٥٣/٤ - ٢٢٤ - محمد بن أبي القاسم بن أبي العافية الشهير بابن القاضي.
- ٥٣/٤ - ٢٢٥ - محمد بن أحمد بن عزون.
- ٥٣/٤ - ٢٢٦ - محمد بن أحمد بن عزوز.
- ٥٤/٤ - ٢٢٧ - محمد بن أحمد الصباغ البوعقيلي.
- ٥٥/٤ - ٢٢٨ - محمد فتحا بن أحمد بن يوسف الفاسي.
- ٥٦/٤ - ٢٢٩ - محمد العرائشي.
- ٥٧/٤ - ٢٣٠ - محمد الغماري.
- ٥٩/٤ - ٢٣١ - محمد بن يحيى بن جابر الغساني.
- ٦٠/٤ - ٢٣٢ - محمد بن الحسن المجاصي.
- ٦٩/٤ - ٢٣٣ - محمد بن أحمد المزطاري.
- ٧٠/٤ - ٢٣٤ - محمد بن محمد العناية.
- ٧٠/٤ - ٢٣٥ - محمد بن عمر السجلماسي.
- ٧١/٤ - ٢٣٦ - محمد البصري.
- ٧١/٤ - ٢٣٧ - محمد بن عبد الرحمن بن أحمد بصري المقرئ.
- ٧٦/٤ - ٢٣٨ - محمد بن محمد القيسي.
- ٧٧/٤ - ٢٣٩ - محمد بن عبد الوهاب الوزير الغساني.
- ٧٨/٤ - ٢٤٠ - محمد بن المولى إسماعيل.
- ١٠٣/٤ - ٢٤١ - محمد بن أبي القاسم عليلش.

- ٢٤٢ - محمد بن أبي مدين السوسى . ١٠٤/٤
- ٢٤٣ - محمد بن عبد الرحمن الشاوى المعزوى . ١٠٧/٤
- ٢٤٤ - محمد بن محمد العكارى . ١١٥/٤
- ٢٤٥ - محمد بن العربى الغمارى . ١١٨/٤
- ٢٤٦ - محمد الحاج ابن عبد القادر التستاوتى . ١١٨/٤
- ٢٤٧ - محمد بن محمد بن عبد الرحمن بصرى . ١١٨/٤
- ٢٤٨ - محمد بن العياشى الوزير . ١١٩/٤
- ٢٤٩ - محمد بن محمد بن محمد بن أحمد بن يوسف الفاسى . ١٢٨/٤
- ٢٥٠ - محمد المكناسى . ١٢٩/٤
- ٢٥١ - محمد بن أحمد اليحمدي الوزير . ١٣٠/٤
- ٢٥٢ - محمد حنوش أبوشكال . ١٤٣/٤
- ٢٥٣ - محمد بن على العفاننى . ١٤٣/٤
- ٢٥٤ - محمد البوعصامى الأديب . ١٤٤/٤
- ٢٥٥ - محمد بن مصالة الفازازى . ١٤٦/٤
- ٢٥٦ - محمد الطيب سكيرج . ١٤٦/٤
- ٢٥٧ - محمد البوعصامى الفقير . ١٥٤/٤
- ٢٥٨ - محمد البهلول البوعصامى . ١٥٥/٤
- ٢٥٩ - محمد بن عبد السلام البيجرى . ١٦٠/٤
- ٢٦٠ - محمد بن الحسن الجنوى . ١٦٣/٤
- ٢٦١ - محمد بن محمد بن عبد السلام البيجرى . ١٦٩/٤
- ٢٦٢ - محمد بن عبد الواحد بن الشيخ الأموى . ١٧٣/٤
- ٢٦٣ - محمد بن الحسن الوكيلى . ١٧٤/٤
- ٢٦٤ - محمد بن محمد بصرى . ١٧٦/٤

- ١٩١/٤ - ٢٦٥ - محمد بن الطيب بصرى .
- ١٩٢/٤ - ٢٦٦ - محمد بن عثمان السفير .
- ٢٠١/٤ - ٢٦٧ - محمد بن قاسم بن حلام .
- ٢٠٢/٤ - ٢٦٨ - محمد بن عبد القادر الزرهونى .
- ٢٠٥/٤ - ٢٦٩ - محمد بن العربى الزمورى .
- ٢٠٥/٤ - ٢٧٠ - محمد بن عبد الرحمن بن هنو اليازغى .
- ٢٠٩/٤ - ٢٧١ - محمد بن أحمد بن الكبير العوفى .
- ٢١٤/٤ نسب آل ابن سودة
- ٢١٥/٤ - ٢٧٢ - محمد بن الكبير العوفى .
- ٢١٥/٤ - ٢٧٣ - محمد الرهونى المدعو بركشة .
- ٢٢٠/٤ - ٢٧٤ - محمد بن عبد الوهاب أجانا .
- ٢٢٠/٤ - ٢٧٥ - محمد بن عمر الصنهاجى .
- ٢٢٠/٤ - ٢٧٦ - محمد بن حمادى الصنهاجى .
- ٢٢٠/٤ - ٢٧٧ - محمد السلوى الوزير .
- ٢٢١/٤ - ٢٧٨ - محمد الزرهونى الكاتب .
- ٢٢١/٤ - ٢٧٩ - محمد بن الطاهر بن محمد البوسلامى الوزير .
- ٢٢٣/٤ - ٢٨٠ - محمد بن منصور الفويسى .
- ٢٢٣/٤ - ٢٨١ - محمد بن الطيب الشريف الحسنى العلوى .
- ٢٢٣/٤ - ٢٨٢ - محمد بن إدريس الوزير .
- ٢٨١/٤ - ٢٨٣ - محمد بن على بن حرزهم .
- ٢٨٢/٤ - ٢٨٤ - محمد بن عبد الله الأمرانى .
- ٢٨٤/٤ - ٢٨٥ - محمد بن العربى الصنهاجى .
- ٢٨٥/٤ - ٢٨٦ - محمد بن الهادى غريط .

- ٢٨٧ - محمد بن عبد السلام بن عبود .
 ٢٨٨ - محمد بن محمد بن عبد الله غريط الوزير .
 ٢٨٩ - محمد أمزاج .
 ٢٩٠ - محمد بن هاشم العلوي .
 ٢٩١ - محمد بن محمد التهامي .
 ٢٩٢ - محمد بن الهادي بن عبود .
 ٢٩٣ - محمد العياشي .
 ٢٩٤ - محمد بن المجذوب بن عزوز .
 ٢٩٥ - محمد بن محمد المصمودي .
 ٢٩٦ - محمد بن الهادي الشريف الحسن العلوي .
 ٢٩٧ - محمد بن محمد بن العناية بن فقيرة .
 ٢٩٨ - محمد بن محمد بن محمد بن فقيرة .
 ٢٩٩ - محمد الأمراني .
 ٣٠٠ - محمد الزهنى .
 ٣٠١ - محمد الأمراني البيصارة .
 ٣٠٢ - محمد بن علي النيار .
 ٣٠٣ - محمد بن محمد بن الجيلاني السقاط .
 ٣٠٤ - محمد بن عبد الله الغريسي .
 ٣٠٥ - محمد الخرزة .
 ٣٠٦ - محمد بن عبد الله بن محمد العلوي الإسماعيلي .
 ٣٠٧ - محمد بن المعطي المسطاري .
 ٣٠٨ - محمد بن إدريس الواستري .
 ٣٠٩ - محمد بن الخليفة التونسي المعروف بالرقاع .

- ٣٢١/٤ - محمد بن العربي المنونى .
- ٣٢٣/٤ - محمد بن أحمد السوسى .
- ٣٢٣/٤ - محمد بن محمد المنونى .
- ٣٢٤/٤ - محمد بن زيدان .
- ٣٢٥/٤ - محمد السوسى أبو عبد الله .
- ٣٢٦/٤ - محمد الريفى أبو عبد الله .
- ٣٢٧/٤ - محمد بن الهادى فرموج .
- ٣٢٧/٤ - محمد بن المهدي المنونى .
- ٣٢٩/٤ - محمد بن عمر العلوى المدغرى .
- ٣٢٩/٤ - محمد بن محمد بن هاشم العلوى .
- ٣٣١/٤ - محمد القصرى العبدرى .
- ٣٣٢/٤ - محمد بن عبد الواحد الشيبهى .
- ٣٣٥/٤ - محمد بن محمد الأمرانى .
- ٣٤٣/٤ - محمد بن العباس .
- ٣٤٤/٤ - محمد بن أحمد حلام .
- ٣٤٥/٤ - محمد منصور المَشْتَرَاثَى .
- ٣٤٧/٤ - محمد بن على بن الكبير العلوى .
- ٣٤٨/٤ - محمد بن عبد السلام الطاهرى .
- ٣٤٩/٤ - محمد بن حمدوش .
- ٣٤٩/٤ - محمد بن إدريس البوعنانى .
- ٣٥٠/٤ - محمد الرجراجى .
- ٣٥٠/٤ - محمد بن محمد بن العربى .
- ٣٥١/١ - محمد بن عبد الله الوزانى .

٣٥١/٤

٣٣٣ - محمد بن أحمد الوزاني .

٣٥٢/٤

٣٣٤ - محمد اليزناسني .

٣٥٢/٤

٣٣٥ - محمد غازي .

٣٥٢/٤

٣٣٦ - محمد القباب .

٣٥٢/٤

٣٣٧ - محمد بن عزوز .

٣٥٢/٤

٣٣٨ - محمد الغماري .

٣٥٢/٤

٣٣٩ - محمد الإسحاقى .

٣٥٢/٤

٣٤٠ - محمد دادوش .

٣٥٢/٤

٣٤١ - محمد الزرهوني .

٣٥٣/٤

٣٤٢ - محمد الزولاني .

٣٥٣/٤

٣٤٣ - محمد الجراري .

٣٥٣/٤

٣٤٤ - محمد اقلال .

٣٥٣/٤

٣٤٥ - محمد المطاعي .

٣٥٣/٤

٣٤٦ - محمد البوعصامي .

٣٥٣/٤

٣٤٧ - محمد بن محمد البوعصامي .

٣٥٣/٤

٣٤٨ - محمد مخلوف .

٣٥٣/٤

٣٤٩ - مالك بن العناية الغرباوي .

٣٥٤/٤

٣٥٠ - المختار بن الحاج الأجرأوي .

٣٥٦/٤

٣٥١ - المختار بن عبد الله الصدر .

٣٥٨/٤

٣٥٢ - المكي بن أبي القاسم العميري .

٣٥٩/٤

٣٥٣ - المكي بن المختار الحناش .

٣٦١/٤

٣٥٤ - المكي بن أحمد السوسي .

٣٦١/٤

٣٥٥ - المكي أبو زكري .

- ٣٥٦ - منانة مزوارة . ٣٦١/٤
- ٣٥٧ - المصطفى بن محمد الكبير العلوى . ٣٦٢/٤
- ٣٥٨ - المعطى بن العناية الغربوى . ٣٦٤/٤
- ٣٥٩ - المعطى الشاوى . ٣٦٤/٤
- ٣٦٠ - المعطى بن محمد بن الهادى بن عبود . ٣٦٦/٤
- ٣٦١ - مغيث زغبوش . ٣٦٧/٤
- ٣٦٢ - المفضل الفلوسى الزرهونى . ٣٦٨/٤
- ٣٦٣ - المفضل بصرى . ٣٦٩/٤
- ٣٦٤ - المفضل بن عزوز . ٣٦٩/٤
- ٣٦٥ - المفضل السوسى . ٣٨٠/٤
- ٣٦٦ - المستضىء السلطان . ٣٨٥/٤
- ٣٦٧ - مَسَلَمَة السلطان . ٤٠٠/٤
- ٣٦٨ - مسعود الطليطى الموقت الأندلسى . ٤٠٧/٤
- ٣٦٩ - مسعود بن جلون . ٤٠٨/٤
- ٣٧٠ - مسعود البريشى . ٤٠٩/٤
- ٣٧١ - المهدي الزريهنى . ٤٠٩/٤
- ٣٧٢ - المهدي بن عبد المالك العلوى . ٤٠٩/٤
- ٣٧٣ - المهدي الكحاك . ٤١٠/٤
- ٣٧٤ - المهدي بن الطيب بصرى . ٤١١/٤
- ٣٧٥ - المهدي بن الطالب بن محمد فتحا . ٤١١/٤
- ٣٧٦ - المهدي بن على الإسماعيلى . ٤١٨/٤
- ٣٧٧ - المهدي بن فضول بصرى . ٤٢٠/٤
- ٣٧٨ - موسى بن محمد بن معطى العبدوسى . ٤٢٠/٤

- ٤٢٢/٤ - ٣٧٩ - موسى العزاف .
 ٤٢٢/٤ - ٣٨٠ - موسى بن الحجاج .
 ٤٢٢/٤ - ٣٨١ - موسى بن علي الزرهوني .
 ٤٢٣/٤ - ٣٨٢ - موسى بن أحمد بن مبارك الوزير .
 ٤٣٦/٤ - ٣٨٣ - الموهوب بن الإدريس الشيبهي .
 ٤٣٦/٤ - ٣٨٤ - المؤذن الكاتب .

(حرف الصاد)

- ٤٣٩/٤ - ٣٨٥ - صالح الحكمي .
 ٤٤٤/٤ - ٣٨٦ - صالح الخلموني .
 ٤٤٥/٤ - ٣٨٧ - صالح بن يوسف البخاري .
 ٤٤٥/٤ - ٣٨٨ - الصديق البخاري الأجرأوى .

(حرف العين)

- ٤٤٩/٤ - ٣٨٩ (أ) - المولى عبد الله السلطان .
 ٥٣٢/٤ - بحث اجتماعي
 ٥٤٣/٤ - خلفاؤه
 ٥٤٣/٤ - حجابيه
 ٥٤٣/٤ - أطباؤه
 ٥٤٣/٤ - عماله
 ٥٤٥/٤ - قضائه
 ٥٤٥/٤ - محتسبوه
 ٥٤٥/٤ - نظاره
 ٥٤٦/٤ - آثاره
 ٥٤٦/٤ - ما خلفه من الأولاد

- ٥٤٦/٤ وفاته
- ٥٤٧/٤ بعض ما قيل فيه من المديح
- ٥٤٩/٤ علاقته السياسية
- ٥٥٧/٤ ٣٨٩ (ب) - عبد الله بن عمر الحضرمي .
- ٥٥٧/٤ ٣٩٠ - عبد الله بن حماد زغبوش .
- ٥٥٩/٤ ٣٩١ - عبد الله التادلي .
- ٥٦٠/٤ ٣٩٢ - عبد الله بن أبي مدين الحاجب .
- ٥٦٢/٤ ٣٩٣ - عبد الله بن الحسن اللخمي عرف بابن الأصفر .
- ٥٦٣/٤ ٣٩٤ - عبد الله بن حمد .
- ٥٦٦/٤ ٣٩٥ - عبد الله بن العريف .
- ٥٦٧/٤ ٣٩٦ - عبد الله بن محمد بن معطى العبدوسى .
- ٥٦٩/٤ ٣٩٧ - عبد الله بن محمد اليقرنى .
- ٥٦٩/٤ ٣٩٨ - عبد الله الخياط .
- ٥٧٢/٤ ٣٩٩ - عبد الله بن إبراهيم بن الجندوز .
- ٥٧٣/٤ ٤٠٠ - عبد الله بن أحمد، ابن القاضى .
- ٥٧٣/٤ ٤٠١ - عبد الله مولى الرئيس ابن حكم .
- ٥٧٤/٤ ٤٠٢ - عبد الله بن على المعروف بالحجام الصبيحى .
- ٥٧٥/٤ ٤٠٣ - عبد الله الجزار .
- ٥٧٧/٤ ٤٠٤ - عبد الله بن محمد الحاج الدلائى .
- ٥٧٩/٤ ٤٠٥ - عبد الله القصرى .
- ٥٨٠/٤ ٤٠٦ - عبد الله بن محمد الخياط .
- ٥٨٢/٤ ٤٠٧ - عبد الله بن العرفاوى .
- ٥٨٣/٤ ٤٠٨ - عبيد المظلوم .

- ٥٨٣/٤ - ٤٠٩ - عبد الحق بن سعيد المكناسي .
- ٥٨٤/٤ - ٤١٠ - عبد الحق الزرهوني .
- ٥٨٥/٤ - ٤١١ - عبد الحق السحيمي .
- ٧/٥ - ٤١٢ - عبد الرحمن بن هشام .
- ٧/٥ ولادته وحاله
- ١٠٩/٥ اهتمامه بأمر الدين
- ١٣٩/٥ اعتناؤه بنشر العلم
- ١٤٤/٥ تبرعاته وأوقافه
- ١٥٧/٥ استعداده البحري
- ١٨٠/٥ علاقته السياسية
- ٢٧١/٥ خلفاؤه ووزرائه
- ٢٧١/٥ كتابه
- ٢٧٢/٥ قضاته
- ٢٧٤ ، ٢٧٣/٥ قواد مشوره وقواد المسخرين وعماله
- ٢٧٧/٥ أمناؤه - محتسبوه - نظاره
- ٢٨٢/٥ بناءاته وآثاره
- ٢٨٩/٥ نساؤه الحرائر والشريفات
- ٢٩٠/٥ ما خلفه من البنين والبنات
- ٢٩٦/٥ بعض ما قيل فيه من المديح
- ٣٣١/٥ وفاته
- ٣٣٢/٥ - ٤١٣ - عبد الرحمن الكاواني .
- ٣٣٣/٥ - ٤١٤ - عبد الرحمن بن أحمد القرموني .
- ٣٣٤/٥ - ٤١٥ - عبد الرحمن المجذوب .

- ٣٣٦/٥ - ٤١٦ - عبد الرحمن بن أحمد الوقاد .
- ٣٣٧/٥ - ٤١٧ - عبد الرحمن بن قاسم أعراب .
- ٣٣٧/٥ - ٤١٨ - عبد الرحمن بن أحمد بن عزون .
- ٣٣٨/٥ - ٤١٩ - عبد الرحمن بن أحمد المحجوب .
- ٣٤٠/٥ - ٤٢٠ - عبد الرحمن بن الحسن اليازغى .
- ٣٤٣/٥ - ٤٢١ - عبد الرحمن كدران .
- ٣٤٣/٥ - ٤٢٢ - عبد الرحمن بن عبد القادر الشيبه .
- ٣٤٣/٥ - ٤٢٣ - عبد الرحمن بن محمد الفاسى الشاوى .
- ٣٤٦/٥ - ٤٢٤ - عبد الرحمن بن أحمد دادى الزرهونى .
- ٣٤٦/٥ - ٤٢٥ - عبد الرحمن بن محمد بصرى .
- ٣٤٧/٥ - ٤٢٦ - عبد الرحمن بن على بن زيدان .
- ٣٥١/٥ - ٤٢٧ - عبد الرحمن بن التهامى الإدريسى الزرهونى .
- ٣٥٢/٥ - ٤٢٨ - عبد الرحمن القرشى .
- ٣٥٢/٥ - ٤٢٩ - عبد الرحمن التاغى .
- ٣٥٢/٥ - ٤٣٠ - عبد الرفيع بن مسعود بن عبود .
- ٣٥٣/٥ - ٤٣١ - عبد الكريم بن محمد الحسنى العلوى .
- ٣٥٣/٥ - ٤٣٢ - عبد الكريم الوزانى .
- ٣٥٦/٥ - ٤٣٣ - عبد المالك السلطان بن السلطان إسماعيل .
- ٣٦٩/٥ - اعتباره لمن يشار له بخير
- ٣٧١/٥ - علاقته السياسية
- ٣٧٢/٥ - ٤٣٤ - عبد الملك البوعصامى .
- ٣٧٣/٥ - ٤٣٥ - عبد الملك بن محمد الحسنى
- ٣٧٣/٥ - ٤٣٦ - عبد المالك بن عبد السلام بن السلطان محمد بن عبد الله .

- ٣٧٦/٥ - ٤٣٧ - عبد المالك بن السلطان عبد الرحمن .
- ٣٧٩/٥ - ٤٣٨ - عبد النبي الشاوي .
- ٣٧٩/٥ - ٤٣٩ - عبد العزيز الملزوزي .
- ٣٨٠/٥ - ٤٤٠ - عبد العزيز بن محمد اليفرنى .
- ٣٨٠/٥ - ٤٤١ - عبد العزيز بن أبى العافية الشهير بابن القاضى .
- ٣٨٠/٥ - ٤٤٢ - عبد العزيز المكناسى المدنى .
- ٣٨١/٥ - ٤٤٣ - عبد القادر الجوطى الحسنى .
- ٣٨٢/٥ - ٤٤٤ - عبد القادر المدغرى المعروف بابن شقرون .
- ٣٩٣/٥ - ٤٤٥ - عبد القادر الجيلانى .
- ٣٩٤/٥ - ٤٤٦ - عبد القادر الشاوي .
- ٣٩٥/٥ - ٤٤٧ - عبد القادر بن محمد بن عبد المالك العلوى .
- ٣٩٧/٥ - ٤٤٨ - عبد القادر بن الحران الحسنى .
- ٣٩٧/٥ - ٤٤٩ - عبد القادر بن عبد الرحمن الفاسى .
- ٣٩٩/٥ - ٤٥٠ - عبد القادر العلمى .
- ٤٠٤/٥ - أزراله
- ٤١٨/٥ - ٤٥١ - عبد القادر بن عبد الله، سقط .
- ٤١٩/٥ - ٤٥٢ - عبد القادر بن عبد الرحمن بن زيدان .
- ٤٢٠/٥ - ٤٥٣ - عبد القادر بن على الحسنى العلوى .
- ٤٢١/٥ - ٤٥٤ - عبد القادر بن المعطى بن العناية .
- ٤٢٢/٥ - ٤٥٥ - عبد السلام ابن الشاذلى الدلائى .
- ٤٢٣/٥ - ٤٥٦ - عبد السلام بن محمد الدلائى المسناوى .
- ٤٢٤/٥ - ٤٥٧ - عبد السلام البيجرى .
- ٤٢٥/٥ - ٤٥٨ - عبد السلام بن أبى يعزى .

- ٤٥٩ - عبد السلام الرامى الزرهونى .
٤٦٠ - عبد السلام بن الحاج محمد بن عمرو .
٤٦١ - عبد السلام بن محمد التازى .
٤٦٢ - عبد السلام بن فتحا الأمرانى .
٤٦٣ - عبد السلام المحب الإسماعيلى .
٤٦٤ - عبد الهادى بن عبد المالك العلوى .
٤٦٥ - عبد الهادى الفيلالى .
٤٦٦ - عبد الواحد بن على الكتانى .
٤٦٧ - عبد الواحد بن على منون .
٤٦٨ - عبد الواحد بن عبد الرحمن الشيهى .
٤٦٩ - عبد الواحد الدربالى .
٤٧٠ - عبد الواحد بن حمادى العلوى .
٤٧١ - عبد الواحد بن محمد ابن فقيرة .
٤٧٢ - عبد الوهاب بن محمد بن الشيخ .
٤٧٣ - عبد الوهاب العراثشى .
٤٧٤ - عبد الوهاب بن أحمد بن عمران .
٤٧٥ - عبد الوهاب بن أحمد أدراق .
٤٧٦ - عبد الوهاب أجانا .
٤٧٧ - العباس بن محمد بن كيران .
٤٧٨ - العباس بن السلطان عبد الرحمن .
٤٧٩ - العباس بن الهادى فرموج .
٤٨٠ - عثمان بن عبد الواحد اللمطى .
٤٨١ - العربى بن محمد بصرى .

- ٤٨٢ - العربي بن مسعود بصرى . ٥٠٠ / ٥
- ٤٨٣ - العربي بن على القسطينى . ٥٠٠ / ٥
- ٤٨٤ - العربي بن أبى فارس ابن ولد عريية . ٥٠٢ / ٥
- ٤٨٥ - العربي بن عامر . ٥٠٢ / ٥
- ٤٨٦ - العربي بن الطاهر بصرى . ٥٠٢ / ٥
- ٤٨٧ - العربي بن السائح العمرى . ٥٠٣ / ٥
- ٤٨٨ - العربي بادو . ٥١٣ / ٥
- ٤٨٩ - العربي بن على بن فارس العلوى . ٥١٣ / ٥
- ٤٩٠ - العربي العلمى الموساوى . ٥١٣ / ٥
- ٤٩١ - العربي بن شمسى . ٥١٥ / ٥
- ٤٩٢ - على الأعرج بن إسماعيل . ٥١٨ / ٥
- ٤٩٣ - على بن حمود . ٥٢٥ / ٥
- ٤٩٤ - على بن عيسى بن دافال . ٥٢٦ / ٥
- ٤٩٥ - على بن مزاحم . ٥٢٦ / ٥
- ٤٩٦ - على بن عبد الرحمن اليفرنى . ٥٢٧ / ٥
- ٤٩٧ - على بن موسى الكتانى . ٥٢٧ / ٥
- ٤٩٨ - على بن محمد منون . ٥٢٨ / ٥
- ٤٩٩ - على بن هارون . ٥٢٩ / ٥
- ٥٠٠ - على بن محمد بن عبد الرحمن الأقاوى . ٥٢٩ / ٥
- ٥٠١ - على بن محمد بن أبى الفضل بن العافية . ٥٣١ / ٥
- ٥٠٢ - على بن سعيد المكناسى . ٥٣١ / ٥
- ٥٠٣ - على بن يشو . ٥٣٢ / ٥
- ٥٠٤ - على الزرهونى الدشيش . ٥٣٢ / ٥

- ٥٠٥ - علي بن حبق . ٥٣٢ / ٥
- ٥٠٦ - علي بن عمر . ٥٣٣ / ٥
- ٥٠٧ - علي بن حماد زغبوش . ٥٣٣ / ٥
- ٥٠٨ - علي بن إبراهيم الخياط . ٥٣٣ / ٥
- ٥٠٩ - علي بن قاسم الوقاد . ٥٣٤ / ٥
- ٥١٠ - علي الزرهوني . ٥٣٥ / ٥
- ٥١١ - علي بن أحمد المكناسي . ٥٣٥ / ٥
- ٥١٢ - علي بن عمر ابن العربي . ٥٣٥ / ٥
- ٥١٣ - علي بن حمدوش . ٥٣٦ / ٥
- ٥١٤ - علي بن سعيد العميري . ٥٥٢ / ٥
- ٥١٥ - علي بن عبد الرحمن بن عبود . ٥٥٣ / ٥
- ٥١٦ - علي بن صانبة البخاري . ٥٥٥ / ٥
- ٥١٧ - علي بن زيدان . ٥٥٥ / ٥
- ٥١٨ - علي بن صالح . ٥٥٨ / ٥
- ٥١٩ - علي بن محمد المسفيوي . ٥٥٩ / ٥
- ٥٢٠ - علي بن الشاد الأمرائي . ٥٦١ / ٥
- ٥٢١ - عمر بن عثمان الونشريسي . ٥٦٢ / ٥
- ٥٢٢ - عمر الحراق . ٥٦٣ / ٥
- ٥٢٣ - عمر الوقاش . ٥٦٧ / ٥
- ٥٢٤ - عمر الخطاب . ٥٧٣ / ٥
- ٥٢٥ - عمر بن عبد العزيز الخطاب . ٥٧٤ / ٥
- ٥٢٦ - عمر بن مبارك الحصيني . ٥٧٤ / ٥
- ٥٢٧ - عمر الكوش . ٥٧٥ / ٥

- ٥٢٨- عمر بن عوادة . ٥٧٦/٥
٥٢٩- عمر بن السلطان مولاى الحسن . ٥٧٦/٥
٥٣٠- عمران بصرى . ٥٨١/٥
٥٣١- عمران الجاناتى . ٥٨٢/٥
٥٣٢- عياد السنوسى . ٥٨٣/٥
٥٣٣- عائشة العدوية . ٥٨٥/٥
٥٣٤- عيسى بن دافال . ٥٨٥/٥

(حرف الغين المعجمة)

- ٥٣٥- غازى بن الشيخ ابن غازى . ٥٨٧/٥
٥٣٦- الغازى ابن عبود . ٥٨٧/٥
٥٣٧- الغزوانى الدلائى . ٥٨٨/٥
٥٣٨- الغالى الستيسى . ٥٨٩/٥

(حرف الفاء)

- ٥٣٩- فتحون البزازية . ٥٩٩/٥
٥٤٠- فاطمة بنت محمد بن عبد الرحمن بصرى . ٥٩٩/٥
٥٤١- فرج الأندلسى . ٦٠٠/٥
٥٤٢- الفاطمى بن محمد الشيبهى . ٦٠١/٥
٥٤٣- الفضيل بن الفاطمى . ٦٠٢/٥
٥٤٤- الفاطمى بن الفضيل . ٦٠٤/٥

(حرف القاف)

- ٥٤٥- القاسم بن عبد الله زغبوش . ٦٠٧/٥
٥٤٦- قاسم بن محمد ابن القاضى . ٦٠٧/٥
٥٤٧- قاسم بن رَحْمُون . ٦١٣/٥

٦١٦/٥

٥٤٨- قاسم البندورى .

٦١٦/٥

٥٤٩- قاسم الدامى المكناسى .

٦٢١/٥

٥٥٠- قاسم الحسنوى .

٦٢٢/٥

٥٥١- أبو القاسم ابن الأبرش .

٦٢٢/٥

٥٥٢- أبو القاسم بن حبيب الحريشى .

٦٢٢/٥

٥٥٣- أبو القاسم بن درى الشاوى .

٦٢٧/٥

٥٥٤- أبو القاسم بن العميرى .